المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره

عرض ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي
الرقم الجامعي
٤٢٥٨٨١٢٤
إشراف الأستاذ الدكتور
محمود محمد مزروعة

العام الدراسي : ١٤٢٩ هـ

ملخص الرسالة

تحدثت في هذه الرسالة عن ظاهرة هامة عند النصارى ، وهي تقديس الأشخاص ، مثل تقديسهم لعيسى ابن مريم ﷺ ، ومن يسمى عندهم بالرسل ، وتقديس الباباوات ورجال الدين .

وقد مهدت لذلك بتعريف عام بالنصرانية ، وبمعنى التقديس ، وجذوره ، وأهم أسبابه ، ثم بينت الآثار التي نتجت عن تقديس هؤلاء الأشخاص داخل الكنيسة ، وخارجها ، والآثار المتعلقة بظهور الفكر الديني القائم على العداء للكنيسة ، وقد توصلت بعد البحث إلى عدة نتائج من أهمها :

١- براءة عيسى ﷺ من انتساب النصارى إليه .

٢- من أعظم أسباب وقوع النصارى في تقديس متبوعيهم اعتقادهم أنَّ الباباوات ورجال الدين هم ورثة سلطان الرب الذي منحه لبطرس .

٣- أثر الإسلام في حركة الإصلاح الديني لدى النصارى .

Research Summary

In this research, I discussed a significant subject which can be appeared clearly in Christianity. It is sanctifying people as they do for Jesus(Son of Marry),those whom they call them as messengers and finally Popes and the Clergymen. I made all that by introducing a general definition of Christianity ,the meaning of sanctifying, showing its roots and its main reasons. Then I explained the whole effects of that beside the effects on Secularism.

Concludion: It includes the most important results I had such as:

1-Being Jesus innocent from the Christianity.

2- Sanctifying clergymen was the main reason for falling in Polytheism and being away from the right path .

3-The influence of Islam in Protestantism revolution in the Christianity.

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وبعد :

فإنَّ من أعظم نعم الله تعالى على عباده هدايتهم إلى صراطه المستقيم ، علماً وعملاً ، وحاجة العباد إلى ذلك أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب والنفس ؛ لأنَّ فيه حياة قلوبهم ، وفوزهم بالنعيم المقيم .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية العظمى ، أرسل الله تعالى الرسل ، وأنـــزل الكتـــب ، تصديقاً لما فُطرت عليه النفوس ، وتأييداً للميثاق الأول الذي أُخذ على أبينا آدم وذريته .

وقد كان خاتمة هؤلاء الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي أكمل الله تعالى بــه الدين ، وأتمَّ به النعمة ، وارتضى دينه للبشرية جمعاء ؛ فلم يعد في وسع أحد غير الإيمان به ، واتباع رسالته ، فمن سمع به ، وبلغته دعوته ، ولم يؤمن به كان من أهل النار .

وكان من بين من شملتهم دعوته النصارى ، وقد آمن منهم من أراد الله تعالى له الخير ، وأعرض عن دعوته الكثير منهم رغم معرفتهم به ، كمعرفتهم لأبنائهم .

وقد ظهر لي أنَّ من أعظم أسباب انصرافهم عن قبول الحق الذي يعرفونه غلوهم في متبوعيهم ، من الأحبار والرهبان ، إلى الحد الذي أصبحوا معه أرباباً من دون الله . وهـــذا المعنى هو ما يمكن أن أعبر عنه بتقديس الأشخاص ؛ ولخطورة هذا الأمر ، وعظم أثره فقـــد رأيت – بعد استخارة الله تعالى ، ثمَّ استشارة أهل الاختصاص – أن أسجل هذا الموضـــوع لنيل درجة الماجستير ، ولاختيار هذا الموضوع أسباب أخرى ، أجملها فيما يلي :

١- الرغبة أن يكون هذا الموضوع – بعد إجازته بعون الله تعالى – رسالة موجهة إلى النصارى كشفاً لما في دينهم من الباطل ، ودلالة على الحق ، وهداية لمن أراد الله له الخـــير منهم ، وعملاً ادَّخر أجره عند الله تعالى .

٢- أنَّ الديانة النصرانية من أكثر الديانات انتشاراً ، وأتباعاً ، وتوجيه الدراسة إليها من أوجب الواجبات على من قدر على ذلك من طلاب العلم المختصين .

٣- تأثر بعض المسلمين بالتنصير ، بسبب الجهل ، والفقر ، والمرض ، وفي كشـــف باطل النصارى صيانة للمسلمين من التأثر بهم .

٤- اتباع المنهج القرآني الداعي إلى استبانة سبيل المجرمين ، والرد على المبطلين .

٥- إثبات براءة عيسى ﷺ من كل ما نسبه إليه النصارى في كتبهم .

٦- معرفة مدى تأثير تقديس الأشخاص عند النصارى على قبولهم للحق الذي جاء به محمد ﷺ .

٧- أنَّ نقد هذه الظاهرة التي غلبت على النصارى أكثر من غيرهم محاولةٌ لهدم أساس البنيان الذي صرف الكثير منهم عن قبول الحق ، وفرصة لأتباعهم لمعرفة الحق بتجرد بعيداً عن تأثير المتبوعين .

الدراسات السابقة :

لم أجد من خلال البحث دراسة متخصصة في نفس الموضوع الذي اخترته للدراسة ، ولكنَّني وجدت دراستين لهما علاقة بالبحث ، وهما :

١- رسالة ماجستير بعنوان : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي . عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة . للباحث :د. محمد أحمد لوح . وهذه الرسالة تشترك مع دراستي في موضوعها ، وتختلف عنها كلية من حيث مجالها ، حيث أنَّ مجالها هو الفكر الصوفي ، وقد أفدت منها دون شك في تصور فكرة التقديس للأشخاص بوجه عام .

٢- رسالة ماجستير بعنوان : غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية . للباحث : د. ثامر بن ناصر الغشيان . وهذه الرسالة متميزة في فكرها ، ولكن يؤخذ عليها في نظري توسيع دائرة الدراسة ؛ حيث شملت الغلو في الصالحين عموماً ، ثم الغلو عند النصارى ، والهنود ، والمجوس ، ولو اقتصرت على الغلو عند أمة واحدة ، مع بيان أثره على الطوائف الإسلامية لكان أولى وأقوى ، ويؤخذ عليها كذلك عدم استيفاء بعض المواضيع حقها من البحث من جهة العرض ؛ كمبحث العصمة ، حيث لم يتجاوز تقريره – مع أهميته – أكثر من خمسة أسطر فقط ، ولم يذكر الباحث في تقريره سوى النقل من مرجع إسلامي لا يعتبر مصدراً أصلياً في هذا المبحث .

وقد أفدت من هذه الدراسة ، لاسيما ما يتعلق بتقديس البابا عند النصارى .

خطة البحث :

قسمت البحث – بعد استعانة الله — إلى مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة :

فتشتمل على ما يلي :

١- أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره .

٢- الدراسات السابقة .

٢- خطة البحث .

٣- منهجي في البحث

٤- أهم الصعوبات التي واجهتني في البحث .

٥- شكر من أعانني في إنجاز هذا البحث .

وأمَّا الباب الأول :

فخصصته للحديث عن حقيقة التقديس عند النصارى ، وقسمته إلى الفصول التالية:

الفصل الأول : التعريف بالديانة النصرانية ، ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : تاريخ النصرانية .

المبحث الثاني : مصادر النصرانية .

المبحث الثالث : الفرق النصرانية .

المبحث الرابع : العقائد النصرانية .

الفصل الثاني : بينت فيه المراد بالتقديس من خلال مبحثين :

المبحث الأول : المراد بالتقديس في اللغة ، والشرع .

المبحث الثاني : المراد بالتقديس والقداسة عند النصارى .

الفصل الثالث : بينت فيه جذور التقديس ، وتناولت فيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية .

المبحث الثاني : تقديس الأشخاص في الديانة الهندية .

المبحث الثالث : تقديس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة .

المبحث الرابع : تقديس الأشخاص عند اليونان والرومان .

الفصل الرابع : بينت فيه أهم أسباب تقديس الأشخاص من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول : أثر الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية عليها .

المبحث الثاني : دور شاءول اليهودي .

المبحث الثالث : دور المجامع النصرانية .

المبحث الرابع : دور الدولة الرومانية .

وأمَّا الباب الثاني :

تناولت فيه المقدَّسين من الأشخاص عند النصارى ، وقسمته إلى ما يلي :

الفصل الأول : تقديس عيسى ﷺ ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : عقيدة ألوهية المسيح ﷺ .

المبحث الثاني : عقيدة بنوة المسيح ﷺ .

المبحث الثالث : عقيدة التثليث .

المبحث الرابع : تقديس مريم عليها السلام .

الفصل الثاني : تقديس من يسميهم النصارى الرسل ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : جماعة الرسل عند النصارى .

المبحث الثاني : صور تقديس هذه الجماعة عند النصارى .

المبحث الثالث : مناقشة اعتقاد النصارى حول هذه الجماعة .

الفصل الثالث : تقديس النصارى للبابا ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف البابوية ونشأتها .

المبحث الثاني : صور تقديس البابا .

المبحث الثالث : نقد هذه الصور .

الفصل الرابع : بينت فيه تقديس النصارى لرجال الدين ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : دعوى وراثتهم لسلطان الرب .

المبحث الثاني : دعوى التوسط بين الخالق والمخلوق .

المبحث الثالث : الأسرار الكنسية .

الفصل الخامس : بينت فيه صور عامة لتقديس الأشخاص ، وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : التبرك بآثار ومخلفات من يسمى بالمُقدَّسين .

المبحث الثاني : تقديس التماثيل والصور .

المبحث الثالث : إقامة الأعياد لمن يسمى بالمُقدَّسين .

المبحث الرابع : الزيارة والحج إلى أماكن المقدَّسين .

الباب الثالث :

خصصته للحديث عن آثار التقديس ، وقسمته إلى الفصول التالية :

الفصل الأول : آثار التقديس على الكنيسة ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : طغيان الكنيسة .

المبحث الثاني : فساد الكنيسة .

الفصل الثاني : الثورة على الكنيسة ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ثورة الإصلاح الديني .

المبحث الثاني : الثورة الفرنسية .

الفصل الثالث : ظهور الفكر اللاديني ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : دين الكنيسة قبل ظهور الفكر اللاديني .

المبحث الثاني : الفكر اللاديني (العلمانية نموذجاً) .

أما الخاتمة :

فقد بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ، والتوصيات التي أوصي بها .

منهجي في البحث :

تقوم فكرة البحث الرئيسة على أساس عرض فكرة تقديس الأشخاص عند النصارى من وجهة نظرهم ، ثم نقد هذه الفكرة من خلال مصادرهم المعتمدة عندهم أولاً ، ثم من وجهة النظر الإسلامية ثانياً ، والبدء بالنقد من خلال مصادرهم طلباً لقوة الحجة ، ومبالغة في إلزامهم .ولم أتوسع في الرد من الناحية الشرعية ؛ لأنَّ ذلك مستوعب في أغلب الدراسات النقدية الأخرى .

والمنهج المتبع في ذلك هو المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التحليلي، ثم المنهج النقدي حيث قمت بوصف أفكار الموضوع كما يراها النصارى ، وتحليل النصوص التي يستدلون بها عليها ، ومن أهم الخطوات التي اتبعتها لتحقيق ذلك المنهج ما يلي :

١- اعتمدت في كتابة هذا البحث على مصادر النصارى الأصلية ، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، في جانب العرض والنقد ، وهذا هو الأصل في هذا البحث ، ولم اعتمد على غير المصادر الأصلية إلا عند تعذرها ، والغرض من ذلك تحقيق الموضوعية ، والبعد عن التحيز ، وأمَّا ما يتعلق بالنقل من هذه المصادر ، فقد راعيت فيه ما يلي :

(أ) عند النقل من أسفار النصارى لم ألتزم تصحيح الأخطاء الأسلوبية الواردة في النصوص؛ لكثرتها ، وكونها عبئاً إضافياً لا علاقة له بجوهر البحث ، ولم أصحح منها إلا ما له علاقة بالاستشهاد الذي أريد إ ثباته .

(ب) حافظت على العبارات التي أتحفظ عليها إذا كانت واردة في نص من النصوص التي انقل منها أداء للأمانة في النقل ، واكتفاءً بالتنبيه العام عليها في مواضعها ، وقد أُشير إلى ذلك التحفظ من خلال وضع العبارة بين قوسين ، ومثال ذلك كلمة "المسيحية" التي ترد كثيراً فيما أنقل من النصوص ، وأمَّا عندما تكون الصياغة منِّي فإنِّي التزم باللفظ الشرعي ، أو ما اعتقد أنَّه هو الصواب ، فأقول مثلاً : النصرانية ، ما يسمى بالكتاب المقدس ، ما يسمى بالمجامع المقدسة ، من يسمى بجماعة الرسل ... وهكذا .

(ج) عندما يكون للنص أهمية توجب ذكره فإنِّي أنقله كما هو ، وأضعه بين قوسين صغيرين ، هكذا « » ، ثمَّ أبين في الحاشية المصدر ، والمؤلف ، ورقم الصفحة ، أمَّا إذا لم أر أهمية خاصة لذكره ، فإنِّي أعبر عن الفكرة بأسلوبي الخاص ، وأشير إلى المصدر والصفحة في الحاشية بكلمة انظر . وفي حالة تكرار النقل من مصادر محددة فإنِّي اذكرها في الحاشية عند أول نقل منها ، وأنبه إلى ذلك تحاشياً للتكرار ، وهذا لم يقع إلا قليلاً .

٢- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقام الآيات ، معتمداً على النسخة الإلكترونية المعتمدة من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية.

٣- خرَّجت الأحاديث تخريجاً علمياً مختصراً وفق الأصول المعروفة في هذا الشأن ، وهي أحاديث قليلة جداً .

٤- عند النقل من أسفار العهد القديم والجديد أنقل النص في المتن موضوعاً بين قوسين صغيرين ، ثم اكتب في الحاشية اسم السفر ، وأشير بين قوسين إلى رقم الإصحاح والفقرة فقط ، فمثلاً عندما أريد النقل من سفر التكوين ، فإني أنقل النص المطلوب في المتن ، ثمَّ اكتب في الحاشية : التكوين : (١٢/١) ، ومعنى ذلك : الإصحاح الأول الفقرة الثانية عشر ، وعند النقل من الأناجيل الأربعة اذكر اسم صاحب الإنجيل مع الإشارة إلى رقم الإصحاح والفقرة .

٥- ترجمت بصورة مختصرة للأعلام والأماكن وبعض الكلمات الغريبة الواردة في المتن ، مكتفياً بما أراه كافياً لمعرفة العلَم أو المكان ، وتمييزه عن غيره فقط .

٦- ألحقت البحث بفهرس للمراجع ، وآخر للموضوعات . ولكثرة المراجع التي توفرت لي فقد راعيت في كتابتها – طلباً للإختصار- حذف الأوصاف التي تتعلق بالمؤلف أو الكتاب ، وحذف أسماء الدول إذا كانت المدينة التي تتبعها دار النشر مشهورة ، والاكتفاء باسم الشهرة إذا كان المؤلف مشهوراً ، وفي الكتب المعاصرة التي تخص المسلمين اكتفي بالاسم الأول والأخير غالباً ، كما اختصرت كلمة ترجمة إلى الرمز (تر) ، وميزت المؤلفين الذين أسلموا من النصارى بعبارة مهتدي إلى الإسلام بين قوسين .

بعض الصعوبات التي واجهتني في البحث :

أثناء القيام بهذا البحث واجهتني بعض الصعوبات ، ومن أهمها :

١- جدة الموضوع بالنسبة لي ، حيث أنَّ دراستي السابقة لم تكن في هذا المجال ، فقمت من أجل تذليل تلك الصعوبة بتكثيف القراءة في هذا المجال ، وقراءة أهم الكتب المتوفرة قبل البدء في البحث ، ثمَّ التواصل مع المختصين في هذا المجال ، عن طريق اللقاء المباشر ، أو الاتصال في داخل المملكة وخارجها ، وقد كونت بفضل الله تعالى دليلاً خاصاً لكل من تواصلت معهم ، وأفدت منهم من أساتذة الجامعات ، وأصحاب المكتبات ، وغيرهم .

٢- عدم وجود المراجع الأصلية لهذا البحث في داخل المملكة ، وهي من أكبر الصعوبات التي واجهتني ، وكان لزاماً عليَّ السفر إلى خارج البلاد بحثاً عنها ، فسافرت إلى كل من لبنان ، وسوريا ، ومصر ، وزرت لأجل ذلك أربع معارض دولية في بيروت

والقاهرة ، إضافة إلى زيارة أهم المكتبات والكنائس ، والأديرة والجامعات النصرانية في تلك الدول ، كما التقيت ببعض آباء الكنائس ، ووجهت لهم بعض الأسئلة المتعلقة بالبحث ، وقد وثقت بعض ذلك بالكتابة ، والصور ، وأفلام الفيديو ، وقد كانت حصيلة تلك الرحلات الحصول على معلومات قيمة من خلال اللقاءآت المباشرة مع من أمكن لقاءه من النصارى ، ومن خلال الإجابة على الأسئلة التي كنت أوجهها إليهم ، وكذلك فقد جمعت ما يزيد على مئتين وخمسين عنواناً من المصادر النصرانية ، وقد أثبتها في فهرس المراجع . والحمد لله تعالى .

٣- أنَّ الكثير من المراجع موجود بغير اللغة العربية ، وقد أعانني الله تعالى على تذليل ذلك بالبحث عن الكتب المترجمة ، فوجدت الكثير من ذلك والحمد لله ، وكذلك استعنت ببعض المتخصصين في اللغة الإنجليزية لترجمة ما احتاج إلى ترجمته ، والاستعانة بمواقع الترجمة عن طريق الشبكة العنكبوتية ، وقد بدأت لأجل ذلك في تعلم اللغة الإنجليزية ، وحضور بعض الدورات المتعلقة بذلك ، وقد عزمت على إكمال هذا الطريق بإذن الله تعالى .

وأخيراً فمع هذه الصعوبات التي تذللت بفضل الله تعالى إلا أنَّ أموراً كثيرة كانت تحفزني وتزيد من حماسي لمواصلة البحث ، ومن أهمها أمران :

الأول : الشعور الداخلي العميق بأهمية هذا البحث الذي وفقني الله لاختياره ، من حيث كونه أتاح لي الفرصة للتعرف عن قرب على أكثر الديانات في العالم أتباعاً ، وخطراً على المسلمين .

والثاني : أنَّه أتاح لي التعرف على أكبر جوانب الخلل في هذه الديانة ، وهو تقديسهم لأتباعهم ، وهو خلل عقدي ومنهجي .

وفي ختام هذه البحث أتوجه بالشكر العظيم لله تعالى الذي وفقني لإتمامه ، وأرجوه سبحانه أن يتقبله مني بقبول حسن ، ويجعله نافعاً لي في الدنيا ، وذخراً لي يوم ألقاه ، وهدايةً لمن أراد الله له الخير من النصارى .

ثمَّ أتوجه بالشكر والعرفان لكل من أعانني على إكمال هذا البحث بكل وجه من وجوه الإعانة ، وأخص من هؤلاء :

١- فضيلة الشيخ الدكتور / محمود محمد مزروعة المشرف على الرسالة ، والذي كان لكريم خلقه ، وجميل معروفه ، وسديد توجيهه ، وحسن سؤاله أبلغ أثر وأعظم حافز

في نفسي لبذل غاية الجهد في إخراج هذا البحث على أحسن وجه ، فأسأل الله تعالى أن يمتعه بصحة في إيمان ، ويبلغه الفردوس الأعلى من الجنان .

٢- فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي عميد كلية الدعوة سابقاً ، الذي تشرفت بالدراسة على فضيلته في مرحلة البكالريوس ، ثمَّ الماجستير ، ثمَّ كان مرشداً لي في فترة اختيار الموضوع ، وقد كان لتوجيهه ، وتشجيعه أبلغ الأثر في شحذ همتي لطلب العلم عموماً ، وللبحث في الموضوع خصوصاً ، وأسال الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء على ما يقدم لطلاب العلم ، وأن يمتعه بالفردوس الأعلى من الجنان .

٣- فضيلة الشيخ الدكتور / احمد بن عبدالرحمن القاضي الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – فرع القصيم - ، الذي شرفني بتوجيهاته ، وأمدني بكل ما احتجت إليه من المراجع المتعلقة بالبحث ، وأسال الله أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يمتعه بالفردوس الأعلى من الجنان .

٤- فضيلة الشيخ / علي بن احمد الراشدي المشرف التربوي بإدارة التربية والتعليم بمحافظة القنفذة ، والأستاذ / حسن بن كريدم الزبيدي المدرس بمدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالمظيلف ، والأستاذ / طلال بن عقيل الخيري الأستاذ بكلية المعلمين بجدة على ما قدموه من ملاحظات قيمة للبحث ، فأسأل الله أن يجزيهم على ذلك خير الجزاء .

٥- الأخ الشهم النجيب / داود مصطفى داود الطالب بكلية طب القصر العيني بالقاهرة الذي انتدب نفسه للبحث عن المراجع الهامة والنادرة بمصر وإرسالها لي ، فله مني أجمل الشكر وأعظم الامتنان .

٦- الزوجة الغالية ، والأبناء الأعزاء : محمد ، ومعاذ ، وعاصم ، لجميل مشاركتهم، وتنازلهم عن بعض حقوقهم من أجل إنجاز هذا البحث . فأسأل الله تعالى أن يثبتني وإيَّاهم على الخير ، ويجعلهم قرة عين لي في الدنيا والآخرة .

وفي الختام : ارجوا الله تعالى أن يتقبل هذا العمل ، ويتجاوز عمَّا فيه من الزلل ، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم ، والحمد لله رب العالمين .

الباب الأول

حقيقة تقديس الأشخاص عند النصارى

وفيه أربعة فصول

- الفصل الأول: التعريف بالنصرانية
- الفصل الثاني: معنى التقديس
- الفصل الثالث: جذور التقديس
- الفصل الرابع: أسباب التقديس

الفصل الأول :

التعريف بالنصرانية

وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول : تاريخ النصرانية
- المبحث الثاني : مصادر النصرانية
- المبحث الثالث : فرق النصرانية
- المبحث الرابع : عقائد النصرانية

المبحث الأول

تاريخ النصرانية

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : تعريف النصرانية وسبب التسمية
- المطلب الثاني : نشأة النصرانية

تمهيد :

أرسل الله تعالى عبدَه ورسولَه ، وكلمتَه ألقاها إلى مريم ، وروحاً منه ، عيسى عليه السلام ، إلى بني إسرائيل خاصة ، بعد أن انحرفوا عن شريعة موسى عليه السلام ، وطال عليهم الأمد ، وقست قلوبهم ، وغلبت عليهم الروح المادية.

وقد هيأه الله عز وجل لهذه المهمة العظيمة أعظم تهيئة ؛ فاختاره من أشرف البيوت ديناً ، ونسباً ؛ فأمُّه مريم العذراء المصطفاة الطاهرة ، والعابدة المنذورة لخدمة المسجد الأقصى ، من بيت آل عمران الذين أصطفاهم الله على العالمين في زمانهم .

وقد أنزل الله عليه الإنجيل مصدقاً للتوراة ، ومشتملاً على الهدى والنور ، وآتاه من الآيات ما تلين له القلوب القاسية ؛ فقد ولد من غير أب ، وتكلم في المهد ، وكان يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ويبريء الأكمه والأبرص ، ويحي الموتى بإذن الله ، ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، وقام بدعوة قومه إلى التوحيد الخالص ، وتحذيرهم من الوقوع في الشرك ، مع حرصه التام على تأكيد بشريته ، وأنَّه مخلوق ، ومربوب لله عز وجل ، وأنَّ الله هو ربه وخالقه .

ولذلك عاداه اليهود أشد العداء ، واضطهدوه أشد الاضطهاد ، ولكنَّ الحواريين لبوا نداءه ؛ فآمنوا به ، واتبعوه وقاموا بنصرته .

ولَمَّا ظهرت دعوته وكُثر أنصارها ، ازداد حقد اليهود عليها ، فسعو للمكر بها وقرروا التخلص من عيسى عليه السلام ، فوشوا به إلى والي الرومان في فلسطين ، وكذبوا عليه ، وادعوا أنَّه يحرض على عدم إعطاء الجزية لقيصر ، ويثير الشغب ضد الدولة ، حتى أقنعوا الوالي بقتله ، وصدر أمره بذلك ، ولكنَّ الله عز وجل خذلهم وأكرم نبيه بآية من آياته ؛ فألقى شبهه على غيره ، وتمت عملية الصلب والقتل على شبيهه ، أمَّا هو فقد رفعه الله إليه .

وبعد رفعه عليه السلام اختلف الناس من بعده ، كما في قوله تعالى : چ□ □ □ □ □ ی ی ی ی □ □ □ □ □ چ مريم: ٣٧

قال الإمام ابن كثير [1] رحمه الله : « لما بلَّغ عيسى ابن مريم رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين ، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به ، وضلت

---

[1] هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، ولد بقرية من أعمال مدينة بصرى سنة ٧٠١ ، ثم انتقل إلى دمشق ، وله مصنفات عديدة من أشهرها : تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية ، توفي سنة

طائفة فخرجت عما جاءهم به ، وجحدوا نبوته ، ورموه وأمَّه بالعظائم ، وهم اليهــود — عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة — وغلت فيه طائفة ممن اتبعه ، حتى رفعوه فوق مـــا أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فرقاً وشيعاً ، فمن قائل منهم : إنَّه ابن الله ، وقائل : إنَّه ثالث ثلاثة : الأب ، والابن ، وروح القدس ، وقائل إنَّه الله » [٢].

وكانت هذه الأقوال بداية ظهور البدع في النصرانية .

المطلب الأول : تعريف النصرانية وسبب التسمية :

عرف الباحثون المسلمون النصرانية ، وحاصل ما ذكروه يعود إلى ما يلي :

أصل النصرانية الرسالة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، وكتاب النصارى هو الإنجيل [٣] .

وهذا التعريف يلاحظ عليه ما يلي :

١- : أن البدع التي أنشأها بولس وادخلها في النصرانية لا يصح نسبتها إلى المســيح عليه السلام الذي قامت رسالته على التوحيد ، كما هو الحال في كل ما جاء به الرســل علــيهم السلام .

٢- : أن الإنجيل الذي يؤمن به النصارى اليوم يشتمل على كثير من الأمور المخالفــة لما جاء به المسيح عليه السلام .

والنصارى هم الذين سموا أنفسهم بذلك ، كما قال تعالى عنهم: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ المائدة: ١٤ .

والنصارى يفضلون أن يسموا أنفسهم بالمسيحيين إمعاناً في التمويه بإظهار انتســابهم للمسيح عليه السلام ، وتخلصاً من ذم المسلمين بهم بهذا اللفظ الذي ورد في القــرآن والســنة ، والواجب أن يلتزم المسلمون في تسميتهم بما سماهم الله ورسوله به)[١] .

---

٧٧٤ هـــ ، وقد أضر في آخر عمره . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني : (٢١٨/١) ، البدر الطالع بمحاسن مابعد القرن السابع للشوكاني : (١٠٣/١).

[٢] تفسير القرآن العظيم : (١١٣/٥) .

[٣] ممن ذكر أنَّ النصرانية هي الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام أصحاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : (٥٧٤/٢) ، وممن ذكر أنَّ كتاب النصارى هو الإنجيل د. سعود الخلف في كتابه دراسات في الأديان — اليهودية والنصرانية - ، ص:١٦٣ ، و أ. بسمة جستنية في كتابها تحريف رسالة المسيح ، ص:١٩ .

[١] أشار إلى ذلك د. ناصر القفاري ود. ناصر العقل في كتاب:(الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة /٦٥).

المطلب الثاني : نشأة النصرانية :

لَّما كثر أتباع المسيح عليه السلام ، وأصبح لدعوته قوة ومكانة عند الجماهير من الناس ، و لم يعد ممكناً مواجهتها علانية من قبل أعداءها ، ظهرت فرقة جديدة تـدعي الانتسـاب إلى المسيح عليه السلام ، وتدعو إلى خلاف ما كان عليه ، وتقوم في حقيقتها على الوثنية والشرك بالله تعالى ، وهي ما يُعرف بالنصرانية .

وبدراسة نشأتها يبرز لنا سببان رئيسان :

الأول : سبب ظهور ونشأة ، وهو الدور الذي قام به شاءول اليهودي في تأسيسـها بدلاً عن دعوة المسيح عليه السلام .

والثاني : سبب قوة وانتشار ، وهو حماية الدولة الرومانية لهذه الديانة بعد ذلك .

وسوف أشير إلى أثر هذين السببين بشيء من الاختصار ، أمَّا تفصيل ذلك فسيكون في موضعه من هذا البحث بعون الله تعالى .

أولاً : دور شاءول في الديانة النصرانية :

شاءول اسم عبري ، ومعناه : المطلوب ، وقد عرف بهذا الاسم في سفر أعمال الرسل في عدة مواضع ، وهو من أسماء بني اسرائيل ، وأول من تسمى بهذا الاسم شاءول بن قيس ، من سبط بنيامين ، وهو أول ملوك اسرائيل [٢] .

ويدعى – أيضاً – بولس ، ومعناه : الصغير[٣] ، وشاءول اسمه الحقيقي ، وبه كـان ينادى إلى أن أعلن اتباعه للمسيح عليه السلام .

وممن أكد ذلك مؤرخ النصارى "اندروملر"[١] ،حيث يقول: « وكـان معروفـاً في ذلك الحين باسم "شاءول الطرسوسي" لأنَّ اسم شاءول هو اسمه اليهودي الذي دعي به من والديه ، أمَّا بولس فهو اسمه الأممي » [٢] .

---

[٢] انظر : قاموس الكتاب المقدس لنخبة من اللاهوتيين : مادة شاءول ،ص: ٥٠٢-٥٠٣ .

[٣] المصدر نفسه ، ص: ١٩٦ .

[١] مؤرخ وأديب وشاعر بروتستانتي ، ولد بإنجلترا عام ١٨١٠م وانتقل إلى لندن وكان راعياً لإحدى الكنـائس بهـا توفي عام ١٨٨٣م ، ومن أبرز كتبه مختصر تاريخ الكنيسة . انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، مقدمة الطبعة العربية .

[٢] مختصر تاريخ الكنيسة ، ص : ٥٧ .

وأمَّا سبب تسميته ببولس ؛ فإنَّه فعل ذلك نفاقاً لتحسين صورته عند أتباع المسيح عليه السلام بسبب ما ارتبط باسمه الأول من الكراهية ؛ لما كان يقوم به من الاضطهاد لهم ، ولتحقيق أهدافه الطامعة إلى هدم الدين الصحيح الذي جاء به المسيح عليه السلام .

ولد شاءول في مدينة طرسوس [٣] ، في مقاطعة كليكية [٤] ، في السنة العاشرة من التاريخ الميلادي ، وهو يهودي من الفرِّيسيين ، من سبط بنيامين ، و لم يلتق بالمسيح عليه السلام و لم يره طول حياته ، وقد حصل على امتياز الجنسية الرومانية ، ويقال أنَّه تعلم في طرسوس صناعة الخيام ، وكانت مهنة شريفة عند اليهود [٥].

وأمَّا نشأته ؛ فيذكر مؤلف سيرته الدكتور: ف.ب.ماير– أنَّه قرأ التوراة و تعلم الناموس الشفوي – التلمود – ، ثمَّ أُرسل إلى أورشليم لاستئناف دراسته لوظيفة ربيّ التي كان يطمع له فيها أبوه » [٦] . وأمَّا تعليمه ؛ فقد تحدث شاءول عن ذلك قائلاً : « أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس ، على أني نشأت في هذه المدينة ، وتلقيت عند قدمي جملائيل [٧] تربية موافقة كل الموافقة لشريعة الآباء » [٨] .

وقد تميز شاءول بصفات أهلته للقيام بدوركبير في تبديل ما جاء به المسيح عليه السلام ، ونشر ذلك بين الأمم ؛ فكان نشيطاً ، شديد الذكاء ، قوي التأثير في نفوس الجماهير [١] .

وتتميز طرسوس – التي ولد فيها شاءول – بموقع استراتيجي بالغ الأهمية ؛ فهي تمثل حلقة الاتصال بين آسيا الصغرى (تركيا حالياً) وبلاد الشام ، وبالتالي فهي مفترق الطرق التجارية الهامة لبلاد غرب آسيا الصغرى وشمالها وكذلك الشام وجدير بمثل هذا الموقع أن

---

[٣] مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . انظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي (٤/ ٢٨) ، وطرسوس حالياً تقع جنوب تركيا وشمال سوريا على بعد ١٧كم من شاطيء البحر الأبيض.

[٤] مقاطعة رومانية في جنوبي شرقي آسيا الصغرى (تركيا حالياً) . انظر : العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ،ص:١٤٥ .

[٥] انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٤٩/١١) ، دراسات في الملل والنحل ، محمد الشرقاوي ، ص: ١٧ .

[٦] حياة بولس ، ص: ٢٢ .

[٧] اسم عبري معناه "مكافأة الله ، وهو حاخام يهودي ، يقال إنه أول من طلب رفع القيود عن أتباع المسيح ، توفي في منتصف القرن الأول . انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص:٦٦٢

[٨] أعمال الرسل : (٢٢ / ٤٣٧) ، والمدينة هنا هي أورشليم مركز الديانة اليهودية التي كان يرأسها جمالائيل .

[١] انظر : محاضرات في النصرانية ، للإمام محمد أبي زهرة ، ص:٦٨ .

يسهم في تنشيط الحركة الثقافية في هذه المدينة ، وانتقال المعتقدات المجاورة إليها وهذا ما حدث بالفعل ، حيث أصبحت هذه المدينة أشبه ما تكون بالجامعة ، كما أطلق عليها ذلك أستاذ النصرانية شارل جنيبير [٢] .

وعن أهم العقائد التي كانت منتشرة في تلك المدينة يتحدث ديورانت [٣] قائلاً : « وكان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية اتباع للأرفية [٤] ، وغيرها من العقائد الخفية يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ، ثم قام من قبره وأنَّه إذا دعي بإيمان حق ، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة ، استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم ، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة [٥] .

هذا ما يتعلق بطرسوس ، وأمَّا الوضع الديني العام في المنطقة المحيطة بطرسوس ؛ فإنَّ من أهم ملامحه كثرة الآلهة وظهورها في صورة بشرية [١] .

وصورة الآلهة في هذه البيئة كما يشرحها شارل جنيبير قائلاً : « يتعذب الإله تماماً كما يتعذب الإنسان ، ثم يموت كما يموت الإنسان ، ولكنه يتغلب على الموت إذ يُبعث من جديد ، وأتباعه يمثلون رمزاً ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض » [٢] .

---

[٢] المسيحية نشأتها وتطورها ، ص: ٦٨ . والمؤلف هو أستاذ النصرانية ورئيس قسم الأديان في جامعة باريس ، نشأ في بيئة كاثوليكية متعصبة ودرس اللغة العبرية واللاتينية والف كتاب "المسيحية نشأتها وتطورها ، وهو يتحدث عن النصرانية في قرونها الأولى ، وله كتابان عن النصرانية في القرون الوسطى والعصر الحديث ، مات بعد الحرب العالمية الثانية . انظر:المسيحية نشأتها وتطورها – مقدمة المعرب .

[٣] مؤرخ أمريكي ، ولد في نورث آدمز في ولاية ماساشوتس بالولايات المتحدة الأمريكية ، عام ١٨٨٥م ، وتلقى تعليمه في المدارس الكاثوليكية ، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩١٧م ، وصدر كتابه "قصة الفلسفة" عام ١٩٢٦ ، ثمَّ ألف هو وزوجته "إيريل" كتابه الشهير قصة الحضارة ، مات عام ١٩٨١م . انظر: قصة الحضارة – عصر نابليون – ، تر: د.عبدالرحمن الشيخ ،ص:٢٨ .

[٤] طائفة انتشرت باليونان ، ترى أنَّ الروح تحبس في طائفة متسلسلة من الأجساد المذنبة وفي مقدورها أن تنطلق من هذا التجسد بأن تسمو حتى تتحد بديونشس ، وكان الأرفيون يشربون دم ثور يضحون به للمنقذ الميت الذي يكفر عن خطاياهم . انظر : قصة الحضارة : (١١/١٥٠-١٥١) . وهذه العقيدة استفاد منها شاءول في تأسيس عقيدته عن المسيح عليه السلام – كما سيأتي – .

[٥] قصة الحضارة : (١١/٢٤٩-٢٥٠) .

[١] سوف اتحدث عن الديانات الوثنية السابقة للنصرانية في مبحث مستقل إن شاء الله .

[٢] المسيحية شأتها وتطورها ، ص:٧٤ .

وهذه العقائد المنتشرة في مدينة طرسوس والبيئة المحيطة بها تأثر بها شاءول بشكل واضح في رسم صورته عن المسيح ﷺ ، وهذا ما سأثبته من خلال هذا البحث .

موقف شاءول من دعوة المسيح ﷺ :

كان شاءول من ألد أعداء أتباع المسيح ﷺ ؛ حيث كان يلاحقهم ، وينزل بهم أشد أنواع العذاب ، ويتحدث سفر أعمال الرسل عن هذا الموقف بقوله : « أمَّا شاءول فكان يفسد في الكنيسة ، يدخل البيوت الواحد بعد الآخر فيجر الرجال والنساء ويلقيهم في السجن » [٣] .

هكذا كان موقف شاءول من أتباع المسيح ﷺ ، ولكنَّه فجأة أعلن اتباعه للمسيح ﷺ ، وأنَّه قد أصبح "رسول الأمم" في حادثة مشهورة يحسن أن أقف عندها ، وأعرض رواياتها ، ثُّم أذكر ما يمكن أن يوجه إليها من الانتقاد .

أولاً : ملخص حادثة إعلان شاءول إتباعه للمسيح ﷺ :

يذكر سفر أعمال الرسل أنَّ شاءول الذي كان يضطهد أتباع المسيح ﷺ طلب إذناً من رئيس الكهنة في أورشليم بأن يذهب إلى دمشق ويقبض على من يجد من أتباع المسيح ﷺ ويسوقهم إلى أورشليم ، وأنَّه عندما ذهب واقترب من دمشق أبرق له نور من السماء ، وظهر له الرب ، وأمره أن يذهب إلى رجل في دمشق يدعى "حنانيا" ، وأن يتعمَّد على يديه ، ومن تلك اللحظة التي أعلن فيها شاءول اتباعه للمسيح ﷺ أصبح رسول الأمم ، وبدأ يدعو أنَّ المسيح ابن الله .

ثانياً : روايات هذه الحادثة :

الرواية الأولى : « وفي ذهابه حدث أنَّه اقترب إلى دمشق ، فبغتة أبرق له نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتاً قائلاً له : شاءول ، شاءول ، لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ .قال : فقال الرب : أنا يسوع الذي أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس مناخس [١]، فقال وهومرتعد ومتحير : يا رب : ماذا تريد أن أفعل ؟ .

---

[٣] أعمال الرسل : (٨/٣) .

[١] أي تضرب برجلك إلى الوراء بالمناخس ، والمناخس جمع منخاس ، وهو قضيب طويل في رأسه مسمار ينخس به الحيوان ليسرع في السير . انظر:العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ، ص:١٥٠ .

فقال له الرب: قم وادخل المدينة ، فيقال لك ما ينبغي أن تفعل ، وأمَّا الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً ، فنهض شاءول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً ، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لايبصر فلم يأكل ولم يشرب » [٢] .

الرواية الثانية : « فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق ، أنَّه نحو نصف النهار، بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم. فسقطت على الأرض ، وسمعت صوتاً قائلاً لي شاءول شاءول لماذا تضطهدني ؟ فأجبت من أنت يا سيد ؟ . فقال لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنَّهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني ، فقلت : ماذا أفعل يا رب ؟ . فقال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور ، اقتادني بيدي الذين كانوا معي ، فجئت إلى دمشق » [٣] .

الرواية الثالثة : « ولَّما كنت ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة ، رأيت في نصف النهار في الطريق ، أيها الملك ، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس ، قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي . فلما سقطنا جميعاً على الأرض ، سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية : شاءول شاءول لماذا تضطهدني ؟ صعب عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا : من أنت يا سيد ؟ فقال : أنا يسوع الذي أنت تضطهده . ولكن قم وقف على رجليك لأنَّي لهذا ظهرت لك ، لانتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به ، منقذاً إيَّاك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم ، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين » [١] .

ثانياً : نقد هذه الروايات :

يمكن أن أوجه إلى هذه الروايات الانتقادات التالية :

---

[٢] أعمال الرسل : (٩ /٣-٩) .

[٣] المصدر نفسه : (٢٢ /٦-١١) .

[١] المصدر السابق : (١٢/٢٦-١٨) .

١- لم ترد هذه الحادثة على شدة أهميتها عند النصارى إلا في هذه الروايات الثلاث فقط ، ولم ترد إلا في مصدر واحد هو سفر أعمال الرسل ؛ فلم ترد في الأناجيل الأربعة ، ولا في رسائل بولس التي كتبها بنفسه ، وهذا كافٍ في إلقاء ظلال الشك على مثل هذه الحادثة .

٢- يوجد في هذه الروايات تناقض ظاهر ؛ ومن ذلك قوله في الرواية الأولى عن رفقائه : (يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا) ، وفي الرواية الثانية : (ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني) فالرواية الأولى تثبت سماعهم للصوت والأخرى تنفيها ، ولا يمكن الجمع بينهما وهي صادرة من شخص واحد وفي أمر واحد .وأيضاً في الرواية الأولى إثبات أنَّ شاءول سقط على الأرض وحده ورفقاءَه كانوا واقفين ، بينما في الرواية الثالثة أنَّهم سقطوا جميعاً ، ولا يمكن كذلك الجمع بين الروايتين .

٣- أنَّ هذه الحادثة لا تحمل من التفاصيل ما يكفي لقبولها ، بل غاية ما فيها أنَّ شاءول يذهب إلى دمشق ، ثمَّ يقال له ما يجب أن يفعل ، وليس فيها حديث عن الوحي الذي يفترض أنَّه تحمله بمقتضى هذه الرؤية ، ولا عن الشخص الذي سيخبره بما يجب أن يفعل ، وإذا كان غاية ما في الأمر أن يأخذ عن غيره ، فما فائدة تكليفه بالرسالة ؟ وكان الأولى أن يكون الذي يؤخذ عنه هو الرسول ويكون شاءول أحد تلاميذه ؟ .

٤- ترد على هذه الحادثة أسئلة كثيرة لا توجد إجابة عليها ، فما علاقة شاءول برئيس الكهنة ، حتى يعطيه مثل هذه الصلاحيات ؟ ، وكيف يذهب إلى دمشق ويترك أورشليم مقر أتباع المسيح عليه السلام ؟ ، ولماذا لم يذهب بعد هذه الرؤية إلى تلاميذ المسيح عليه السلام ليخبرهم بذلك ويتشاور معهم ، ويتعلم منهم الإنجيل ؟ ، ولماذا لم يرحب به أكثر التلاميذ ؟ ، وكيف يكون اجتماعه بهم بعد ثلاث سنوات - كما جاء في بعض الروايات [١] - ؟ ، وهذه الأسئلة التي لا جواب عليها تقطع بأنَّ هذه الحادثة ملفقة أظهر تلفيقها كثرة الثغرات التي اشتملت عليها .

٥- من النصارى من فسرهذه الحادثة تفسيراً يتضمن إنكارها ؛ . فقد ذكر ول ديورانت أنَّ ذلك ربما كان بسبب ما قاساه من التعب في سفره الشاق في شمس الصحراء

---

[١] كما في رسالته إلى أهل غلاطية (١/ ٥٧٣) .

اللافحة أو أنَّه بسبب ومضة برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة أثرت في جسم ضعيف ربما كان مصاباً بالصرع [٢] .

وأمَّا الفيلسوف الفرنسي "رينان" [٣] ، ومن تابعه على ذلك فيرون أنَّ ذلك بسبب ضربة شمس أدت بشاءول إلى الهلوسة [٤] ، وهذه التفسيرات تتضمن إنكار هذه الحادثة ، ولو كانت هذه الحادثة ثابتة عندهم لما تكلفوا مثل هذه التفسيرات .

هذه أبرز الانتقادات التي يمكن أن توجه إلى هذه الحادثة مما يجعلها غير مقبولة في ميزان النقد العلمي الصحيح ، وبالتالي فهي ضرب من الافتراء لم يُحكِم صاحبه نسج خيوطه فانقلب سحره عليه .

ثانياً : أثر الدولة الرومانية في انتشار النصرانية :

عاش أتباع المسيح عليه السلام – على مدى القرون الثلاثة الأولى– ألواناً من الاضطهاد من قبل الدولة الرومانية بسبب اعتقادها أنَّ هذه الدعوة لم تقم بالولاء الكامل لها ، وكان ذلك كافياً لإيقاع أقسى أنواع العقوبة لمن يكون هذا موقفه من الإمبراطورية .

---

[٢] انظر : قصة الحضارة : (١١/ ٢٥٢ – ٢٥٣) .

[٣] مؤرخ للنصرانية والفلسفة ، ولد في مدينة ترييه عام ١٨٢٣م ، وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة السوربون عام ١٨٥٢م ، وقرأ الكتب النقدية لتاريخ المسيح والأناجيل فتبين له أنَّ أسس النصرانية واهية من الناحية التاريخية ، وكان أول من اتجه إلى نقد الأبحاث المتعلقة بالمسيح في فرنسا ، وله كتاب حياة المسيح وكتب أخرى عن أصول المسيحية ، توفي عام ١٨٩٢م. انظر: موسوعة الفلسفة ، د.عبدالرحمن بدوي ، ص:٥٤٨-٥٨٩ .

[٤] نقلاً عن كتاب دراسات في الملل والنحل : لمحمد الشرقاوي ، ص:٣١ .

وفي مطلع القرن الرابع تغير هذا الموقف لصالح أتباع هذه الديانة ؛ حيث صـــدرت في هذا القرن مراسيم تدعو إلى التسامح مع النصارى ، ومن أشهرها مرســـوم جـــالريوس [1] الذي كان من ألد أعداء هذه الديانة ، وأصدر مرسومه عام ٣١١م أثناء فترة مرضه ،بعد أن أدرك عدم جدوى عملية الاضطهاد ، وهذا المرسوم يقضي بالعفو عن النصارى والســـماح لهم بإعادة بناء الكنائس بشرط ألا يقوموا بأعمال ضد الصالح العام للدولة ، لكـــنَّ هـــذا المرسوم لم ينفذ إذ أنَّ جالريوس ما لبث أن مات بعد ذيوع مرسومه بقليـــل[2] ، ثمَّ جـــاء بعده قسطنطين الذي كان إعلان دخوله في النصرانية بمثابة التحول الكامل في هذا الموقف ، ولأهمية دوره في نشر النصرانية فسأتحدث عنه بشيء من التفصيل .

عاش قسطنطين من عام ٢٨٠ إلى ٣٧٧م ، وهو ابن غير شرعي لقسطنطيوس [3]من محظيته غير الشرعية هلينا خادمة إحدى الحانات في بيثينيا [4] ، و لم يتلق من العلم إلا قليلا ، فقد انخرط في سلك الجندية في سن مبكرة ، وأظهر بسالته في الحروب التي قامت ضد مصر وفارس ، ولمَّا مات والده في مقاطعة يورك عام ٣٠٦م ، وكان قد أوصى أن يخلفه ابنـــه في الملك فنال بذلك رتبة اغسطس في الجيش ، ودرج على سياسة أبيـــه في حســـن معاملـــة النصارى والسماحة معهم ، وقد اعترف به جالريوس وهو كـــاره[1] ، وفي عـــام ٣٢٣م أصبح قسطنطين الإمبراطور الأوحد للدولة الرومانية .

اعتناقه النصرانية :

---

[1] حاكم روماني اشترك في الحكومة الرباعية عندما تشكلت لأول مرة عام ٢٩٢م في عهد دقلديانوس الذي اعتلـــى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م ، أصيب بمرض كريه بعد ثمانية عشر عام من حكمه ومات بسببه . انظر: مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ،ص : ١٣٦-١٤٠ .

[2] انظر : تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د . احمد علي عجيبة ، ص : ٢٢٠-٢٢١ ، بتصرف .

[3] يسمى قسطنطيوس أو قسطنديوس كلورس ، كان حاكماً لغاريا وأســـبانيا وبريطانيـــا في القســـم الغـــربي مـــن الإمبراطورية ، توفي سنة ٣٠٦م. انظر:الروم في سياستهم حضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، ص:٥٢ .

[4] مقاطعة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى ، عقد في اثنين من مدنها مجمع نيقية ومجمع خلقدونية . انظر : قاموس الكتاب المقدس ،١٦٢ .

[1] انظر :قصة الحضارة ،ول ديورانت : (٣٨٢-٣٨٣) ، ومختصر تاريخ الكنيسة ، أندرو ملر ص:١٤٣، بتصرف .

يذكر مؤرخ الكنيسة يوسابيوس [٢] – المعاصر لقسطنطين – سببين يعود إليهما اعتناق قسطنطين للنصرانية ، وهما :

١– أنَّه رأى في وقت الظهر بعينيه صليباً من نور في السماء فوق الشمس يحمل هذه الكتابة "اغلب بهذا" فذهل هو وجيشه الذي رافقه في هذه الحملة من هذه الرؤية .

٢– أنَّه ظهر له في نومه مسيح الله بنفس العلامة التي رآها في السماء وأمره أن يصنع مثالاً لهذه العلامة التي رآها في السماء وأن يستعملها كوقاية له في كل حروبه مع أعدائه ، فلمَّا استيقظ أمر الصناع أن يصنعوا مثل تلك العلامة من ذهب وحجارة كريمة ، ثمَّ أصبح الإمبراطور يستخدم دوماً هذه العلامة كوقاية من كل القوات المعادية والمقاومة وأمر بأن تعمل أخرى مثيلات لها لتوضع على رأس كل جيشه . وبعد هذه الرؤية التي رآها عزم ألا يعبد إلهاً آخر غير الذي ظهر له ، و استدعى خبيرين بأسرار تعليم النصرانية وسألهم عمن يكون هذا الإله ، وما هو المقصود بعلامة الرؤيا التي رآها ، فأكدوا له بأنَّه هو الله الابن الوحيد للإله الواحد الوحيد ، وأنَّ العلامة التي رآها هي رمز الخلود ، وعلامة النصرة على الموت التي أحرزها في الماضي لما كان على الأرض ، ثمَّ علموه أيضاً أسباب مجيئه وفسروا له السر الحقيقي لتجسده ، وهكذا تلقى التعاليم اللازمة عن هذه الأمور وتأثر جداً بالظهور الإلهي الذي رآه بعينيه[٣] .

هذا ملخص ما ذكره يوسابيوس حول اعتناق قسطنطين للنصرانية ، وحول ذلك نطرح سؤالين هامين : الأول : هل اعتنق قسطنطين النصرانية على الحقيقة أم لا ؟ . ثمَّ إذا لم يكن اعتناقه على الحقيقة فما الهدف من وراء إظهاره ذلك ؟ ولماذا قدم تلك الخدمات الكبيرة للنصارى بعد سنوات الذل والاضطهاد ؟ .

وللإجابة على السؤال الأول نجد أنَّ هناك رأيين :

الرأي الأول : أنَّ اعتناقه للنصرانية كان بدافع ديني ، ويمثل هذا الرأي مؤرخ الكنيسة يوسابيوس ، وهو ممن درج على المبالغة في الثناء على قسطنطين حتى جعله رسولاً من رسل المسيح عليه السلام تعلم النصرانية بتعليم إلهي .

---

[٢] من أشهر مؤرخي الكنيسة ،كان أسقفاً لقيصرية ،ألف"تاريخ الكنيسة" وهو من أقدم المصادر في تاريخ الكنيسة ، و"حياة قسطنطين العظيم"،ويقال إنَّه كان متأثراً بآراء آريوس . انظر: تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس ، مقدمة المعرب .

[٣] حياة قسطنطين العظيم ، ص : ٣٠–٥٣ ، باختصار وتصرف .

والرأي الثاني : أنَّ ذلك كان بدافع سياسي ويمثل هذا الرأي أكثر دارسي النصرانية .

فأما الرأي الأول : فيمكن أن أوجه إليه الانتقادات التالية :

١- لا يوجد في تاريخ قسطنطين مع شهرته وعظمته ، وحرص الكنيسة على إظهاره ما يدل على تمسك قسطنطين بتعاليم النصرانية والتزامه بعقائدها إلا ما ذُكر عن تعميده ، ورواية تعميده – إن صحت – فإنَّها لم تكن إلا في آخر حياته ، وهذا يدل على صحة ما ذكرت . يقول ول ديورانت : « وقلَّما كان بعد اعتناقه دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس ، ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنَّه لم يكن يعني بالفروق اللاهوتية التي كانت تظطرب بها المسيحية مع أنَّه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق محافظة على الإمبراطورية » [1]

٢- يوجد في سيرة قسطنطين ما يدل على عكس ذلك ، من تمسكه الكامل بوثنيته كاحتفاظه بمنصب "الكاهن الأكبر" ، وقيامه بجميع المراسم الوثنية التي يتطلبها منصبه من تجديده بناء الهياكل الوثنية ، والأمر بممارسة أساليب العرافة ، وقيامه بالشعائر الوثنية في حفلات الإمبراطورية [2] .

وأمَّا الرأي الثاني ، فإنَّ أصحابه يرون أنَّ اعتناق قسطنطين لم يكن دافعه إلا سياسياً ، ومن أقوالهم التي يستدلون بها على هذا الرأي :

١- يرجح ديورانت أنَّ هدف قسطنطين كان سياسياً وأنَّه كان بارعاً في تحقيقه حيث يقول: « وترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً عمله هذا ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أنَّ الرأي الأخير هو الصواب [1] .

ثمَّ يبين كيف استطاع قسطنطين أن يحقق أهدافه السياسية التي من أهمها ما ذكرته آنفاً من استفادته من النصارى في تحقيق النصر في الحرب والوحدة لإمبراطوريته : « وكان

---

[1] قصة الحضارة : (٣٨٧/١١) .

[2] المصدر نفسه : (٣٨٩/١١) .

[1] المصدر السابق : (٣٨٨/١١).

المسيحيون كثيرين في رومة بنوع خاص في عهد مكسنتيوس [٢] وفي الشرق في أيام ليسنيوس [٣]، وقد أفاد قسطنطين من تأييد المسيحية اثني عشر فيلقاً لاقى بها هذين القائدين ، ولقد أعجب بجودة نظام المسيحيين إذا قيسوا بغيرهم من سكان الإمبراطورية ، ومتانة أخلاقهم ، وحسن سلوكهم وبجمال شعائر المسيحية وخلوها من القرابين الدموية ، وبطاعة المسيحيين لرؤسائهم الدينيين ، وبرضاهم صاغرين بفوارق الحياة رضاءً مبعثه أملهم في أن يحظوا بالسعادة في الدار الآخرة » [٤] .

٢- يؤكد أيضاً المؤرخ اندرو ملر أنَّ قسطنطين استطاع أن يحقق مكسباً سياسياً باعتناق النصرانية حيث يقول : « فضلاً عن أنَّه يحتمل أنَّه قدر بحكمته السياسية فضل المسيحية أدبياً وتأثيرها في أن تجعل الناس يخضعون خضوعاً تاماً للسلطة المدنية والأثر العظيم الذي كان لها على عقول نحو نصف إمبراطوريته »[٥]

وهكذا يتضح أنَّ اعتناق قسطنطين للنصرانية كان لتحقيق أهدافه السياسية الكامنة في تحقيق انتصاراته ، وتدعيم وحدة إمبراطوريته الواسعة ، ومع ذلك فقد كان في إعلان اعتناقه الدين النصراني سبباً في انتشاره في أرجاء الإمبراطورية كلها ، وأمَّا تفصيل دوره فسيأتي عند الحديث عن أسباب التقديس . إن شاء الله .

المبحث الثاني
مصادر النصرانية
وفيه مطالب

---

[٢] مكنتيوس أو مكسنتيوس بن مكسيميانوس ، تولى الحكم بعد أن تنازل عنه والده في الجزء الغربي من الإمبراطورية ، زحف إليه قسطنطين في إيطالية وقهره في تورنتو عام ٣١٢م . انظر : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، أسد رستم ، ص:٥٢-٥٣ .

[٣] حاكم روماني تولى حكم القسم الشرقي في عهد قسطنطين الذي تولى حكم القسم الغربي ، ثمَّ حدث بينهما قتال عام ٣٢٣م وانكسر ليسنيوس وقتل عام ٣٢٤م ، وأصبح قسطنطين الحاكم الأوحد للإمبراطورية . انظر : المصدر نفسه ، ص:٥٣ .

[٤] قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٣٨٨/١١) .

[٥] مختصر تاريخ الكنيسة ، ص،١٤٨ .

- المطلب الأول : التعريف بالعهد الجديد
- المطلب الثاني : الأناجيل وسفر أعمال الرسل
- المطلب الثالث : رسائل الرسل
- المطلب الرابع : رؤيا يوحنا
- المطلب الخامس : نقد المصادر النصرانية

مدخل :

مصادر الدين هي الأساس الذي يقوم عليه بناؤه ، وعلى قدر صحتها تكون قوة هذا البناء ، و ثقتنا به .

وإذا نظرنا إلى الديانة النصرانية ، نجد أنهًا تعتمد على أربعة مصادر ، كما يلي :

١- العهد القديم : ويقصد به توراة اليهود ، وما أُلحق بها من أسفار ، وعددها تسعة وثلاثون سفراً أو ستة وأربعون سفراً .

٢- العهد الجديد : وهي سبعة وعشرون سفراً .

وهذان المصدران جمعهما النصارى في كتاب واحد ، أُطلق عليه "الكتاب المقدس". وهو مصدر أساسي عند جميع طوائف النصارى ، ومصدر وحيد لطائفة البروتستانت .

٣- المجامع النصرانية : وهي مصدر عند الكاثوليك والأرثوذكس فقط ، والكاثوليك يعترفون بها جميعاً ، أمَّا الأرثوذكس فلا يعترفون إلا بالأربعة الأولى منها .

٤- البابوية : وهو مصدر عند الكاثوليك خاصة .

والعهد القديم ليس مجال بحثنا هنا ، ولذلك سأقتصر في الكلام على العهد الجديد ، وأمَّا المجامع النصرانية ، والبابوية فسأتحدث عنها في مواضعها من هذا البحث .

المطلب الأول : التعريف بالعهد الجديد :

أطلقت هذه التسمية -كما يذكر النصارى - على المجموعة المكونة من سبعة وعشرين سفراً على اعتبار أنها تتحدث عن الفترة التي بدأت بحياة المسيح عليه السلام في مقابل ما يسمى بالعهد القديم الذي يتحدث عن الفترة التي تبدأ بعهد موسى عليه السلام .

و لم تعترف الكنيسة بهذه الأسفار بصورة رسمية إلا في القرن الرابع الميلادي بإقرار مجمع نيقة لها [(1)] .

ويمكن تقسيم هذه الأسفار باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الأناجيل الأربعة ، ويلحق بها سفر أعمال الرسل .

القسم الثاني : الرسائل ، وهي إحدى وعشرين رسالة .

القسم الثالث : رؤيا يوحنا .

المطلب الثاني : الأناجيل وسفر أعمال الرسل :

الإنجيل هو الكتاب الذي أُنزل على عيسى عليه السلام ، هداية لقومه ، وجاء ذكره معرفاً بالألف واللام في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم ، وأصل الكلمة يوناني ، ومعناه : التعليم أو البشارة [(١)] ، ثمَّ عربت ، وبها نزل القرآن الكريم .

---

(1) انظر:الإنجيل والصليب ، عبدالأحد داود ، ص:٣٤ .

وهذا الإنجيل لا يعرف عنه شيء ، ولا يترجح أنَّه كان مكتوباً في ذلك الوقت ؛ لصعوبة الكتابة ، وقصر الفترة التي عاشها المسيح عليه السلام ، ولأنَّه لم يكتب له الحفظ كما هو شأن القرآن الكريم المحفوظ ، ولشدة الاضطهاد الذي عاشه أتباع المسيح عليه السلام في ذلك الوقت . والله أعلم .

أمَّا تعريف الإنجيل عند النصارى : فيقصد به الكتاب الذي يروي حياة المسيح عليه السلام ، أو يسوع – كما يسمونه – أو القراءة التي تُتلى أثناء ما يسمى "القداس الإلهي" (٢) ، ويشمل الأناجيل الأربعة : إنجيل متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا ، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد(٣).

وموضوع هذه الأناجيل الحديث عن حياة عيسى عليه السلام -كما يعتقد النصارى - من حيث مولده ، وبشارته بالإنجيل ، ومعجزاته التي جاء بها ، وآلامه ، وصلبه ، وقيامته بين الأموات ، وصعوده ، وقد تميَّز إنجيل يوحنا بأنَّه أكثرها تصريحاً بألوهية المسيح عليه السلام (٤) .

وقد اختيرت هذه الأناجيل من بين أناجيل كثيرة جداً كانت منتشرة في القرن الأول والثاني (٥) .

وأمَّا تاريخ كتابتها ، فإنَّنا نجد بين النصارى خلافاً كبيراً في تحديد الفترة التي تم فيها ذلك ، وبعد دراسة آرائهم يمكن القول : إنَّ هذه الأناجيل لم تكتب قبل عام ١٣٥م ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

١- يقول ديورانت : «ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ إلا في كتابات ببيارس الذي كتب في عام ١٣٥م إذ يقول : إنَّ يوحنا الأكبر وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها قال إنَّ مرقص ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس » (١) .

---

(١) انظر : الإنجيل والصليب ، عبدالأحد داود ، ص: ٤٧ ، واظهار الحق ، رحمة الله الهندي : (١/١٠٣) ، وقصة الحضارة ، ول ديورانت : (١١/٢٠٦-٢٠٧) .

(٢) معجم اللاهوت الكتابي ، بإشراف نيافة المطران انطونيوس نجيب ، ص:١١٣ .

(٣) انظر:اظهار الحق ، رحمة الله الهندي : (١/١٠٣).

(٤) انظر على سبيل المثال : تاريخ الكنيسة الشرقية ، المطران ميشيل يتيم وزميله ، ص: ٢٢ .

(٥) انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١١/ ٢٠٦) .

(١) قصة الحضارة : (١١/٢٠٧) .

٢- يقول موريس بوكاي: « لم تُذكر الأناجيل الأولى في كتابات المسيحية في أزمانها الأولى إلا بعد أعمال بولس . وفي منتصف القرن الثاني فقط ، وبعد سنة ١٤٠ بالضبط ظهرت شهادات متصلة بمجموعة من الكتابات الإنجيلية التي أفاد بوضوح عدد من الكتاب المسيحيين أنَّهم يعرفون عدداً ضخماً من الرسائل البولسية [٢] ، ويقول أيضاً : « وعلى كل حال ، فأنَّه لم يكن يوجد قبل سنة ١٤٠ كما نقرأ في شروح هذه الترجمة للتوراة أية شهادة يمكن معها معرفة مجموعة كتابات إنجيلية » [٣] .

٣- يقول شُرَّاح ما يسمى بالكتاب المقدس : « ومهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة ١٤٠م أي شهادة تثبت أنَّ النَّاس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة ولا يذكر أنَّ لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأنَّ هناك مجموعة من الأناجيل وأنَّ لها صفة ما يلزم » [٤] . وبالنظر إلى النصوص السابقة تتأكد الأمور التالية :

الأمر الأول : الغموض الشديد الذي اكتنف هذه الفترة ، مع كونها من أهم الفترات في تاريخ هذه الديانة

الأمر الثاني : هو ما أشار إليه موريس بوكاي — وهو أمر يسترعي الاهتمام — من سبق الرسائل البولسية لهذه الأناجيل في الظهور .

والذي يترجح لي أنَّها ألفت في وقت متأخر ، وأنَّ تاريخ تأليفها كان أبعد من التاريخ المذكور ، وأنها بعد ذلك نسبت أو نسب بعضها إلى التلاميذ أو أتباعهم بقصد إضفاء الشرعية لهذه المؤلفات على أساس أنَّها من تلاميذ المسيح عليه السلام أو أتباعه وهم يعتبرون من الرسل - في اعتقاد النصارى - ، وترجيح هذا الرأي ، لعدة أمور منها :

أولا: أنَّ أقدم إشارة إلى الأناجيل كانت عام ١٣٥م ، ولا توجد إشارة إلى وجود أناجيل قبل ذلك التاريخ ، وهذا الأمر ما أكده بوكاي ، وديورانت ، وشُرَّاح الكتاب

[٢] التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص:٧٥ .

[٣] المصدر نفسه ، ص : ٧٥ ، والترجمة المشار إليها هي الترجمة المسكونية للتوراة والعهد الجديد .

[٤] الكتاب المقدس — مدخل إلى العهد الجديد .

المقدس ، وهذا محمول على أول ذكر للأناجيل ، لا على تدوينها وظهورها في الصورة التي هي عليها الآن .

ثانياً : أنَّه من غير المقبول أن يكون كُتَّاب هذه الأناجيل أو اثنين منهم على الأقل — كما يرى النصارى – من أتباع المسيح عليه السلام ثمَّ لا تدون إلا بعد هذه الفترة الطويلة جداً ، بل المقبول أنَّهم يبادرون إلى تدوينها ، لحاجة الناس إليها ، وحفظاً لها من الضياع بسبب وجودها في الأذهان فقط .

ثالثاً : أنَّ ما تشتمل عليه هذه الأناجيل من العقائد يخالف قطعاً ما عليه أتباع المسيح عليه السلام و تلاميذه المخلصون في دينهم مما يعني أنَّها لم تكتب إلا بعد عهدهم بزمن طويل .

رابعاً : يمكن أن يقال إنَّ هذه الأناجيل ألفت بعد استقرار العقائد النصرانية ، فتكون حينئذ بمثابة التأكيد لها لا أنَّ العقائد تأسست بناء على هذه الأناجيل.

خامساً : أنَّ اللغة اليونانية التي ظهرت بها هذه الأناجيل خلاف اللغة التي قيل إنَّ المسيح عليه السلام كان يتكلم بها (1) ، وخلاف اللغة التي عليها اليهود في ذلك الوقت ، وهذا يقوي الاعتقاد بالبعد الزماني — وحتى المكاني — الذي كُتبت فيه هذه الأناجيل .

وأمَّا أصحاب هذه الأناجيل ؛ فيمكن الحديث عنهم ، وعن أناجيلهم ، كما يذكر النصارى بما يلي :

١– **متى** : مأخوذ من الاسم العبري مثتيا ، ومعناه : عطية يهوه ، وهو عبراني ، ويدعى أيضاً لاوي بن حلفي ، من جباة الضرائب لدى الرومان في كفر ناحوم في فلسطين ويقال إنَّ المسيح عليه السلام دعاه إلى اتباعه فتبعه ، وأنَّه بعد صعود المسيح عليه السلام (هكذا يعبرون !) قام ليبشر بدعوته في أرجاء البلاد حتى استقر في الحبشة ، ومكث بها ثلاثة وعشرين عاماً ، حتى مات عام ٧٠ أو ٧٩م (2) .

وما ذكر من اتباع متى للمسيح عليه السلام ممَّا لا دليل عليه ، بل إنَّ محتوى هذا الإنجيل ، وما تضمنه من الشرك والأمور الكثيرة المخالفة لما جاء به المسيح يقطع بعدم صحة ذلك .

---

(1) قيل إنَّها اللغة السريانية ، وقيل الكلدانية ، وقيل هي نفسها اللغة العبرانية . انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داوود ، ص:٥٠ .

(2) انظر : قاموس الكتاب المقدس ،ص:٨٣٢ .

وأمَّا الإنجيل المنسوب إليه ، فيُعد من أقدم الأناجيل بحسب الرواية المعمول بها عند الأرثوذكس ، وأمَّا اللغة التي ألف بها فذكر أنَّها العبرانية ، وقيل إنَّه ألف باليونانية ، وذكر متى هنري في مقدمة تفسيره له أنَّه يمكن أن يكون قد ألف نسخة باللغة العبرانية وأخرى باليونانية ، وقد ألف لليهود في فلسطين على الأرجح ، ويتميز باهتمامه ببيان أنَّ عيسى عليه السلام جاء ليكمل تاريخ بني إسرائيل ولذلك عده بعض النصارى بمثابة الامتداد للعهد القديم ، ويتكون من ثمانية وعشرين إصحاحاً .

٢- مرقس : اسم لاتيني ، ومعناه المطرقة ، ويقال إنَّه لقب ليوحنا ، وهو ابن أخت برنابا ، وهو يهودي ، ويرجح أنَّه ولد في أورشليم ، ولا يعرف شيء حقيقي عن بقية حياته ولا تاريخ وفاته ، واتفق النصارى على أنَّه مترجم بطرس ، ويذكر يوسابيوس أنَّ مرقس كان أول من أُرسل إلى مصر ، ونادى بالإنجيل الذي كتبه ، وأسس الكنائس في الإسكندرية أولا [١] . أمَّا إنجيله ، فهو الثاني في ترتيب الأناجيل ، وقد أُلف باليونانية في روما ووجه للنصارى الرومانين ، ويتميز بأنَّه أصغر الأناجيل حجماً إذ يتألف من ستة عشر إصحاحاً فقط .

٣- لوقا : لوقا اسم لاتيني ، تلميذ شاءول ورفيقه في كثير من رحلاته ، ولذلك وصفه "بالطبيب الحبيب" [٢] و"العامل معي" [٣] ، وهذا يدل على تأثره الشديد به ، ولد في أنطاكية ، وذُكر أنَّه كان طبيباً ومؤرخاً وأديباً ومصوراً ، وهو مؤلف سفر أعمال الرسل ، ويُعتقد أنَّه من غير اليهود ويظهر من كتاباته أنَّه كان يونانياً عالي الثقافة [٤].

وأمَّا إنجيله ، فيظهر أنَّه كان بعد إنجيل متى ومرقس ؛ لأنَّه استفاد منهما ، وعرف حصار القدس وهدمها سنة ٧٠م - كما ذكر موريس بوكاي - وقد أُلف باليونانية ، وكتبه إلى ثاوفيلس ، وهو رجل ذو شأن ، كما يظهر من تسميته له بالعزيز ، وقد استفاد في تأليفه من الذين كتبوا قبله عن المسيح عليه السلام ، ومن شهود العيان الذين شهدوا الأحداث

---

[١] تاريخ الكنيسة ، ص : ٧٣ .

[٢] كما في رسالة بولس إلى أهل كولوسي : (١٣/٤)

[٣] كما في رسالة بولس إلى فيلمون : (٢٤/١) .

[٤] انظر:قاموس الكتاب المقدس ، ص : ٨٢٣ .

، ويتميز بالحرص على تنسيق الروايات ، ووضع مقدمة تشبه مقدمات الكتب اليونانية ، ويتكون من أربع وعشرين إصحاحاً .

٤- يوحنا : هو يوحنا ابن زبدي ، أخو يعقوب الأصغر ، دعاه المسيح عليه السلام مع أخيه ، وكان من أسرة غنية ، اتخذ الصيد مهنة له ، وهو من تلاميذ يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا عليهما السلام) ، ثمَّ من تلاميذ المسيح عليه السلام بعد ذلك ، وهو أحد الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح ليكونوا رفاقه الخاصين ، وهم بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وقد وثق به المسيح عليه السلام وأحبه حتى سُمي بالحبيب ، وقد توفي حوالي سنة ١٠٠م ، وبموته انتهى العهد الرسولي – بزعم النصارى – .[1] وما ذكره النصارى من أنَّه من تلاميذ المسيح لا يصح لما تضمنه إنجيله من الشرك بالله والتصريح بألوهية المسيح عليه السلام ، ولو صح أنَّه من الحواريين لم يصح قطعاً نسبة هذا الإنجيل إليه .

وكان تأليفه عندما اشتد الخلاف في شأن ألوهية المسيح عليه السلام ، وهو الدافع لتأليف الكتاب ، كما نفهم ذلك من كلام بعض الشراح لهذا الإنجيل [٢] ، وهذا يرجح أنَّه قد أُلف في القرن الثالث أو الرابع ، وقد ألف باليونانية كبقية الأناجيل ، ويتألف الكتاب من واحد وعشرين إصحاحاً .

وأمَّا سفر أعمال الرسل ؛ فقدكتبه لوقا لنفس الرجل الذي كتب له إنجيله ، وهو ثاوفيلس كما نص هو على ذلك ، والفرق بين إنجيله وسفر أعمال الرسل ، أنَّ الإنجيل يتحدث عن حياة يسوع وأعماله ، بينما سفر أعمال الرسل يتحدث عن حياة تلاميذه من بعده وأعمالهم ، الذين يعتبرون رسلاً بحسب اعتقاد النصارى ، أمَّا تاريخ تأليفه فقد ألفه بعد الإنجيل ،باليونانية ، ويتألف من ثمانية وعشرين إصحاحاً ، وهو وإن كان يتحدث عن تلاميذ المسيح إلا أنَّ النصيب الأكبر منه كان للحديث عن شاءول ، والذي يبلغ ما يقارب نصف الكتاب ، وهذا يدل على شدة العلاقة بينها ، وأنَّه من أكبر تلاميذه .

المطلب الثالث : الرسائل :

---

(١) انظر:المصدر السابق ، ص١١٠٨ وما بعدها .

(٢) انظر : مقدمة الإنجيل للقديس يوحنا ،ص: ٢٥، والكتاب مترجم من لجنة اعتمد تشكيلها البابا كيرلس السادس .

تُنسب هذه الرسائل إلى من يسمى بالرسل ؛ لاعتقاد النصارى أنَّ من كتبها هم رسل ، أو أتباع رسل ، وتحتل جزءاً كبيرا من العهد الجديد ، إذ تشتمل على إحدى وعشـــرين سفراً ، وتنقسم إلى قسمين : الأول : رسائل بولس ، والثاني : الرسائل العامة .

رسائل بولس : تحتل رسائل بولس الجزء الأكبر من مجموع الرسائل إذ يبلغ عـــددها أربع عشرة ، رسالة وعدد إصحاحاتها مائة إصحاح ، وقد كتبت باليونانية ، ويذكر المؤرخ أندرو ملر أنَّ كتابتها كانت في الفترة ما بين ٥٣و٦٧م [١] ، وهذه الرسائل منها العامة إلى الكنائس ، وعددها عشر رسائل ، ومنها الخاصة إلى بعض تلاميذه ، وهي بقية الرســـائل ، وموضوعها الجانب التعليمي ؛ فهي تعرض عقائد وشرائع النصرانية التي اخترعها بـــولس ، ولاسيما ألوهية الميسيح عليه السلام وتتعرض للرد على خصومه ، وهم من خالفه في هذه العقيدة ، وهؤلاء قطعاً هم الموحدون ممن بقي على الدين الصحيح ، ولم تعتمدها الكنيســـة إلا في سنة ٣٦٤م ، وقد أصبح لها شأن كبير في النصرانية حتى عدها البعض المصـــدر الوحيـــد للتشريع [٢] .

الرسائل العامة : وهي التي تسمى بالرسائل الكاثوليكية ، و هي مؤلفة باليونانيـــة ، وهي : رسالة يعقوب ، ورسالتي بطرس الأولى والثانية ، ورسائل يوحنـــا الأولى والثانيـــة والثالثة ، ورسالة يهوذا ، وموضوعها الحديث عن العقائد والشرائع النصرانية ، ولكنَّها تُعنى بوجه خاص بالرد على البدع المستحدثة في نظر النصارى ، ولم تعترف بها الكنيسة قبل عام ٣٦٤م ، وهذا يلقي بكثير من الشك حول مدى شرعيتها ، فضلاً عن نســـبة بعضـــها إلى تلاميذ المسيح عليه السلام أوحوارييه ، ويؤكد بعض المؤرخين من النصارى أنَّها ليست من العهد الجديد ، ويشهد على ذلك ما ذكره الأستاذ "ساجد مير" من أنَّ يوسابيوس والمســـيحيون الثقات المعاصرون له يرون أنَّ هذه الرسائل ليست من الكتاب المقدس ولذلك لم توجد في نسخة الكتاب المقدس السرياني القديم الذي يعرف بالبشيتا [٣] .

المطلب الرابع : رؤيا يوحنا :

[١] مختصر تاريخ الكنيسة ، ص:٩٥ .

[٢] كما ذكر ذلك الدكتور احمد شلبي كتابه المسيحية ، ص : ١٤١ .

[٣] انظر : النصرانية دراسة وتحليل ، ص: ١٧٤ .

يذكر النصارى أنَّ هذه الرؤيا تجلت على يوحنا في فترة الاضطهاد الذي وقع في عهد دومتيانوس [1] ، والذي نفي فيه إلى بطمس [2] ، ولكنَّ نسبتها إليه ليست محـــل إجمـــاع عندهم كما يذكر شراح (الكتاب المقدس) ، وقد جاء عنهم : « لا يأتينا سفر رؤيا يوحنا بشيء من الإيضاح حول كاتبه ، لقد أطلق على نفسه اسم يوحنا ولقب نبي و لم يذكر قط أنَّه أحد الإثني عشر . هناك تقليد على شيء من الثبوت وقد عثر على بعض آثـــاره منـــذ القرن الثاني ، وورد فيه أنَّ كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا ، وقد نسب أيضاً إليه الإنجيل الرابع بيد أنَّه ليس في التقليد القديم إجماع على هذا الموضوع ، وقد بقي المصدر الرســـولي لسفر يوحنا عرضة للشك مدة طويلة في بعض الجماعات المسيحية » [3] .

وموضوع هذه الرؤيا بحسب رأي النصارى : « ينقسم إلى قسمين كبيرين : الأول : القسم النبوي ، والذي يظهر بمظهر رسائل إلى الكنائس ، القسم الثاني : الرؤيوي أي مـــا يمهد لنهاية الأزمنة والمحن التي تتبعها لوقتها ، والقتال الكبير ، وتتمة كل شـــيء والتجلـــي الأخير» [4] ، وأهم ما تضمنته الرؤيا تقرير ألوهية المسيح ، وسلطانه في السماء وإشـــرافه على الكنائس ، وعرض الناس يوم القيامة عليه من أجل حسابهم ، وذكـــر طائفـــة مـــن الأحداث التي تكون قبل قيام الساعة [5] ، و لم تعتمد الكنيسة هذه الرســـالة إلا في ســـنة ٣٦٣م [6] .وهذا شاهد آخر على مقدار ما يحيط بها من الشكوك .

المطلب الخامس : نقد مصادر النصارى في الجملة :

[1] امبراطور روماني وقع اضطهاده على النصارى عام ٩٠م .انظر:موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة :(١٠٢/١)

[2] جزيرة في الأرخبيل الرومي تسمى الآن "بطمو" ، على شاطيء آسيا الصغرى . انظر : قاموس الكتاب المقدس ،ص:١٨٠ .

[3] مدخل إلى رؤيا يوحنا من الكتاب المقدس ، ص : ٧٩٦

[4] مدخل إلى العهد الجديد من الكتاب المقدس ، ص : ٧٩٧ .

[5] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، علي عبدالواحد ، ص:١١٩ ، بتصرف واختصار.

[6] المصدر نفسه ، ص : ١١٩ .

تعد أسفار العهد الجديد البالغة سبعة وعشرين سفراً الأسفار المعتمدة عند النصارى وتتخذ صفة القداسة ؛ ولذلك سمي الكتاب المشتمل عليها بالكتاب المقدس ، وسبب اعتمادها وتقديسها اعتقادهم أنَّها وحي من الله ، وهم يستندون في هذه الدعوى على ما ورد في كتابهم من نصوص يرون أنَّها دليل على ما اعتقدوا . جاء في رسالة بولس إلى تلميذه طيموتاوس : « فاثبت أنت على ما تعلمته ، وكن منه على يقين ، فأنت تعرف عمن أخذته وتعلم الكتب المقدسة منذ نعومة أظفارك ، فهي قادرة على أن تجعلك حكيماً فتبلغ الخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع ، فكل ما كتب هو وحي من الله يفيد في التعليم والتفنيد والتقويم والتأديب في البر ليكون رجل الله كاملاً معداً لكل عمل صالح » [١] .

ونحن نتساءل هنا هل هذه الأسفار هي حقاً وحي من الله ، فيلزم قبولها والثقة بها ، أم أنَّها ليست كذلك ؟ .

نقرر أولاً أنَّه لكي تكون هذه الأسفار وحياً من الله ؛ فإمَّا أن تكون هي الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ، والذي أوحاه الله تعالى إليه قطعاً ، وإمَّا أن يكون من تنسب إليهم هذه الأناجيل هم رسل من الله ، وتكون هذه الأناجيل هي وحي الله إليهم . والأمر الأول لا يقول به النصارى ، وليس هوموضع نزاع معهم ، أمَّا الأمر الثاني فهو الذي يلتزمونه ، وهو ما سأناقشه فيما يلي :

نقد دعوى الرسالة والإلهام :

يدعي النصارى أنَّ من تنسب إليهم هذه الأسفار رسل ، وأنَّها إلهام من الله إليهم ، ويستندون في ذلك على أنَّ روح القدس تجلى على هؤلاء التلاميذ - الاثني عشر — وامتلأوا جميعاً من الروح القدس . وهذه الدعوى باطلة ، ومما يدل على بطلانها :

١ - أنَّ من هؤلاء الذين يسمون بالرسل من لهم رسائل ، ولكن لم يُعترف بها إلا بعد عام ٣٦٤م ، ولم تقر في أهم مجمع للنصارى ، وهو مجمع نيقية الذي عقد عام ٣٢٥م ، فكيف يكون هؤلاء رسلاً يوحى إليهم ، ثمَّ لا يقبل وحيهم ؟ لأنَّه لا يتصور الأ يؤمن الاتباع برسلهم إلا أن لا يكونوا اتباعاً أو أولئك ليسوا برسل ، ومن الرسائل التي لم يعترف

[١] رسالة بولس إلى تيموثاوس : (٣/١٤-١٦) .

بها : رسالة بولس إلى العبرانيين ، ورسالة بطرس الثانية ، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، ورؤيا يوحنا [١] .

٢- من قال إنَّ لوقا نفسه كان رسولاً لم يأت بدليل على رسالته ، ولم يذكر هو ذلك عن نفسه ، بل الذي ذكره أنَّه كان مقلداً لمن قبله ممن كتب في سيرة المسيح عليه السلام وأعماله ، فكيف يكون رسولاً ملهماً ويعمد إلى تقليد غيره ؟.

٣- بالنظر إلى ذات هذه الأسفار من حيث نصوصها وسندها يتأكد استحالة أن تكون هذه الأسفار كلام الله ووحيه ، ومما يبين ذلك :

(أ) انقطاع سند هذه الأسفار إلى من نسبت أليهم ، فلا نجد سنداً واحداً يمكن أن نطمئن إليه في نسبة هذه الأسفار إلى أصحابها ، بل لا نكاد نجد سفراً من هذه الأسفار إلا ويوجد من أنكره أو شككك في صحة نسبته إلى من نُسب إليه على أقل الأحوال ، وإذا كنا لا نقبل أي خبر إلا إذا وثقنا بصحة سنده فكيف نقبل أن تكون هذه الأسفار صحيحة فضلاً عن أن تكون مقدسة دون سند أصيل يعتمد عليه ؟.

(ب) التناقض في هذه الأسفار ، وهذا من أكثر الصفات التي تتصف بها وأعظم الأدلة على بطلانها ، وهذا التناقض ظاهر لكل من يطلع على هذه الأسفار ، فهي تتناقض مع المعلوم من الوحي الذي نزل من السماء على الأنبياء والرسل ، ثمَّ تتناقض مع الغاية من هذا الوحي وهو الدعوة إلى وحدانية الله ، ثمَّ تتناقض فيما بينها ، بل نجد التناقض في السفر الواحد وحتى في الصفحة الواحدة ، فأي دليل على بطلان هذه الأسفار أعظم من هذا ، ونحن نعتقد أنَّ كلام الله ووحيه لا يمكن أن يختلف - فضلاً عن أن يتناقض — لأنَّه كله حق ، والحق لا يتناقض .

وعليه إذا لم تكن هذه الأناجيل وحياً من الله فمن الذي ألفها على الحقيقة هل هم التلاميذ الذين تنسب إليهم أم غيرهم ؟ .

وللجواب عن هذا السؤال أقول : إنَّ هؤلاء التلاميذ لم يؤلفوا هذه الأسفار ولا أتباعهم ، بل ألفها غيرهم ، وبعد وفاتهم ، ثمَّ ألصقت ونُسبت إليهم لتأخذ حظها من الشرعية والقداسة ، وهي أشبه ما تكون بكتب السيرة في الإسلام . والله أعلم .

---

[١] انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص:٨٣ .

المبحث الثالث

فرق النصـــارى

وفيه مطالب

- المطلب الأول : الفرق التي ظهرت بعد رفع المسيح إلى مجمع نيقية
- المطلب الثاني : الفرق التي ظهرت بعد مجمع نيقية
- المطلب الثالث : الفرق النصرانية المعاصرة

التمهيد : معنى الافتراق :

قال الراغب الأصفهاني : « الفَرْق يقارب الفَلْق لكن الفَلْق يقال اعتباراً بالانشـــقاق ، والفَرْق يقال اعتباراً بالانفصال ، والفِرق القطعة المنفصلة ، ومنه الفِرْقة للجماعة المنفردة من الناس ، وفرّقت بين الشيئين فصلت بينهما ، سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر أو بفصل تدركه البصيرة » [١] .

وقال ابن منظور : « الفَرْق : خلاف الجمع ، فرَقه يفرُقه فرْقاً ، وفرَّقه ، وقيل فـــرَق للصلاح فرْقاً ، وفرَّق للإفساد تفريقاً ، والتفرُّق والافتراق سواء ، ومنهم من يجعل التفـــرُّق للأبدان ، والافتراق للكلام ، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضاً . وفارق فـــلانٌ امرأتـــه مُفارقةً وفِراقا : باينها والفرْق والفِرْقة والفريق : الطائفة من الشيء المتفرق ، والفِرْقة طائفة من الناس » [٢] .

وخلاصة القول أن مادة « فرَق » تدور حول معنى المفارقـــة والمباينـــة والانقطـــاع والانفصال عن الجماعة .

والمقصود بالفرق النصرانية في هذا المبحث هي الفرق التي ادّعت الانتساب إلى المسيح عليه السلام وخالفت ما جاء به وماكان عليه اتباعه من بعده .

والتفرُّق مذموم ، ذمه الله تعالى بقوله : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ
ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ
ﮥ ﮦ ﭼالشورى: ١٣ .

وقد وقع النصارى في الافتراق المذموم ، فبعد رفع عيسى عليه السلام بقـــي أتباعـــه مـــن الحواريين والمؤمنين به على التوحيد الخالص ، وكانوا جماعة واحدة يجتمعون على العبادة ، ويدعون إلى دين المسيح عليه السلام ، واستمروا على ذلك ، حتى جاء بولس الذي تظاهر باتباعه للمسيح عليه السلام ، وحاول أن يلتصق بأتباعه ، وبدأ يعلن دعوته الجديدة ، ويُجمِّـــع حولـــه الأتباع ، فكان هو مؤسس الديانة النصرانية التي افترقت بعد ذلك إلى فرق شتى ، وبـــالنظر إلى تاريخ النصارى من حيث ظهور الفرق من رفع المسيح عليه السلام إلى اليوم ، نجد أنَّ هنـــاك مراحل بارزة في ذلك التاريخ ، ويمكن أن نصنفها إلى ثلاث مرحل ، كما يلي :

---

[١] مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص : ٦٣٤ .

[٢] لسان العرب : (٧/ ٨٢ -٨٣) .

١- من رفع المسيح عليه السلام إلى مجمع نيقية .
٢- من مجمع نيقية إلى ظهور الفرق المعاصرة .
٣- ظهور الفرق المعاصرة .
وسوف أتحدث فيما يلي عن كل مرحلة بشيء من التفصيل :

المطلب الأول : الفرق التي ظهرت بعد رفع المسيح عليه السلام إلى مجمع نيقية :

تميزت هذه المرحلة بغلبة التوحيد ، وذلك ممَّا لا يحرص النصارى على إظهاره ، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ما يلي :

١- حال الحواريين وتلاميذ المسيح عليه السلام(الجماعة الأولى) :

وصف الله تعالى الحواريين في القرآن الكريم بالإيمان بالله تعالى ، والإخلاص له ، وكمال الاتباع والنصرة للمسيح عليه السلام ، بل وأمر بالاقتداء بهم [1] . وهذا يدل على أنَّهم كانوا على التوحيد الخالص ، ويدل وصفهم بالنصرة للمسيح عليه السلام أنهم قاموا بالدعوة إلى دينه والدفاع عنه خير قيام .

وقد ورد في أسفار النصارى ذكر أسماء الحواريين ، وأنهم اثنا عشر رجلا ، وأنَّ جميع اتباع المسيح مائةٌ وعشرون رجلاً فقط ، كما ذُكرت بعض صفاتهم [2] . وما ذُكر عنهم مما لا دليل عليه ، وأمَّا الصفات التي نسبوها إليهم ، فممَّا يقطع بأنَّهم ليسوا من أتباع المسيح عليه السلام - فضلاً أن يكونوا من حوارييه ؛ فقد نسب إليهم من صفات الكفر والخيانة في الأناجيل نفسها ما يجعلنا نقطع بأنَّهم ليسوا من حواري المسيح عليه السلام الذين مدحهم القرآن الكريم ، ووصفهم بصدق الإيمان وبكمال الاتباع لنبيهم عليه السلام ، ثمَّ إنَّه لا يعقل ألا يؤمن به أحد من النساء - كما تزعم تلك المصادر- .

والمقصود أنَّ عصر الحواريين كان عصر التوحيد ، وأمَّا شاءول فمع حرصه على نشر نصرانيته إلا أن تأثيره كان محدوداً ومقابلاً بالرفض -كما سيأتي بيانه - .

٢- دعوة شاءول في هذه الفترة :

---

[1] سأذكر ذلك بالتفصيل عند الحديث عمَّن يسمى بجماعة الرسل .

[2] انظر : متى (١٠/١-٤) ، أعمال الرسل : (١ /١٣ -١٥).

بالرغم من نشاط شاءول الكبير الذي قام به إلا أن أثره في تلك الفترة كان محــدوداً على الأرجح ؛ لأنَّ التوحيد كان هو الغالب ، وسوف ابين من خلال عرض بعض نشــاطه في الدعوة إلى النصرانية – كما يذكر سفر أعمال الرسل – ما يشهد لصحة ما ذهبت إليه ، ومن ذلك :

١- لما ذهب إلى أورشليم حاول الالتصاق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه ، لأنَّهم لم يصدقوا أنَّه من التلاميذ ، ولكنَّ برنابا توسط له لدى التلاميذ فمكث معهم خمسة عشر يوماً ، وكان يخاطب فيها اليونانيين ، فحاولوا قتله ، فلمَّا علم أتباعه أخذوه إلى قيصــرية [1] ، وأرسلوه إلى طرسوس ومكث بها ثمان سنين لا يعرف عنه شيئاً .

٢- بدأت رحلة شاءول التبشيرية الأولى إلى قبرص ، التي رافقه فيها برنابــا ، ولقيــا نجاحاً مشجعاً بين اليهود الكثيرين المقيمين في تلك الجزيرة ثمَّ عادا إلى أنطاكية [2]، وكانــا يخاطبان الأمم كما يخاطبان اليهود فغضبوا عليهم وأخرجوهم من الجزيرة .

٣-رحل شاءول وتلميذه تيموثاوس لأول مرة إلى أرض أوربية ، فقبض عليهما بتهمة تكدير السلام وجُلدا وزج بهما في السجن ، ثمَّ اطلق سراحهما وانتقلا إلى تسالونيكي [3] ، وخطب فيها ثلاثة أسبات فثار عليه اليهود ، ثمَّ خرج خلسة إلى بيرية [4] فجاء اليهود مــن أهل تسالونيكي واتهموه بأنَّه عدو لليهودية ، فأقلع منها إلى أثينا [5] ، ولكن لم يتأثر بــه إلا

---

[1] من أهم المدن في فلسطين تقع على البحر ، وتبعد ٤٤ميل جنوبي عكا و٤٧ميل إلى الشمال الغربي من أورشليم ، كانت ميناءً هاما ، وقد بناها هيرودوس تكريماً لأوغسطس قيصر فنسبت إليه .انظر: قاموس الكتاب المقدس ، لنخبة من اللاهوتيين ، ص :٧٥٥ .

[2] مدينة على نهر العاصي على مسافة ١٥ميل من البحر الأبيض المتوسط ، أسسها سلوش نيكاتور أحد قواد جــيش الإسكندر عام ٣٠٠ ق.م . انظر : المصدر نفسه ، ص:١٢٤ .

[3] مدينة كانت حاضرة إحدى مقاطعات مكدونية ، جعلها الإسكندر الأول مقراً لسكناه وسميت بــذلك نســبة إلى امرأته تسالونيك . انظر :المصدرنفسه ، ص:٢١٧ .

[4] مدينة من أعمال مكدونية ، تبعد ٥٠ميل عن تسالونيكي و٢٣ ميل من البحر ، وتدعى الآن "فرَّية" . انظر المصدر نفسه ، ص:٢٠٧ .

[5] اسم يوناني ، وهو أصلاً اسم الآلهة "أثينا" ، ثمَّ اطلق على المدينة اليونانية التي أصبحت مركز الثقافة في العالم القديم . انظر المصدر السابق ، ص:٢٦ .

عدد قليل فغادر إلى كورنثة [١] ، وأقام فيها ثمانية عشر يوما يخطب كل سبت في كنيستها فاتهمه اليهود أمام الحاكم الروماني بأنَّه « يستميل الناس على أن يعبدوا الله بخلاف الناموس » ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى أورشليم .

٤- في رحلته الثالثة زار أنطاكية وآسيا الصغرى وقضى في أفسس [٢] عامين ، فأقيمت مظاهرة ضده ، فرأى من الحكمة أن يغادر المدينة ، فذهب إلى مقدونية [٣] ، وقضى بضعة أشهر في فيلبي [٤] وتسالونيكي وبيرية ، ثمَّ انتقل إلى كورنثة بعد أن حصل فيها انشقاق بسببه ، وادعى أهلها عليه بأنَّه يستفيد من عظاته وسخروا من الرؤى التي زعم أنَّه رآها وطلبوا أن يستمسك المسيحيون جميعاً بالشريعة اليهودية ، وترامى إليه أن جماعة المختونين ذهبوا إلى غلاطية [٥] وطلبوا من جميع المهتدين أن يطيعوا الشريعة اليهودية طاعة كاملة فكتب إليهم رسالة تفيض بالغضب وقرر فيها « أنَّ الناس لا ينجون لاستمساكهم بشريعة موسى بل بأيمانهم القوي الفعال بالمسيح المنقذ ابن الله » .

٥- عندما ذهب إلى أورشليم ليحتفل بعيد العنصرة [٦] استقبله أتباعه وحذروه من المؤمنين المحافظين على شريعة موسى عليه السلام وأشاروا عليه أن يحتال ويظهر تمسكه بشريعة موسى عليه السلام ، ولكن لما رآه اليهود في الهيكل قبضوا عليه وأرادوا قتله ولكنَّ تدخل الرومان حال دون ذلك وأُبعد إلى روما بناءً على طلبه بوصفه مواطناً رومانياً ، وسمح له هناك أن يتنقل في المدينة بحرية ويستقبل من يشاء.

---

[١] عاصمة مقاطعة أخائية في بلاد اليونان ، تبعد ٤٠ ميلاً عن أثينا ، وتعد زينة بلاد اليونان اشتهرت بالتجارة والغنى والعلم وكذلك الخلاعة . انظر:المصدر السابق ، ص:٧٩٦ .

[٢] عاصمة المقاطعة الرومانية في آسيا على شاطيء نهر الكايستر وعلى مسافة ثلاثة أميال من البحر ، وكانت ميناءً بحرياً هاماً ، انظر المصدر السابق ،ص:٩٢ .

[٣] تقع شمال بلاد اليونان أسست في القرن السابع ق.م ، وقيل أنَّها أول قسم قبل النصرانية من أوربا . انظر : المصدر السابق ، ص:٩١٠ .

[٤] مدينة في مكدونية سميت بذلك نسبة إلى فيلبس المكدوني الثاني الذي وسعها وحصنها ، سقطت في أيدي الرومان سنة ١٦٨ ق.م . انظر : المصدر السابق ،ص:٧٠٣ .

[٥] ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى خضعت لحكم الرومان في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد . انظر :المصدر السابق ،ص:٦٦٠ .

[٦] لفظة عبرانية تعني اجتماع أو محفل ، واستخدمت لتشير إلى عيد الخمسين اليهودي الذي كان يجتمع فيه كلُّ ذَكَر من اليهود من كل بقاع الأرض إلى أورشليم للاحتفال بالعيد . انظر:معجم المصطلحات الكنسية ك(٣/٨٠) .

٦- عندما التقى به زعماء اليهود في روما ليسمعوا منه ، ووجدوا أنَّه لا يرى في مراعاة الناموس من ضرورة غضب عليه أتباع المسيح عليه السلام واليهود على السواء لأنَّهم كانوا متبعين للتعاليم التي جاءت من أورشليم - من اتباع المسيح عليه السلام - وكانوا يختنون ، وقد رحب هؤلاء ببطرس ولكنَّهم استقبلوا بولس بفتور .

ويؤكد ما سبق ضعف أثر بولس في تلك الفترة ، وقلة أنصاره ، وبيان ذلك بما يلي :

١- أنَّ شاءول لا يكاد يذهب إلى مدينة إلا ويقابل بالمعارضة ، ويتعرض للقتل في أكثر الأحيان ، حتى وصفه بعض النصارى بالمُضطَهد ، والذين يقومون بذلك هم المؤمنون ، وهذا يدل على قلة المؤيدين لأفكاره وغلبة التوحيد في تلك المدن .

٢- رجوعه إلى أورشليم ومشاورة التلاميذ في الأمور الهامة دليل على أنَّ المرجعية كانت لهم وأنَّ أمرهم هو الغالب.

٣- الاختلافات والمنازعات بينه وبين التلاميذ التي غالباً تنتهي بالانفصال بينهم يدل على استقلالهم عنه ورفضهم لأفكاره التي يدعوا إليها.

٤- وأضيف أخيراً اعترافه هو بقلة أنصاره كما في قوله - في رسائله - بأنَّ جميع الذين في آسيا قد ارتدوا عنه .

٣- ظهور الجماعات الموحدة في كثير من المدن :

شهدت هذه الفترة بالإضافة إلى وجود الجماعة الأولى وجود طوائف أخرى يترجح أنَّها كانت على التوحيد ، لأنَّها كانت تعارض الأفكار التي نادى بها شاءول ، ومن أهمها

(أ) **طائفة الأبيونيون** : وهذه الطائفة تنسب إلى زعيمها أبيون [1] ، وهم من أتباع المسيح عليه السلام، ولها أشياع إلى أواخر القرن الرابع الميلادي ، ويرون أنَّ المسيح كان إنساناً بسيطا وعادياً ، ويقر إنجيلهم - وهو مدون باللغة الآرامية - بجميع شرائع موسى عليه السلام ويعتبر عيسى عليه السلام المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وينكر ألوهيته

[1] يقال بأنه ظهر بعد خراب أورشليم ، وكان يعلِّم بأنَّ المسيح لم يكن إلهاً وإنما كان إنساناً بسيطاً . انظر :عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ، حسن يوسف الأطير ،ص:٣٨ .

وأزليته ، وهذه الفرقة وقفت في وجه بولس وأنكرت تعاليمه لاسيما مـــا يتعلـــق بالختـــان ورفضت أن تتخذ رسائله أساساً للدين ، وانتشرت في فلسطين والأقطار المجاورة لها [١] .

(ب) **أصحاب بولس الشمشطائي** : عاش بولس الشمشطائي في حدود عام ٢٦٠م ، وكان بطريركاً على أنطاكية وفرقته تؤمن ببشرية المسيح عليه السلام ، وأنَّ ابتداءه من مـــريم ، ولا تؤمن بالكلمة ولا بالروح القدس [٢]

(ج) **الآريوسيين** : وهم أصحاب آريوس ، وكان معارضاً لكنيسة الإسكندرية القائمة على تأليه المسيح عليه السلام وبنوته للآب ، وكان يرى أنَّ الله عز وجل هو الإله الواحد الأزلي ، وأنَّه عالٍ علواً تاماً ، ولا يمكن ادراكه ، وأنَّ هوة لا نهائية تفصل بينه وبـــين النـــاس ، وأنَّ عيسى عليه السلام مخلوق غير أزلي وليس إلها ، ولا يحمل الصفات الإلهيـــة . وهـــذه الفرقـــة — باعتراف أعدائها — قد حققت نجاحاً كبيراً ، وكان لها تأثير وسيطرة على معظم كراســـي المشرق ، وهز سلطانها سلطان المجامع الأخرى [٣] .

ويؤكد مجمع نيقية غلبة التوحيد في هذه المرحلة ، ومن أهم الدلائل على ذلك :

١- أنَّ عدد القائلين بالتوحيد هم الأغلبية الساحقة ، فإذا كان عدد المجتمعين ألفـــين وثمانية وأربعين أسقفاً وبطريركاً ، ولم يتفق على القول بألوهية المسيح منـــهم إلا ثلاثمائـــة وثمانية عشر أسقفاً ؛ فإنَّ البقية والبالغ عددهم ألفاً وسبعمائة وثلاثين هم القائلون بالتوحيد ، وهم على هذه الصورة أكثر من خمسة أضعاف القائلين بألوهية المسيح عليه السلام .

٢- أنَّ لجوء قسطنطين بعد تلك المشاورات والمناقشات التي استغرقت وقتاً طويلاً إلى فرض ذلك بقوة السيف ، واستخدام السلطة يعد أكبر دليل على قوة التوحيد وغلبته ؛ فلو كان أتباع عقيدة إلوهية المسيح هم الأكثرية لما احتاج الأمر إلى الاستعانة بقوة السيف [٤].

---

(١) انظر : تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص : ١٣٠ ، والمسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل لساجد مير ، ص: ٦٦ ، نقلاً عن قاموس أكسفورد.

(٢) انظر : تاريخ ابن البطريق ، ص:١٢٦ .

(٣) انظر : الآريوسية والرد عليها ، الأنبا غريغوريوس ، ص : ٣ ، ٣٧ ، والهرطقة في المسيحية ، ج . ويتلر ، ص : ٧٦ .

(٤) انظر :تاريخ ابن البطريق ، ص:١٢٦-١٢٧ .

المطلب الثاني : الفرق التي ظهرت بعد مجمع نيقية :

بعد قرار مجمع نيقية ألوهية المسيح عليه السلام ، لم تكتمل أركان التثليث وبقيت عقيدة النصارى على ذلك حتى عام ٣٨١م ، حيث عقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية وقرر ألوهية الروح القدس أيضاً ، واكتمل بذلك بنيان الثالوث النصراني ، وبعد هذا المجمع نشأ خلاف جديد حول طبيعة المسيح عليه السلام هل هو ذو طبيعتين منفصلتين لاهوت بذاته وناسوت بذاته ، ولكلٍ منهما مشيئة خاصة به ؟ ، أم أنَّ الطبيعتين اللاهوت والناسوت امتزجتا واتحدتا فصارتا شيئاً واحداً ، ولهما مشيئة واحدة . وكان هذا الخلاف هو أساس تفرق النصارى إلى الفرق الثلاث الكبرى المعروفة قديماً ، وهي :

١- النساطرة : أتباع نسطور الذي كان بطريكاً على القسطنطينية عام ٤٣١م ، وكان يرى « أنَّ مريم ليست والدة الإله على الحقيقة ، وإنَّما والدة الإنسان ، وأنَّ المسيح هو إنسان مولود من مريم ، وإنَّما يقال له إله وابن إله لا على الحقيقة وإنَّما بالموهبة »[1] .

ويمكن أن نستخلص من النص السابق أمرين :

١- أنَّ نسطور هو الذي وضع أساس القول بالطبيعتين (الأقنومين) للمسيح .

٢- إنكاره أن تكون مريم والدة الإله ، بل هي أم المسيح عليه السلام الإنسان البشري.

وبعد أن صدر قرار بلعن نسطور هذا نُفى إلى مصر ، واندرست مقالته مدة طويلة حتى أحياها برصوما مطران نصيبين ، وانتشر مذهبه مرة أخرى وتكاثر أتباعه في كل من المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة .[2]

٢- اليعاقبة : يعد مذهب اليعاقبة بمثابة الرد على مقالة النساطرة ، وقد أُعلن هذا المذهب في مجمع أفسس الثاني ، وانتهى فيه رأي بطريرك الاسكندرية البابا كيرلس إلى القول بالطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام ، وقد نص زكي شنودة على هذا المذهب بقوله : « إنَّ لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً ، بلا اختلاط ، ولا

---

[1] انظر : المصدر نفسه ، ص:١٥٦ ، وموسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة : (١٦٠/١-١٦١) .

[2] التاريخ المجموع لابن البطريق ، ص: ١٥٨ .

امتزاج ، ولا استحالة ، فالعذراء والحالة هذه بحق والدة الإله ، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد لذلك هي حقاً أمَّ الله » [1] .

وهذا المذهب هو الذي سمي فيما بعد بمذهب اليعاقبة نسبة إلى يعقـوب البرادعـي وليس هو مؤسسه ، ولا أول من قال به ، ولكنه فيما يبدو من أبرز الدعاة إليه [2]، وانتشر هذا المذهب في مصر والنوبة والحبشة.

٣- الملكانية : بعد مجمع أفسس الثاني الذي قرر مذهب الطبيعة الواحدة للمسـيح ، عارضته كنيسة القسطنطينية ، واشتد الخلاف بعد ذلك حول هذا المجمع وقراراته ، حـتى عقد مجمع خلقدونية عام ٤٥١م ، وانتهى بتقرير أنَّ للمسيح عليه السلام طبيعتين لا طبيعة واحدة وأنَّ اللاهوت طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحدها التقتا في المسيح عليه السلام ، كما جاء في قرار هذا المجمع: « إنَّ مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذي هو مـع أبيـه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية وشهدوا أنَّ المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ، ولعنوا نسطورس ولعنوا أيضاً ديسقورس (بطريرك الإسكندرية) ومن يقول بمقالته ونفوه ، ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس وقد نفي ديسقورس إلى فلسطين » [3] .

وأصحاب هذا المذهب القائلون بالطبيعتين هم الذين يسمون بالملكانيـة نسـبة إلى الملك ، وهو إمبراطور الروم البيزنطي الذي ناصر فكرة الطبيعتين ، ويقال إنَّ الذي اطلـق عليهم تلك التسمية هم المونوفيزيون (أصحاب الطبيعة الواحدة) على سبيل السخرية ؛ لأنَّهم انحازوا في موقفهم هذا إلى الإمبراطور البيزنطي [4] ، وانتشرت الملكانية في سوريا ومصـر وفلسطين .

وأنبه في نهاية هذا المطلب إلى أنَّ مجمع خلقدونية الذي أقر مـذهب الطبيعـتين هـو الأساس في انفصال الكنيسة المصرية عن كنيسة القسطنطينية نهائياً ، وقد تبع الكنيسة المصرية كذلك الحبشة والأرمن والسريان الأرثوذكس ، وكان هذا الانفصال باعتبار المعتقد كما هو

---

[1] موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة ، ص : ١٦٠-١٦١ .

[2] انظر : محاضرات في النصرانية ، محمد ابو زهرة ، ص: ١٤٦ .

[3] تاريخ ابن البطريق ، ص:١٢٧ .

[4] الفرق والمذاهب المسيحية ، سعد رستم ، ص : ٢٩ .

ظاهر ، فمن قال بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة فهم الأرثوذكس ، ومن قال بالطبيعتين والمشيئتين فهم الكاثوليك .

المطلب الثالث : الفرق النصرانية المعاصرة :

أولاً : الأرثوذكس :

كلمة أرثوذكس كلمة يونانية الأصل ، ولها عدة معاني مستخدمة في حديث الناس ، وفيما يكتبه الكتاب ، ومن أهم معانيها :

١- الرأي الحق ، أو الصواب ، أو المستقيم .

٢- الرأي المتعارف عليه ، الذي يسير عليه أغلبية الناس .

٣- المتبع للقواعد التقليدية الذي لا يجازف بأفكار حديثة [١] .

وتطلق اصطلاحاً على جماعة كبيرة من (المسيحيين) الذين يقولون أنَّهم حافظوا على المعتقد الصحيح كما حددته المجامع المسكونية تمييزاً لهم من الذين عدوا هراطقة [٢] .

وتسمى كنيسة الأرثوذكس بالكنيسة الشرقية ؛ لأنَّ أكثر أتباعها من المشرق ، واليونانية ؛ لأنَّ أتباعها من اليونان ، ومقرها القسطنطينية ، وقد انفصلت بشكل نهائي عن الكنيسة الكاثوليكية في عهد ميخائيل كارولايوس بطريرك القسطنطينية عام ١٠٥٤م .

والأرثوذكس لا يجتمعون تحت لواء واحد ، بل كل كنيسة مستقلة بنفسها ، وهي تضم اليوم أسرتين كبيرتين من الكنائس وهما :

القسم الأول : الكنائس الشرقية غير الخلقدونية :

وهي الكنائس التي رفضت قرار مجمع خلقدونية ، وأبرز من يمثلها الكنيسة القبطية التي تسمى بالكنيسة المرقسية الأرثوذكسية أو كنيسة الإسكندرية ، وهي تؤمن بأنَّ للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وتضم كنائس الحبشة والسودان ، ويوافقها أيضاً الأرمن ، واليعاقبة ، والسريان .

وتعتقد الكنيسة القبطية أنَّ مؤسسها هو مرقس الرسول ، وقد انفصلت عن كنيسة القسطنطينية بعد مجمع خلقدونية الذي قرر مذهب الطبيعتين ، ولعن ديسقورس ونفيه ،

---

[١] انظر الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية ، القس ابراهيم عبدالسيد ، ص:٦ .

[٢] انظر : الفرق والمذاهب المسيحية ، سعد رستم ،ص: ٤٨ .

وتعيين بطريرك ملكاني خلفاً له ، وقد قابلت الكنيسة القبطية هذا القرار بإعلان العصيان ، وعدم الاعتراف بهذا المجمع ولا بقراراته ، وعاشت بسببه سلسلة من الاضــطهادات إلى أن جاء عام ٤٨٢م ، حيث تم الاتفاق على أن يختار المصريون أسقفهم بأنفسهم دون تــدخل من الإمبراطور ، وكان هذا التاريخ يمثل الانفصال التام عن كنيسة القسطنطينية [1].

القسم الثاني : الكنائس الشرقية الخلقدونية :

كان هناك تنافس كبير على الزعامة الكنسية بين كنيســتي رومــا والقســطنطينية ، استمرحتى انعقاد مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩م ، وسُمى بالمجمع الغربي وتقرر فيه :

١- انبثاق الروح القدس من الأب والابن معا.

٢- كل ما يتعلق بالديانة النصرانية ينبغي أن يرفع إلى الكنيسة بروما.

٣- كل النصارى يخضعون لكل المراسيم التي يقول بها رئيس كنيسة روما .

٤- لعن وطرد البطريرك فوتيوس (بطريرك القسطنطينية) ، وحرمانه هو واتباعه .

وبعد هذا المجمع الهام انفصلت كنيسة القسطنطينية عن الكنيسة الكاثوليكيــة برومــا انفصالاً مذهبياً وبقيت ادارياً تحت سلطتها ، حتى تمَّ الانفصال النهائي عام ١٠٥٤م ، وهي تضم اليوم إضافة إلى كنيسة القسطنطينية كنائس الإسكندرية وأنطاكية والقدس ، والكنائس الحديثة في روسيا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، وصربيا وجورجيا وقــبرص واليونــان وبولنــدا وتشيكوسلوفاكيا وأمريكا [2] .

مبادئي الأرثوذكس :

١- أنَّ الروح القدس منبثق من الآب فقط ، وهذا يجمع عليه جميع الأرثوذكس .

٢- تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا فقط.

٣- الإيمان بالأسرار السبعة وهي : سر المعمودية ، والميرون ، والقربان ، والاعتراف ، ومسحة المرضى ، والزواج ، والكهنوت [3].

أمَّا أبرز الاختلافات بين الأرثوذكس أنفسهم فهي :

---

[1] انظر : تأريخ الأمة القبطية ، لجنة التأريخ القبطي ، ص:٦١ .

[2] انظر : الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، سعد رستم ، ص:٤٨ .

[3] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند الكبرى ، د. محمد الأعظمي ، ص:٤٧٤ .

١- موقفهم من طبيعة المسيح عليه السلام فبينما تؤمن كنيسة الأقباط بالطبيعة الواحدة تذهب كنيسة القسطنطينية إلى القول بالطبيعتين معاً.

٢- تؤمن الكنيسة القبطية بالمجامع المسكونية السابقة لمجمع خلقدونية فقط ، وتؤمن كنيسة القسطنطينية بهذه المجامع إضافة إلى المجامع التي كانت قبل مجمع القسطنطينية الثامن عام ٨٦٩م [1].

ثانياً : الكاثوليك :

أصل هذه الكلمة هو اللفظة اليونانية « كاثوليكوس » ، وتعني العام أو العالمي ، وسميت الكنيسة الكاثوليكية بذلك ؛ لأنَّها تدعي أنَّها أم الكنائس ومعلمتها ، وتسمى باللاتينية أو الغربية ؛ لأن أكثر أتباعها في الغرب ، والبطرسية أو الرسولية ؛ لأن أصحابها يزعمون أنَّ مؤسسها هو الرسول بطرس ، وهو كبير الحواريين — بزعمهم - ، ويعتبر الباباوات أنَّهم خلفاؤه من بعده ، وتمثل الكنيسة الكاثوليكية أكبر تجمع نصراني في العالم ، وينتشر أتباعها في جميع بقاع الأرض ويرأسها البابا ، وهو أسقف روما ، ومقره مدينة الفاتيكان ، وهي دولة صغيرة داخل مدينة روما عاصمة إيطاليا ، ويساعده في تصريف شؤون الكنيسة ما يطلق عليه (كوريا رومانا) ، وتضم المحاكم والسفارات البابوية التي تصدر بيانات البابا الرسمية ، وبعض الوظائف الوزارية مثل وزارة الخارجية ، ومجمع الكرادلة الذي يقوم بانتخاب البابا عندما يخلو الكرسي (الرسولي) .[2]

ويعيش معظم الكاثوليك اليوم في أوربا والأمريكتين ، وفرنسا ، وإيرلندا ، وإيطاليا ، وأسبانيا ، وتقوم الكنيسة بإدارة المدارس والجامعات والمستشفيات والملاجئ ودور العجزة .

أبرز المعتقدات :

١- أنَّ الروح القدس انبثق من الآب والابن معاً ، وهم يخالفون بذلك الأرثوذكس.

٢- المساواة الكاملة بين الآب والابن .

٣- أنَّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين موافقين لكنيسة القسطنطينية ومخالفين للقبطية .

---

[1] المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

[2] المصدر السابق ، والصفحة نفسها

٤- وجود جحيم مصغر في قلب الأرض تحترق فيه الأنفس التي ارتكبت الخطايا حتى تنقى من أوزارها وتستحق دخول الفردوس السماوي ، ويطلق عليه "المطهر" .

٥- أنَّها تملك حق غفران الذنوب ، وتصدر ما يسمى بصكوك الغفران وتبيعها للمذنبين .

٦- تحريم الطلاق في جميع الحالات حتى في حالة الخيانة الزوجية.

٧- تقديس البابا ، وادعاء عصمته فيما يقول ، بوصفه كاهن أو معلم فقط ، وفيما يكون متعلقاً بالإيمان والأخلاق [١].

ثالثاً : البروتستانت :

كلمة بروتستانت مأخوذة من الكلمة اللاتينية (protestantism) وتعني : الاعتراض أو الاحتجاج ، وتطلق على الذين اعتنقوا مبدأ الإصلاح ، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية ، وسموا بذلك لاعتراضهم على قرار الحرمان الذي أصدرته الكنيسة الكاثوليكية على اللوثريين عام ١٥٢٩م [٢] ، وهي حركة إصلاحية قامت ضد مفاسد الكنيسة الكاثوليكية .

وقد ظهرت الحركة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وكانت في بداية الأمر حركة إصلاحية داخل الكنيسة ، ثمَّ أصبحت بعد ذلك حركة ذات اتجاه عقدي مستقل ومناهض للكنيسة .

وأتباعها يرفضون تسمية أنفسهم بالبروتستانت ، ويسمون أنفسهم بالإنجيليين ؛ لأنَّهم يعتمدون على الإنجيل دون غيره - كما يزعمون - ، ويعتقدون أنَّ قراءة الإنجيل وفهمه حق لكل أحد ، وليس موقوفاً على رجال الكنيسة ، كما هو عند الكنائس الأخرى .

ومن أبرز دعاتها الألماني مارتن لوثر ، الذي يعتبر رائد الحركة البروتستانتية والمؤسس لها ، والروخ هولدريخ زوينجلي ، وجون كالفن [٣] .

---

[١] انظر المصدر السابق ، ص : ٤٦٩ .

[٢] انظر : معجم الإيمان المسيحي ، الأب صبحي حموي اليسوعي ، ص: ١٠٤ ، والفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية ، القس ابراهيم عبدالسيد ، ص: ٨ .

[٣] سوف أفصل الكلام عنهم عند الحديث عن الإصلاح الديني .

ومن المعلوم أنَّ هذه الحركة لم تكن حركة واحدة بل كانت حركات متعددة ، وقد نشأ عنها العديد من الكنائس والحركات في مختلف دول أوروبا حاليا .

وقد اهتمت الكنيسة البروتوستانتية بنشر الإنجيل في أوروبا وأمريكا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، ثمَّ تطور عملها في أشكال منظمات وإرساليات ، ووضعت لها اللوائح والأنظمة والميزانيات اللازمة لها ، ثمَّ انتقل العمل التبشيري البروتوستانتي إلى القارتين الإفريقية والآسيوية .

معتقدات البروتوستانت :

عقائد البروتوستانت هي عقائد الكاثوليك من حيث الأصل ، إلا أنَّهم يخالفونهم في أمور من أهمها:

١- يُعد (الكتاب المقدس) وحده المرجع الوحيد في الإيمان والعقائد فيقبل ما وافقه ويرد ما خالفه .

٢- عدم الإيمان بعصمة البابا .

٣-رفض عقيدة الاعتراف ، ورفض غفران الذنوب على يد الكاهن ، ومن ثمَّ رفض صكوك الغفران ، ومرتبة الكهنوت فكل المؤمنين عندهم كهنة ، ولا توجد واسطة بينهم وبين الله سوى المسيح .

٤-لا تؤمن بالأسرار المقدسة إلا ما ورد في الكتاب المقدس وهما سر المعمودية وسر القربان المقدس (العشاء الرباني).

٥- لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى.

٦- تمنع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها ؛ باعتبار أنَّ ذلك محرم في التوراة.

٧- ترفض عبادة مريم ودعاءها وطلب الحوائج منها ، وكذلك عبادة الملائكة ومن يسمَّى بالقدِّيسين .

٨- لا يوجد عندهم نظام طقسي معين لبناء الكنائس ولا يتجهون إلى الشرق في أثناء الصلاة .[1]

---

[1] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، الأعظمي ، ص:٤٧٧ .

المبحث الرابع

العقائد النصرانية

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : قانون الإيمان ونقده
- المطلب الثاني : عقائد النصارى اجمالا

تمهيد :

لم يكن النصارى في القرون الأولى على اتفاق في أمر عقيدتهم ، مما أدى إلى حدوث التراعات المستمرة بينهم ، وقد بلغت هذه التراعات ذروتها في مطلع القرن الرابع ، عندما أعلن آريوس عقيدته بشأن المسيح عليه السلام وأنكر ألوهيته ، فعند ذلك أحس النصارى بأهمية جمع كلمتهم على رأي واحد للرد على آريوس – الذي كانت مقولته هي الغالبة في ذلك الوقت – من خلال مجمع عالمي يوقع عليه جميع النصارى ، وبالتالي يحكم على كل من خالفه باللعن والحرمان .ومن أجل ذلك عقد مجمع نيقية الذي كان من أهم قراراته ما اصطلحوا على تسميته بـ "قانون الإيمان" الذي اختير من بين عدة قوانين عرضت في هذا المجمع ، وكان أهم قراراته التأكيد على ألوهية المسيح عليه السلام [1] .كما حكم على آريوس باللعن وإحراق جميع كتبه .

وهذا القانون هو الأساس الذي قامت عليه عقائد النصارى إلى اليوم ، ولذلك فمن المهم أن أتناول هذا القانون بالحديث أولاً ، ثم أتبعه بذكر عقائد النصارى إجمالاً .

المطلب الأول :قانون الإيمان ونقده :

أهمية هذا القانون عند النصارى :

تتضح أهمية هذا القانون من خلال النقاط التالية :

١- أنَّه أساس العقيدة النصرانية.

٢- أنَّ جميع الكنائس النصرانية — على ما بينها من اختلاف – تؤمن به .

٣- جعلته الكنيسة جزءاً من طقوسها ، حيث يتلى في جميع صلواتها .

٤- يشتمل على أغلب عقائد النصارى .

٥- تم إقراره بمقتضى مجمع مسكوني شاركت فيه جميع كنائس النصارى ووقع عليه جميع الأساقفة .

٦- كل من خالفه يعد خارجاً عن الإيمان ، ويسمى "هرطوقيا" ، ويحكم عليه باللعن والحرمان [2] .

---

[1] انظر المجمع المسكوني الأول — نيقية الأول ، للآب ميشال أبرص والآب أنطوان عرب ،ص:١٦٦ .

[2] انظر : قانون الإيمان ، البابا شنودة الثالث ، المقدمة ، ص : ٥-٦ .

نص قانون الإيمان :

نظراً لكثرة الفروقات في نص هذا القانون في المصادر النصرانية فسأقتصر على نص واحد فقط لهذا القانون بجزئيه النيقاوي والقسطنطيني لأجل ملاحظة الفرق بين النصين وسوف اعتمد على النص الذي ذكره الأبوان ميشيل أبرص وأنطوان عرب في كتابيهما عن مجمع القسطنطينية الأول ، وفيما يلي صيغة القانون ، مع ذكر ما حذف من نص مجمع نيقية وما أضيف في مجمع القسطنطينية :

قانون إيمان نيقيّة (٣٢٥ م)	قانون إيمان القسطنطينية (٣٨١م)
نؤمن بإله واحد ،	
آب ضابط الكل ،	
خالق ،	
	السماء والأرض
كل ما يرى وما لا يرى ،	
وبرب واحد ،	
يسوع المسيح ،	
ابن الله الوحيد ،	
المولود من الآب ،	
	قبل كل الدهور
أي من جوهر الآب ،	محذوفة
إله من إله ،	محذوفة
نور من نور ،	
إله حق من إله حق ،	
مولود غير مخلوق ،	
مساوٍ للآب في الجوهر ،	
الذي به كان كل شيء ،	
مما في السماء وعلى الأرض	محذوفة

الذي من أجلنا نحن البشر ،	
ومن أجل خلاصنا ،	
نزل ،	
	من السماء ،
وتجسد ،	
	من الروح القدس ومن مريم العذراء ،
وصار إنساناً ،	
	وصلب عنا على عهد بونتيوس بيلاطس
وتألم ،	
	وقُبر
وقام في اليوم الثالث	
	كما في الكتب
وصعد إلى السماء	
	وجلس عن يمين الآب
وسيأتي	
	بمجده.
ليدين الأحياء والأموات	
	الذي لا فناء لملكه
وبالروح القدس	
	الرب
	المحي
	المنبثق من الآب
	الذي هو مع الآب والابن
	مسجود له وممجد
	الناطق بالأنبياء

	وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية
	ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا
	ونرتجي قيامة الموتى
	والحياة في الدهر
	الآتي آمين

هذا هو قانون الإيمان كما في الكتاب المذكور سابقاً (١) ، ونلاحظ أن الجزء الثاني من هذا القانون الذي تم الاتفاق عليه في مجمع القسطنطينية يختلف عن الجزء الأول منه في ثلاثة أمور هي :

أ – فقرات تم تجاهلها من القانون الأول وهي بالترتيب : أي من جوهر الأب ، إله من إله ، مما في السماء وعلى الأرض .

ب – فقرات أضيفت إلى القانون وهي مرتبة كالتالي : (خالق السماء والأرض ، قبل كل الدهور ، من السماء ، من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وصلب عنا على عهد بونتيوس بيلاطس ، وقبر ، كما جاء في الكتب ، وجلس عن يمين الآب ، بمجد ، الذي لا فناء لملكه).

ج – إضافة مواضيع جديد ، وهي ما يتعلق بألوهية الروح القدس ، والكنيسة ، والمعمودية ، والقيامة .

العقائد التي اشتمل عليها قانون الإيمان تفصيلاً :

تضمن هذا القانون العقائد التالية :

١– ألوهية المسيح عليه السلام .

٢– بنوته لله سبحانه وتعالى .

٣– عقيدة التثليث .

٤– عقيدة التجسد (ظهور الرب في صورة المسيح).

٥– الصلب والفداء.

---

(١) انظر:المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية الأول) ،ص: ١٨٦ . والمدخل إلى العقيدة المسيحية ، كوستي بندلي ومجموعة من المؤلفين ، ص:١٣-١٤ .

٦- قيامة المسيح عليه السلام في اليوم الثالث من بين الأموات.

٧- محاسبته للخلائق في يوم القيامة.

٨- ألوهية الروح القدس وانبثاقه من الآب.

٩- الإيمان بالكنيسة وأنها : واحدة ، مقدسة ، جامعة ، رسولية .

١٠- الاعتراف بالمعمودية (التعميد) وأنَّه سبب للتطهير ومغفرة الخطايا.

أهم الانتقادات الموجهة إلى هذا القانون :

١- أنَّ هذا القانون الذي يتضمن العقيدة التي يؤمن بها جميع النصارى إلى اليوم ، لم يتم الاتفاق عليه إلا في مجمع نيقيَّة عام ٣٢٥م ، أي بعد ما يقارب ثلاثة قرون من رفع المسيح عليه السلام ، والسؤال الذي نحتاج أن يجيب عليه النصارى هو أيَّة عقيدة كانوا عليها في تلك الفترة ؟ فإن كانت هي التي أقروها في ذلك المجمع فما الفائدة من هذا المجمع الذي حضره وألزم بقراراته جميع النصارى ؟ ، وإن كانت عقيدتهم مخالفة له فأيُّ ضلال كانوا عليه ثلاثة قرون من الزمان ؟ .

٢- أنَّ هذا القانون لم ينص عليه أي إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى التي تمثل الجزء الأهم من العهد الجديد - بحسب زعمهم — وإن كان النصارى ملتزمين حقاً بما جاء في كتابهم فيلزمهم أن ينبذوا كل دخيل على كتابهم ويعدوا ذلك "هرطقة" [1] يجب لعن صاحبها — كما هو شأنهم في كل ما هو كذلك.

٣- لقد حدثت تنازلات كبيرة في تطبيق هذا القانون ، بل إنَّه لم يحظ بأي اهتمام حقيقي حتى عند من اتفقوا عليه وقاموا بصياغته بدليل أنَّهم عندما رجعوا إلى كنائسهم ، بدأوا ينادون بالتعاليم التي كانوا عليها قبل هذا المجمع وهذا ما يعترف به النصارى أنفسهم.

يقول د.القس حنا الخضري : « ولكن للأسف الشديد فإنَّ كثيرين من الأساقفة والآباء الذين اشتركوا في أعمال هذا المجمع عادوا إلى أبرشياتهم وكنائسهم وبدؤوا من جديد ينادون بالتعاليم التي كانوا يعلِّمون بها من قبل هذا المجمع المسكوني » [٢] .

---

[1] الهرطقة : ضد الرأي المستقيم ، وتعني عند النصارى من لا يوافق على صيغة الإيمان . انظر:معجم الإيمان المسيحي ، اختيار صبحي حموي اليسوعي ،٢٥٠ .

[٢] تاريخ الفكر المسيحي : (٤/ ٦٣٢).

٤- أنَّ الإمبراطور قسطنطين الذي أصبح ممثلاً للسلطة العليا للكنيسة ودعا لعقد هذا المجمع بهدف النظر في بدعة آريوس وقرر حرمانه بمقتضى هذا القانون سرعان ما عاد ليقربه إليه بعد ذلك ، حيث عقد مجمع صور عام ٣٣٤م ، وقرر فيه قبول عقيدة آريوس وألغى قرارات مجمع نيقيَّة ، وقد اعترف بذلك د.القس حنا الخضري بقوله : « ولذلك فقد صدَّق قسطنطين الإمبراطور على الحكم الذي أصدره مجمع صور والذي اشتمل على خلع أثناسيوس من كرسيه ونفيه وإعادة آريوس إلى مكانته وقبوله في الكنيسة » [1] .

وهذا يعني بالضرورة نقض قانون الإيمان الذي يخالف تماماً آراء آريوس ، وعلى ذلك فيلزم النصارى أن يقبلوا قرارات مجمع صور كما قبلوا قرارات مجمع نيقيَّة ، وألا يعدوا مجمع نيقية – بما تضمن من قرارات – أكثر من مرحلة تاريخية انتهت بتفاصيلها.

ويدل النص السابق أيضاً على أمر مهم ، وهو أنَّ هذا المجمع الذي نتج عنه قانون الأيمان لم يكن المقصد منه الوصول إلى الحق ، ومعرفة العقيدة الصحيحة بل المقصد الوصول إلى العقيدة التي يمكن أن توفر للإمبراطور قدراً من الأمان الذي يتحقق له به الاستقرار السياسى اللازم لثبات إمبراطوريته ، وهذا الأمر في غاية الوضوح ، فعقيدة آريوس لما أصبحت تحقق له هدفه السياسي لم يتردد لحظة في قبولها والتخلي عن كل ما خالفها .

٥- ومما يقلل من أهمية قانون الإيمان أنَّه لم يعمل به رسمياً إلا بعد فترة من الزمن كما اعترف بذلك الأبوان : ميشال أبرص وأنطوان عرب ، حيث قالا : « يبقى أنَّ قانون الإيمان هذا بقي لأكثر من خمسين سنة قانوناً إقليمياً قبل أن يمنحه مجمع خلقدونيا إكرامه اللازم ومكانته ويجعل منه قانون إيمان الكنيسة جمعاء ، إذ تلاه الآباء بإجلال مرتين ، وهذا ما أعطاه صفته الرسمية ، وثبته قانون الكنيسة جمعاء » [2] .

ويلاحظ أنَّ المدة بين مجمع القسطنطينية الذي عقد عام ٣٨١م ومجمع خلقدونية الذي عقد في عام ٤٥١م سبعون سنة على وجه التحديد وليست كما جاء في النص .

---

[1] المصدر نفسه : (٤/٦٤٨) .

[2] المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية الأول) ، ص : ١٩٢ .

المطلب الثاني : عقائد النصارى اجمالاً :

العقائد النصرانية الأساسية على سبيل الإجمال خمس ، وهي كما يلي :

١- عقيدة الخطيئة الجديَّة .

٢- عقيدة الصلب والفداء .

٣- عقيدة التثليث ، ويدخل فيها اعتقاد ألوهية المسيح عليه السلام ، وبنوته لله ، وألوهية الروح القدس .

٤- التعميد .

٥- الاعتراف .

وتتضمن عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام عقائد أخرى ، مثل اعتقاد تجسد المسيح عليه السلام في صورة بشرية ، وقيامته من بين الأموات ، ومحاسبته للخلق يوم القيامة . كما يدخل في عقيدة التثليث اعتقاد ألوهية ما يسمى عندهم بالروح القدس .

وبين هذه العقائد ترابط كبير ، وسوف أتحدث فيما يلي عن ثلاث عقائد ، هي عقيدة الخطيئة الجديَّة وعقيدة الصلب والفداء ، وألوهية ما يسمى عندهم بالروح القدس . أمَّا العقائد الغالية في المسيح عليه السلام فسوف أتحدث عنها في الفصل الخاص بتقديس المسيح عليه السلام ، وأما التعميد والاعتراف فسوف أفصل الحديث عنها عند ذكر الأسرار المقدسة عند النصارى .

أولاً : عقيدة الخطيئة الجديَّة :

هذه العقيدة هي الأساس الذي بنيت عليه العقائد الأخرى المتعلقة بشخص المسيح عليه السلام ، ولاسيما عقيدة الصلب الفداء ، ويقررها النصارى كما يلي :

أنَّ الله – عز وجل – عندما أسكن آدم وحواء الجنة ، أمر آدم عليه السلام ألا يأكل من شجرة في الجنة ، ولكنَّ آدم أخطأ في حق الله تعالى ، وأكل منها ، فجلب على نفسه وعلى سائر ذريته بسبب تلك الخطيئة الطرد من الفردوس ، والخلود في نار جهنم ، ولم يعد حق العودة إلى الفردوس والتمتع بالملكوت ممكناً إلا بعد تكفير تلك الخطيئة ، ولكن تكفيرها لم يكن ممكناً بواسطة الإنسان ؛ لعجزه وتسلط الخطايا على طبعه ، ولكنَّ الله كان قادراً على أحد أمرين : إمَّا أن يعاقبه على جريمته ، أو يسامحه بسبب ضعف طبيعته . إلا أنَّ عقابه

يتضمن العدل ولكنَّه يهدر الرحمة ،كما أن العفو عنه بلا كفارة يتضمن الرحمة ولكنَّه يهدر العدل ، ولا يمكن إهدار إحدى الصفتين ؛ لأنَّه نقص في حق الخالق ؛ ولذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة يخلص بها الإنسان ويستوفي العدل الإلهي حقه ، وهي ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة الإلهية باشتراكها مع طبيعة الله نفسه ، حتى يتسنى لها التكفير عن الخطيئة ، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله ، وتأله طبيعته البشرية حتى تتم المصالحة بينه وبين الناس ، ولما حصل الجسد على كمال غير متناهٍ تيسر أن يكفر عن الخطيئة الغير متناهية ، وبذلك كانت هذه الوسيلة من أسمى الوسائل لأنَّها استوفت العدل والرحمة معاً ووفقت بينهما [1] .

وهذا التقرير يبين أنَّ عقيدة الخطيئة الجديَّة أساس العقائد النصرانية الأخرى التي تتعلق بالمسيح عليه السلام ، من القول بألوهيته ، وبنوته ، وتجسده ، وصلبه ، بل إنَّها نشأت لحل مشكلة هذه الخطيئة ،التي تعذر معها عقوبة آدم عليه السلام ، أو العفو عنه .

ويعتقد النصارى أنَّ هذه الخطيئة التي اقترفها آدم وحده ، وتاب منها ، وأخبر الله بقبول توبته قد ورَّثها لجميع البشر الذين ولدوا ، وحتى الذين لم يولدوا ، بل وحتى من جاء بعدما قدَّم عيسى عليه السلام نفسه للصليب فداء للبشر – كما يزعمون – .

يقرر بولس هذا المعنى بقوله : « من أجل ذلك كأنَّما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع »[2].

ويقول الفيلسوف "أوغسطين" [3]: « وبسبب وضعه المميز (آدم) في الفردوس ومسؤليته الشاملة كجد للبشرية كلها فقد انتقلت الخطيئة بالوراثة منه إلى جميع الناس »[4].

---

[1] انظر : موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة : (١/٢٤٣-٢٤٤) .

[2] الرسالة إلى أهل رومية : (١٢/٥).

[3] لاهوتي وفيلسوف نصراني ، وأحد كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية ، ولد شرقي الجزائر عام ٣٥٤ ، وأصبح معلماً ناجحاً للخطابة في قرطاجة ، ومزج العقيدة النصرانية بالفلسفة الافلاطونية ، ومن أهم مؤلفاته "الاعترافات" ، و "مدينة الله" ، و"في التثليث" ، توفي عام ٤٣٠م .انظر موسوعة الفلسفة ، د.عبدالرحمن بدوي : (١/١٤٧-١٤٩) .

[4] اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، الأب سليم بسترس : (١/١٠٨) .

نقد هذه العقيدة :

بعد أن بينت هذه العقيدة وسبب محوريتها في الدين النصـــراني ، نـــأتي إلى نقـــدها معتمدين على ما ورد في أناجيلهم بشكل أساسي ، ويمكن ردها من وجوه من أهمها :

١- أنَّ هذا التقرير الذي قرره النصارى في تصويرهم لهذه العقيدة يخالف مبدأ العـــدل الذي يقضي بأن يعاقب المخطئ على ذنبه هو دون غيره ، وهذا مما يتفق عليه جميع العقلاء ، وهو ما تقرره كتبهم المقدسة عندهم ومنها : « النفس التي تخطيء هي التي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون »[1] ، « لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل »[2]. فإذا كان هذا مقتضى العدل بنص كتبهم ، فإنهم قد خالفوا في تقريرهم لهذه العقيـــدة ما دلت عليه كتبهم .

٢- أنَّ هذه العقيدة المخترعة أتت لحل إشكالية الصراع الذي افترضه النصارى بـــين صفتي العدل والرحمة ، وبناءً على تقريرهم ؛ فإنَّه لم يتحقق من ذلك العـــدل ولم تتحقـــق الرحمة ، وبيان ذلك : أنَّ اتهام البريء وأخذه بجريرة غيره هو منتهى الظلم والقسوة ، وذلك يناقض العدل ويناقض الرحمة ؛ فالعدل يقتضي إيقاع العقوبة على الفاعل المخطئ دون غيره ، والرحمة تعني العفو عن المخطئ أو تخفيف العقوبة عنه ، والأمران لم يتحققا في هذه الحادثة فلم يحصل العفو عن المخطئ فتكون الرحمة ، ولم يُعاقب المخطئ الذي وقع منـــه الخطـــأ فيكون العدل .

٣- فلسفة هذه العقيدة تقوم على محاولة الجمع بين العدل والرحمة واجتماعهمـــا في وقت واحد وعمل واحد ، وهو من باب الجمع بين النقيضين بحسب فهم النصارى للعـــدل والرحمة ، وهو محال ؛ فلا يمكن أن يحدث في الوقت الواحد وفي الأمر الواحـــد إلا أحـــد الأمرين إما العدل وإما الرحمة، ، فلو حكم قاض على قاتل نفس بحكمين الأول : أن يقتـــل القاتل تحقيقاً للعدل ، والثاني : العفو عنه تحقيقاً للرحمة ، فإنه لا يمكن تحقيق الأمرين معـــاً ، بل لابد من أحدهما إما القتل أو العفو وهذا الأمر في غاية الوضوح لكل عاقل .

---

[1] حزقيال : (١٨/٢٠-٢١) .

[2] التثنية : (٢٤/١٦) .

٤- يلزم من هذه العقيدة لوازم تخالف الحقائق الثابتة التي دلت عليها النصوص عند النصارى ، ومنها ثناء الله تعالى على كثير من الأنبياء ممن لم يدركوا حادثة الصلب التي افتديت من أجلها البشرية ، فكيف يجتمع لهؤلاء كل هذا الثناء من الله تعالى وهم ملوثون بالخطيئة ؟! ، وقد جاء في التوراة الثناء على نوح عليه السلام : « وكان نوح رجلاً باراً في أجياله وسار نوح مع الله »[1] ، وإبراهيم « لا تخف يا إبرام إنا ترس لك ، أجرك كثيراً جداً »[2].

٥- أنَّ هذه العقيدة تخالف العقل الصريح من وجوه كثيرة ، ومنها :

أ – لا يؤاخذ البريء بجريرة غيره ويعاقب الإنسان بما لم يفعله .

ب – أنَّ العقوبة على الخطأ ينبغي أن تكون وقت الخطأ ،فلماذا لم يرسل الله ابنه الفادي إلا بعد هذه المدة الطويلة و لم يفعل ذلك في حينه .

ج – من هم الذين تحقق لهم الخلاص والفداء من الخطيئة هل هم الذين ماتوا قبل صلبه ؟ أم الذين عاينوا صلبه ، أم الذين جاءوا بعد هذه الحادثة ؟

ونجيب عنهم فنقول : أمَّا الذين ماتوا قبل أن يفتديهم فلاشك أنَّهم ماتوا ملوثين بخطيئتهم ، وأمَّا الذين جاءوا بعده ، و لم يدركوا هذه الحادثة فلا شك أنَّهم لم يدركوا الخلاص أيضاً ، و لم يبق ممن تحقق لهم الفداء إلا النسبة القليلة من البشرية ، وعلى ذلك ؛ فإنَّ أكثر البشرية قد وقعوا في الخسران ، وأصبحوا من أهل الجحيم . وهذا التقرير مبني على التسليم بعقيدتهم ، ونحن لا نسلم بذلك ، ولكن نذكره من باب التنزل في الجدال لمعرفة ما يترتب على أقوالهم من الضلال .

٦ – إذا كان الأمر كما ذكر النصارى ، فلماذا يعادون اليهود ، وينقمون عليهم ، وهم حققوا مشيئة الله ، وتحقق على أيديهم الخلاص من الخطايا ؟! .

٧ – نقض القرآن هذه العقيدة جملة وتفصيلاً .

أمَّا نقضه لها جملة فإنَّ القرآن صرَّح في آيات كثيرة جداً بأنَّ الإنسان لا يتحمل وزر غيره كقوله تعالى: ﴿ ى ى ي ي □ ﴾ النجم: ٣٨ . وهذه الآية وأمثالها تنقض مبدأ تلوث البشرية بخطيئة آدم الذي يزعمه النصارى .

---

[1] التكوين : (٦/٩).

[2] المصدر نفسه : (٢٤/١).

وأمَّا نقضه لها تفصيلاً ، فإنَّ القرآن أخبر بأنَّه قد عاقب آدم بإخراجه من الجنة ، وأنَّه قد قبل توبته بعدما ندم ، وطلب من الله أن يتوب عليه ، ويلزم من ذلك انتهاء خطيئـــة آدم عند هذا الحد ، وهذه هي القصة كما وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع ومنها هـــذه الآيات الـــتي تلخصـــها: ﭽ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ

□ □

ﯪ ﯫ ﯬ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼالبقرة: ٣٥ - ٣٧ .

ثانياً : عقيدة الصلب والفداء :

أهمية هذه العقيدة :

تنبع أهمية هذه العقيدة من كونها العقيدة المركزية التي تدور عليها الديانـــة النصـــرانية برمتها ، والأساس لكثير من العقائد عند النصارى ، كألوهية المسيح ، والتثليث ، ولأهميـــة هذه العقيدة أصبح الصليب رمزاً مقدساً عند النصارى [١] .

جاء في رسائل بولس :« ومن ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجـــل خطايانـــا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير ، حسب إرادة الله وأبينا الذي له المجد » [٢] .

ويقول عوض سمعان مبينا أهميتها مع عقيدة الخطيئة الجديَّة :« من المعلوم أنَّ الديانـــة المسيحية بجملتها تقوم أو تسقط بقيام فكرة الخلاص والخطيئة أو سقوطها »[٣]

ويقول البروفيسور جوردن مولتمان في كتابه عن الإله المصلوب : « إنَّ (وفاة) عيسى عليه السلام على الصليب هي عصب كل العقيدة (المسيحية) . إنَّ كل النظريات (المسيحية) عن الله ، وعن الخليقة ، وعن الخطيئة ، وعن الموت تستمد محورها من المسيح المصلوب . وكل النظريات (المسيحية) عن التاريخ ، وعن الكنيسة ، وعن الإيمان ، وعن التطهـــر ، وعـــن المستقبل ، وعن الأمل إنما تنبع من (المسيح المصلوب) [٤] .

وإذا نظرنا إلى كتب النصارى ، لاسيما أناجيلهم ، نجد أنَّها امتلأت بذكر هذه الحادثة وتفاصيلها بدءاً من القبض عليه ، ومحاكمته ، ثمَّ دفنه وقيامته ، فصعوده إلى السماء ، ونحن

---

[١] انظر : دراسات في النصرانية ، أ.د : محمود مزروعة ، ص: ١١١ .

[٢] رسالة بولس إلى أهل غلاطية : (١/٤-٥).

[٣] فلسفة الغفران ، ص : ١٢٩ .

[٤] نقلاً عن : كتاب مسألة صلب المسيح للداعية احمد ديدات – رحمه الله .

نتساءل مع كثرة هذه النصوص[1] هل يمكن أن تكون هذه القصة صحيحة ؟ ، وهل وقعت بالفعل كما يوحي بذلك تضافر هذه النصوص لدى النصارى جيلاً بعد جيل ؟

إننا إذا درسنا هذه النصوص نجد أنَّها تحمل في طياتها اختلافات كثيرة تزيد عمَّا فيها من الاتفاق ، وللتوضيح اضرب هذا المثال :

١- تختلف الأناجيل في تسمية عيسى عليه السلام لمن سيخونه من حوارييه فإنجيل متى (٢٦/٢٣-٥) ، ولوقا(٢٢/٢١) لم يحدد فيهما المسيح عليه السلام اسم الخائن ، وفي مرقس ويوحنا يحدد بأنَّه يهوذا الأسخريوطي .

٢- قول عيسى عليه السلام أنَّه يستطيع طلب جيش من الملائكة لحمايته مذكور في متى دون بقية الأناجيل .

٣- سقوط الجنود على الأرض أمام عيسى عليه السلام مذكور في يوحنا فقط .

وبعد ذكر هذا المثال اعلق بما يلي :

إذا كانت عقيدة الصلب أساس العقائد النصرانية فكيف تختلف النصوص في شأنها إلى هذه الاختلافات الكثيرة والتناقضات مع قوة الداعي لحفظها وتوثيقها ؛ إذ يترتب عليها خلاص للبشرية كلها . إنَّ ذلك برهان قاطع ببطلان تلك الحادثة ولكن هل بطلت من أصلها أم لا ؟.

موقف الإسلام من حادثة الصلب :

يتلخص موقف الإسلام من حادثة الصلب في أمرين :

أولهما: إثبات حادثة الصلب ، وأنَّها قد وقعت على الحقيقة .

ثانيهما: نفي أن يكون المصلوب هو عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنَّما هو شخص آخر ظن اليهود أنَّه المسيح ، وتفصيل ذلك كما يلي :

١- دل القرآن على وقوع المؤامرة من اليهود ، وأنهم سعوا لقتل المسيح عليه السلام .

٢- اقتضت حكمة الله عز وجل خذلان اليهود ونجاة نبيه عيسى عليه السلام ، وكانت وسيلة نجاته أنَّ الله تعالى ألقى شبهه على غيره فتم القبض على شبيهه لا عليه .

٣- أمَّا عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إليه وسلَّمه من مكر اليهود .

---

[1] وردت حادثة الصلب بتفاصيلها في جميع الأناجيل مما يدلل على أهميتها .

وهذه الآيات الكريمة تفصل ما سبق :

١- قال تعالى : ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ
ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ
آل عمران: ٥٤ - ٥٥

٢- قال تعالى : ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ
ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ
ﮜ ﮝ ﮞ ﭼالنساء: ١٥٧ - ١٥٨

٣- قال تعالى : ﭽﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ
ﮦ ﮧ ﮨ ﭼالمائدة: ١١٠ .

ولو قال قائل كيف يلقى شبهه على بريء ويقتل بسبب ذلك ؟ فالجواب : أنّ هـذا الشبيه إمَّا أن يكون مجرماً يستحق القتل فيكون ذلك عقوبة له ، وإمَّا أن يكون بريئاً فيكون قتله مصيبة من مصائب الدنيا ، ورفعة لدرجته في الآخرة ، وهذا مثل من يموت بـالغرق أو الحرق ، ونحوها . والله أعلم .

ثالثاُ : عقيدة ألوهية الروح القدس :

يعتقد النصارى أنَّ الروح القدس ، وهو الأقنوم الثالث عندهم إله ، وأنَّه مساوٍ للآب والابن في الجوهر ، وأنَّه مصدر الحكمة والبركة ، ومنبع النظام والقوة ، فهو مستحق للعبادة ، والمحبة والإكرام ، وإنكاره يعني إنكار التثليث برمته [1]

و لم تقرر هذه العقيدة في مجمع نيقيَّة – كأغلب العقائد النصرانية – ، وإنَّما تمت إضافتها إلى قانون الإيمان في مجمع القسطنطينية الأول ، وبها اكتملت أركان التثليث عنـد النصارى ، وطوائفهم متفقون على أصل هذه العقيدة ، ولكنَّهم يختلفون في انبثاق الـروح القدس على فريقين كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وعمدتهم في ذلك ما جاء في قانون الإيمان : « وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الابن مسجود له وممجد الناطق بالأنبياء »[1] .

---

[1] انظر : علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، المتنيح القمص ميخائيل مينا : (٨/٢) ، الروح القدس أقنوم إلهي ، هـ . ل . هايكوب ، ص : ١٨١ .

[1] انظر : مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م ، الأبوان ميشال أبرص و أنطوان عرب ، ص: ١٨٥ .

وإذا نظرنا إلى أناجيلهم المعتمدة عندهم لا نجد نصاً صريحاً يؤيد القول بألوهية الروح القدس ، ومع ذلك نجد أنَّ كثيراً من النصارى يستدلون بنصوص من الأناجيل ، بل ومن التوراة يزعمون أنَّها دالة على ألوهية الروح القدس .

وسنأخذ مثالاً على ذلك ما جاء في كتاب قانون الإيمان لكبير النصارى الأرثوذكس وهو البابا شنودة الثالث ، والذي قام فيه بشرح هذا القانون وحاول جاهداً إثبات ألوهية الروح القدس مستدلاً ببعض النصوص التي يزعم أنَّها تدل على مراده ، ومما ورد من أقواله في هذا الخصوص ما يلي [٢] :

١- « وكلمة الرب هنا تعني الإله . والمحيي تعني المعطي للحياة » .

٢- ومما يدل على لاهوت الروح القدس توبيخ القديس بطرس (الرسول) لحنانيا(زوج سفيرا) بقوله له : « لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس .. أنت لم تكذب على الناس بل على الله » [٣] .

٣-« وأيد هذا السيد المسيح نفسه بقوله للسامرية : الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » [٤] . فمادام الله روح ، إذاً هو الروح القدس ، كما هو الآب والابن .

٤- وقال أيضاً عند تفسيره لكلمة "المحيي" : « المعروف أنَّ الروح هو مصدر الحياة . إذاً فهو المحيي. ويظهر هذا من إحياء العظام ، حيث يقول حزقيال "النبي" كانت عليَّ يد الرب فأخرجني بروح الرب ، وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاماً .. وقال لي : يا ابن آدم أتحيا هذه العظام ؟ فقلت يا سيد الرب ، أنت تعلم ، فدخل فيهم الروح فحيوا .. وقال الرب : اجعل فيكم روحي فتحيون [١]

وهكذا يستمر هذا البابا في هذه المنهجية الغريبة في الاستدلال ، وأجمل الرد عل هذه العقيدة بما يلي :

---

[٢] انظر شرحه لهذه العقيدة في كتاب قانون الإيمان في الصفحات (٨٧- ٩٨) وقد اخترت منها بعض الشواهد .

[٣] أعمال الرسل : (٥/٣-٤) .

[٤] يوحنا : (٤/٢٤) .

[١] الشواهد من : حزقيال : (٣٧/١-١٤) .

١- لا نجد في نصوص كتابهم المقدس – عندهم - نصاً واحداً صريحاً يمكن أن يعتمد أو ينظر إليه على أنَّه دليل على إلوهية الروح القدس.

٢- أنَّنا نعلم يقيناً ، والنصارى يقرون بذلك أنَّ هذه العقيدة حادثة ؛ إذ لم تقر إلا عام ٣٨١م ، فكيف يؤمن النصارى بعقيدة بينها وبين صاحب الرسالة ثلاثة قرون ونصف ؟ ، وماذا عساهم أن يقولوا في كل نصراني مات قبل اعتناقها ؟ ، بل قبل معرفتها والتي من لم يؤمن بها لم يدخل في دينهم وعليه اللعنة من الكنيسة !. وماذا يقولون عن آباء الكنيسة و ورجالها الذين امتلأت كتبهم ببطولاتهم ومآثرهم وهم لم يدركوا هذه العقيدة ؟.

٣- ما ذكره النصارى من محاولات لإثبات هذه العقيدة هي محاولات يائسة، بل هي عند التأمل دليل على بطلان هذه العقيدة ، ولنناقش بعض ما قاله البابا شنودة في ذلك لنستدل به على بطلان ما عداه :

أ- أتى البابا شنودة بنصين ،لا دلالة فيهما على إلوهية الروح القدس وهما : « لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس.أنت لم تكذب على الناس بل على الله » ، « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » .

هذان هما النصان واستدلال البابا بهما استدلال بأمر محتمل لم يورد عليه دليلاً . أنَّنا يمكن أن نفهم النص الأول – لو صح - كما يلي : أنَّ من كذب على الروح القدس وهو جبريل فكأنَّما كذب على الله لأنَّه هو الذي أرسله .

أما النص الثاني وهو استنباط : « مادام الله هو روح إذاً هو الروح القدس » .

ونقول مجاراة للبابا شنودة ، لو افترضنا أنَّ الله روح بمعنى أنَّ من أسمائه الروح مثلاً فكيف يكون هو ذاته الروح القدس ؟ كيف يكون الاثنان شيئاً واحداً ؟ وإنَّنا نعلم أنَّ الاشتراك في الأسماء لا يوجب الاشتراك في المسميات فضلاً عن اتحادها أو صيرورتها شيئاً واحداً .

ب- أمَّا القصة التي أوردها عن النبي حزقيال ، فقد فصلها كما يشاء ، وأخذ منها ما يظنه محققاً لمراده ، ولكنَّه لم يفلح في تحقيق ذلك ، و لم يحافظ لنا على القصة كما جاءت في التوراة ، وإليك القصة كاملة كما هي :

«كانت عليَّ يد الرب ، فأخرجني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهـــي ملآنـــة عظاماً ، وأمرني عليها من حولها وإذا هي كثيرة جداً على وجه البقعة ، وإذا هي يابسة جداً . فقال لي:« يا ابن آدم ، أتحيا هذه العظام ؟ » فقلت : « ياسيد الرب أنت تعلم ».فقال لي : تنبأ عن هذه العظام وقل لها : أيتها العظام اليابسة ، اسمعي كلمة الرب : هكذا قال الســـيد الرب لهذه العظام : هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون . وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً ، فتحيون وتعلمون أني أنا الرب » [1]

هذه القصة كما وردت ، وعندما دراستهاا نجد أنَّها تحمل من الشواهد ما يدل علـــى إلوهية الله لا إلوهية الروح القدس ، ومن ذلك :

١- (تنبأ على هذه العظام وقل لها أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب) نلاحظ هنا أنه قال كلمة الرب و لم يقل كلمة الروح القدس.

٢- (هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون) و لم يقل الروح القدس .

٣- (وتعلمون أني أنا الرب) و لم يقل الروح القدس .

٤- (تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب) و لم يقل الروح القدس .

٥- (أدخل فيكم روحاً) و لم يقل روح القدس.

ونسأل البابا شنودة هل هذا هو الرب المحي المميت ، أم هو الروح القدس أيضاً ؟!.

أمَّا رد القرآن على ذلك فكل النصوص دالة على وحدانية الله تعالى وانفراده بالإلوهية وقد نفى عن نفسه الولد بل والشريك وحتى المعين فقال تعـــالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼالإسراء: ١١١

وقال في شأن الخلق سبحانه : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼالبقرة: ٢٥٩

[1] حزقيال : (٣٧/١-٦) .

الفصل الثاني

المراد بالتقديس

وفيه مبحثان

- ❖ المبحث الأول : المراد بالتقديس في اللغة والشرع
- ❖ المبحث الثاني : التقديس والقداسة عند النصارى

المبحث الأول

المراد بالتقديس في اللغة والشرع

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : معنى التقديس في اللغة
- المطلب الثاني : معنى التقديس في الشرع

المطلب الأول : معنى التقديس في اللغة :

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية لمعرفة معنى هذه الكلمة نجد ما يلي :

قال الجوهري - رحمه الله - : « القُدْس والقُدُس : الطُهر ، اسم ومصدر ، والتقديس : التطهير ، وتقدَّس : أي تطهر ، والأرض المقدَّسة : المطهرة » [١] .

وقال ابن منظور: « التقديس : تتريه الله عز وجل ، ويقال : القَدُّوس : فَعُّول من القُدْس ، وهو الطهارة ، والتقديس : التطهير والتبريك ، والقدس : البركة ، والأرض

[١] معجم الصحاح : (٣/٩٦٠-٩٦١) .

المقدسة الشام ، وبيت المقدس من ذلك أيضاً ، وهو يخفف ويثقَّل ، والنسبة إليه مقدَسـيٌّ ، ومقدَّسيٌّ . قال امروء القيس :

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا ، كما شبرق الولدان ثوب المقدَّسي .

أي أدركت الكلابُ الثورَ فأخذن بساقه ونساه ، وشبرقت جلده كما شبرق ولـدان النصارى ثوب الراهب المقدَّسي ، وهو الذي جاء من بيت المقدس فقطعوا ثيابه تبركاً بها ، ويقال للراهب مقدَّس ، وصبيان النصارى يتبركون به وبِمسح مِسحه الذي هـو لابسـه ، والمقدَّس : الحبر ، والمقدَّس : المبارك » [٢] .

وبما سبق يتبين لنا أن مادة « قَدَس » تعود إلى معنى التتريه، والتطهير ، والتبريك .

المطلب الثاني : معنى التقديس في الشرع :

أولا: ألفاظ التقديس في القرآن الكريم :

وردت لفظة التقديس في القرآن الكريم في عشرة مواضع ، متضمنةً أربعة معاني :

المعنى الأول : أنَّ التقديس حق لله تعالى :

ولذلك أخبر الله عز وجل بأنَّ من أسمائه القدوس ، كما في قوله تعـالى : ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼالحشر: ٢٣و قوله : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼالجمعة: ١

---

[٢] لسان العرب : (٧/ ٢٦٧،٢٦٨) ، مادة قدس .

قال ابن جرير — رحمه الله – في الآية الأولى : « والقُدُّوس اسم من أسماء الله تعـــالى ، ومعناه : المبارك » [1] ، وقال في الآية الثانية : « وقيل الطاهر من كل مـــا ينســـبه إليـــه المشركون [2] .

وأخبر الله تعالى بأنَّ الملائكة تقدس له كما في قوله عنهم :ﭼ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼالبقرة: ٣٠ .

والتقديس لله تعالى يعود معناه إلى وصفه تعالى بصفات الكمال ، وتتريهه عما لا يليق به من النقائص والعيوب .

قال ابن جرير – رحمه الله – تعالى في هذه الآية: « ونقدِّس لك : أي ننسبك إلى مـــا هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس ، وما أضاف إليك أهل الكفر بك » [3].

المعنى الثاني : وصف جبريل عليه السلام بأنه روح القدس :

وقد ورد ذلك في أربعة مواضع من القرآن ، وهي كما يلي :

قوله تعالى : ﭼﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘ ﭼالبقرة: ٨٧ وقوله : ﭼ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼالبقرة: ٢٥٣ وقوله : ﭼﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼالمائدة: ١١٠ . وقوله : ﭼ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﭼالنحل: ١٠٢ .

وروح القدس في هذه الآيات هو جبريل عليه السلام ، كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «... إنَّ روح القدس نفث في روعي ، أنَّ نفساً لن تمـــوت حـــتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .. » [1] .

المعنى الثالث : وصف الوادي الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام بالمقدس :

---

[1] جامع البيان في تأويل آي القرآن: (١٤/٧٠) .

[2] المصدر نفسه : (١٤/١١٩) .

[3] المصدر نفسه : (١/٣٠٤) .

[1] أخرجه أبو نعيم في الحلية : (١٠ / ٢٦) ، وصححه الألباني ، صحيح الجامع الصغير : (١ / ٤٢٠) برقم : ٢٠٨٦ – ٩٤٠) .

كما في قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چطه: ١٢ ، وقوله: چ □ □ ى ى ي ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ چالنازعات: ١٥ - ١٦ . ومعنى المقدَّس : أي المطهر المبارك ، كما فسره بذلك ابن جرير رحمه الله تعالى [٢] .

المعنى الرابع : وصف الأرض التي أمر موسى عليه السلام قومه بدخولها بالمقدسة :

وقد ورد هذا الوصف في موضع واحد ، وهو قوله تعالى : چ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چالمائدة: ٢١ .

ومعنى الأرض المقدسة : أي المباركة ، وذكر ابن جرير رحمه الله اختلاف المفسرين في تعيين هذه الأرض على أقوال منها : أنها الطور وما حوله ، وقيل الشام ، وقيل أريحا ، وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، ثم قال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : هي الأرض المقدسة ، كما قال نبي الله موسى عليه السلام . لأنَّ القول في ذلك بأنَّها أرض دون أرض ، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به ، غير أنَّها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالإخبار عن ذلك » [٣] .

ثانياً : ألفاظ التقديس في السنة :

جاء ذكر التقديس في السنة كما يلي :

١- الأمر بالتقديس لله تعالى : يدل على ذلك ما ورد عن حميصة بنت ياسر ، عن يسيرة ، اخبرتها : « أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم : أمرهن أن يراعين بالتكبير ، والتقديس والتهليل ، وأن يعقدن بالأنامل ، فإنهن مسؤلات مستنطقات » [١] .

والتقديس هنا هو ذكر الله تعالى باسمه القدوس ، ومما يدل على ذلك ما يلي :

---

[٢] ذكر ذلك عند تفسيره لآية (طه) : (٩/ ١٨٢) ، وآيه النازعات : (١٥/ ٤٩).

[٣] جامع البيان : (٤/ ٢٣٤-٢٣٥) .

[١] أخرجه أبو داود ، كتاب الدعوات ، باب التسبيح بالحصى ، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود : (١/ ٢٨٠).

عن شريق الهوزني ، « دخلت على عائشة فسألتها بما كان رسول الله ﷺ يفتتح إذا هبَّ من الليل ؟ فقالت لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، كان اذا هبَّ من الليل كبر عشراً ، وحمد عشراً ، وقال : "سبحان الملك القدّوس" عشراً ، واستغفر عشراً ، وهلّل عشراً ، ثمَّ قال : اللهمّ إنِّي أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة عشراً ، ثمَّ يفتتح الصلاة » [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبّوح قدّوس رب الملائكة والروح » [٣] .

وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا سلم في الوتر قال : « سبحان الملك القدّوس » [٤] .

وفي رواية : أنه كان يقول ذلك ثلاثاً [٥] .

ومما سبق نجد أنَّ هناك أربعة مواضع في الصلاة يسن فيها تقديس الله عز وجل ، وهي الاستفتاح ، والركوع ، والسجود ، وبعد السلام في صلاة الوتر .

٢- الرقية الشرعية تتضمن تقديس الله عز وجل :

عن فضالة بن عبيد الأنصاري ﷺ قال : علمني النبي ﷺ رقية وأمرني أن أرقي بها من بدا لي قال لي : قل : « ربنا الذي في السماء ، تقدّس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، اللهم كما أمرك في السماء ، فاجعل رحمتك علينا في الأرض ، اللهمّ رب الطيبين ، اغفر حوبنا ، وذنوبنا ، وخطايانا ، ونزّل رحمة من عندك ، وشفاء من شفائك على ما بفلان من شكوى فيبرأ . قال : وقل ذلك ثلاثاً ، ثم تعوّذ بالمعوذتين ، ثلاث مرات » [١] .

---

[٢] أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا سبح ، وقال عنه الألباني رحمه الله : (حسن صحيح) ، صحيح سنن أبي داود : (٩٥٨/٣) .

[٣] أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، وصححه الألباني رحمه الله . صحيح سنن أبي داود : (١٦٥/١).

[٤] أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : الدعاء في الوتر ، وصححه الألباني ، صحيح سنن أبي داود : (٢٦٨/١) .

[٥] أخرجه الإمام احمد في مسنده من حديث عبدالرحمن بن ابزى الخزاعي برقم (١٥٤٢٧) .

[١] أخرجه الإمام احمد من حديث فضالة بن عبيد الإنصاري برقم (٢٤٤٥٧) .

٣- لا تُقدَّس أمَّة لايؤخذ فيها للضعيف من القوي :

عن جابر رضي الله عنه قال : لما رجعت إلى رسول الله مهاجرة البحر قال : ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ قال فتية منهم بلى يا رسول الله ! بينما نحن جلوس ، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم [٢] تحمل على رأسها قُلَّة من ماء فمرت بفتيّ منهم ، فجعل أحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها ، فخرّت على ركبتيها فانكسرت قلَّتها ، فلمَّا ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم ، ياغدر ! إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً . قال : يقول رسول الله ﷺ : « صدقت صدقت ، كيف يقدِّس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم ؟! » [٣] .

وفي رواية : « لا قُدِّست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع » [٤]

والتقديس هنا بمعنى التطهير من الدنس والآثام ، كما جاء في شرح الحديث السابق [٥]

٤- يقدِّس الإنسانَ عملُه .

عن يحي بن سعيد ، أنَّ أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي : أن هلمّ إلى الأرض المقدَّسة . فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدِّس أحداً ، وإنما يقدِّس الإنسانَ عملُه » [١]

ومعنى لا تقدِّس : أي لا تطهره من ذنوبه ، ولا ترفعه إلى أعلى الدرجات [٢] .

خلاصة في معنى التقديس وتعريفه :

[٢] رهابين : جمع راهب ، ويقال في الجمع أيضاً رهابنة ، والمشهور رهبان كما جاء في التتريل . النهاية في غريب الحديث : ابن الأثير (٢٨١/٢) ، مادة (رهب) .

[٣] أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه : (٣١٣/٣ - ٣١٤) .

[٤] أخرجه ابن ماجة ، كتاب الصدقات ، باب : لصاحب الحق سلطان ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة : (٢٨٢/٢) .

[٥] سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن - باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : (١٣٢٩/٢) .

[١] أخرجه الإمام مالك في الموطأ ، كتاب الوصية ، باب : جامع القضاء وكراهيته .

[٢] الموطأ للإمام مالك : (٥١٩/٢) .

إذا نظرنا إلى المعاني الشرعية لمعنى التقديس نجد أنها لا تختلف عن المعاني اللغوية لهـذة الكلمة ، فهي دائرة حول معنى التطهير ، والتتريه ، والتبريك ٠ويظهر لي مما سبق أنَّ الضابط في إطلاق التقديس على شيء هو الوقوف على ما ورد عليه الدليل ، كما جاء في وصـف الوادي المقدس ، والأرض المقدسة ، ونحو ذلك ، لأن الوصف بالتقديس حكم ، وذلك لا يعلم إلا من جهة الشرع ٠ والله أعلم ٠

المبحث الثاني

التقديس والقداسة عند النصارى

وفيه مطالب

- المطلب الأول : معنى التقديس والقداسة
- المطلب الثاني : أهمية التقديس والقداسة عند النصارى

• المطلب الثالث : المقدسون من الأشخاص عند النصارى

المطلب الأول : معنى التقديس والقداسة :

مدخل :

يحتل موضوع التقديس – على وجه العموم – حيزاً كبيراً في الديانة النصرانية ، وقد أصبح مصطلح "التقديس" و"القداسة" ، من أكثر المصطلحات تداولاً بينهم ، ولا غرابة في ذلك – بالنسبة لهم – حيث إنَّ نظرة سريعة إلى أهم مصادر ديانتهم ، وهو ما يسمى بالكتاب المقدس نجد أنَّ مصطلح القداسة ، ومرادفاته من أكثر المصطلحات ترداداً في هذا الكتاب في عهديه القديم والجديد .

معنى التقديس والقداسة :

القداسة والتقديس كلمتان مترادفتان عند النصارى ، وهما ترجمة لكلمـــة واحـــدة في اللغتين اليونانية والعبرية [١] . ومن الألفاظ المرادفة لهذه الكلمة الطهارة والكمال [٢] .

وأمَّا تعريف القداسة ، فقد عرَّفها النصارى بعدة تعريفات ، تعود إلى ما يلي :

التعريف الأول : « التقديس بالمعنى اللاهوتي هو جعل النجس الخاطئ مقدساً ، إنَّـــه عمل النعمة الإلهي التدريجي في النفس المبررة بواسطة محبة المسيح . فالمؤمن يتطهر بالتدريج من فساد طبيعته ، وفي النهاية يقف أمام مجده بلا عيب في الابتهاج » [٣] .

التعريف الثاني : « التقديس هوالعمل الذي به يفرز الله الذين يدعوهم ، ويخصصـــهم لنفسه » [٤] .

التعريف الثالث : « القداسة هي الخلاص الكامل من الخطيئة » [٥] .

التعريف الرابع : « القداسة هي المحبة الكاملة التي لابد أن تطرد من القلب كل بغضة ، وكل ميل شرير مضاد للمحبة » [1] .

التعريف الخامس : التقديس: تكريس الشيء أو الشخص لاستعمال المقدس [2]

خلاصة هذه التعاريف :

من خلال هذه التعاريف نجد أنَّ القداسة تدور حول المعاني الرئسية التالية:

١- الانتقال من النجاسة إلى الطهارة :

---

[١] انظر : القداسة الوهمية والحقيقية ، هنري أيرنسايد ،ص: ٤٤ .

[٢] انظر : إيمان الكنيسة الأولى ، طبع أرسالية كنيسة الله بمصر ،ص:٢٤ .

[٣] القداسة الوهمية والحقيقية ، هنري أيرنسايد ، ص: ٤٣ .

[٤] اتبعوا القداسة ، مارك تابر نو ، ص:١١ .

[٥] الطريق إلى القداسة ، صموئيل برنجل ،ص:٢٠ .

[1] المصدر السابق ، ص:١٠ .

[2] قاموس الكتاب المقدس ، لنخبة من اللاهوتيين ، ص:٧١٨ .

ويتصف هذا الانتقال بكونه يتم بمحبة المسيح في نظرهم ، وأنَّه تدريجي ، ويؤدي إلى الطهارة الكاملة .

٢- بمعنى المحبة التي ينتفي معها كل ما يضادها .

٣- تكريس المواد المستعملة عندهم من أجل استخدامها .

نقد هذه التعريفات :

مما سبق ذكره يتضح لنا أنَّ القداسة تشتمل على معانٍ باطلة ، منها ما يتعلق بالطهارة من الخطيئة الجدِّية ، وهي عقيدة باطلة كما بينت ذلك من قبل ، ومن المعاني الباطلة أيضاً ما يعبرون عنه بالشراكة مع الله ، وهي تتضمن رفع المسيح عليه السلام إلى درجة الألوهية ، ثمَّ عبادته من دون الله ، ومن المعاني الباطلة كذلك تخصيص بعض الأشياء باستعمالات خاصة مثل الأواني وسائر الأدوات المستخدمة في الكنيسة، وهو ما يسمى عندهم بالاستعمال المقدس .

وهناك بعض المعاني الصحيحة للقداسة مثل الطهارة من النجاسة ، والمحبة لله التي تطرد كل ما يضادها ، ولكنَّ النصارى في واقع الأمر أبعد ما يكونون عن تحقيق هذه المعاني ، بل إن ديانتهم قائمة على مناقضة هذه المعاني ، فهم أهل الشرك بالله ، وهم أهل النجاسات المنافية لمعنى الطهارة .

كيفية حصول النصراني على القداسة :

يرى النصارى أنَّ القداسة تحصل بثلاثة أمور :

الأول : التقديس الذي حصل بدم المسيح – كما يزعمون - ، ويعبرون عنه أيضاً بالذبيحة ، ويعنون به تقديم المسيح نفسه على الصليب لتكفير الخطيئة بزعمهم .

يقول أيرنسايد عن هذا العمل (العظيم برأيه) : « وبفضل هذه الذبيحة يصير المؤمن مفرزاً لله ، ضميره مطهر ، وهو نفسه قد تحول من خاطئ أثيم إلى عابد مقدَّس ، وأصبح متمتعاً بالعلاقة المستمرة بشخص الرب يسوع المسيح »[1] .

---

[1] القداسة الوهمية والحقيقية ، ص:٥٩ .

وحصول التقديس بهذه الذبيحة عند النصارى يستند إلى ما جاء في رسالة بولس إلى العبرانين : « لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب » [٢].

وهذا التقديس عند النصارى أبدي ، بمعنى أنَّه لا يتكرر مرة أخرى ؛ لأنَّ المسيح عليه السلام قد أكمل هذا العمل تماماً « لأنَّه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المُقدَّسين » [٣] .

الثاني : التقديس بالروح القدس : وهذا التقديس هو عمل إلهي في داخل الإنسان ، وهو تدريجي يستمر طول حياة النصراني إلى مجيء الرب .

يقول هنري أيرنسايد مبيناً اثر هذا التقديس : « وبواسطة نار الروح المقدسة المطهرة التي تحرق كل زغل عندما يوضع الكل على مذبح التكريس وهو عمل ثاني للنعمة متميز ويتلو التبرير وبدون يصبح التبرير قابلاً للضياع » [٤] .

الثالث : التقديس بكلمة الله ، وهو تدريجي يستمر طول مدة الحياة ، ولكنَّه خارجي أي يتعلق بسلوك النصراني ، وطرقه وهو النتيجة الظاهرة للتقديس بالروح القدس .
والتقديس بكلمة الله هو ما يتعلمه النصراني من كتابه الذي يعتقد أنَّه كلام الله ، ويحدث ذلك كل يوم .

وحقيقة التقديس عند النصارى هي الإيمان بأنَّ المسيح عليه السلام هو الرب ، ونهاية ذلك الاتحاد به ، وهم يرون أنَّ الإيمان به – على الوجه المذكور شرط لحصول القداسة ، ويعتمدون في ذلك على ما جاء في أسفارهم ، ومنها ما جاء في سفر الأعمال : « حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين »[١] .

يقول تشارلس ماكنتوش شارحاً هذا النص « فالإيمان هنا معتبر أنَّه واسطة التقديس لأنَّه يقربنا بالمسيح . والخاطئ الذي يؤمن بالرب يسوع المسيح يقترن به في الحال فيصير واحداً فيه ، كاملاً فيه ، مقبولاً فيه وهذا هو التقديس الحقيقي والتبرير الصحيح » [٢] .

---

[٢] الرسالة إلى العبرانيين : (١٣ / ١٢) .

[٣] الرسالة إلى العبرانين (١٠/ ١٤)

[٤] القداسه الوهمية والحقيقية ، ص:٤٤ .

[١] أعمال الرسل : (٢٦ / ١٨) .

[٢] التقديس وما هو ؟ ص:١٣ .

ويقول أيضاً : « ولكنَّ اختبارنا صحة هذا الحق ونمونا في إدراك معنى التقديس يقودنا إلى أن نفهم جلياً أنَّ ذلك ليس عملاً تدريجياً يجريه الروح القدس فينا بل هو نتيجة إتحادنا بالمسيح بحيث اشتركنا في كل ملئه » [٣].

وهذا التقديس غايته أن يصبح الشخص مثل المسيح : « ومتى أتى الخاطئ إلى المسيح وآمن به فقد انتقل من وجوده الأول في الجسد ومتعلقاته ، وأصبح في المسيح والله لا يعود يراه إلا في المسيح ومثله ، لأنَّه أصبح واحداً معه » [٤] .

ومما يؤكد أنَّ التقديس لا يحصل إلا بالاتحاد بالمسيح ، ما صرح به أصحاب قاموس الكتاب المقدس : « ويحصل التقديس بالإتحاد بالمسيح بالإيمان ، بحيث يقبل المؤمنون الحق فيسكن فيهم » [٥].

ويظهر لي من هذه النصوص أنَّ القداسة عند النصارى لا تتحقق إلا بالشرك ؛ فهي قائمة على أساس ربوبية المسيح ، ثم إنَّها تفضي إلى الاتحاد به (حسب زعمهم) فيكون الشخص « مثله »، « ومعه » ولا ندري كيف يتحقق هذا الاتحاد بين النصارى وبين من رفعه الله إليه ؟! .

المطلب الثاني : أهمية التقديس والقداسة عند النصارى:

تبرز أهمية القداسة عند النصارى من خلال الأوجه التالية :

١- كثرة ورود ذكر هذا المصطلح فيما يسمى بالكتاب المقدس :

يعتبر النصارى أنَّ فكرة القداسة هي فكرة كتابية (أي مستمدة مما يسمى بالكتاب المقدَّس) ، وقد وردت كلمة "مقدس" بمشتقاتها المختلفة أكثر من ستمائة مرة في ذلك الكتاب [١] .

---

[٣] المصدر نفسه ، ص:١٤ .

[٤] المصدر نفسه ،ص:٢٠ .

[٥] قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين ، ص: ٧١٨ .

[١] اتبعوا القداسة ، جبري بريد جز ، ص:٨ .

٢- فكرة القداسة هي الفكرة الرئيسية لما يُسمى بالكتاب المقدس :

يعتبر النصارى أنَّ هذه الفكرة " القداسة " هي النسيج في كل أجزاء الكتاب لأنَّها عين ما يطلبه الرب منهم ، فالرب يطلب منهم بكل تحديد أن يكونوا قدِّيسين ، وقد جاء هـذا الطلب في سفر لاويين : « إني أنا الرب إلهكم فتتقدسون ، وتكونون قدِّيسين ، لأنَّـي أنـا قدوس ، ولا تنجسوا أنفسكم بدبيب يدب على الأرض ... إني أنا الرب الذي أصعدكم من مصر ليكون لكم إلها . فتكونون قدِّيسين لأني أنا قُدُّوس »[٢] .

وهناك نصوص أكثر تصريحاً بالأمر بالقداسة من هذا النص منها ماجـاء في رسـالة بطرس الأولى : « بل نظير القُدُّوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضا قدِّيسين في كل سيرة لأنَّه مكتوب : « كونوا قدِّيسين لأني أنا قُدُّوس »[٣].

يتحدث الكاتب النصراني جبري "بريدجز" عن عموم هذا الأمر (الأمر بالقداسـة) لجميع النصارى قائلاً :« لقد دعا الله كل مؤمن لحياة القداسة ، ولا يوجد من يستثنى مـن هذه الدعوة ، إنَّها دعوة ليست فقط للخدام والمرسلين ومدرسي مدارس الأحد المكرسين ، بل لكل مؤمن سواءً كان غنياً أو فقيراً ، متعلماً أو جاهلاً ، مشهوراً أو مغمـوراً الجميـع مدعون لان يكونوا مُقدَّسين » [٤] ، ثم يربط الأمر بالدعوة إلى القداسة بناءً على مـا ورد في النص السابق على أساس أنَّ الله قدوس ، فيقول : « إنَّ الدعوة للحياة المقدسة مبنية على حقيقة أنَّ الله قدوس ، ولأنَّه قدوس فهو يطالبنا بأن نكون قدِّيسين »[١] .

المطلب الثالث : المقدسون من الأشخاص عند النصارى :

إذا كانت القداسة احتلت حيزاً كبيراً في الديانة النصرانية ؛ فإنَّ تقديس الأشخاص قد احتل الحيز الأكبر منها ، وهو محور القداسة فيها .

---

[٢] سفر لاويين : (١١، ٤٤، ٤٥)

[٣] رسالة بطرس الأولى : (١ ، ١٥-١٦).

[٤] اتبعوا القداسة ، ص:١٦ .

[١] المصدر السابق ، ص:١٦ .

ومن خلال البحث في كتاب النصارى المقدس – عندهم – نجد أنَّ تقديس الأشخاص قد نال حظاً كبيراً بين ألفاظ التقديس ، وقد جاء لفظ تقديس الأشخاص بصيغ مختلفة في كتابهم المقدس في سبعة وثمانين موضعاً ، وهي على النحو التالي :

١– قدِّيس (بصيغة المفرد) ، وقد ورد هذا اللفظ مرتين .

٢– قدِّيسوا ، قدِّيسين ، قدِّيسى ، ورد احدى وعشرين مرة .

٣– القدِّيسيون ، القدِّيسين ، ورد ثلاثاً وستين مرة .

٤– قدِّيسات ، ورد مرة واحدة .

وإذا نظرنا أيضاً في هذا الكتاب ، نجد أن المقدَّسين على نوعين :

النوع الأول : المقدَّسون في السماء : ويعتقد النصارى أن المقصود بهم الملائكة ، وقد جاء ذكرهم في كتابهم في ثمانية مواضع ، وليس هذا موضع بحثنا .

النوع الثاني : المقدَّسون من البشر : ويطلق على الفرد منهم لقب "قدِّيس" ، وهي بحسب اعتقاد النصارى : « تطلق على الذين حصلوا من البشر على شيء من القداسة » [٢] .

يقول أصحاب قاموس الكتاب المقدس : « وعلى هذا المعنى عند النصارى فإنَّ جميعهم قديسون بمعنى أنَّهم قد نالوا الخلاص ، وقد امتلأوا بالروح القدس » [٣] .

وهذا النص يبين أنَّ جميع النصارى يطلق عليهم (قدِّيسون) ، وهذه القداسة يكتسبها النصراني بالتمثل بيسوع ، وباكتساب شيء من صفاته بشدة التصاقه به [٤].

استعمال مصطلح القدِّيس وتطوره :

يقول أصحاب معجم اللاهوت الكتابي : « القدِّيس بمعناه المطلق نادر في العهد القديم ، وكان مقصوراً على مختاري الأزمنة الأخيرة في ذلك العهد ، أمَّا في العهد الجديد فيستعمل للدلالة على (المسيحيين) ...وقد أطلق هذا المصطلح في البدء على أعضاء الجماعة الأولى

---

[٢] قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين ، ص : ٧١٩ .

[٣] المصدر نفسه ، ص: ٩١٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص : ٧١٨ .

في أورشليم ، وبخاصة على المجموعة الصغيرة التي حل عليها الروح القدس يوم العنصرة ، ثمَّ أخذ استعماله يمتد ليشمل الإخوة في اليهودية ثمَّ جميع المؤمنين » [١] .

وهذا النص يبين أن لفظ (القدِّيس) كانت بداية إطلاقه علـــى اليهـــود ، ثمَّ كـــان انتشاره وتوسعه على يد النصارى ، حتى أصبح يطلق على كل نصراني .

المراد بتقديس الأشخاص في هذا البحث

بعد أن بينت معنى التقديس والقداسة عند النصارى ، ينبغي تحديد المـــراد بتقـــديس الأشخاص في هذا البحث ، ولتوضيح ذلك يمكن أن اختار التعريف التالي :

تقديس الأشخاص عند النصارى هو كل غلو في الأشخاص من حيث الاعتقاد أو أو القول أو العمل .

وبناء على هذا التعريف ، سوف يتناول هذا البحث ما يلي :

١. تقديس عيسى ابن مريم عليه السلام .
٢. تقديس مريم عليها السلام .
٣. تقديس من يطلق عليهم النصارى الرسل .
٤. تقديس الباباوات
٥. تقديس بعض رجال الدين .

الفصل الثالث
جذور تقديس الأشخاص

[١] معجم اللاهوت الكتابي ، لجة بإشراف الأب فاضل سيداروس اليسوعي ، ص : ٦٢٣ .

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

- ❖ المبحث الأول : تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية
- ❖ المبحث الثاني : تقديس الأشخاص في الديانة الهندية
- ❖ المبحث الثالث : تقديس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة
- ❖ المبحث الرابع : تقديس الأشخاص عند اليونان والرومان

تمهيد :

خلق الله سبحانه وتعالى البشر مفطورين على توحيده والإيمان به ؛ ولذلك أخذ عليهم الميثاق بعبادته وحده لا شريك له ، وكان الناس على هذه الفطرة السوية والعقيدة الصحيحة حتى ظهرت أول بذرة لتقديس الأشخاص في عهد قوم نوح عليه السلام ، وكان أول المقدَّسين من الأشخاص هم ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وهم رجال صالحون كانوا قبل

بعثة نوح ﰇ ، فلمَّا ماتوا اهتبل الشيطان الفرصة ، ونفذ من خلالها إلى عقـــول وقلـــوب أتباعهم ، فزين لهم أن ينصبوا لهم أنصاباً ليكون ذلك أشوق لهم على العبادة إذا ذكروهم ، فوقعوا في حبائل الشيطان .

ولما وقعوا في الشرك ، وانتشرت عبادة الأوثان ، أرسل الله ﻷ إليهم نبيه نوحاً ﰇ لينذرهم قبل أن يحل بهم العذاب الأليم ، فدعاهم ﰇ بكل الطرق ، وما زادهم ذلـــك إلا استكباراً ، حتى استحقوا عقاب الله ﻷ ؛ فأهلكهم الله بالطوفان ، ونجَّى نوحاً ﰇ ومـــن اتبعه من المؤمنين .

قـــال الله تعـــالى : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼنوح: ٢١ – ٢٤ .

قال ابن عباس عن هذه الآية : « أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلمَّـــا هلكـــوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلســـون أنصـــاباً وسمّوهـــا بأسمائهم ففعلوا . فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت »[(١)] .

وقال محمد بن قيس : (كانوا قوماً صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلمَّا ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوّروهم ، فلمَّا ماتوا ، وجاء آخرون دبَّ أليهم إبليس ، فقال : إنَّما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر فعبدوهم)[(٢)] .

ويتبين مما سبق ذكره عن قوم نوح ﰇ خطورة تقديس الأشخاص والغلو فيهم وأثر ذلك على التوحيد ، وذلك من خلال الأمور التالية :

١- أنَّ أول شرك حدث في الأرض وطرأ على البشرية كان بسبب الغلـــو في محبـــة الصالحين .

٢- أنَّ هذا الانحراف كان أول ما غُير به دين الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب التفسير ، باب (وداً ولا سواعا...) برقم : (٤٩٢٠) .

(٢) ذكره ابن جرير عند تفسير هذه الآية : (١٤/١٢٢).

٣- علاقة تقديس الأشخاص بظهور عبادة الأصنام ؛فقد كان تقديس الصالحين هو السبب المباشر في عبادة الأصنام التي وضعت في الأصل لأجلهم [١] .

المبحث الأول
تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية
وفيه مطالب

• المطلب الأول : تعريف المجوسية والزرادشتية

[١] انظر : غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية ، ثامر الغشيان ، ص:٤٠ ، بتصرف واختصار .

- المطلب الثاني : تقديس الفرس للجنس الفارسي
- المطلب الثالث : تقديس الفرس للملوك
- المطلب الرابع : تقديس الفرس لبعض الأشخاص

أولاً : المجوسية :

المجوس هم غالب الفرس ، والمجوس: جمع مفرده مجوسي ، وهو من يدين بالمجوسية ويعتنقها .

والمجوسية ديانة وثنية ثنوية تعتقد بوجود أصلين للكون أحدهما للخير أو النور ، ويطلق عليه بالفارسية (أهورا مزدا) ، وإله للشر أو الظلمة ، ويطلق عليه (أهريمان) ، وتقرر هذه

الديانة وجود صراع دائم بينهما إلى قيام الساعة ، والتي تقوم عندهم عند انتصار إله الخير على إله الشر ، وينبغي للمجوسي ، بناءً على ما سبق فعل الخير وترك الشر ومحاربته لتحقيق انتصار إله الخير في معركته الدائمة ضد إله الشر [1] .

وأمَّا سبب تسميتهم بهذا الاسم ، فأشهر ما قيل في ذلك ، أنَّه وصف لرجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا إليه ، وقيل إنَّها نسبة إلى قبيلة من قبائل الفرس ، أو أنَّها وصف لعبدة النار [2] .

ومن أهم شعائر المجوس تعظيم النار باعتبارها رمزاً لإله النور ، الذي يمثله في السماء الشمس والقمر ، وفي الأرض النار ، ولأنَّها – باعتقادهم – جوهر شريف علوي تنجيهم في المعاد من عذاب النار ، ولأنَّها لم تحرق إبراهيم عليه السلام [3]

ثانياً : الزرادشتية :

تنسب الزرادشتية إلى مؤسسها زرادشت ، الذي ولد على القول الراجح سنة ٦٦٠ قبل الميلاد بأذربيجان إحدى مقاطعات ميديا على مقربة من بحيرة أورميا في القسم الغربي من بلاد فارس [4] .

ويزعم الزرادشتيون أنَّ الإله (أهورا مزدا) أوحى إلى زرادشت بكتاب (الأبستاق) ، ومعناه : الأصل أو المتن ، وهذا الكتاب كان يشتمل على واحد وعشرين سفراً ويتكون من ألف فصل ، ويتحدث عن عقائد هذه الديانة الزرادشتية ، وعبادتها ، وشرائعها وتاريخها ، وتاريخ نبيها (بحسب اعتقادهم) ، وقد فقدت نسخه بعد غزو الإسكندر لفارس سنة ٣٣٠ ق.م و لم يبق منها إلا ما كان في حوافظ من يسمى بـ(رجال الدين) [1] .

تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية :

أولاً : تقديس الفرس للجنس الفارسي :

---

[1] انظر : الملل والنحل ، الشهرستاني : (٢٦٠/٢)

[2] انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ،ص:٧٤٠ ، ، ولسان العرب ، لابن منظور : (٢٠٩/٨) .

[3] انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم : (٢٨٧/٢)

[4] انظر :الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، علي وافي ، ص:١٥٠ .

[1] هذا المصطلح بحسب اعتقادهم ، وليس في الإسلام رجال يختصون بالدين دون غيرهم .

يقدِّس الفرس القومية الفارسية حيث إنَّهم « يرون الجنس الفارسي أفضل الأجناس على الإطلاق ، ومن جميع الوجوه ، وهم يعتقدون أنَّ غيرهم من الأمم يقتربون من الكمال بحسب قرب موقعهم الجغرافي من بلاد فارس وأنَّ شر الناس أبعدهم عنها » (٢) .

ويفسر الإمام أبو الحسن الندوي ذلك قائلاً : « ويرون أنَّ لها فضلاً على سائر الأجناس والأمم وأنَّ الله قد خصهم بمواهب ومنح لم يشرك فيها أحداً ، وكانوا ينظرون إلى الأمم حولهم نظرة ازدراء وامتهان ، ويلقبونها بألقاب فيها الاحتقار والسخرية » (٣) .

ومن الأدلة على وجود هذه النظرة لدى الفرس وبقائها حتى مجيء الإسلام ؛ موقف كسرى بن هرمز من كتاب رسول الله ﷺ ، حيث مزق خطابه وبعث إلى باذان — نائبه في اليمن — وأمره أن يسير إليه ويستتيبه فإن تاب وإلا فليبعث برأسه إليه (٤) .

وقد عبّر يزدجرد ملك الفرس عن هذا المعنى في خطابه المشهور للمسلمين عندما أرسل إليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه طائفة من أصحابه ، وذلك قبل معركة القادسية ، ومن ضمن ما قاله يزدجرد : « إنِّي لا أعلم في الأرض أمَّة كانت أشقى وأقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نكل بكم قرى من الضواحي ليكفوناكم ، ولا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم » (٥) .

وعند تحليل موقف كسرى وخطاب يزدجرد السابقين يظهر مدى ما يحمله الفرس لغير جنسهم من احتقار وازدراء ، حتى إنهم لم يعدوا العرب شيئاً ، فضلا أن يقوموا مقام الند لهم ؛ فهم في نظرهم أقل شأنا من أن يفكروا في غزوهم ، وإنَّما يكفي أن يوكل بهم قرية من ضواحي القرى ليكفوهم أمرهم ، وهم يعدون أنَّ قيام العربي لهم شرف كبير لذلك العربي لم يطمح يوماً ما أن يصل إليه ، وهذا المعنى يدل على مدى اعتزاز الفرس بجنسهم .

ثانياً : تقديس الفرس لملوكهم :

(٢) قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢ / ٤٣٢).

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص:٤٢ .

(٤) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ابن هشام : (٧٣/١) .

(٥) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضري ، ص:٦٤ .

ذكرت فيما سبق تقديس الفرس لجنسهم ، وهذا التقديس يفوقه تقديسهم لملوكهم ، حيث يدعي الأكاسرة ملوك الفرس أنَّه يجري في عروقهم دم إلهي ، وبناءً عليه ؛ فإنَّ الفرس ينظرون إلى ملوكهم وكأنَّهم آلهة ، ويدينون بالملك والوراثة في البيت المالك .

يقول الإمام الندوي موضحاً نظرة الفرس إلى ملوكهم: « وكانت الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنَّه يجري في عروقهم دم إلهي ، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ، ويعتقدون أنَّ في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدساً فكانوا يكفرون [١] لهم ، وينشدون الأناشيد بألوهيتهم ، ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر ، لا يجري اسمهم على لسانهم ، ولا يجلس أحد في مجالسهم ، ويعتقدون أنَّ لهم حقاً على كل إنسان ، وليس لإنسان حق عليهم ، وأنَّ ما يرضخون [٢]لأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم إنما هو صدقة وتكرم من غير استحقاق ، وليس للناس قبلهم إلا السمع والطاعة ، وخصصوا بيتاً معيناً – وهو البيت الكياني [٣] – فكانوا يعتقدون أنَّ لأفراده وحدهم الحق أن يلبسوا التاج ويجبوا الخراج ، وهذا الحق ينتقل فيهم كابراً عن كابر .. فكانوا يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك ، لا يبغون به بدلا ، ولا يريدون عنه محيصاً فإذا لم يجدوا في هذه الأسرة كبيراً ملكوا عليهم طفلاً ، وإذا لم يجدوا رجلاً ملكوا عليهم امرأة ، فقد ملكوا بعد شيرويه ولده أزدشير وهو ابن سبع سنين وملكوا فرخ زاد خسرو ابن كسرى وهو طفل ، وملكوا بوران بنت كسرى .. ولم يخطر ببالهم أن يملكوا عليهم قائداً كبيراً أو رئيساً من رؤسائهم مثل رستم وجابان وغيرهما لأنَّهم ليسوا من البيت الملكي » [٤] .

وهذا النص يوضح المظاهر الكثيرة لتقديس الفرس لملوكهم المبني على أساس الدم الإلهي الذي يجري في عروقهم ، والذي جعلهم كالآلهة ، وهذه القداسة للملوك هي ما عرف في أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر بنظرية الحق الإلهي التي اعتنقت في أقوى صورها في فارس في عهد الدولة الساسانية .

---

[١] هكذا العبارة ، ولم يتضح معناها .

[٢] هكذا العبارة ، وهي تدل على معنى العطاء .

[٣] هكذا العبارة ، ولعلها الساساني كما جاء في مصادر أخرى .

[٤] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص : ٤٠ – ٤١ .

يقول الأستاذ "برون" عن هذه النظرية : « لم تعتنق نظرية الحق الإلهي بقوة كما اعتنقت في فارس في عهد الدولة الساسانية ، وقد كان الأكاسرة يزعمون أنَّ لهم الحق وحدهم أن يلبسوا تاج الملك بما يجري في عروقهم من دم إلهي » [١].

ثالثاً : تقديس الفرس لبعض الأشخاص :

١- إشارات حول غلو الفرس في كيومرث :

يعتقد الفرس أنَّ كيومرث أول ملوكهم ، وعلماؤهم ينسبون الفرس إليه ولا يرفعون نسبه إلى ما فوقه ، ومعنى هذا الاسم عندهم "ابن الطين" ، وهو عندهم أول ابن الطين وأول النسب ، فهم « متفقون أنَّ كيومرث هو آدم عليه السلام الذي هو أول الخليقة » [٢] .

والكيومرثية منسوبة إليه ، ويعتقد الفرس أنَّ الكيومرثية هي المجوسية الأصلية [٣] .

وقد ذكر بعض المؤرخين إشارات إلى غلو الفرس في كيومرث ؛ فقد ذكر المسعودي أنَّ: « الفرس تخبر أنَّ أول ملوكهم كيومرث ، ثمَّ تنازعوا فيه ؛ فمنهم من زعم أنَّه ابن آدم والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم — وهم الأقل - أنَّه أصل النسل ، وينبوع الذر .. وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنَّه مبدأ النسل ، وأنَّه نبت مثل نبات الأرض ، وهو الريباس هو وزوجته ، وهما شابة ومنشابة ، وغير ذلك مما يفحش إيراده »[٤] .

ويقول الشهرستاني : « وهؤلاء يقولون المبدأ الأول من الأشخاص كيومرث » [٥] .

وهذه الإشارات وإن لم تكن صريحة تماماً في تقديس كيومرث ، إلا أنَّها تدل على وقوعهم في بعض المبالغات في شأنه ، ووصفهم له بما لا يستحقه .

وأمَّا القول بأنَّه هو آدم عليه السلام فهو بعيد عن الصواب ؛ فإنَّ آدم عليه السلام نبي وهو أول الموحدين ، بينما كيومرث هذا هو الذي ينسب إليه القول بأصلين للكون ، وهذا يكفي في بيان الفرق بينهما والله أعلم .

٢- تقديس زرادشت :

---

[١] نقلاً عن كتاب فجر الإسلام ، أحمد أمين ، ص : ١١١ .

[٢] تاريخ ابن خلدون : (٢/ ١٧٧-١٧٨).

[٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم : (٢/٢٦١).

[٤] مروج الذهب ومعادن الجوهر : (١/١٤٩-١٥٠)

[٥] الملل والنحل : (٢/٢٦١).

أحيطت شخصية زرادشت بهالة من التقديس والتعظيم ، ونسجت حوله مجموعة من الأساطير ، ومنها ما ذكره ول ديورانت عن ولادته بقوله : « وقد حملت به أمه حملاً إلهياً قدسياً ؛ ذلك أنَّ الملاك الذي كان يرعاه تسرب إلى نبات الهوما ، وانتقل مع عصارته إلى جسم كاهن حين كان يقرب القرابين المقدسة . وفي ذلك الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمة السماوية إلى صدر فتاة راسخة النسب سامقة في الشرف وتزوج الكاهن بالفتاة ، وامتزج الحبيبان الملاك والشعاع فنشأ زرتسترا (زرادشت) من هذا المزيج ، فلمَّا ولد قهقه عالياً من أول يوم ولد فيه ، ففرت من حوله الأرواح الخبيثة التي تجتمع حول كل كائن ، وأراد الشيطان أن يغريه ، ولكنَّه أخفق وشق صدره بطعنة سيف وملئت أحشاؤه بالرصاص المنصهر ، فلم يشك أو يتململ ، بل ظل مستمسكاً بإيمانه بأهورا مزدا (رب النور) الإله الأعظم ، وتجلى له أهورا مزدا ووضع في يديه الأبستاق » [١] .

ويعتقد الزرادشتيون أنَّ روح الله هبطت من السماء إلى الأرض وحلت برحم أمَّه فحملته وولدته بشراً سوياً .

وجاء في كتاب زرادشت الحكيم : « إنَّ العظمة القدسية أو روح القدس الذي صاحب زرادشت في أثناء حياته مع الناس على الأرض كان يسكن ملكوت السماوات وأنَّه ظل يحل بالكائنات العلوية واحداً واحداً إلى أن هبط من السماء إلى الأرض وحل بجسد ذلك الرجل المختار » [٢] .

وهناك أساطير أخرى حول ولادته ، منها أن ثوراً ظهر قبل مولده وتكلم منبئاً عن ظهور منقذ للعالم من سيطرة قوى البشر ، وأنَّه لما ولد أحاط بالدار التي ولد فيها نورٌ قدسي وهاج ، وهبط نجم من السماء ودنا من الأرض وأعلن النبأ السار ، وظهر عرض الأفق في السماء كوكب عظيم ملأ ضياؤه جميع أنحاء الفضاء ، وأنَّ حاكم أذربيجان لما علم به أراد قتله بخنجره ، ولكن يده تجمدت ولم تستطع تحريك الخنجر ، وأنَّه ألقي في النار ولكنَّها

---

[١] قصة الحضارة : (٢/ ٤٢٤).

[٢] نقلاً عن دراسات في الأديان الوثنية ، احمد علي عجيبة ، ص: ١١٥ .

كانت برداً وسلاماً عليه ...إلى غير ذلك من الأساطير [١] التي نكتفي فيها بـذكر ما أوردته هنا .

ويتضح من هذه الأساطير مدى التقديس الذي حظي به زرادشت من خلال نسبة هذه الخوارق واعتقاد حلول الروح القدسية في جسده والتي تشبه – من بعض الوجوه – قول النصارى في حلول اللاهوت في المسيح (عليه السلام) ، مما يرجح تأثر النصرانية بالزرادشتية .والله أعلم .

المبحث الثاني

تقديس الأشخاص في الديانة الهندية

[١] انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، د. علي وافي ،ص:١٥١ .

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : التقديس في الهندوسية
- المطلب الثاني : تقديس بوذا

المطلب الأول : التقديس في الهندوسية :

الهندوسية ديانة الجمهرة العظمى في الهند ، و الديانة الرسمية للبلاد ، والهندوس يعتبرون أنفسهم السكان الأصليين للبلاد .

ويطلق على الهندوسية — أيضاً – الهندوكية ، والبرهمية نسبة إلى الإله براهما ، وهو — في اعتقاد الهنود – القوة العظيمة السحرية الكامنة ، التي تتطلب الكثير من العبادات ، وإنشاد الأناشيد ، وتقديم القرابين ، ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علماً على رجال الدين الذين يُعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي [١] .

والكتاب المعتمد عند الهندوس يطلق عليه اسم "الفيدا" أو "الويدا" ، وهو كتاب مقدس عندهم ، ومعنى الفيدا : العلم والمعرفة ، ويعتقد الهندوس أنَّه أزلي لا بداية له ، وأنَّه قديم وملهم به من قبل الإله براهما نفسه ، وأنَّ الذي جمع الفيدا حكيم من حكمائهم اشتهر باسم "فيدا فياسا" ، أي : جامع الفيدا.

ويرى الباحث "مهاديفان" [٢] أنّ ثمَّة إجماع بين العلماء المعاصرين على أنَّ الريك فيدا أقدم كتاب عرفته الشعوب الهندوآرية بشكل خاص ، والبشرية بشكل عام [٣] .

وهذا الحكم لا دليل عليه ، ولا يمكن القطع به لصعوبة الاستقصاء ، ولكنَّه يؤكد أصل القضية ، وهي قدم هذا الكتاب .

وهناك مصدر آخر للهندوس غير الفيدا ، وهو ما يعرف بقوانين مانو ، والذي يُعتقد أنَّه عاش في القرن الثالث الميلادي ، وهذه القوانين تحتوي على تفصيل الدين البرهمي عقائده ، وعبادته ، ومعاملاته ، ونظمه الاجتماعية ، وكذلك تاريخ الكون ونشأته ، وخلق الإنسان ، وتقسيم الطبقات ، ويعد هذا السفر من أهم مراجع الباحثين في الدين البرهمي ؛ لأنَّه استوعب جميع نواحي هذا الدين ، وهو يستمد أحكامه من أسفار الفيدا نفسها كما صرح بذلك مؤلفه في مقدمة الكتاب.

ويُعد نظام الطبقات من أبرز سمات المجتمع الهندوسي ، والدين الآري هو الذي قسم الإنسان الهندي حسب نسبه إلى أربع طبقات ، ولكل طبقة أحكام ووظائف لا تتجاوزها ،

---

(١) انظر : أديان الهند الكبرى ، احمد شلبي : ٣٩ ، وسيأتي الحديث عن البراهمة عند الحديث عن تقديس الأشخاص في هذه الديانة .

(٢) هو رئيس قسم الفلسفة في جامعة مدراس بالهند .

(٣) نقلاً عن أقدم كتب في العالم ، د. لويس صليبا ، ص:٥١ .

والمصدر الأساسي لها هوالريج فيدا إضافة إلى ما أدخله «مانو» من التفاصيل الدقيقة وتوزيع وظائف كل طبقة [1] .

ويعتمد النظام الطبقي على ما جاء في الريج فيدا ، وهو كما يلي : « خلق الله طائفة البراهمة من فمه ، والكشتري من عضده ، والويش من فخذه ، والشودرا من رجله [2] .

هذا هو الأساس الديني لنظام الطبقات ، وفيما يلي أهم ما تميزت به هذه الطبقات :

١- البراهمة ، وهم رجال الدين في الديانة الهندوسية ، ومعنى البرهمي العارف بالله ، والوظيفة الأساسية لهذه الطبقة هي تعلُّم أسفار الفيدات وتعليمها .

٢- الكشتريا ، ومعنى الكشتري الشجاع صاحب السلطة والحكم ، ومن هذه الطائفة ينصَّب الملك ، ويجوز للكشتري أن يأخذ أموال الطوائف الأخرى سوى البرهمي ، في حالة عدم الوارث .

٣- الويشا : ومعناه الزراع والتجار ، وتقوم هذه الطبقة بالزراعة والتجارة وتربية المواشي.

٤- الشودرا : ومعناه الذليل والمهين ، والوظيفة الوحيدة لهذه الطبقة خدمة الطوائف الأخرى دون أدنى حرج .

تعدد الآلهة عند الهندوس :

الآلهة متعددة في الديانة الهندوسية ، فالهندوس يميلون إلى عبادة القوى المؤثرة في الكون ؛ ولذلك كثرت معبوداتهم ، ولكنها انحصرت في ثلاثة يجتمعون عليها ، وهي :

١- براهما : الإله الخالق لما في الحياة الذي صدرت عنه جميع الأشياء ، ويرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء .

٢- سيفا أو سيوا : الإله المُخرِب المفني الذي تصفر به الأوراق الخضراء .

٣- ويشنو: الإله الحافظ ، الذي حل في المخلوقات ، ليقي العالم من الفناء التام ، وهذه الثلاثة أقانيم لإله واحد هو "آتما" .

تقديس الأشخاص عند الهندوس :

[1] انظر : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، البيروني ، ص:٧٦-٧٧ ، واليهودية والمسيحية وأديان الهند الكبرى ، محمد ضياء الأعظمي ، ص: ٥٦٥ .

[2] اليهودية والمسيحية ، الأعظمي ، ص:٥٦٦ .

أولاً : تقديس طبقة البراهمة :

يقدس الهنود البراهمة على أساس أنَّهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي ؛ ولهذا كانوا كهنة الأمَّة الذين لا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم ، ومن صور تقديسهم :

١- يكون البرهمي موضع تقديس وعبودية ، ولو عمل عملاً يخالف الشرف .

٢- كما أنَّ "أغنى" يعد من الآلهة الكبيرة ، فكذلك البرهمي يعد من الآلهة الكبيرة .

٣- يجوز للبرهمي إذا ما افتقر أن يتسول ، ولا يعاب عليه ، كما يجوز أيضاً أن ينهب أموال الآخرين .

٤- على السلطان أن يتجنب قتل البرهمي ، ولو ارتكب أبشع الجرائم ، ولكن له أن يطرده إذا رأى ذلك على أن يترك له جميع أمواله ولا يصيبه بأذى .

٥- الولد البرهمي البالغ من عمره عشر سنوات يكون موضع احترام لدى غيره وإن كان عمره مائة عام [1] .

وهكذا يظهر لنا تقديس طبقة البراهمة من خلال الأمور التالية :

١- اعتقاد أنَّهم من الآلهة الكبار ، وذلك نتيجة لاتصال طبائعهم بالعنصر الإلهي لكونهم خلقوا من فم الإله براهما دون بقية الطبقات .

٢- تميزهم بالسيادة على جميع الطبقات .

٣- اختصاصهم بأرقى الوظائف دون غيرهم .

٤- تميزهم في تعاملهم مع جميع الطبقات الأخرى ، وتعامل الطبقات الأخرى معهم .

ثانياً : تقديس كرشنا .

يعتقد الهنود أنَّ بعض آلهتهم قد حل في إنسان اسمه كرشنا ، والتقى فيه الإله بالإنسان ، أو حل اللاهوت بالناسوت ، وتشبه عقيدة الهنود في كرشنا ما يعتقده النصارى في المسيح عليه السلام تشابها كبيراً ، وسوف أفصل ذلك عند الحديث عن أثر الديانات الوثنية على النصرانية بحول الله تعالى .

المطلب الثاني : تقديس بوذا في الديانة البوذية :

---

[1] دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي ،ص: ٥٦٨- ٥٦٩، وهو منقول من شريعة مانوا .

البوذية تنتسب إلى بوذا الذي ولد في إقليم نيبال في شمال الهند ، عــام ٥٦٨ ق٠م، وتوفي عام ٤٨٠ ق٠م ، وتذكر المصادر التاريخية أنَّ أباه كان من أهل الطبقة الممتازة ، وقد توفر له كل أنواع الترف والنعيم ، وقد أحيطت شخصيته بمجموعة من الأساطير ؛ ومــن ذلك « أنَّه لما بلغ أشده خرج ذات يوم من قصره فرأى شيخاً هرماً ، وخرج يوماً ثانياً فرأى رجلاً مريضاً ، وخرج يوماً ثالثاً فرأى ميتاً على جنازة ، فسأل صديقه عن الهرم وســببه ، وعن المرض وسببه ، وعن الموت وسببه ، ولَّما أخبره أن كل مولود مصيره الهــرم والمــرض والموت كره بوذا هذه الدنيا والبقاء فيها وخرج ليلاً من قصره يطلب النجــاة مــن الهــرم والمرض والموت إلى الصحاري والغابات [١] .

ويعتبر ظهور البوذية — إضافة إلى الجينية — رد فعل للهندوسية ، ولاسيما في نظامهــا الطبقي ؛ ولذلك ظهرت هذه الديانة تدعو إلى الزهد والتقشف ٠

وقد نال بوذا — من بين أصحاب الديانات الهندية — النصيب الأكبر مــن التقــديس والإجلال ، ويتجلى ذلك من خلال الأساطير الكثيرة التي نسجت حول شخصيته ، ومــن خلال وصفه بصفات لا تكون للبشر ، بل لا تكون إلا لله ، بل وصل الأمر إلى اعتباره هو الإله والمعبود الذي توجه إليه سائر العبادات ؛ ولذلك انتشرت المعابد البوذية في كل مكان

أولاً : الأساطير التي نسجت حول شخصيته :

١- جاء في إنجيل بوذا عن ولادته : « وما أن وصلت الملكة (أم بــوذا) إلى بســتان يدعى لومنبي حتى صنعت الأشجار باقة عظيمة من الأزهار المعطــرة ، وبــدأت أســراب العصافير تغرد على الأغصان ٠٠ ولما شعرت بآلامها أرسل الإله براهما العظــيم إلى هــذه الروح الطاهرة أربعة ملائكة نصبوا شبكة من الذهب لاستقبال الطفل الذي خرج من جنبها الأيمن كالشمس المشرقة مشعاً وكاملاً » [١] .

٢- « ولد بوذا نظيفاً لا كما يولد الأطفال ، بل نزل من بطن أمِّه وهي واقفة ممسكة بغصن ، ولم تشعر بألم ، وكان جسمه نظيفاً كالمرآة » [٢].

---

[١] انظر : المصدر السابق ، ص : ٦٣٩ ٠

[١] إنجيل بوذا ، ترجمة سامي سليمان شيا ، نقلاً عن كتاب الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى ولأقصى ، د٠ محمد العريني ، ص: ٢٧٣

[٢] الديانات والعقائد في مختلف العصور ٠ احمد عبدالغفور عطار ،ص : ١١٦ ٠

٣- « يزعمون أنَّ من معجزاته ، وهو يتهيأ لفراق القصر أنَّ أبوابه فتحت من تلقـــاء نفسها ، و لم يسمع صوت خطوات جواده » [٣].

وهذه النصوص تعطي أهمية كبرى لولادة بوذا وتتحدث عن خوارق حدثت في الكون من أجله ، منها ما كان قبل ولادته ، ومنها ما كان عند ولادته ، وهذه الأمور وإن كانت لا تتجاوز حد الأساطير ، إضافة إلى كونها تخالف طبائع الأشياء المحسوسة إلا أنَّها تبين مدى التقديس الذي أحيطت به شخصيته .

ثانياً : عبادة بوذا :

العبادات في البوذية لا تشتمل على حركات ، وإنما تتركز على أمرين :

١- الإكثار من الحمد والثناء على بوذا ؛ لحسنه ، وكماله ، وجماله — بزعمهم - .

٢- التلذذ بذكره وتصوره في الخلوة ، والمجتمع ، والدعاء أن يكون الشخص مثله في الحياة الثانية ، ويعد ذكر اسمه وتصوره من أعلى مراتب العبادة عند الرهبان البوذيين [٤] .

ومما ذكر يتبين أنَّ البوذيين يتوجهون لبوذا بالعبادة من خلال كثرة ذكره ، بل ودوام ذكره على كل حال مع اعتبار ذلك من أفضل العبادات عندهم ، ومن المعلوم أنَّ العبـــادة ، هي أوضح صور التقديس ، وإذا كانت الديانات في الهند تقدس آلهة كثيرة فـــإنَّ البوذيـــة جعلت بوذا هو الإله المقدس وحده لديها بل هو الأساس الذي تقوم عليه البوذية .

ومما يؤكد هذه العبادة الترانيم التي يترنم بها البوذيون ، ومنها :

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

أسجد للبوذا الإله الكامل الذي انكشف له العالم .

أعوذ بالبوذا الإله [١] .

وهذه الترنيمة لدى البوذيين تؤكد اعتقادهم بألوهية بوذا ، وهو أعلى صور التقديس التي يمكن أن تكون للبشر .

---

[٣] المصدر نفسه ، ص : ١١٨ .

[٤] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند الكبرى ، محمد الأعظمي ،ص:٦٥٤ .

[١] المصدر السابق ، ص: ٦٥٥ .

المبحث الثالث

التقديس في الديانة المصرية القديمة

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : تقديس الملك مينا
- المطلب الثاني : تقديس ملوك الفراعنة

تتميز الديانة المصرية بكثرة الآلهة ، لأنَّ المصريين القدماء كانوا يرجعون كل ظـــاهرة حسية ذات تأثير في حياقم إلى قدرة علوية ، أو علة خفية تحركها وتتحكم فيها ، وتستحق التقديس من أجلها ، وهذا بدوره أدى إلى تعدد المقدسات ، من الظواهر الحسية كالشمس والقمر والريح ، ونحو ذلك ، وأيضاً فإنهَّم اتجهوا بالعبادة والتقديس إلى كل ما يرجون نفعه ، أو يخشون ضرره عليهم ، ولذلك انتشرت عبادة كثير من الحيوانات ، بل وحتى النباتات في تلك البيئة .

وللسبب ذاته تنوعت هذه المعبودات أيضاً فشملت بعض الظواهر الكونية في السماء ، كما شملت الظواهر الأرضية ، واتسعت دائرة هذه المعبودات أيضاً فشملت الإنسان والحيوان و النبات وحتى الجمادات .

واتسمت تلك المعبودات بالإقليمية ؛ فكان لكل إقليم آلهة تخصهم ، ويمتد نفوذها في تلك المنطقة أو الإقليم ، وقد يتعدى نفوذ بعض الآلهة أحياناً إلى خارج تلك المنطقة بسبب الأوضاع السياسية ؛ فإذا غلبت قبيلة على أخرى امتد نفوذ آلهتها تبعاً لذلك .

تقديس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة :

١- مينا هو أول الآلهة المقدسة من البشر :

اعتقد المصريون القدماء وجود آلهة من البشر ، واعتقدوا أنَّ روح الإله قد حلت فيها ، ويبدو أنَّ هذا الاعتقاد قد بدأ في عهد الملك "مينا" ، أو "منا" مؤسس الأسرة المصرية الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م الذي استطاع توحيد القطرين الشمالي والجنوبي للبلاد ، وأعلن عقب هذا الانتصار أنَّ روح الإله قد حلت فيه ، ويبدو أنَّ الأحوال السياسية قد ساعدت على ظهور ذلك الاعتقاد ؛ فتحقيق الملك لتلك الانتصارات وتوحيده للبلاد هيأ له المناخ المناسب لإعلان حلول روح الله فيه ، وربما خيلت له نفسه أنَّه جدير بأن تحل فيه روح الإله ، أو أنَّه أراد بذلك ألا ينازعه في ملكه أحد من البشر لأنَّه وإن اشترك مع غيره في الملك إلا إنَّه قد تفرد بالألوهية التي لا يمكن أن ينازعه فيها أحد [1] .

وقد تقبل المصريون هذه الفكرة وتسابقوا في تقديم ألوان من العبادة والتقديس لذلك الملك ، فكانوا – كما جاء في كتاب الفلسفة الشرقية : « يعاملونه معاملة الإله ، وكان أفراد من الرعية يضعون أنوفهم في موضع قدميه ليستنشقوا رائحتها ، ومن كان منهم مقرباً كان يسمح له بشم قدميه مباشرة ، وكان عرشه في نظرهم أقدس ما أشرقت عليه الشمس في الكون ، وشخصيته كانت أنفس شخصيات البشر جميعاً ، وكان المصريون إذا أحسوا بأنَّ هناك واحداً لا يفتدي الملك وعرشه بكل ما لديه من عزيز ونفيس مقتوا هذا الشخص وودوا لو يبيدونه من فوق الأرض » [١] .

---

[1] انظر : مصر الفرعونية ، أحمد فخري ، ص:٧٥ .

[١] نقلاً عن : دراسات في الأديان الوضعية القديمة ، أحمد عجيبة ، ص: ١٩٣ .

٢- تقديس ملوك الفراعنة :

ما سبق ذكره عن الملك الإله "مينا" أصبح ميراثاً لكل ملك أتى بعده مـــن ملـــوك الفراعنة ، حيث اعتقد المصريون : « أنَّ الفرعون ما هو إلا ابن الإله "رع" والإلـــه الملـــك "حور" أو "حورس" الذي هو إله الشر الذي يهب الحياة الطاقة والنور ، وكان الفرعون إلهاً في الحياة أي ابن رع وإلهاً في الموت ، حيث يتحول إلى الإله أوزيريس ، ومما يؤكد فكـــرة الألوهية الفرعونية اتخاذ الفرعون مجموعة من الألقاب تكرس فكرة الألوهية ، وتربطه ربطاً محكماُ بعالم الآلهة ، ومنها : الإله العظيم ، الإله المحسن ، صانع الأشياء ، حور أو حورس ، إله المملكتين أو إله الأرضين » [٢] .

ومما يتصل بعقيدة المصريين في ملوكهم ما جاء في كتاب "دراسات في الشرق الأدنى" : « اعتقادهم أنَّ الملك لا يمكن أن يموت وإنَّما يبدأ حياة خارقة للطبيعة ، حياة يكون فيهـــا الوسيط بين الأموات من الناس وبين الآلهة فيظل الحامي والشفيع الذي يرعى الموتى كمـــا كان يرعى الأحياء ؛ ومن هنا جاءت لهفة القوم عل تشييد مقابر ضخمة للمحافظة علـــى جثة الملك من كل أذي ولتهيء له وسائل خاصة وملائمة وخالدة » [٣] .

ويتبين لنا من العرض السابق أنَّ المصرين كانوا يؤلهون ملوكهم الفراعنة ، على أساس أنَّ روح الإله قد حلت فيهم ، وهذه العقيدة لم تكن غريبة على الأوساط المصرية القديمة ، التي تعتقد حلول الأرواح في الحيوانات ، واعتقادهم بالحلول في الإنسان من باب أولى .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ادعاء الفرعون الذي كان في عهد موسى عليه السلام ، بأنَّـــه الإله ، حيث قال الله تعالى حاكياً عنه : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ القصص: ٣٨ .

وبصرف النظر عن مدى اعتقاده بصدق ما ادعاه من مقام الألوهية لنفسه إلا أنَّه مـــن الواضح أنَّ هذه المقولة كان لها قبول عند قومه الذين قدموا له ألوان الخضـــوع والطاعـــة المطلقة مما أدى إلى استخفافه بهم كما قال تعالى : ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ الزخرف: ٥٤ .

---

[٢] الدين المصري ، خزعل الماجدي ، ص : ١٣٩-١٤٠ .

[٣] نقلا عن دراسات في الأديان الوضعية القديمة ، أحمد عجيبة ، ص:١٩٤ .

٣- أسطورة أوزير :

تنسب هذه الأسطورة إلى أوزير باعتبار أنَّه صاحب الدور البارز فيها، وهذه الأسطورة تتضمن تأليهاً للبشر في بعض جوانبها ، وملخصها كما يلي :

كان أوزير – وهو إله النيل – قد حكم القطرين ، وكان موفقاً في حكمه وبطلاً من أبطال الحروب ، واسع الشهرة ، وكان أعداؤه يرتجفون أمامه مما جعل"ست" أو "سيت" – وهو أخوه – يحقد عليه ويحتال لقتله ، فنجح في ذلك ، واستدرج أخاه حتى وضعه في صندوق محكم وأقفله وقذفه في البحر فأخذت "إيزيس" (زوجه) تبحث عنه في كل مكان حتى عثرت عليه وجمعت أشلاءه ، واستعانت بسحرها حتى دبت الحياة في جسمه ، وحطت عليه كما يحط الطير فحملت منه ، ولما كان من الصعب أن يحيي فوق الأرض حياته الأولى ؛ أصبح لزاماً عليه أن يحيى حياته الثانية ، وبذلك صار ملكاً للموتى ، ثمَّ وضعت إيزيس ولداً هو حور أو حورس وترعرع في الخفاء ، فلمَّا اشتد ساعده قام يقاتل "ست" حتى انتصر عليه ، ثمَّ قادته أمُّه إلى قاعة المحكمة ، فحياه الآلهة ، ولكنَّ ست رفع عليه دعوى يطعن في صحة نسبه ، فعقد الآلهة الكبار جلسة ، ثم وجدوا أن الحق بجانب حور فأعطوه ما كان لأبيه فخرج متوجاً وأصبح حاكماً للقطرين وبقى التاج فوق جبينه .

هذا هو ملخص هذه الأسطورة ، والذي يهمنا منها أنَّ أبطالها لم يكونوا سوى مجموعة من البشر - وإن اتصفوا بصفات الآلهة – ؛ فهم يتصفون بالعداوة ، والمكر ، والشجاعة ، والقتال ، ونحو ذلك من الصفات البشرية ، وهم كذلك مجموعة من المعبودات التي عبدها المصريون عبادة قائمة على الحب والإخلاص حتى أنَّهم صوروا لهم صوراً من الجواهر .

والذي يجدر التنبيه عليه في هذا المقام هو أنَّ هذه الأسطورة انتشرت انتشاراً واسعاً في جميع أرجاء البلاد المصرية ، بسبب ما تميزت به معانٍ وأحاسيس ألهبت مشاعر الناس وعواطفهم لما فيها من إبراز وفاء الزوجة لزوجها ، وحبها لرضيعها ، وبر الابن بأبيه ، وحبه له ، وما أظهرته القصة كذلك من انتصار الحق على الباطل والخير على الشر .

المبحث الرابع

التقديس عند اليونان والرومان

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : التقديس عند الرومان
- المطلب الثاني : التقديس عند الرومان

المطلب الأول : التقديس عند اليونان :

تعرف بلاد اليونان القديمة باسم "هيلاس" ، وهي تشمل ما يعرف باسم شبه جزيرة البلقان حديثاً ، ومجموعة الجزر المنتشرة في بحر إيجه ، وكذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل شبه جزيرة آسيا الصغرى [١] .

المعبودات اليونانية :

تميزت العقيدة اليونانية – كما هو الحال في الديانات الشرقية – بتعدد الآلهة فكان عددها يفوق عدد آلهة قدماء المصريين ، حتى أصبح كل شيء إلهاً في هذه الديانة .

---

(١) دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، أحمد عجيبة ، ص : ١٤٥ .

يقول ول ديورانت : « فكان كل شيء وكل قوة في الأرض أو السماء وكل نعمة أو نقمة وكل صفة — ولو كانت رذيلة — من صفات الإنسان تمثل إلهاً في صورة بشرية عادة . وليس ثمَّة دين يقرب آلهته من الآدميين قرب آلهة اليونان . وكان لكل حرفة ، ولكل مهنة ، ولكل فن إله خاص أو راع حارس بلغة هذه الأيام » [٢] .

وهذا النص يؤكد كثرة الآلهة في الديانة اليونانية ، وشمولها لكل مظاهر الطبيعة ، فلا يوجد مظهراً من مظاهر الطبيعة إلا وله من الألوهية نصيب.

تقديس الأشخاص عند اليونان :

١ – الآلهة الأولمبية :

تعد الآلهة الأولمبية أشهر معتقدات اليونان القدماء ، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً بينهم ؛ فقد ورد ذكرها بالتفصيل في القصائد الهومرية (الإلياذة والأوديسا) ، وكُتب عنها الكثير من الأساطير والأشعار [٣] .

وتُنسب الآلهة الأولمبية إلى جبل أوليمبوس ، وهو أعلى جبل في اليونان اعتقاداً منهم أنَّ هذه الآلهة يعيشون على هذا الجبل [٤] .

ويعتقد اليونان أنَّ الآلهة الأولمبية – كما في الإلياذة والأوديسا – « يؤلفون حكومة ملكية وعلى رأسها زيوس ، وعددهم اثنا عشر إلهاً ، وكلهم في صورة بشرية إلا أن سائلاً عجيباً يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود ، وهم أقوى من الأبطال وأسرع حركة ، وهم يظهرون للناس أو يختفون كما يشاءون يسكنون قصوراً في السماء فخمة يقضون فيها حياة ناعمة في ربيع مقيم ، يأكلون ، ويشربون ، ويتزاوجون ، وتجرحهم السهام والرماح فيتألمون وينتحبون وهم حادثون وجدوا في الزمان وما يزالون خاضعين لتعاقب الأيام ، وهم على مثل هذا النقص من الناحية الخلقية لهم شهواتهم وعصبياتهم ، يتفرقون أحزاباً ويدخلون

---

[٢] قصة الحضارة : (٦/ ٣١٨) .

[٣] دراسات في الأديان الوضعية القديمة ، احمد عجيبة ،ص : ١٥٢ . والقصائد الهومرية هي أقدم ما وصل إلينا من شواهد الفكر اليوناني ، وهي تتألف من قصتين كبيرتين هما الإلياذة والأوديسا ، وتنسبان إلى هوميروس ، ويُعتقد أنهما كتبتا خلال مائتي عام .

[٤] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

في منازعات البشر ، ويتشاتمون ، ويتضاربون ، يخونون ، ويغدرون ، ولا يرعون من البشر إلا من يتقرب إليهم كيفما كانت أخلاقه » [1] .

وهذا النص يبين صفات الآلهة الأوليمبية ، وهي تتألف من اثني عشر إلهاً سبعة من الذكور وخمس من الإناث ، ونحن إذا تأملنا في هذا النص لا نكاد نفرق بين الآلهة وبين البشر ؛ لأنَّ أكثر هذه الصفات المعدودة من صفات الآلهة ليست في الحقيقة إلا صفات البشر ، وهذا أمر ظاهر ، وليس للآلهة اختصاص عن البشر إلا في أمرين اثنين :

الأول : الخلود ؛ فهم بالرغم من حدوثهم إلا أنَّهم مخلدون ، ولا نهاية لوجودهم ويُعزى سبب هذا الخلود إلى وجود ذلك السائل العجيب الذي يجري في عروقهم .

والثاني : القدرة الخارقة للعادة ؛ فهم يستطيعون القيام بأعمال لا يستطيع أن يقوم بها بنو الإنسان ؛ ولذلك عهد إليهم بالإشراف على شؤون الكون .

ومن هذا العرض يتبين لنا أنَّ نظرة اليونان إلى الآلهة الأولمبية تحمل الكثير من وجوه التقديس للبشر ، بل إنَّ صورة الآلهة عندهم ليست في أغلب صفاتها إلا صورة البشر ، مع احتفاظ هذه الآلهة بخاصيتين تنفرد بهما عن بقية البشر كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

٢- **عبادة الأسلاف (الأموات)** :

كانت عبادة الأسلاف أو الأموات من العبادات الشائعة بين اليونان القدماء — كما هي عند غالبية الشعوب القديمة - ، وذلك أنَّ « الموتى في اعتقادهم كانت كائنات مقدسة وقد خلعوا عليهم ما كانوا يجدونه أكثر الألقاب احتراماً ، فكانوا يسمونهم الطيبين والقدِّيسين والسعداء ، وكانوا يكنون لهم كل التبجيل ، وكان كل ميت في فكرهم إلهاً ، ولم يكن هذا التأليه امتيازاً مقصوراً على عظماء الرجال ، إذ أنَّه لم يكن هناك تمييز بين الأموات » [1] .

وكان أصل هذه العبادة اعتقادهم أنَّ الموتى أرواح قادرة على أن تفعل للناس الخير والشر وتسترضى بالقرابين والصلاة .

---

[1] نقلاً عن المصدر السابق ،ص:١٥٣ .

[1] المصدر السابق ، ص : ١٥١ .

ويتحدث ديورانت عن هذه العبادة قائلاً : « وكانت عبادة الأبطال – وهـي مـن المعتقدات اليونانية الهامة – امتداداً لعبادة الموتى فكان في وسع الآلهة – كما يعتقدون – أن تهب العظيم أو الشريف أو الرجل الجميل أو المرأة الجميلة الحياة الخالدة فتجعله أو تجعلها من بين الآلهة الصغرى ، ولقد اعتقدوا أيضاً أنَّه كان يحدث أحياناً أن يترل الإله – الذي هو في أول الأمر من الأسلاف أو الأبطال الموتى – يتقمص جسم إنسان فيستحيل هذا الإنسـان إلهاً ، وقد يتصل الإله اتصالاً جنسياً مع امرأة من الآدميين فتلد بطلاً أو إلهاً كما فعل زيوس مع " أكمينا" فولدت هرقل » [٢] .

ويتبين لنا من هذا النص أنَّ اليونان كانوا يعظمون الموتى تعظيماً كبيراً يماثل تعظيمهم لأي إله من الآلهة الأخرى ، وأنَّ البشر سواء كانوا أبطالاً أو أمواتاً قد نالوا حظاً كبيراً من التقديس الذي يصل إلى درجة اعتقاد الألوهية لهم ، كما يظهـر فيـه عقيـدة التجسـد (التقمص) الإلهي للبشر ، مما يجعلنا نعتقد أنَّ تقديس البشر ، وقضية التجسد كانـت مـن الموارد التي تأثرت بها النصرانية تأثراً كبيراً لاسيما مع التقارب الجغرافي بين اليونان والرومان الذين ظهرت فيهم النصرانية .

المطلب الثاني : التقديس عند الرومان :

كما هو الحال في أغلب الديانات الشرقية ، فقد تعددت الآلهة عند الرومان ، حـتى أصبح لكل مظهر من مظاهر الطبيعة إلهاً أو آلهة تعبد وأصبح لكل عمل أو وظيفة في هـذه الإمبراطورية رب يقوم بهذا العمل ، فأصبحت قضية الأرباب أشبه بمـوظفين في مؤسسـة كبيرة ، لكل موظف عمل خاص به لا يقوم به أحد غيره ، فهناك رب ينبت البذر ، وآخر يحمي الحقل ، وآخر يحرس الثمر وهكذا : « لكل رب اسمه وجنسـه وعملـه ، فعنـدهم للسماء إله ، وللحرب إله ، وللشجاعة إله » [١].

تقديس الأشخاص عند الرومان :

انتشر عند الرومان عبادة الأباطرة ،كما كانت منتشرة بين الأديان الشرقية وخاصـة الديانة المصرية القديمة .

---

[٢] قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٦/ ٣٢٧).

[١] الديانات القديمة ، محمد ابو زهرة ، ص: ٩٠ .

تتحدَّث الكاتبة أبكار السقاف عن نظرة الرومان إلى القيصر فتقول : « هذا الذي غدا تبعاً للوضع الجديد لا سيد الإمبراطورية فحسب ، وإنَّما السيد المطلق والذي تبعـاً لتخلـي الشعب له عن كل سلطة غدا حاكماً مطلقاً كما أنَّه تبعاً لهذه السلطة الإطلاقية (المطلقة) التي جعلته مطلق التصرف اعتبر فوق القانون ومن ثمَّ ، فإنَّ من فوق القـانون لا يحاكمـه القانون ولذلك كان القيصر مادام حياً لا يحاكم .

إنَّ مجلس الشعب لا يحاكم القيصر إلا بعد موته فإذا كانت أعماله صالحة ارتقـى إلى مصاف الأرباب ، ومن كان كذلك فلا شك أنَّه إنما كان صورة تجسدية للإله حل علـى الأرض ليخلص الإنسان من العذاب ومن ثمَّ فهو المخلص .

وتذكر أحد من ارتقى إلى هذا المنصب وهو يوليوس قيصر [٢] الذي نعت بـالمخلص وتقول : « وفي العام الرابع عشر للميلاد أصدر مجلس الشيوخ لائحة بتأليه أغسطس كصورة تجسدية للإله على الأرض ولقبه بالمخلص » [٣] .

وقد ترتب على ذلك التقديس لقيصر روما ، المتمثل في تأليهه عقيدة أخرى ، وهـي اعتقاد رفعه إلى السماء بعد موته ، حيث جرى المنطق الروماني بأنَّ « مـن كـان صـورة تجسدية للإله على الأرض فليس ثمَّة شك في أنَّ مكانه السماء لا الأرض » [٤].

ثم أقسم (نوميروس أتيكس) أنَّه رأى رأي العين المخلص أغسطس يرتفع بعد موته إلى السماء .

وفي ذكرالنصوص السابقة بيان تقديس الرومان لملوكهم الأباطرة ، ويمكـن إجمـال صورة التقديس لهم في أمرين :

الأول : تأليه الإمبراطور الروماني ، وربَّما أنَّ القانون الروماني هو الذي أعطاه هـذه المنزلة أو ساعده على الوصول إليها ، وربَّما أنَّ الانتصارات التي حققها الإمبراطور ساعدت أيضاً على ذلك ، ولكنَّ الاحتمال الأكبر أنَّ ذلك راجع لاعتقاد أنَّ روح الآلهة قد حلـت

---

[٢] هو غايوس يوليوس قيصر ، كان إمبراطوراً رومانياً ، ولد في رومة عام ١٠٢ق.م ، وكان فصيحاً قوي الحجـة ، عُين والياً على غالية واليرية عام ٥٩ ق.م ، وصنف كتاباً عن حروبه في غالية يعد من أنفس ما كتـب مـن النثـر باللاتينية . انظر : عصر أوغسطس قيصر وخلفاؤه ، د.أسد رستم ، ص : ٥٤ وما بعدها .

[٣] الدين الإغريقي ، ص: ٧٢-٧٣ .

[٤] المصدر نفسه ، ص: ٧٣ .

فيه، كما هو الحال في الديانة المصرية القديمة التي تأثر بها الرومان تأثراً كبيراً ، بل يمكن القول أنَّهم أخذوا عقيدة تأليه الإمبراطور من تأليه الملوك الفراعنة عند المصريين .

الثاني : عقيدة رفع البشر بعد موتهم ، وقد بُنيت على أساس أنَّ الإمبراطور لم يكن إلا صورة تجسدية للإله على الأرض ، فلا شك أنَّ مكانه السماء فيجب أن يعود إليها بعد موته .

وأخيراً فلا شك أنَّ هاتين العقيدتين الغاليتين في الأشخاص قد أثرت في النصرانية الناشئة في أحدى ولايات هذه الإمبراطورية ، وربما كانت موجودة لدى شاءول المواطن الروماني قبل أن يعلن ديانته الجديدة بسبب وجوده في تلك البيئة .

الفصل الرابع

أسباب التقديس

وفيه أربعة مباحث

- ❖ المبحث الأول : الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية
- ❖ المبحث الثاني : دور بولس
- ❖ المبحث الثالث: دور المجامع النصرانية
- ❖ المبحث الرابع : الدولة الرومانية

المبحث الأول :

الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية

وفيه مدخل ومطلبان

- المطلب الأول : تأثر عقيدة ألوهية المسيح بالديانات السابقة
- المطلب الثاني : تأثر عقيدة التثليث بالديانات السابقة

مدخل :

بينت في الفصل السابق أنَّ الاعتقاد بوجود آلهة من البشر كان مألوفاً ومنتشراً في الديانات السابقة للنصرانية ، ويظهر ذلك من خلال الأساطير الدينية التي تتحدث عن تلك الآلهة البشرية . وما أريد إثباته في هذا المبحث هو تأثر النصرانية بهذه الديانات ، واستقائها من ينابيعها ، وذلك من خلال المقارنة بين عقيدتي ألوهية المسيح ، والتثليث وما يتعلق بكل منهما .

المطلب الأول : تأثر عقيدة ألوهية المسيح عند النصارى بالديانات السابقة :

أولاً القول ببنوة بعض البشر لله :

إنَّ لقب البنوة لله – الذي أطلقه النصارى على المسيح عليه السلام - لم يكن ابتـــداعاً جديداً ، فقد سبقت الديانات الوثنية إلى وصف بعض الأشخاص بأنَّهم أبناء الإله ، فقد جاء في كتاب "الأصول الوثنية للمسيحية" للمؤلف "أندريه نايتون" أنَّ الهنود يقولون : « أنَّ الإله " سافسترى" له ابن هو ابنه الوحيد واسمه " آتي " ، وأنَّه مولود غير مخلوق [١].

وكانت الزرادشتية تعتقد:« بأنَّ الإله متراس (مثرا) ابن هو، أي: (أهورا)[٢] .

وكان الإسكندر الفاتح ينادى بابن الإله "آمون" [٣] ، وكان قسطنطين إمبراطور الرومان يؤمن بأنَّ (أبلو) – إله الطب ، وكبير الآلهة عند اليونانيين – هو إله الشـــمس وأنَّ أفلاطون ابن الله [٤] .

وممن ألههم الرومان أيضاً "رومليوس" مؤسس رومية وكانوا يدعونـــه : ابـــن الله ويعتقدون أنَّه ولد من العذراء (راسيلفيا) ، وكذلك يؤلهون القيصر ويقولون إنَّه ابن الله .

ومما يدل أيضاً على وثنية هذا اللقب أنَّه جاء وصف (الابن الوحيد) علـــى آتي ، كما في قانون التثليث عند الهنود ، وهذا الوصف مطابق تماماً لوصف النصـــارى للمســـيح عليه السلام ، كما جاء فيما يسمى بقانون الإيمان عندهم .

ثانياً التجسد في الديانات الوثنية :

يقصد بالتجسد عند النصارى : « أنَّ المسيح ابن الله صار إنساناً باتخـــاذه لذاتـــه جسداً » [١] .

وهو من أهم العقائد عند النصارى ، ويرى بعضهم أنَّ النصرانية ليست إلا الإيمان التجسدي ، وأنَّ كلمة التجسد مرادفة تماماً لكلمة النصرانية .

---

[١] نقلاً عن تحريف رسالة المسيح ، أ . بسمة جستنية ، ص:٣٦٥ .

[٢] المصدر السابق ، ص:٣٦٥ .

[٣] انظر : عبقرية المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ، ص :٦٥ .

[٤] نقلاً عن تحريف رسالة المسيح ، أ . بسمة جستنية ، ص:٣٦٥ .

[١] شرح أصول الإيمان : د. القس أندراوس واطسون ، د.القس ابراهيم سعيد ، ص: ١٥٤ .

يقول موريس وايلز عن التجسد: « توصف المسيحية غالباً بأنَّها إيمان تجسدي .. وكلمتا مسيحية وتجسد متقاربتان إلى حد الترادف في أذهان كثير من الناس » [٢].

وإذا رجعنا إلى العقائد الوثنية السابقة للديانة النصرانية يتضح لنا بجلاء أنَّ عقيدة التجسد من صميم تلك العقائد ، وهذا ما أثبتَه – أيضاً – كثير من الباحثين المحققين من النصارى أنفسهم ، وسأجلي هذا الأمر من خلال هذا العرض إن شاء الله تعالى .

يقول العلامة دوان: « ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة ونزوله وسكنه معهم ، وقد ورد ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية »[٣] .

وهذا النص يدل على أنَّ تجسد الآلهة في صورة بشرية عقيدة مألوفة في الديانات الوثنية ، بل أنَّها صورة مشتركة عند أغلب هذه الديانات ، وأمَّا على وجه التفصيل ؛ فإنَّ من أهم الآلهة المتجسدة في صورة بشرية في تلك الديانات ما يلي :

١– تجسد الإله في كرشنا :

جاء في كتاب "فوشنو بورانا" المقدس عند الهنود ما يأتي : « وكافة الآلهة التي ليس لها ابتداء وانتهاء تكرمت بخلاص الأرض من حملها الثقيل رحمة منها بإرسال فشنو إلى رحم "ديفاكي" وولادته منها ، فإنَّه ولدها ، وتقمصه بكرشنا الذي هو نفس برهمة ، وإنَّه لسر عجيب كيف أنَّ الإله تكيف بجسد إنسان » [٤] .

ومن هذا النص يتبين أنَّ الهنود يعتقدون أنَّ كرشنا هو الإله "فشنو" الذي تجسد من "ديفاكي" ، وظهر بالناسوت ، وأنَّه جاء لخلاص البشرية من حملها الثقيل ، وهذه العقيدة تتطابق مع عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام . وإذا كانت ديانة الهند سابقة على النصرانية ، فما من شك في تأثر هذه الديانة بمعتقدات الهنود في عقيدة التجسد .

٢– تجسد الإله في بوذا :

---

[٢] أسطورة تجسد المسيح ، مجموعة من المؤلفين من النصارى ، ص:٢٧ – ٢٨ ، وهو من أهم الكتب المعاصرة في إنكار نسبة التجسد إلى المسيح عليه السلام ، والمؤلف المنقول عنه النص بروفسور الإلهيات والكتاب المقدس – عندهم – في كلية المسيح – أكسفورد– بريطانيا.

[٣] نقلاً عن : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد التنير ، ص:٦٠ .

[٤] المصدر نفسه ، ص :٦١ .

لا تكاد صورة بوذا عند البوذيين تختلف عن صورة كرشنا عند الهنود ، ومما يوضح ذلك قول هوك [١] بقوله : « والبوذيون يعدونه إلهاً تجسد أي أنَّه إله ظهر بالناسوت أتى إلى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدهم ويفيدهم ويبين لهم طريق السلام ، والقول بالفداء بواسطة إله يظهر بالناسوت عمومي عند البوذيين » [٢] .

وقال المستر بنصون [٣] متحدثاً عن مناجاة العابد عمورا للإله بوذا المتجسد : « لك التعظيم يا من ظهرت بشكل بوذا المتجسد يا رب الأرض لك المجد ياأيها الإله المتجسد الواحد الأبدي لك الاحترام يا رب الظاهر والرحمة مبيد الأوجاع والأحزان يا إله كل شيء يا حافظ الكائنات يا عالم الرحمة ورمزها يا فادي » [٤] .

ومما سبق يتضح لنا اعتقاد البوذيين بألوهية بوذا ، وتجسده ، لإنقاذ البشر وفداؤهم ، وكذلك تعليم الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح ، وأنَّ القول بالتجسد عام عند جميع البوذيين ، وهذه الصورة التي يعتقدها البوذيين تشبه عقيدة الهنود في كرشنا ، وهاتان العقيدتان تتطابقان مع عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام ، مما يؤكد أنَّ عقيدة التجسد عند الهنود هي أحد الينابيع الأساسية للديانة النصرانية .

٣- تجسد الإله في الفراعنة المصريين :

يعتقد المصريون القدماء أنَّ ملوكهم الفراعنة ليسوا إلا آلهة متجسدة في صورة بشرية ، وكانوا يقدمون لهم ألوان العبادة بناءً على ذلك .

يقول ولز: « أمَّا مصر فكان فيها فرد يرفع فوق الكهنة وهو التجسيد الحي الممثل لرب البلاد الأعلى وهو فرعون الملك الرب ...وأصبح الملك الذي يتقلد الملك في مصر ينظر إليه على أنَّه لم يكن من البشر وإنَّما كان إلهاً ثمَّ تجسد في الفرعون »[١] .

وكان المصريون يقدمون لملوكهم – ابتداءً من الملك مينا ومن بعده – أنواع العبادة على أنهم تجسيد للإله في صورة بشرية »[٢].

---

[١] أحد المنصرين الفرنسيين ، وله كتاب بعنوان : رحلة هوك .

[٢] نقلاً عن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد التنير ،ص:٦٢ .

[٣] ذكر محمد طاهر التنير أنَّ له كتاب بعنوان (الملاك المسيح) ، ولم أجد له ترجمة .

[٤] العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد التنير ،ص:٦٣ .

[١] نقلاً عن تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، احمد عجيبة ، ص:٣٩٢ .

وهكذا يتبين لنا مما سبق أنَّ اعتقاد قدماء المصريين بأنَّ ملك مصر هو الإله الـــذي تجسد في الفرعون يطابق قول النصارى بأنَّ الإله تجسد في صورة المســـيح عليه السلام ، ممَّـــا يؤكد وثنية هذه العقيدة . والله أعلم .

تجسد الألهة الأولومبية والأسلاف عند اليونان :

يعتقد اليونان بتجسد الآلهة في صورة بشرية ، كما في الآلهة الأولولمبية ، وتجســـد الأسلاف (الأبطال) ، وقد ذكر ديورانت ما يؤيد ذلك بقوله :« ولقد اعتقدوا أيضاً أنَّه كان يحدث أحياناً أن يترل الإله — الذي هو في أول الأمر من الأســـلاف أو الأبطـــال الموتى — يتقمص جسم إنسان فيستحيل هذا الإنسان إلهاً » [٣] .

واعتقاد اليونان في أبطالهم - والحق أن يقال في آلهتهم - يتطـــابق مـــع اعتقـــاد النصارى في المسيح عليه السلام ، مما يعزز القول بتأثر النصارى بعقيدة اليونان في التجســـد ، وهو — قبل ذلك - دليل على وثنية هذا العقيدة ، والله أعلم .

تجسد الآلهة في الأباطرة الرومان :

من المعلوم أنَّ الرومان كانوا يؤلهون ملوكهم ، ويعبدونهم ، ويقيمون لهم التماثيل والمعابد الخاصة ، ومن أشهر آلهتهم روميلوس مؤسس رومية الذي يدعى :(ابن الله) وأنَّه ولد من العذراء (راسيلفيا) ، ومن آلهتهم أيضاً يوليوس قيصر الذي يعتقدون أنَّه ابن الله ، وأغسطس قيصر يعتقدون أنَّه إنسان وإله ، وقالوا عن الإسكندر المقدوني المولود عام ٣٥٦ ق.م أنَّه إله على الأرض ، وهذا التأليه لهؤلاء البشر مبني على أساس اعتقاد تجسد هذه الآلهة في صورة بشرية ، وإذا كانت الدولة الرومانية هي راعية النصرانية ، فلا غرابة إذا أن تستمد النصرانية بعض عقائدها من هذه البيئة التي عاشت فيها ، وأن تقبل الدولة الرومانية ديانة النصارى بعد أن أصبحت قريبةً منها في كثير من العقائد.

وقبل أن نغادر موضوع التجسد — وقد تبين لنا وثنية هذه العقيدة — فإنَّنا نخـــتم بذكر شهادتين لمحققين من النصارى بتأثير الوثنيات القديمة في عقائد النصارى ، وهـــي برهان على صدق ما توصلت إليه .

---

[٢] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[٣] قصة الحضارة : (٣٢٧/٦).

أولاً : تقول الكاتبة "فرنسيس يونغ"[1] بعد أن ذكرت بعض الفرضيات في شأن أصل القول بالتجسد : « والتأثير الجامع للأدلة أدى إلى قبول واسع لوجهة النظر القائلة أنَّ المسيحيين الجدد – الأمميين – (gentile) الناطقين باليونانية هم الذين حولوا المسيح – اليهودي من فلسطين – إلى كائن إلهي متجسد ، ويقولون : طالما لا يمكن تصور مثل هذا التطور في إطار العقيدة اليهودية الموحدة لله ، فالبيئة الوثنية التلفيقية وحدها هي الأصل لعقيدة التجسد »[2] .

وهذا النص يصرِّح بوثنية هذه العقيدة ، ويتضمن تبرئة رسالة المسيح عليه السلام منها .

ثانياً : يقول زكي شنودة « كما كان في معتقداتهم (قدماء المصريين) ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك ، فقد كانوا يعتقدون مثلاً أنَّ حورمحب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء ، وأنَّ آبيس كان يتجسد في مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله فيها »[3].

والشاهد في النص قول قدماء المصريين بتجسد الإله آبيس في مولود تلك العجلة ، وأنَّ وجود هذه العقيدة القديمة كانت سبباً في قبولهم للنصرانية ، وهي شهادة من مرجع كبير عند النصارى ، وقد حسن أن نختم بها هذا المطلب ، وبالله التوفيق .

المطلب الثاني : عقيدة التثليث :

التثليث عند الهنود :

يوجد في الديانات الهندية عدة صور للتثليث من أشهرها :

الصورة الأولى : الثالوث المكون من : (براهما ، وفشنو ، وسيفا) ، حيث يعتقد الهنود أنَّ الله واحد مكون من هذه الأقانيم الثلاثة ، ويعتبرون هذه الأقانيم غير منفكة عن

---

(1) محاضرة في دراسة الأناجيل – العهد الجديد – في جامعة برمنجهام – بريطانيا.

(2) أسطورة تجسد الإله ، ص:١٦٣ .

(3) موسوعة تاريخ الأقباط ، ص : ٣٤ .

الوحدة ، ويسمون هذا التعليم : "ثرى مورتي " ، ويعني باللغة السنسكريتية : الأقانيم أو الهيئات الثلاث ، ويعتبرون أنَّ كل أقنوم من هذه الثلاثة إله ، وله وظيفة محددة كما يلي :

براهما : الإله الخالق للكون ، والمصدر الذي انبثقت منه جميع الآلهة.

فشنو : الإله الحافظ ، حامي العالم ، والمتجسد في صورة (كرشنا) .

وسيفا : الإله المهلك والمبيد، الذي لا يظهر إلا في ميادين القتال والحروب .

الصورة الثانية : وهي الموجودة عند البوذيين ، حيث يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ، ويسمونه " فو" ، وقد ذكر العلامة دوان أنَّ : « البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ، ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام ، ويقولون : فو واحد لكنه ذو ثلاثة أشكال »[1] .

وقد يكون الإله فو هو بوذا المشهور عند البوذيين ، ولا أجزم بذلك ، والمقصود أنَّ صورة التثليث عند الهنود والبوذيين تشبه تثليث النصارى حتى في أسماء تلك الأقانيم .

التثليث عند قدماء المصريين :

كان التثليث عند قدماء المصريين أمراً مشهوراً ، وقد انتشر في جميع أنحاء مصر حتى أصبح لكل مدينة ثالوثاً خاصاً بها ، وأصبح الثالوث محور العقيدة المصرية .

جاء في تاريخ الأمَّة القبطية : «وكان التثليث – تمثيل الإله بشكل ثلاثة أقانيم– محور الديانة المصرية القديمة ، فكان عندهم ثواليث لكل مدينة هامة ثالوث خاص بها »[2] ومع كثرة هذه الثواليث إلا أن الثالوث المسمى "ثالوث ابيدوس" كان هو أشهرها على الإطلاق وهو مكون من ثلاثة أقانيم هي :

١– الإله أوزيريس : وهو الأقنوم الأول ، ويطلق عليه الآب ، ويعتقد المصريون : « أنَّه الإله الأكبر العظيم ، علة ولادة الأقنوم الثاني ، وخالق كل المخلوقات ، وحاكم الأزلية ، ورب الأرباب » [1] .

---

[1] نقلاً عن العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد التنير ، ص:٣٨-٣٩ .

[2] لجنة التاريخ القبطي،ص : ٢٢:٢١ .

[1] نقلاً عن الله واحد أم ثالوث ، محمد مجدي مرجان ،ص:٦٦ .

٢- الإله هورس أو "حورس" ، وهو الأقنوم الثاني ، ويطلق عليه الابن ، وهو - عندهم - إله النطق والكلام ، ولذا صوروه رافعاً أصبعه إلى فمه ، وشبهوه بالعجل ، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم ، تشبه عندهم بإنسان ليكون قابلاً للموت [٢].

٣- الإله ايس أو أيزيس ، وهو الأقنوم الثالث ، والاعتقاد عنها أنَّها ملكة السماء ، وأنَّها أم الأقنوم الثاني ، ورمزوا لها بصورة طائر جميل يشبه العصفور ، وعلى رأسه صولجان ورسموا بجانبه علامة الحياة ، وهم يشيرون بذلك إلى أنَّها باعثة الحياة للبشر »[٣] .

هذه صورة الثالوث عند قدماء المصريين ، ومشابهته للثالوث النصراني ظاهرة ؛ فهو مشابه له في الصورة (التثليث) ، وفي صفات كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة ، والتشابه قائم حتى في الألفاظ ، كما في لفظ الآب ، والابن ، والروح أو (باعث الحياة) .

وهذا التطابق بين الثالوثين يجعلنا نقطع بأنَّ النصارى قد أخذوا ثالوثهم عن المصريين ، ولم يغيروا فيه حتى الأسماء .

تعليق :

في نهاية هذا المبحث والذي ثبت فيه — عن طريق المقارنة التشابه الكبير بين الديانة النصرانية والديانات الوثنية السابقة في أغلب عقائدها نصل إلى نتيجة هامة وهي أنَّ الديانات الوثنية القديمة كانت منبعاً رئيسياً غذى النصرانية بأهم العقائد ، وإذا كانت أهم هذه العقائد الوثنية تقوم على تقديس الأشخاص والنظر إليهم على أنهم آلهة ، أو أبناء للآلهة ، أو أحد أركان هذه الآلهة ، أو أنَّ روح الآلهة قد حلت فيهم ، أو أنَّها آلهة تجسدت في صورة بشرية ، إلى غير ذلك من الاعتقادات التي يجمعها الغلو في البشر ؛ فإنَّه يصح لنا إذاً أن نعتقد أنَّ هذه الوثنيات سببٌ رئيس من أسباب التقديس للأشخاص عند النصارى ، لاسيما ما يتعلق بشخص المسيح عليه السلام ، وأنَّها كانت بمثابة التربة الخصبة التي نما فيها تقديس الأشخاص عند النصارى والله أعلم.

---

(٢) المصدر السابق ، ص : ٦٧ ، بتصرف واختصار .

(٣) المصدر السابق ، ص : ٦٧ .

المبحث الثاني :

دور بولس في تأسيس تقديس الأشخاص في الديانة النصرانية

وفيه مدخل ومطالب

- المطلب الأول : رحلات بولس
- المطلب الثاني : تأليف الرسائل
- المطلب الثالث : العقائد التي نادى بها بولس

مدخل :

إذا كانت الديانة النصرانية قد قامت على أساس تقديس الأشخاص فإنَّ شاءول اليهودي والمسمى (بولس) يتحمل الجرم الأكبر ، بل الجرم كله عن وجود هذا الغلو ؛ لأنَّه

هو المؤسس الحقيقي لهذه الديانة ، وقد سبق الحديث عنه ، وبيان موقفه الحقيقي من دعوة المسيح عليه السلام ، وما يهمنا هنا هو تفصيل دوره في تأسيس النصرانية ونشرها إلى جميع الأمم.

المطلب الأول : رحلات بولس :

ربما كانت رحلات بولس أهم أعماله التي قام بها ؛ لأنها قد استغرقت جل وقته ، ولأنّه كان يقوم من خلالها بالدعوة إلى أفكاره ، ويُعد الأتباع الذين يقبلون آراءه ، وفيما يلي عرض مجمل لرحلاته التي قام بها من خلال ما ورد في سفر أعمال الرسل :

١- بداية دعوته : كان بولس كان حريصاً على تهيئة نفسه قبل أن يقوم بنشر عقائده التي اخترعها لكي يقبلها الناس ، ولا سيما أنها كانت مصادمة لما عليه أتباع المسيح عليه السلام ؛ فقد بدأ أمره بإعلان أنّه رأى المسيح عليه السلام ، وأنّه أوحى إليه ، وأنّه قد أصبح بذلك رسول الأمم حيث قال : « بولس رسول لا من الناس ، ولا بإنسان ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات » [١] . ثمّ زعم بعد ذلك أنّ له إنجيلاً خاصاً لم يأخذه من أحد من البشر ، وإنّما أوحي إليه به من قبل المسيح عليه السلام ليدعو به الأمم « وأدعوكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنّه ليس بحسب إنسان لأنّي لم أقبله من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » [٢] . وبعد هذه التهيئة ذهب إلى العربية [٣]، ثمّ رجع إلى دمشق وبدأ يدعو ويعلن « أنّ المسيح ابن الله » ، ثمّ تشاور اليهود على قتله ، فهرب إلى أورشليم بعد أن قضى في دمشق ثلاث سنوات .

٢- زيارته الأولى لأورشليم : هذه الزيارة هي الأولى لبولس إلى أورشليم وقد رفضه التلاميذ إلا ما كان من برنابا ، حيث أخذه وجاء به إلى التلاميذ ، ولكنّه لم يقابل منهم إلا بطرس ، ويعقوب ، وكان ذلك على انفراد ، ولم يمكث في هذه المدينة إلا خمسة عشر يوماً ، حيث حاول اليهود أن يقتلوه ، فهرب إلى قيصرية ثمّ طرسوس مسقط رأسه ، وبقي فيها عشر سنوات ، حتى جاء إليه برنابا وذهبا إلى أنطاكية وبقي فيها عاماً كاملاً .

---

[١] الرسالة إلى أهل غلاطية : (١/١-٢) .

[٢] المصدر نفسه : (١/١١-١٢) .

[٣] تطلق على بلاد العرب ، والمراد بها هنا المنطقة الواقعة جنوب دمشق . انظر : العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ، ص:٣٢ .

٣- زيارته الثانية لأورشليم : سمع بولس وبرنابا بحدوث مجاعة كبيرة في أورشليم فجمعا التبرعات من أنطاكية ، ثمَّ ذهبا إلى مدينة القدس ، ويبدو أنَّه عاد بعـــد ذلـــك إلى أنطاكية ليبدأ من هناك ما أُطلق عليه الرحلات التبشيرية الكبرى .

٤- رحلته الأولى : من أنطاكية بدأت رحلته التي توصف بـــ "التبشـــيرية" الأولى برفقة برنابا إلى سلوكية (١) ، ومنها سافرا في البحر إلى قبرص حتى وصلا إلى سلاميس (٢)، وبافوس (٣) في هذه الجزيرة ، ومن هناك إلى آسيا الصغرى ، ثم برجة بمفيلية (٤) ثم أنطاكيـــة بيسيدية (٥)، ثم أيقونية (٦)لسترة (٧) ودربة (٨) ثمَّ رجعا من نفس الطريق حـــتى وصـــلا إلى أنطاكية .

٥- زيارته الثالثة لأورشليم : بعد أن عاد بولس وبرنابا إلى أنطاكية ظهـــرت في القدس مشكلة الختان لغير اليهود والذين يسموهم "الأمميين" فذهبا إليها للمرة الثالثة وعقـــد هناك المجمع المشهور الذي أُطلق عليه "مجمع أورشليم" وكان بشأن قضية الختان وانتهى إلى إقرار السماح لغير اليهود بعدم الختان ، ثمَّ عاد بولس وبرنابا إلى أنطاكية مرة أخرى.

٦- الرحلة الثانية : بعد العودة إلى أنطاكية بدأت رحلة بولس الثانية ، ويظهر أنَّ الغرض من هذه الرحلة تفقد المناطق التي كان قد زارها في المرة الأولى ، واقترح برنابـــا في هذه الرحلة مرافقة مرقس ، لهما ولكن بولس رفض ذلك وحدث بينهما خلاف كبير أدي إلى رجوع برنابا ومرقس إلى قبرص وأكمل بولس رحلته ، وعندما وصل إلى تســـالونيكي

---

(١) تقع على ساحل البحر المتوسط على بعد ٢٦كم غربي أنطاكية . انظر العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ، ص:١٥٦ .

(٢) تقع على الساحل الشرقي لجزيرة قرص ، وكانت مقر الحكومة الرومانية . انظر : المصدر نفسه ، ص: ١٥٦ .

(٣) تقع في الطرف الجنوبي الغربي لجزيرة قبرص ، وكانت العاصمة الرسمية للجزيرة .انظر : المصدر نفسه ، ص:١٥٦

(٤) مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط (تركيا حالياً) ، وكانت الميناء الرئيسي لمقاطعة بمفيلية وهي مقاطعة رومانية في الجزء الجنوبي من آسيا . انظر المصدر نفسه ، ص : ١٣٨،١٥٦ .

(٥) نسبت إلى سيدية تمييزاً لها عن أنطاكية عاصمة سورية ، وسيدية منطقة في جنوب آسيا الصغرى ، وهي جزء من المقاطعة الرومانية في غلاطية . انظر المصدر نفسه ، ص:١٥٧ .

(٦) مدينة تقع على بعد ١٣٠كم تقريباً جنوب شرق أنطاكية بسيدية . انظر :المصدر نفسه ، ص:١٥٩ .

(٧) مدينة على بعد ٣٠كم جنوب غرب أيقونة ، وكانت مستعمرة رومانية . انظر المصدر نفسه ، ١٥٩ .

(٨) مدينة تقع على بعد ٩٧كم جنوب شرق أيقونة على الحدود الجنوبية لمقاطعة غلاطية . انظر المصدر نفسه ، ص:١٥٩ .

ناقش اليهود في مسألة آلام المسيح ، وقيامته بين الأموات ، فثار اليهود ضده وطـردوه إلى بيرية ، فاضطر إلى الهروب إلى أثينا ، ومنها ذهب إلى كورنثوس ، ثمَّ إلى أفسس ، ومنها عاد مرة أخرى إلى أنطاكية بعد رحلة استمرت ثلاثة أعوام .

٧- الرحلة الثالثة : بعد عودة بولس إلى أنطاكية بدأ منها رحلته الكبرى الثالثة حيث ذهب إلى كل من غلاطية ثمَّ فريجية ، ومكث فيها ثلاث سنوات ثمَّ أفسس ثمَّ تركها وذهب إلى مكدونية [1] ، ثمَّ اليونان ، ثم سار إلى فيليبي واستمر في طريقه إلى أورشليم ، وفيها أُتهم بتدنيس الهيكل ، فحاول اليهود قتله ولكن تدخلت السلطات الرومانية وأرسلت إلى قيصرية حيث حبس فيها لمدة سنتين ، ثمَّ نقل إلى رومية وبقي فيها عامين ثمَّ قتل – بعد محاكمة – في عهد نيرون .

تحليل ومناقشة :

بعد هذا العرض الموجز عن رحلات بولس – بحسب ما جاء في سفر أعمال الرسل – تتضح لنا الأمور التالية :

١- القول بأنَّ برنابا هو الذي أدخله على التلاميذ مع رفضهم له ، وأنَّه رافقه في رحلاته غير مسلم ؛ لأنَّ برنابا له إنجيل رفض فيه كل مزاعم بولس ، ولأنَّه لا وجه لرعايته لبولس مع رفض جميع التلاميذ له ، وجميعهم على رأي واحد ، والقول بأنَّ هؤلاء تلاميذ المسيح عليه السلام مع نقلهم لآراء بولس الكفرية أمر لا يمكن التسليم به .

٢- أنَّ بولس قد أعلن من بداية دعوته استقلاله التام عن أتباع المسيح عليه السلام بعد أن أعلن أن له وحياً ، ورسالةً ، وأنجيلاً ، بل وأمماً أخرى ، غير اليهود ، وهم الأمميين ، وكفى بهذا دليلاً على استقلال النصرانية عن رسالة المسيح عليه السلام .

٣- أنَّ بولس في كل جولة يقوم بها يجد مقاومة عنيفة من قبل اليهود تصل إلى محاولة قتله ، وأنَّه كان يلوذ بالفرار من كل محاولة ، وهذا يدل دلالة واضحة أنَّ ما يدعو إليه كان مخالفاً لما كان عليه اليهود سواء كانوا قد آمنوا بما جاء به المسيح أو أنهم بقوا على شريعة التوارة التي جاء بها موسى عليه السلام .

---

[1] مقاطعة رومانية يفصلها عن مقاطعة آسيا بحر إيجه ، وهي الآن في النصف الشمالي من اليونان . انظر المصدر السابق ، ص:١٦٢ .

٤- هذه الرحلات كانت من أجل نشر الأفكار والعقائد التي يؤمن بها بولس ، وإن كان أثره محدوداً إلا أنَّه قد تحقق له بعض مما يدعو إليه .

المطلب الثاني : تأليف الرسائل

تعد رسائل بولس المرجع الأول في شرح العقائد التي دعا إليها ، وهي تشكل أغلب الجانب التعليمي من العهد الجديد ، ولها قيمة تاريخية كبرى عند النصارى باعتبار أنَّها أول الآثار التي دونت للنصارى - كما يرى الكثير منهم - ، وبناء على ذلك ؛ فإنَّ بولس أول من كتب في النصرانية ، ورسائله أول ما تم قبوله لدى الكنيسة من كتب العهد الجديد ، فقد دونت قبل الأناجيل وقبل سفر الأعمال .

وهذه الرسائل موجهة إلى الكنائس التي أنشأها في أثناء رحلاته ، وبعضها إلى تلاميذه ، ويبلغ أربع رسائل ، و يناقش بولس فيها الخلافات بين أتباعه ، أو الخلاف الذي يحدث حول العقائد التي يدعو إليها، وسوف أتحدث عن هذه الرسائل بحسب ترتيبها الحالي في العهد الجديد ، بشيء من الإيجاز لنخرج بفكرة موجزة عن أهم ما تضمنته .

١- الرسالة لأهل رومية : تحتوي على ستة عشر إصحاحاً ، وتعد من أهم الرسائل من جهة بيان عقيدة بولس ، ولذلك تناولها كبار الشراح من النصارى بالشرح من أمثال أُورِيجانيس ، ويُوحنَّا الذهبي الفَم ، وتُيودُو رَيطَس ، وغيرهم ، وتتحدث عن مسائل ما يسمى عندهم بالتبرير ، والخلاص ، وشريعة موسى ، والإيمان ، والقيمة النبوية لشخص ابراهيم عليه السلام ، ومن أهم آرائه في هذه الرسالة — وهو الموضوع الرئيس لها - أنَّ الخلاص من الخطيئة لا يكون بالإيمان بشريعة موسى عليه السلام التي تسمى (الناموس) ، وإنما بالإيمان بأنَّ المسيح عليه السلام هو الرب « لأنَّه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطيئة ، وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء ، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ... » [١] .

٢- الرسالة الأولى إلى أهل كورنثس : تبلغ ستة عشر إصحاحاً ، وقد كتبها بولس عندما طلب منه أهل كورنثوس التدخل لحل المشكلات بين أتباعه ، عندما أثيرت بعض

---

[١] الرسالة إلى أهل رومية : (٢٠-٢٣).

القضايا المتعلقة بحكم الزنى ، والتقاضي لدى المحاكم الوثنية ، ومسألة اللحم المذبوح للأوثان هل يجوز أكله أم لا ؟ وعقيدة قيامة الأموات ، وغيرها ، فأجابهم بولس بتلك الرسالة .

٣- الرسالة الثانية إلى أهل كورنثس : يبلغ عدد إصحاحات هذه الرسالة ثلاثة عشر إصحاحاً ، وسبب تأليفها استمرار الخلافات بين أتباعه ، ولذلك تحدث فيها بولس عن علاقته بهذه الجماعة ، وتوصيته بجمع التبرعات من أجل أهل أورشليم ، ودفاعه عن نفسه أمام التهم الموجهة إليه ؛ وأسلوبها يتسم بالجدل مع خصومه ، ويتميز بالحدة .

٤- الرسالة إلى أهل غلاطية : تبلغ ستة إصحاحات فقط ، وهي موجهة إلى الكنائس في غلاطية ، وفيها يخاطب بولس الذين ارتدوا عن دعوته- بزعمه -، ومن أهم موضوعاتها التأكيد أنَّ الخلاص لا يكون بالإيمان بشريعة الناموس وإنَّما بالإيمان بالمسيح (الرب في اعتقادهم) فقط ، وفيها يهاجم بولس المتمسكين بشريعة الناموس .

٥- الرسالة إلى أهل أفسس : تبلغ ستة إصحاحات فقط وموضوعها الرئيس – كما يزعم كاتبها - الحديث عن السر الذي قضاه الله – تعالى – منذ الأزل ، وبقي محجوباً في القرون الماضية ، وتحقق في المسيح ، وكُشف لبولس ، وتجلى في الكنيسة ، ويقصد به – كما يظهر من الرسالة – الطريقة التي يوجه بها الله التاريخ إلى تمامه [1] ، وتتحدث الرسالة عن موضوعين أساسيين ، الأول : الحديث عن الكنيسة بما في ذلك التحول العظيم الذي حدث في عهد المسيح (بزعمه) ، والثاني : هو إرشاده لمن يسمى (بالمعمَّدين) ، وفيها دعوة بولس إلى وحدة الجماعة مع الحديث عن بعض الطقوس التي تؤدى في الكنيسة .

٦- الرسالة إلى أهل فيلبي : تبلغ أربعة إصحاحات فقط ، و تنسب إلى مدينة فيلبي التي زارها بولس في أثناء رحلته الثانية ، وفيها وتعرض فيها لمعاملة سيئة ؛ حيث سُجن ثمَّ اضطر إلى مغادرة المدينة ، وترك فيها جماعة معظمهم من أصل وثني ، وكتب هذه الرسالة في سجنه ووجهها هو وتلميذه تيموثاوس إلى أهل فيلبي ، وذكر فيها ما جرى له من الاعتقال والسجن ، وحث أتباعه على الدعوة إلى الإنجيل الذي بشرهم به .

٧- الرسالة إلى أهل قولسي : تبلغ أربعة إصحاحات ، وتتضمن ذكر ما يسمى بالخدمة الرسولية ، ثمَّ التحذير – وهو سبب كتابة الرسالة – من الأمر الذي يهدد الكنيسة

---

[1] الرسالة إلى أهل أفسس : (١/ ١٠) ، النسخة المشروحة لما يسمى بالكتاب المقدس ، الفقرة الثامنة .

بالخطر ، وهو ما ينادي به معلمون من أهل البدع – بحسب اعتقاد بولس – من تعاليم وأحكام ، ثمَّ توصيات تتناول العلاقة مع الآخرين ، ووصف الحياة العائلية ، والاجتماعية .

٨- **الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي** : تسالونيكي عاصمة إقليم مقدونية الروماني ، وقد زارها بولس في رحلته الثانية ، وكتب لأهلها هذه الرسالة البالغة خمسة عشر أصحاحاً وتُعد أقدم وثيقة كتبت في النصرانية ، وتتحدث عن شكر بولس لأهل تسالونيكي على قبول دعوته ، ثمَّ إرساله تلميذه تيموثاوس إلى هذه المدينة ، وعودته بالأخبار التي سرَّت بولس ، ومن أهم ما جاء فيها عقيدة المسيح المنتظر ، وهي أنَّ الرب "يسوع" سيترل من السماء ، ويقوم الذين ماتوا ومعهم من بقي من الأحياء ثمَّ يُخطفون في الغمام لملاقاة المسيح في الجو فيكونوا مع الرب.

٩- **الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي** : وهي أصغر الرسائل ، حيث تبلغ ثلاثة إصحاحات فقط ، وفيها يظهر افتخار بولس بأتباعه من أهل تسالونيكي ، وحثهم على الثبات على ما هم عليه ، ثمَّ الإخبار بالأمور التي تسبق نزول المسيح ، مثل حدوث الردة ، وظهور الإلحاد على يد المسيح الدجال ، ثمَّ حث أتباعه على الثبات ، وتختتم بالحث على العمل وترك البطالة .

الرسائل من العاشرة حتى الثالثة عشر(الرعوية) : سميت هذه الرسائل بالرعوية لأنَّها موجهة إلى رعاة الكنائس ، وهم تلاميذ بولس ، وعددها أربع ، وهي الرسالة الأولى والثانية إلى تلميذه تيموثاوس ، والرسالة إلى تلميذه تيطس ، والرابعة رسالته إلى تلميذه فيلمون ، وهذه الرسائل متشابهة في مضمونها ، ولا تكاد تخرج عن طابع الوصية لتلاميذه ، وتدور حول تنظيم شؤون الكنيسة ، والأعمال التي تؤدى داخلها ، وكذلك التزام الأفكار التي دعا إليها بولس ، كما تتضمن الوصايا ببعض الآداب المختلفة .

١٤- **الرسالة إلى العبرانيين** : وتبلغ ثلاثة عشر إصحاحاً ، وموضوعها الرئيس هو شخصية المسيح عليه السلام - كما يراها بولس- وأنَّه الابن الذي يجلس عن يمين الرب بعدما قام بعملية الفداء ، وهو عظيم الكهنة الذي مات فداء للبشر .

المطلب الثالث : العقائد والأفكار التي نادى بها بولس :

أولاً : العقائد التي دعا إليها بولس :

عقيدة الخلاص :

هذه العقيدة هي الأساس الذي قامت عليه جميع العقائد الأخرى عند بولس ، وهـي التي غلبت على تفكيره ، ففاضت بها رسائله ، وهي مبنية على عقيدة الخطيئـة الجديَّـة ، والمصود هنا إثبات أنَّ بولس هو مبتدعها.

ويعترف الأب بولس إلياس الخوري بأنَّ عقيدة الخلاص هي من ابتداع بولس فيقول: « ومما لاريب فيه أنَّ الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها في رسـائله بأساليب مختلفة ، هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم مـن عِثارهم فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهـد النـاموس الموسوي إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا » [١] .

ويقرر بولس هذه العقيدة بقوله : « ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس للننال التبني »[٢] ، « ربنا يسـوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لينقذنا من العالم الشرير حسب إرادة الله وأبينا » [٣] .

ومن هذين النصين يتضح لنا أنَّ بولس يجعل الهدف من إرسال عيسى عليه السلام هو تخليص البشر من الإثم الذي لحق بهم بسبب خطيئة أبيهم آدم – بزعمه تتناقض أيضاً مع الغـرض الحقيقي من إرسال عيسى عليه السلام ، وهو هداية بني إسرائيل ، وبذلك تتضح المفارقة بين الغاية الحقيقية من إرسال عيسى عليه السلام ، وبين الغاية التي يقررها بولس في رسائله ، ولذلك نجد أنَّ بولس يبتدع أموراً أخرى لكي تكتمل عنده صورة المخلص ومنها :

بنوة المسيح لله : تشغل هذه العقيدة أهمية كبيرة في فكر بولس ؛ فهو يجعل بنوة المسيح موضوع دعوته ، التي تضمنها إنجيله الذي يكرز به في المجامع كما جاء في رسـائله : « لأنَّ ابن الله يسوع المسيح الذي كرز به بينكم بواسطتنا » [١].

---

[١] نقلا عن المسيحية ، احمد شلبي ص: ١٧٢ .

[٢] الرسالة إلى أهل غلاطية : (٤/٤-٦).

[٣] المصدر نفسه : (١/٣-٤).

[١] الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (٩/٢٠)

بل جعل بولس الإيمان بأنَّ المسيح ابن الله هو أساس الإيمان : « إذ نعلم أنَّ الإنسـان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح » [٢] .

ولذلك كان أول ما دعا إليه بولس في المجامع هو أنَّ المسيح عليه السلام ابن الله ، كما جاء في سفر أعمال الرسل : « وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله » [٣]

وأشير هنا إلى أمرين :

الأول : أنَّ بولس وهو يصف المسيح عليه السلام بأنه ابن الله يتحدث عن عنصر إلهـي أزلي الوجود ، كما صرح هو بذلك ، حيث يقول : « شاكرين الآب الذي أهلنا لشراكة ميراث القديسين في النور الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فإنَّ فيـه خلـق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يري وما لا يرى ، الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل ، وهو رأس جسد الكنيسة الذي هو البداءة بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء » [٤].

وهذا النص من أجمع النصوص في بيان اعتقاد بولس في المسيح عليه السلام ؛ فهو قد منحـه كل صفات الألوهية ، وجعله شريكاً مع الله تعالى مع الإكثار من وصفه بالربوبية ، فيقـول مثلاً : « لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحـد يسـوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به » [٥] .

ونحن إذا حملنا هذا النص على ظاهره نرى أنَّ بولس يجعل الرب واحداً ، وهو الـذي ينسب إليه جميع الأشياء وهذا الرب – عنده – ليس إلا عيسى ابن مريم عليه السلام .

الأمر الثاني : أنَّ بولس يحرص دائماً على ربط هذه العقيدة بالعقيدة الأساسـية الـتي شغلت فكره ، وهي عقيدة الخلاص ، ومما يدل على ذلك : « لأنَّه يوجد إله واحد ووسيط

---

[٢] الرسالة إلى أهل غلاطية : (١٦/٢).

[٣] أعمال الرسل : (٢٠/٩).

[٤] الرسالة إلى كولوسي : (١٢/١– ١٩)

[٥] الرسالة إلى أهل كورنثوس : (٦/٨) .

واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع »[1] ، ويقول في نص أكثر صراحة : « ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي » [2] .

وهنا نجد أنَّ بولس أطلق على المسيح ابن الله ؛ لأنَّه المخلص للبشرية من الآثام .

عقيدة التجسد :

قرر بولس في الرسائل المنسوبة إليه عقيدة التجسد ، حيث جاء في خطابه لتلميذه تيموثاوس:« عظيم هو سر التقوى :الله ظهر في الجسد تبرر في الروح » [3] .

وهو يربط عقيدة التجسد بعقيدة الخلاص ربطاً وثيقاً حيث يقول : « الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس ، وإذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، لكي تجثوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ، وتحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الآب »[4] .

وهكذا نجد أنَّ بولس يربط بين بنوة المسيح عليه السلام وكونه الرب ويجعل ذلك لأجل خلاص البشرية من الخطايا .

الصلب والفداء :

وهذه الحادثة وإن وقعت تاريخياً على غير عيسى عليه السلام ، من قبل اليهود ، وهي من أشد ما كان ينقم به النصارى عليهم إلا أنَّ بولس قد قام بدور خطير تجاهها ، وهو فلسفتها وتبريرها وفقاً لما يخدم عقيدته الأساسية ، وهي عقيدة الخلاص ، فقد سخر هذه الحادثة وجعلها الغرض من إرسال عيسى عليه السلام ، والوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلاص الذي جاء المسيح عليه السلام من أجله ، ومن أقواله : « ولكنَّ الله يبين محبته لنا لأنَّه ونحن بعد خطاة

---

[1] الرسالة إلى تيموثاوس : (٢/ ٦) .

[2] الرسالة إلى أهل غلاطية : (٢/٢٠).

[3] الرسالة إلى تيموثاوس : (٣/١٦).

[4] المصدر نفسه : (٣-١١).

مات المسيح لأجلنا »[1]، « هو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام » [2] : « الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا » [3] .

القيامة من بين الأموات :

لم تكتمل عقيدة الخلاص عند بولس ، بالاعتقاد بصلب المسيح عليه السلام ، ولم تكن هذه العقيدة مكتملة بهذه الصورة ؛ لأنَّه ليس من المقبول أن تكون نهاية الإله المخلص هي الموت فحسب ، ويبدو أنَّ بولس أدرك هذا الخلل فاخترع عقيدة أخرى ، وهي عقيدة القيامة من الأموات ، ثمَّ أكملها باعتقاد أنَّ المسيح عليه السلام بعدما قام من بين الأموات صعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وأنَّه سيتولى الحساب يوم الدينونة ورأى أنَّه بذلك قد اكتملت له صورة الإله .

وعقيدة القيامة يقررها بولس كما يلي : « نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » [4] ، ويقول أيضاً : « إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، وباطل أيضاً إيمانكم » [5] .

ونجد في هذين النصين ربط عقيدة القيامة بعقيدة الخلاص ، وعقيدةألوهية المسيح عليه السلام ، لأنَّه لا يعقل أن يكون إلهاً ثمَّ يموت ولا يقوم من الأموات ، ونلاحظ أنَّه يجعل الإيمان بهذه العقيدة أساس (كرازته) ، وأنَّه بدون الإيمان بها يبطل الإيمان من أصله .

محاسبة الناس يوم القيامة :

كانت آخر عقائد بولس المتممة لنظرية الخلاص ، هي أنَّ المسيح عليه السلام – وهو الإله الابن في نظره – هو الذي سيتولى الحساب يوم القيامة ، ومن أقواله في ذلك : « أقام الله المسيح من الأموات ، وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وأخضع كل شيء تحت قدميه »[6] ، وفي نص أصرح من ذلك يقول : « لابد

---

[1] الرسالة إلى أهل رومية : (٥/٨)٠

[2] الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (٥/١٥)٠

[3] الرسالة إلى أفسس : (١/٧) الرسالة إلى كولوسي : (١/١٤)٠

[4] الرسالة إلى رومية : (٤/٢٤-٢٥)٠

[5] الرسالة إلى كورنثوس : (١٥/١٤)٠

[6] الرسالة إلى أهل أفسس : (١/٢٢)٠

أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أو شراً » [١] ، وجاء في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا اختصاص المسيح عليه السلام دون الله – سبحانه وتعالى – بالحساب يوم القيامة : « الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » [٢].

وعقيدة الحساب يوم القيامة مبنية على أنَّ المسيح عليه السلام هو الإله الابن ، ولذلك تولى هذه المهمة .

التثليث :

لم تستقر عقيدة التثليث بصفة رسمية إلا في أواخر القرن الرابع ، ولم أجد نصاً صريحاً عن بولس في هذه العقيدة ، ولكن جذورها تعود إليه ، فإمَّا أن يكون هو واضعها على الحقيقة ، أوأنَّ أقواله كانت الأرض التي نبتت فيها ، وقد وجدت نصاً قد يكون عندهم بمثابة الأصل لهذه العقيدة عنده ، حيث يقول: « نعمة ربنا يسوع ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم »[٣] .

ثانياً : إلغاء الشريعة :

لم يقتصر دور بولس على ابتداع العقائد الجديدة ، بل قام بدور آخر يتمثل في إلغاء الشريعة التي كان معمولاً بها عند اليهود ، وذلك من خلال :

١– محاولة نقض الشريعة من أصلها :

لقد دعا بولس من خلال رسائله إلى التحرر من شريعة الناموس فقال : « وأمَّا الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين به »[٤] .

ثمَّ تدرج في هذا الأمر حتى اعتبر الناموس لعنة جاء المسيح عليه السلام ليخلص منها : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا »[٥] ، وهو مع هذه الدعوة إلى التحرر من هذه الشريعة من أصلها ، فقد حاول إلغاء كثير من الشرائع ومن الأمثلة على ذلك :

---

[١] يوحنا : (٥/٢٢).

[٢] المصدر نفسه : (٥/٢٢) .

[٣] الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (١٣/١٤) .

[٤] الرسالة إلى أهل رومية : (٧/٦) .

[٥] الرسالة إلى أهل غلاطية (٣/١٣) .

(أ) **إلغاء شريعة الختان:**

كان اليهود المتبعون لشريعة موسى عليه السلام يختتنون ، وسموا لأجل ذلك « أهل الختان » وسموا غيرهم أهل الغرلة، وكانت أول مشكلة في موضوع الختان عندما دخل بعض الوثنيين في النصرانية ، وكانوا غير مختونين ، فانعقد مجمع القدس لمناقشة هذا الموضوع وانتهى بإعفاء الأمميين من هذه الشريعة ، ثمَّ جاءت رسائل بولس بعد ذلك لتقرر ذلك ، ومن أقواله : « ها أنا بولس أقول لكم إنَّه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً »[1] .

وقام بولس بتأويل معنى الختان بأنَّه ليس الختان المعروف وإنَّما هو الإيمان ، وهو الذي ينفع « ما نفع الختان لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان »[2]

ثمَّ نجده بعد ذلك يؤول معنى الختان تماماً ، فيجعله بالروح فقط : « وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان »[3] .

(ب) **تحليل سائر الأطعمة المحرمة :**

جاء بولس ليحل كل ما كان محرماً في التوراة ، بل ذهب إلى أنَّ الطهارة والنجاسة لا تتعلق بذوات الأشياء ، وإنَّما هي بحسب نظرة الأشخاص إليها وعند ذلك «لم يبق شيءُ نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فهو له نجس»[4]

ثمَّ يؤكد بأنَّ المؤمنين (بالنصرانية) قد أصبح كل شيئ طاهراً بالنسبة إليهم « كل شيء طاهر بالنسبة للطاهرين ، وأما النجسون وغير المؤمنين فليس شيء طاهر ، بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم »[5] .وهكذا يتدرج بولس حتى يعلن أنَّ كل شيء قد أصبح حلاً له « كل الأشياء تحل لي ، لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط على شيء ، الأطعمة للجوف، والجوف للأطعمة والله سيبيدها وتلك »[6].

---

[1] المصدر السابق : (٥/٢) .

[2] الرسالة إلى أهل رومية : (٣/٣٠) .

[3] الرسالة الثانية إلى أهل رومية : (٢/٢٥-٢٩) .

[4] الرسالة إلى أهل رومية ١٤/١٤

[5] الرسالة إلى أهل تيطس ١/١٥

[6] الرسالة إلى أهل كور نثوس : (٦/ ١٢، ١٣)

ويفهم من هذه النصوص أنَّ ما كان محرماً في التوراة قد أصبح حلالاً عنــد بــولس ويدخل في ذلك لحم الختزير والخمر ، وغيره من المحرمات المعلومة .

ثالثاً : إدعاء عالمية الرسالة .

كانت رسالة المسيح خاصة ببني إسرائيل ، ولكنَّ بولس خرج بنصرانيته عن هذه الفئة الخاصة ليبشر بدينه الجديد كل الأمم فنجده يقول : « يسوع المسيح ربنا الذي به لأجــل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم »[١] ، « إني مديون لليونانيين والبرابرة ، للحكماء والجهلاء » [٢] ، « لأنَّكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يســوع لأنَّ كلكــم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ، ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبــد ولا حــر ، ليس ذكر ولا أنثى ، لأنَّكم جميعاً واحد في المسيح يسوع »[٣] ، ولم يقف الحد عند ذلك ، بل أدعى بولس أنَّه صاحب الحق في إخراج هذه الدعوة إلى خارج النطاق الذي رسمه لهــا المسيح عليه السلام حيث يقول « لي أنا أصغر القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمــم بغنى المسيح الذي لايستقصى» [٤]، وقد طبق عملياً هذا المبدأ ، فخرج يدعو إلى النصــرانية خارج فلسطين ، وأمَّا رحلاته المسماه عند النصارى بالتبشيرية ، فقد كانت كلها خــارج فلسطين ولغير اليهود .

ونخلص من العرض بأنَّ دور بولس تركز في أمرين :

الأول : التأسيس للنصرانية ، ويتمثل في تأليف الرسائل التي تتضمن ما دعا إليه .

والثاني : نشر النصرانية ، من خلال ادعاء عالميتها ، ثم من خلال رحلاته التي خــرج بها إلى غير اليهود من جميع الأمم ، وبذلك يتبين أثر بولس في تأسيس العقائــد الغاليــة في المسيح عليه السلام .

---

[١] الرسالة إلى أهل رومية : (١/٤-٥).

[٢] المصدر نفسه : (١/١٤).

[٣] الرسالة إلى أهل غلاطية ٣/ ٢٦- ٢٨ .

[٤] الرسالة إلى أفسس : ٣/ ٨

المبحث الثالث

دور المجامع النصرانية في تقديس الأشخاص

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول : تعريف المجامع النصرانية
- المطلب الثاني : أثر مجمع نيقية والقسطنطينية في تقديس الأشخاص
- المطلب الثالث : نقد المجامع النصرانية اجمالاً

المطلب الأول : تعريف المجامع النصرانية :

المجامع جمع مجمع ، والمجمع – بحسب تعريف النصارى : « اجتماع رؤساء الكنيسة ، بحسب الأصول والقوانين لحاجة في الكنيسة تقتضيها الظروف ، يتدارس فيها أولئك الرعاة الموضوع المطروح عليهم ويأخذون القرار الضروري وينفذونه إلى جميع المسيحيين الذين يرعونهم » (١) .

وتتنوع هذه المجامع بحسب الفئة المجتمعة ، ولكنَّها لا تخرج عن ثلاثة أنواع :

١- مجامع عامة : وتسمى "المسكونية" ، وتجمع رؤساء الكنائس في كل العالم .

٢- مجامع طائفية : وهي التي تختص بطائفة ، أو مذهب معين .

٣- مجامع إقليمية : وهي التي تختص بإقليم أو مكان ما .

ويعود تاريخ المجامع النصرانية إلى بداية النصف الثاني من القرن الميلادي الأول ، حيث يذكر النصارى أنَّ أول المجامع النصرانية هو المجمع الذي عقد في أورشليم برئاسة يعقوب اين حلفا أسقف أورشليم استناداً إلى ما جاء في سفر أعمال الرسل (٢).

وأمَّا الأساس الذي يعتمد عليه النصارى في إقامة هذه المجامع ، ويستدلون به على شرعيتها ؛ فهو ما نسبوه إلى المسيح عليه السلام أنَّه قال : « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » (٣).

وأمَّا أسباب انعقادها، فتعود إلى حل الخلافات التي تحدث بين النصارى ، ولاسيما في مسائل الإيمان ، وقد تكون أيضاً لتنظيم شؤون الكنيسة ، وسن القوانين التي تحقق ذلك ، ويرجع القمص كيرلس الأنطوني أسباب انعقاد المجامع إلى خمسة أمور هي :

١- بحث المسائل المتعلقة.

٢- وضع النظم والقوانين اللازمة لسياسة الكنيسة.

٣- حل المشاكل العامة التي تعترض الكنيسة.

٤- فض المنازعات والخصومات بين الأكليروس أو بين الشعب أو بين كليهما.

---

(١) مدخل إلى المجامع المسكونية الأبوان ميشيل أبرص وأنطوان عرب ، ص:٢٠ .

(٢) أعمال الرسل : (٢٠/١).

(٣) متى : (٢٠/١٨).

٥- محاكمة رجال الأكليروس إذا صدر منهم ما ينافي الإيمان القويم أو يخالف ما تقرره البيعة من قوانين [١] .

وهذه الأسباب التي ذكرها كيرلس تعود إلى سببين رئسيين هما :

الأول: حل الخلافات العقدية ، والثاني : تنظيم شؤون الكنيسة .

وقد كانت هذه المجامع مكانية في بداية الأمر واستمرت كذلك حتى عهد قسطنطين الذي أظهر اعتناقه للنصرانية ، ثمَّ أعلن الديانة النصرانية ديانة رسمية للدولة ، وعقد أول مجمع مسكوني ، وهو مجمع نيقية ، ثمَّ أصبحت هذه المجامع تعقد بطلب من الامبراطور في الغالب ، وذلك بحسب ما يستجد من الأمور بالنسبة للكنيسة .

أهمية هذه المجامع لدى النصارى :

تشكل هذه المجامع أهمية كبرى لدى النصارى ، حيث أصبحت أهم المصادر للعقائد النصرانية ، بدليل أنَّ أغلب العقائد التي عليها النصارى اليوم قد أخذت صفتها الرسمية من هذه المجامع ، ولو لم يوجد لها أي سند من مصادر أخري من كتبهم ، ولذلك يصفها النصارى بالمقدسة ، لأنهم يعتقدون أنَّ الأساقفة الذين يجتمعون يمثلون من يسمى عندهم بالرسل ، وأنَّ الروح القدس هو الذي يقود النقاش فيما بينهم ، وبناء على ذلك ؛ فإنَّ قرارات هذه المجامع مستوحاة من الروح القدس ، ولذلك درجوا على القول في نهاية كل مجمع : « لقد حسن لدى الروح القدس ولدينا .. » [٢].

المطلب الثاني : أثر مجمع نيقية والقسطنطينية على تقديس الأشخاص

أولاً : مجمع نيقية :

أسباب انعقاد المجمع وزمنه ومكانه :

في كنيسة الإسكندرية ظهر خلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام ، بدأ في عام ٣١٣م ، ونشأ بين كلٍ من السكندر بطريرك الإسكندرية وآريوس أحد كهنة الإسكندرية وخلاصة هذا الخلاف أنَّ السكندر يرى أنَّ الكلمة ابن الله مساوٍ للآب ، وأن له طبيعة واحدة ، أمَّا آريوس فقد اعتبر هذا التعليم هرطقة وليس من تعليم الإنجيل ، وكان رأيه في الأب والابن

---

[١] عصر المجامع : (٢٧-٣٠) ، باختصار.

[٢] مدخل إلى المجامع المسكونية ، الأبوان ميشال أبرص وأنطوان عرب ، ص:٢٢ .

يتلخص في أنَّ الله هو الإله الواحد والأزلي الموجود بذاته وأنَّ المسيح عليه السلام مخلوق مثل كل الخلائق ، وليس أزلياً ، وليس من جوهر الآب ، فقد خرج من العدم بحسب مشـيئة الله ، وأنَّه متغير وليس ثابتاً ، ومعرفته بالله محدودة وليست مطلقة ، ولا يستطيع أن يعلـم الأب بطريقة كاملة ، وأنَّه ليس إلهاً ، ولا يملك الصفات الإلهية المطلقة ، وبناءً عليه ؛ فهو ليس إلهاً بذاته ولكنَّه ارتقى هذه الدرجة عن طريق رفع الله الأب له(١) .

وقد اشتد النزاع بينهما ، وعقدت من أجل ذلك مجامع عدة لكنها فشلت في تحقيق اتفاق بينهما حتى وصل الخبر إلى قسطنطين الذي هاله هذا الخلاف الذي يشكل خطراً على امبراطوريته ، فأرسل أحد مستشاريه وهو هوسيوس (٢) إلى مصر لحل النزاع ولكنَّه وجد أنَّ النزاع قد اشتد فلم يصغ إليه كلا الطرفان فعزم قسطنطين على عقد مجمع للأساقفة لتقريـر التعليم الصحيح .

الإعداد للمجمع :

عقد قسطنطين مجلساً من الأساقفة عام ٣٢٥م ، في نيقية حضره عدد لا يقـل عـن ٣١٨ أسقفاً ، وحشد كبير من رجال الدين الذين هم أقل منهم درجة ، وبلغ عددهم ألفين وثمانٍ وأربعين شخصاً ، واجتمع المجلس في أحد قصور الإمبراطور ، وكان برئاسة قسطنطين نفسه ، وافتتح المناقشة بدعوة موجزة وجهها إلى الأساقفة طلب إليهم فيها أن يعيـدوا إلى الكنيسة وحدها ، ثمَّ بدأت جلسات المجمع التي حضر قسطنطين أكثرها واسـتمرت مـدة تربوا على الشهرين (٣) ، ولمَّا رأى الإمبراطور استمرار الخلاف رأى أنَّ بعض هؤلاء متفقون في الرأي وقُدر عددهم بثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً فعقد لهم مجلساً خاصاً عظيماً ، وجلـس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليـوم علـى مملكتي لتصنعوا فيها ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين ، فبـاركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه ووضعوا له أربعين كتاباً

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي، د.القس حنا الخضري، ص: ٦٧٤-٦٣٥ ، قصة الحضارة ،ول ديورانت :(٣٩٢/١١) ، مختصر تاريخ الكنيسة ،أندروملر ،ص: ١٥(الحاشية) ،دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة،الآب جان كمبي ،ص: ١١٨ .

(٢) هو أسقف قرطبة ومستشار قسطنطين في المسائل الدينية ، وكان أحد ممثلي الغرب في مجمع نيقية . انظر : تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين : (١٧٢/١) .

(٣) انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٣٩٤/١١) ولتفصيل ذلك انظر :حياة قسطنطين ، يوسابيوس ، ص:٢٢٣

في السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمها ويعمل بها ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا بها ، ثمَّ اجتمع هؤلاء الذين اختارهم قسطنطين واتفقوا على ما يسمى بقانون الإيمان [١] .

ويمكن تلخيص القرارات التي نص عليها هذا القانون على النحو التالي :

١- القول بألوهية المسيح عليه السلام .

٢- تكفير من يذهب إلى أنَّ المسيح عليه السلام إنسان .

٣- تكفير آريوس الذي يرى أنَّ المسيح بشر مخلوق وليس إلهاً .

٤- إحراق جميع الكتب والرسائل التي لا تقول بألوهية المسيح وتحريم قراءتها .

تعليق على مجمع نيقية :

١- أنَّ مجمع نيقيه يعبر بوضوح عن مدى هيمنة قسطنطين على شؤون النصارى عموماً والكنيسة خصوصاً حيث استطاع أن يفرض عليهم عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام التي تتلائم مع عقيدته الوثنية .

٢- اختيار قسطنطين لرأي الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وترك الأكثرين وهم بقية المجتمعين الذين بلغ عددهم ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً يدل على أنَّه لم يكن يهتم بالوصول إلى الحقيقة والرأي الصحيح ، وأنَّه لم يتنصر على الحقيقة بل بقى على وثنيته .

٣- يتضح لنا بجلاء كيف ساهم هذا المجمع في نشر النصرانية بشكل كبير ؛ حيث دخل الكثير من الوثنيين فيها ؛ لأنه لم يعد ثمة فرق في المعتقد بين من يعبد إلهاً بشرياً ومن يعبد إلهاً من الأوثان والكل يحقق للإمبراطور هدفه السياسي .

٤- أنَّ العقيدة التي نادى بها آريوس وهي التي كان عليها أكثر المجتمعين في الحقيقة هي عقيدة التوحيد ، ولكنَّ عقيدة التثليث فرضت بقوة السيف .

٥- أنَّ عقد المجامع المسكونية التي ابتدعها قسطنطين كان له أبلغ الأثر في ترسيم العقائد والقوانين النصرانية .

---

[١] التاريخ المجموع على التحقيق ، لسعيد ابن البطريق ،ص:١٢٧ .

ثانيا : مجمع القسطنطينية الأول :

أسباب انعقاد المجمع :

لم يفلح مجمع نيقية المسكوني الأول في حسم الخلافات القائمة بين طوائف النصارى ، التي تركزت حول شخصية المسيح عليه السلام بشكل نهائي ، فمجمع صور الذي عقد بعد نيقيَّة نقض ما تم تقريره في نيقيَّة ، وأيضاً ؛ فإنَّ مجمع نيقية لم يتعرض بشكل مفصل لقضية الروح القدس من حيث مترلته ، وعلاقته بالآب ، أو الابن ، مما ولد تساؤلات كثيرة حوله أهو إله مساوٍ للآب والابن في الجوهر ؟ أم أنَّه مخلوق مثل بقية المخلوقات ؟ ، ثم تطورت هذه التساؤلات إلى خلافات حقيقية فيما بعد ، ويبدو أنَّ كنيسة الإسكندرية ، التي تزعمت القول بألوهية الابن في مجمع نيقية تزعمت القول بألوهية الروح القدس أيضاً ، ولكنَّ هذا القول كان يواجه بمعارضة كبيرة من أغلب الموحدين ، وكان هذا الخلاف هو سبب انعقاد مجمع القسطنطينية الأول .

أمَّا على وجه التفصيل ، فقد ظهر عدد من الأساقفة الذين يجاهرون بأنَّ الروح القدس ليس إلهاً ، وإنما هو مخلوق ، وكان من أبرزهم مقدنيوس ، الذي اعتلى كرسي القسطنطينية عام ٣٤٣م ، و ابوليناريوس أسقف اللاذقية بالشام الذي يرى نزول رتبة الروح القدس عن الأقنوم الثاني (الابن) ، والأقنوم الأول (الآب) .

ولَّما انتشرت هذه المقالات التي تنكر ألوهية الروح القدس قام الأساقفة الذين يتزعمون القول بألوهية الروح القدس ضدهم ، وعدوا رأيهم هرطقة وخروجاً عن الإيمان القويم ، وأطلقوا عليهم خصوم الروح القدس ، ورفعوا هذا الأمر إلى الامبراطور ثيودوس الكبير[1] ، والذي دعا بدوره إلى عقد مجمع لمناقشة هذا الأمر .

أهم قرارات هذا المجمع :

كان الهدف الرئيس من هذا المجمع مناقشة قضية ألوهية الروح القدس ، التي ثار حولها الخلاف ، ولذلك كان أهم قراراته حسم هذا الخلاف حيث قرر المجمع ألوهية الروح القدس،وأنَّه مساوٍ في الجوهر مع الأقنوم الأول(الآب) ، والأقنوم الثاني(الابن) ، وبهذا القرار

---

[1] إمبراطور روماني تسلم السلطة في الشرق في الفترة من (٣٧٩ – ٣٩٥) . انظر : تاريخ الكنيسة المفصل ، لنخبة من المؤلفين : (١٥٣/١).

اكتمل بنيان الثالوث النصراني ، وقد أكد أصحاب هذا المجمع وجوب التمسك بما جـاء في قانون الإيمان النيقاوي ، كما قرر هذا المجمع محاربة كل من خالف قرارات هـذا المجمـع ، واعتباره من الهراطقة ، وطرده من منصبه ٠

وبتقرير ألوهية الروح القدس واكتمال التثليث أخذت العقائـد النصـرانية صـورتها النهائية ، والتي بقي عليها النصارى حتى اليوم ٠

ويعتقد النصارى أنَّ مجمع القسطنطينية إضافة إلى نيقية الأول هي أهم المجامع النصرانية على الإطلاق لأنها تمثل – في نظرهم – أساس الإيمان القويم ، ومما يجدر لفت النظر إليه هنا أمران :

الأول : بالرغم من الأهمية الكبرى لهذه المجامع إلا أنَّها لم تحظ بإجماع حقيقي من قبل جميع الطوائف التي شاركت فيها ،ولم يزل الموحدون الذين يحملـون الاعتقـاد الصـحيح يدافعون عن عقيدتهم حتى بعد صدور هذه القرارات القاضية عليهم بالحرمان والخروج مـن الإيمان القويم٠

الثاني : أنَّ مجمع القطسطنطينية هو مجمع مشرقي في الأصل إذ لم يحضر هذا المجمـع أسقف روما ، ولم يرسل ممثلين له ، ومع ذلك فسرعان ما اعترفت به كنيسة روما ، بعد أن وصلت إليها قراراته وأعلنت خضوعها لجميع ما صدر عنه من قرارات ٠

المطلب الثالث : أهم الانتقادات الموجهة للمجامع النصرانية اجمالاً :

الوجه الأول : كانت الموضوعات الكبرى التي تناولتها المجامع الأولى هـي المسـائل العقدية التي دار حولها الخلاف بين النصارى ، وكان ذلك من أكبر جنايات هذه المجـامع ؛ لأنَّ أمور العقيدة لايجوز أن تكون عرضة للاجتهاد البشري ، وأن تكون مرهونة بآراء البشر ، التي تتأثر غالباً بالأهواء والمصالح الشخصية ، وإنما يؤخذ أمر العقيدة من الوحي الذي يأتي به الأنبياء ،الذين يتصفون بكمال الحرص على إبلاغ أقوامهم ما يجب أن يعتقدونه في ربهم ، وما يجب له من التوحيد ، ولذلك ؛ فإنَّ الأنبياء يبينون هذا الأمر غاية البيان ، لأنه القضـية الكبرى في دعوتهم ، ولأنَّ معرفته أوجب الواجبات ، ولكن لما أعرض النصارى عن هـذا الوحي المبين الذي كان متمثلاً فيما جاء به عيسى عليه السلام ، واستبدلوه بآراء البشر وقعـوا في الضلال المبين ، والخلاف العريض ولم يزالوا على ذلك حتى اليوم ٠

الوجه الثاني : أنَّ هذه المجامع لم تحكِ إجماعاً حقيقياً بين جميع الأعضاء المشاركين فيها، بل إنَّه لم يوجد قرارُ من قراراتها إلا ويوجد له مخالفون ، ولا يُعقد مجمع إلا ويأتي بعده ما يناقضه ، ويلغي قراراته ، هذا ما تشهد به سيرة هذه المجامع ، فكيف يمكن وصف هذه المجامع بأدنى قدر من الشرعية ، فضلاً عن وصفها بالقداسة ، كما يصفها النصارى بذلك .

الوجه الثالث : وُصِفت هذه المجامع بأنها مقدسة ، وأقول : من أين جاء تها هذه القداسة والنصارى أنفسهم يعترفون بأنها ليست إلا أقوال آبائهم ورؤسائهم ، وهي عرضة للجهل ، والخطأ ، وربما الكذب ، فكيف يكون كلام البشر مقدسا ؟ .

إنَّ القداسة لا تكون إلا للوحي الذي جاء من عند الله ، ونسأل النصارى ما مصير هذه القدسية بعد أن قررت هذه المجامع نفسها عصمة البابا ، وإذا أصبح البابا معصوما فما فما قيمة هذه المجامع بعد ذلك ؟ .

الوجه الرابع : أنَّ العقائد التي قررتها هذه المجامع تتعارض حتى مع نصوص الأناجيل نفسها .

ومما يدل على ذلك أنَّ النصوص الدالة على وحدانية الله تعالى ونفي ألوهية المسيح عليه السلام ونفي التثليث هي أضعاف النصوص الدالة على نقيض ذلك ، مع أنَّ النصوص التي تخالف هذه الأصل هي من الباطل الذي اشتمل عليه هذه الأسفار ، والمثال الذي ذكرته يقاس عليه في بقية العقائد .

والمقصود أنَّ هذه المجامع من أسباب تقديس الأشخاص ؛ لأنها هي التي قررت العقائد الغالية في المسيح عليه السلام .

المبحث الرابع

دور الدولة الرومانية في تثبيت عقائد النصارى

وفيه مطلبان

- المطلب الأول: أثر الدولة الرومانية على النصرانية اجمالاً
- المطلب الثاني: أثر الدولة الرومانية في تأسيس العقائد الغالية

المطلب الأول : أثر الدولة الرومانية على النصرانية اجمالاً

بعد عهود الاضطهاد التي عاشها النصارى من قبل الرومان والتي استمرت ما يقارب ثلاثة قرون ، تغيرت الأمور تماماً لصالح النصارى ، وقد كان إعلان قسطنطين إتباعه للمسيح عليه السلام بداية التحول في هذا الموقف .

وقد تعددت صور العطف القسطنطيني ، على النصارى عموماً وعلى الكنيسة خصوصاً ، وهو يسعى بذلك لتحقيق أهدافه السياسية ، المتمثلة في بسط نفوذه على جميع رعاياه ، ويمكن إجمال إنعامات الدولة الرومانية في عهده على النصارى ، فيما يلي :

١- إصدار مراسيم العفو والسماح عن النصارى ، وإعطاؤهم الحرية الدينية الكاملة وإلغاء جميع الأوامر السابقة ضد هم.

٢- إطلاق سراح كل المسجونين من السجون والمناجم أو الحرف التي أمروا بالاشتغال بها .

٣- إعفاء القسس من الضرائب .

٤- استرجاع جميع الذين حرموا من وظائفهم في الجيش والخدمة الملكية .

٥- بناء الكنائس وتشييدها على حساب الدولة .

٦- تقريب الأساقفة وجعلهم مستشارين في الدولة .

٧- الأمر بإعادة جميع ممتلكات النصارى وأموالهم .

٨- ترك الكنيسة لتتولى شؤونها القضائية .

٩- أجاز للكنيسة امتلاك الأرض وقبول الهبات ، وأصبحت الكنيسة هي الوريثة لأملاك الشهداء الذين لم يعقبوا ذرية .

١٠- جعل يوم الأحد يوم العطلة الرسمية للدولة .

تلك هي أهم الإنعامات التي حظيت بها الكنيسة في عهد قسطنطين[١] والتي ساهمت بشكل كبير في إقبال الناس على النصرانية وقبولهم للتعميد واكتسحت النصرانية رقعة كبيرة من الدولة .

---

[١] انظر : قصة الحضارة ، ول ديو رانت : (٣٨٩/١١) ، مختصر تاريخ الكنيسة ، اندرو ملر ، ١٥٠ .

المطلب الثاني : تأثيرالدولة الرومانية في تأسيس العقائد الغالية في المسيح ﷺ :

لقد ساهمت الدولة الرومانية في تأسيس العقائد الغالية المتعلقة بشخصية المسيح ﷺ ، من خلال الأمور التالية :

الأمر الأول : السماح للنصارى بحرية التعبير عن عقائدهم ، وإظهار شعائر عبادتهم ، وهذا القدر من الحرية سمح لهم بنشر عقائدهم ، القائمة على تقديس المسيح ﷺ ، حتى انتشرت في رقعة كبيرة من أرجاء الدولة الرومانية ، وكان انتشارها في هذه المرحلة عن طريق الاحتكاك المباشر بين النصارى وبين أصحاب الديانات الأخرى.

الأمر الثاني : تبنِّي الدعوة إلى عقد المجامع المسكونية : بهدف حسم الخلافات العقدية وإعطاء هذه المجامع نوعاً من الشرعية ، لتصبح ملزمة للجميع بحكم أنَّها ثبتت من خلال هذه المجامع.

الأمر الثالث : فرض هذه العقائد بقوة السيف ، من خلال السلطة التي تملكها الامبراطورية ، وقد حدث هذا الأمر في مجمع نيقية وبسببه انتشرت النصرانية في أكبر رقعة من العالم في ذلك الوقت .

وإذا كانت العقائد التي قررتها تلك المجامع تقوم على تقديس الأشخاص لاسيما المسيح ﷺ ؛ فإن هذه المجامع تعد من الأسباب الرئيسة في تأسيس تقديس الأشخاص عند النصارى . والله أعلم .

الباب الثاني
المقدَّسون من الأشخاص

وفيه خمسة فصول

- ❖ الفصل الأول : تقديس عيسى عليه السلام
- ❖ الفصل الثاني : تقديس من يسمى بالرسل
- ❖ الفصل الثالث : تقديس الباباوات
- ❖ الفصل الرابع : تقديس رجال الدين
- ❖ الفصل الخامس : صور عامة في التقديس

الفصل الأول

تقديس عيسى عليه السلام

وفيه أربعة مباحث

- المبحث الأول : عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام
- المبحث الثاني : عقيدة بنوة المسيح لله تعالى
- المبحث الثالث : عقيدة التثليث
- المبحث الرابع : تقديس مريم عليها السلام

المبحث الأول

عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام

وفيه مطالب

- المطلب الأول: النصوص التي يستدل بها النصارى على ألوهية المسيح
- المطلب الثاني: الاستدلال بالآيات التي أجراها الله تعالى على يد المسيح
- المطلب الثالث: مناقشة دعوى ألوهية المسيح

المطلب الأول : النصوص التي يستدل بها النصارى على ألوهيته:

يستدل النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام بنصوص من العهد القديم والجديد ، وحاصل استدلالهم من هذه النصوص يرجع إلى ثلاثة أمور ، وهي :

١- نسبة الألقاب الإلهية إليه .

٢- نسبة الكمالات الإلهية إليه .

٣- الأمر بتقديم العبادة إليه [١].

وسوف أذكر فيما يلي أمثلة من أدلتهم على كل أمر من هذه الأمور ، دون تكرار الأدلة ذات الدلالة الواحدة ، وبالله التوفيق .

أولاً : نسبة الألقاب الإلهية إلى المسيح عليه السلام ، ومن النصوص في ذلك :

١- « في البدء كان الكلمة ، والكلمة عند الله ، وكان الكلمة الله »[٢] .

٢- « أجاب توما وقال له : (ربي وإلهي) » [٣] .

٣- « احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » [٤] .

٤- « لأنَّه يولد لنا ولد ، ونُعطى ابناً ، وتكون الرئاسة على كتفه ، ويدعى اسماً عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً ابدياً رئيس السلام » [٥] .

٥- « هوذا العذراء تحبل ، وتلد ابنا ، ويدعون اسمه عمَّانوئيل ، الذي تفسيره : الله معنا » [٦] .

---

[١] انظر : شرح أصول الإيمان : د. القس أندراوس واطسون ود. القس ابراهيم سعيد ، ص ٤٨ ، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الكاثوليكية ، المتنيح القمص ميخائيل مينا : (٢٤٦/١) .

[٢] يوحنا : (١/١) .

[٣] المصدر نفسه : (٢٨/٢٠) .

[٤] أعمال الرسل : (٢٠/ ٢٨).

[٥] أشعيا : (٦/٩).

[٦] متى : (٢٣/١).

وحاصل الاستدلال من هذا الوجه أنَّ المسيح عليه السلام وُصف بأنَّه الله ، االرب ، الإلـــه ، عمَّانوئيل ، وهذه الألقاب لا يوصف بها إلا الله ، ويقاس على ذلك كل لقب "إلهي" اطلق على المسيح عليه السلام [1]

ثانياً : نسبة الكمالات الإلهية إليه :

وحاصل الكمالات المنسوبة إليه خمسة أمور :

١- الأزلية : « هذا كان في البدء عند الله » [٢] ، « وقال لهم يسوع : الحق أقـــول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » [٣] ، « والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم »[٤] ، « أنا هو الألف والياء ، البداية والنهاية يقـــول الرب الكائن والذي كان ، والذي يأتي القادر على كل شيء » [٥] .

٢- **عدم التغير:** « وأنت يا رب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمـــل يديك ، هي تبيد ولكن أنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير ، ولكـــن أنت أنت وسِنُوك لن تفنى » [٦] ، « يسوع المسيح هو هو أمساً ، واليوم ، وإلى الأبد » [٧]

٣- الحضور في كل مكان : « لأنَّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » [٨] .

٤- العلم بكل شيء : « كل شيء قد دفع إلي من أبي ، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له » [٩] ، « ولما كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه إذ رأوا الآيات التي صنع لكن يسوع لم يأتمنـــهم

---

[1] انظر : ألوهية المسيح والرد على الآريوسية ، الشماس الإكليريكي مكرم عزيز فهمي ، ص : ٣٨-٤٠ .

[٢] يوحنا : (١ / ٢) .

[٣] المصدر نفسه : (٨/ ٥٨) .

[٤] المصدر نفسه : (١٧/ ٥) .

[٥] رؤيا يوحنا : (١ / ٨) .

[٦] الرسالة إلى العبرانيين : (١/ ١٠-١٢) .

[٧] المصدر نفسه : (١٣/ ٨) .

[٨] المصدر نفسه : (١٨/ ٢٠) .

[٩] المصدر نفسه : (١١/ ٢٧) .

على نفسه لأنه كان يعرف الجميع ، ولأنَّه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان » [١] .

٥- القدرة غير المحدودة : « قائلين : نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء ، الكائن والذي كان ، والذي يأتي لأنك أخذت قدرتك العظيمة وملكت » [٢].

هذه أمثلة من النصوص التي استدل النصارى بها على ألوهية المسيح ، وهم يستدلون بها كما يلي : بما أنَّ الكمالات الإلهية غير منفصلة عن الجوهر الإلهي ، وبما أنَّ المسيح عليه السلام قد نسبت إليه الكمالات غير المنفصلة عن ذات الجوهر الإلهي ، فينتج بالضرورة أنَّ المسيح عليه السلام إله [٣] .وهذا الاستدلال قريب من الاستدلال بالوجه الأول .

وهناك كمالات أخرى يذكرها بعض النصارى ، مثل الحي الذي لا يموت ، والخالق ، والديان ، وهم يستدلون بها كما يستدلون بالكمالات السابقة ، وقد أعرضت عنها رغبة في عدم التكرار [٤] .

ثالثاً : استدلالهم بنصوص تدل على وجوب تقديم العبادة للمسيح عليه السلام أو باسمه .

١- «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» [٥].

٢- « إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعوين قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا » [٦] .

٤- « وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول : ولتسجد له كل ملائكة الله » [٧] .

المطلب الثاني : استدلالهم بالآيات التي أجراها الله على يد المسيح :

من الأمور التي تعلق بها النصارى في استدلالهم على ألوهية المسيح عليه السلام ، ما أجراه الله تعالى له من الآيات العجيبة تأييداً له ، وتصديقاً لرسالته ، وقد ذكروا نصوصاً كثيرة

---

[١] يوحنا : (٢/٢٣-٢٥).

[٢] رؤيا يوحنا : (١١/ ١٧).

[٣] شرح أصول الإيمان ، د. القس أندراوس واطسون ود. القس ابراهيم سعيد ، ص:٤٩ .

[٤] انظر للمزيد ، ألوهية السيد المسيح والرد على الآريوسية ، الشماس مكرم عزيز فهمي ، ص:٣٨-٤١ .

[٥] متى : (٢٨/١٩).

[٦] الرسالةالأولى إلى أهل كورنثوس : (١/٢).

[٧] الرسالة إلى العبرانيين : (١/٦).

ينسبونها إلى المسيح ﷺ ، ويستدلون بها على ألوهيته على اعتبار أنَّ هذه الآيات لا تصدر إلا من إله ؛ فما دام أنَّ المسيح ﷺ يشفي المرضى ، ويحي الموتى ، ويمشي على الماء ، ويُسكِن العواصف ، ويشبع الخمسة آلاف شخص من خمسة أرغفة وسمكتين ، وغير ذلك مما ينسبونه إليه [1] ، فليس هو إلا الإله ، وليست أعماله إلا أعمال الإله .

جاء في علم اللاهوت النظامي عند الحديث عما يسمى معجزات المسيح ﷺ أنَّها : « دليل راهن على أنَّه الله ، لأنَّ عمل المعجزات علامة على القدرة الإلهية » [2] .

ويقول أثناسيوس : « فطرده الأرواح الشريرة ، وخروجها في الحال لا يمكن أن يكون عمل إنسان بل عمل الله ، من ذا الذي بعد أن رآه يشفي الأمراض الخاضع لها الجنس البشري يتجاسر ويقول : إنَّه لا يزال إنساناً وليس إلهاً ؟ ، فقد طهر البُرْص ، وجعل العُرْج يمشون ، والصُم يسمعون ، والعُمي يبصرون ، وبإجمال طرد من كل البشر كل مرض ، وكل ضعف ، من كل هذا كان ممكناً لأبسط إنسان أن يرى لاهوته » [3] .

وهكذا يتضح لنا استدلال النصارى بهذه الآيات على ألوهية المسيح ﷺ ، وسوف أناقش هذا الرأي عند الرد على تلك العقيدة بعون الله تعالى .

---

[1] انظر : ألوهية السيد المسيح والرد على الآريوسية ، الشماس مكرم عزيز فهمي ، ص: ٦٨-٧٠ .

[2] نقلاً عن كتب تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، د. احمد عجيبة ، ص ٣٦٣ ، ولم يذكر الناقل اسم المؤلف .

[3] تجسد الكلمة ، ص ٦٤ ، عن المصدر السابق ص ٣٦٤ .

المطلب الثالث : مناقشة دعوى ألوهية المسيح ﷺ

أولاً : بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل التاريخي :

يزعم النصارى أنَّ استدلالهم على ألوهية المسيح ﷺ مستند إلى كتبهم ، وهذا الإدعاء أبعد ما يكون عن الصواب لانقطاع صلة هذه العقيدة بالأناجيل ، من وجهين :

الوجه الأول : أنَّ الأناجيل لا تشتمل على ألوهية المسيح ؛ لأنَّ القول بها لم يظهر إلا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م ، أي بعد ما يقارب ثلاثة قرون من رفع المسيح ﷺ ، والنصارى يقولون إن الأناجيل قد كتبت بعد صعود المسيح ﷺ [١] ، ولو كانت ألوهية المسيح ﷺ مستقرة في هذه الأناجيل لم يكن ثمة داعٍ لعقد مجمع لمناقشتها ، ولم يحدث الخلاف أصلاً حولها ، ولم يحتج إلى فرضها بقوة السيف . وهذا يدل على أن هذه العقيدة أقحمت في الأناجيل بعد ذلك . وهذا الوجه مبني على القول بأسبقية كتابة الأناجيل على القول بألوهية المسيح ﷺ ، وهناك قول خلاف ذلك ، والاستدلال به أقوى ، ويوضحه الوجه الثاني .

الوجه الثاني : أنَّ القول بألوهية المسيح ﷺ سابق لظهور هذه الأناجيل ، وبذلك يعترف بعض المحققين من النصارى ، وسأذكر في هذا المقام شهادتين تؤيد ما ذكرته .

الشهادة الأولى : يقول الكاتب (Kalthoff) : « إنَّ صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل ، وإنَّ هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتا فيزيقية) التي كانت ذات سيطرة ، وكانت آرائها شائعة وتكاد تكون عامة أوعالمية » [٢] .

الشهادة الثانية : يقول الكاتب (Plliecderer) : « إنَّ معالم التنبؤ عند اليهود ، وعظات الأحبار ، والخيال الشرقي ، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها ، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التي ظهرت في العهد الجديد » [٣] .

---

[١] نحن نعتقد أن المسيح ﷺ رُفع إلى السماء ولم يصعد ،والنصارى يعبرون بهذا اللفظ للتدليل على ألوهيته .

[٢] ، [٣] : نقلاً عن كتاب المسيحية ، لأحمد شلبي : ص ١٦٣ .

ونستطيع أن نصل على كلا الوجهين السابقين إلى أنَّ القول بألوهية المسيح عليه السلام لم يكن صادراً عن الأناجيل ، بل كان نتاجاً للفلسفات والوثنيات التي كانت منتشرة في البيئة التي ظهرت فيها النصرانية ، ولاشك أنَّ بولس هو الذي استخرج من هذا المزيج عقيدة الألوهية ، وأيضاً : فإنَّها بقيت غريبة ومنبوذة من قبل الغالبية الذين كانوا من الموحدين حتى جاء قسطنطين فثبتها بقوة السيف ، ولكنَّها -لبطلانها ، ولقلة المعتنقين لها على الحقيقة أُقحمت بعد ذلك في الأناجيل لتأخذ صبغتها الشرعية ، ومن ثمَّ تحضى بالقبول عند النصارى ، وإذا ثبت خلو الأناجيل منها ، فبراءة رسالة المسيح عليه السلام منها من باب أولى ، ولكنَّا – تنزلاً في الجدال – نستطيع أن ننقضها حتى من خلال النصوص الواردة في الأناجيل نفسها التي يؤمن بها النصارى ويزعمون أنَّها عمدتهم في إثبات هذه العقيدة.

ثانياً : بطلان هذه العقيدة من النصوص الواردة في العهد الجديد :

حاصل استدلال النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام يعود إلى اتصافه بصفات الألوهية وإذا نظرنا في النصوص الواردة في العهدين القديم والجديد ، نجد أنَّها تدل على نقيض ذلك ، وأنبه إلى أنَّ الاستدلال بهذه النصوص ليس إقراراً بصحتها المطلقة ، وإنَّما من باب الإلزام لهم بما يؤمنون هم بصحته ، وتفصيل ذلك من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : وصف عيسى عليه السلام بالعبودية التامة لربه عز وجل :

فهو يصلي : « ثمَّ تقدم قليلاً ، وخرَّ على وجهه ، وكان يصلي قائلاً : يا أبتاه إن أمكن فلتبعد عني هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » [1] .

ويدعو ويبتهل إلى ربه : « وهو المسيح الذي رفع الدعاء والابتهال بصراخ شديد ، ودموع ذوارف إلى الذي بوسعه أن يخلصه من الموت فاستُجيب طلبه لتقواه » [2] .

ويسجد لله: « أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أمَّا نحن فنسجد لما نعلم » [3]

---

[1] متى : (٢٦/٣٩).

[2] الرسالة إلى العبرانيين : (٥/٧).

[3] يوحنا : (٤ / ٢٢) .

الوجه الثاني : عيسى عليه السلام يتمتع بكامل الصفات البشرية :

فهو يجوع :«وبينما هو راجع إلى المدينة عند الفجر أحس بالجوع فرأى تينة عند الطريق فذهب إليها ، فلم يجد عليها غير الورق فقال لها : لا يخرج منك ثمر للأبد » [1].

و يخاف من اليهود ، ويختفي عنهم : « فعزموا منذ ذلك اليوم على قتله . فكف يسوع عن الجولان بين اليهود علانية ، فذهب من هناك إلى الناحية المتاخمة للبرية ، إلى مدينة يُقال لها أفرام فأقام فيها مع تلاميذه » [2] .

و ينام : « فعصفت ريح شديدة ، وأخذت الأمواج تندفع على السفينة حتى كادت تمتليء ، وكان هو (عيسى عليه السلام) في مؤخرها نائماً على الوسادة ، فأيقظوه وقالوا له : يا معلم أما تبالي أننا نهلك ؟ » [3] .

ويُقْتل – بحسب زعمهم – « إنَّ إله آبائنا أقام يسوع الذي قتلتموه إذ علقتموه على خشبة » [4] .

ويحزن : « .. فقال لهم : نفسي حزينة حتى الموت امكثوا هنا واسهروا » [5] .

وتدمع عيناه : « فلمَّا رآها اليهود تبكي ويبكي معها اليهود الذين رافقوها جاش صدره ، واضطربت نفسه ، وقال : أين وضعتموه ؟ قالوا له يا رب تعال فانظر فدمعت عينا يسوع » [6] .

وهو مولود : كما جاء في بداية إنجيل متى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داوود بن ابراهيم » [7] .

وهو الصبي : « وقف النجم فوق حيث كان الصبي » [8] .

---

[1] متى : (١٨/٢١-١٩).
[2] يوحنا : (١١ / ٥٣-٥٤)
[3] مرقص : (٤/ ٣٧-٣٨).
[4] أعمال الرسل : (٥/ ٣٠).
[5] مرقص : ١٤/ ٣٤).
[6] يوحنا : (١١/ ٣٣-٣٥).
[7] متى (١/ ١).
[8] المصدر نفسه : (٢/ ٩).

وهو ناصري : وهي (نسبة إلى ناصرة) : « أنَّه سيدعى ناصرياً » [١].

وهو ابن داوود : « قال العميان لعيسى : ارحمنا يا ابن دوود » [٢] .

وله أمٌّ وأخوة : « قال واحد لعيسى : هوذا أمُّك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك » [٣].

ويركب الجحش : « وقولوا لابنة صهيون : هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان » [٤].

ويختتن : « ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع » [٥] .

وهذه النصوص في غاية الوضوح ، ولو سألنا من له أدنى مسكة من عقل وقلنا لـه : من يتصف بهذه الصفات هل يمكن أن يكون إلهاً ؟ أم أنَّه إنسان ، يتمتع بكامل الصفات البشرية ؟ ، وهل يمكن أن يكون هو الرب الخالق للسموات والأرض ، والعليم بكل شيء ، والقادر على كل أمر ؟!.

الوجه الثالث : عيسى عليه السلام يتعرض لسائر أنواع الأذى :

فهو يتعرض لإغواء الشيطان : « ثمَّ صعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجَرَّب من إبليس » [٦] .

ويتعرض للبصق واللطم واللكم – بزعمهم – : « حينئذٍ بصقوا في وجهه ، ولكموه ، وآخرون لطموه قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ » [٧].

ويجلد ، ويُعرَّى ، ثم يُوضع الشوك على رأسه ، ويتعرض للاستهزاء ، ويضرب على رأسه : « ..وأمَّا يسوع فجلده ، وأسلمه للصليب » [٨] .

---

[١] متى : (٢/ ٢٣).

[٢] المصدر نفسه : (٢٧/٩).

[٣] المصدر نفسه : (١٢/ ٤٧).

[٤] المصدر نفسه : (٢١/٥)

[٥] لوقا : (٢/٢١).

[٦] متى : (٤/١-١١) .

[٧] المصدر نفسه : (٢٦/ ٦٧-٦٨).

[٨] المصدر نفسه : (٢٧/٢٦).

« فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعرَّوه ، وألبسوه رداءً قرمزياً وضفَّروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ، وقصبة في يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ، ويستهزئون به قائلين : السلام عليك يا ملك اليهود ، وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه » [1].

وحول النصوص السابقة أقول : من يتعرض لكل هذا الإيذاء عندكم ، ثمَّ لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً من ذلك هل يصلح - عند أحد من العقلاء - أن يكون إلهاً ، ونترك الجواب على ذلك لهم إن كانوا يعقلون !.

الوجه الرابع : عيسى عليه السلام يصرح بأنَّه إنسان وابن إنسان :

« تعجب الناس قائلين : أي إنسان هذا ؟ فإنَّ الرياح والبحر جميعاً تطيعه » [2].

« فقال له يسوع : للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأمَّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » [3].

ويقول لتلاميذه وهو في الجليل : « وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع : ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس » [4].

فهذه بعض النصوص التي يصرح فيها عيسى عليه السلام بأنَّه إنسان وابن إنسان ، ويشهد من رآه بأنَّه إنسان فمن أين للنصارى أنَّه إله ؟ ! ، أم أنَّهم كانوا أعلم به من نفسه ، ومن تلاميذه الذين كانوا معه ؟ !.

ومن اللافت للنظر أن كلمة (ابن الإنسان) وردت في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فقط أكثر من ستين مرة [5] ، ونحن نسأل جميع العقلاء : أيُّهما أولى بالقبول كلمة وردت أكثر من ستين مرة أو كلمة لم ترد — على فرض صحة ثبوتها - إلا عدة مرات فقط ؟.

---

[1] متى : ٢٧/٢٧-٣٠).

[2] المصدر نفسه : (٢٧/٨).

[3] المصدر نفسه : (٢٠/٨).

[4] المصدر نفسه : (٢٢/١٧).

[5] انظر : دراسات في الملل والنحل ، محمد الشرقاوي: ص ٩٠ .

ومع اعتراف عيسى عليه السلام بإنسانيته ، فإنَّه يقر أيضاً بما امتن الله به عليه من الرسالة وأنَّه يعمل بما يأمره به مُرسله .

« من يقبلكم يقبلني ، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني » [1] ، وهو يحدد أيضاً رسالته بأنها خاصة ببني إسرائيل : « لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة » [2] ، وهو إنما ينفذ وصية من أرسله : « طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني ، وأتم عمله » [3] .

الوجه الخامس : عيسى عليه السلام يعترف بعجزه وحاجته إلى إلهه الذي في السماء ويقر بوحدانيته :

فهو يقول : « أن لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً . كما أسمع ادين ، ودينونتي عادلة ، لأنِّي لا أطلب مشيئتي ، بل مشيئة الآب الذي أرسلني » [4].

ويقر بأن إلهه في السماء : « قال عيسى : لا تدعو لكم أباً على الأرض ، لأنَّ أباكم واحد الذي في السماوات » [5].

بل إنَّ عيسى عليه السلام ينفي عن نفسه حتى مجرد الوصف بالصلاح وقد يكون ذلك تواضعاً منه ، ويجعل ذلك لله وحده : « وقال يسوع لم تدعوني صالحاً لا صالح إلا الله وحده » [6] .

ويبين أنَّ حقيقة ما جاء به ، هو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة : « فأجابه يسوع : للرب إلهك تسجد ، وإيَّاه وحده تعبد » [7].

وخلاصة هذا الوجه أنَّ عيسى عليه السلام يؤكد أنَّه لا يوجد إلا إله واحد ، هو الذي في السماء ، وهو الذي يجب أن يدعى ، وأنَّه ينفي عن نفسه ، حتى مجرد الوصف بالصلاح ، وأنَّه يدعو إلى إفراد الله تعالى وحده بالعبادة ، فكيف يكون إلها من كان هذا حاله؟!.

---

[1] متى : (١٠/٤٠).

[2] المصدر نفسه : (١٥/٢٤) .

[3] يوحنا : (٤/٣٤).

[4] المصدر نفسه : (٥/٣٠).

[5] مرقص : (٢٣/٩)-

[6] المصدر نفسه : (١٠/١٨).

[7] لوقا : (٤/٩).

ثالثاً : بطلان هذه العقيدة من خلال الرد على أدلتهم :

الرد على دعواهم باتصاف المسيح ﷺ بالكمالات الإلهية :

عند تحليل النصوص التي يستدل بها النصارى على ما يسمونه بالكمالات الإلهية ، نجد أنهَّا ترجع إلى أمرين :

الأول : الاعتماد على ما ورد في صدر إنجيل يوحنا والذي يفيد – بزعمهم – أزليَّة المسيح ، ومن ثمَّ ألوهيته بناء على ذلك .

الثاني : الاعتماد على ألفاظ الربوبية ، والألوهية التي وصف بها المسيح ﷺ ، وإلي مناقشة هذين الأمرين .

١- الجواب عن النص الوارد في الإنجيل المنسوب ليوحنا :

جاء في صدر هذا الإنجيل : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة عند الله ، وكان الكلمة الله » [١] . وفي هذا النص تناقض واضح بين عباراته ؛ فقوله : (في البدء كان الكلمة) لا يُعرف هذا البدء لأي شيء ، وإذا كانت الكلمة في البدء فهذا يعني أنَّه قبل البدء لم تكن كلمة ، وإذا لم تكن كلمة ، لم تكن ولادة المسيح أزلية ؟ . ومن جهة أخرى فقوله : (في البدء) تحديد لزمن ، وهو يتناقض مع قوله : (والكلمة عند الله) ، فإذا كانت الكلمة عند الله ، فأين كانت قبل البدء ؟ . ومن جهة ثالثة : كيف تحولت هذه الكلمة إلى شيء محسوس ، وكيف أصبحت هذه الكلمة الإله الذي به كان كل شيء مما في السموات وعلى الأرض ؟! .

وإذا كانت الكلمة بمعنى الكلام الذي كان به عيسى ﷺ ، وهي كلمة "كن" فمن المقطوع به أنَّ ذلك لم يحدث إلا بعد زمن ، وأنَّ عيسى قبل الكلمة لم يكن شيئاً ، ثمَّ خلقه الله تعالى بعد ذلك .

وكذلك ؛ فإنَّ الأسلوب الفلسفي الظاهر لهذه العبارة يدل على غرابتها حتى على إنجيل يوحنا ، فضلاً على أن تكون من كلام المسيح ﷺ .

---

[١] يوحنا : (١/١).

وإذا صرفنا النظر عن كل ذلك ، ورجعنا إلى أقوال النصارى أنفسهم ، فإنَّنا سنجد أنَّ الحجة قائمةً عليهم أيضاً . وهذه شهادة من البروفسور عبد الأحد داوود [١] ، وهو أحد المهتدين من النصارى ، والخبير بكتبهم وبلغات الأناجيل الأصلية ، وهو يثبت التحريف في هذه العبارة حيث يقول : « وكثيراً ما دحض الكتاب الموحدون الأوائل العبارة الأولى من إنجيل يوحنا ، وجعلوا قراءتها الصحيحة كما يلي : (في البدء كانت الكلمة وكانت الكلمة مع الله ، وكانت الكلمة كلمة الله [The word was god,s] غير أنَّ الكلمة [God,s] بمعنى كلمة الله (التي تعادل باليونانية : Theou) قد جرى تحريفها إلى : (Theos) أي الله ، ويلاحظ من عبارة : (في البدء كانت الكلمة) أنَّ الكلمة لم تكن موجودة قبل البدء ، ولا يقصد بـ (كلمة الله) أنَّها كيان مستقل ومميز مع الله ، ولكنَّها تعبير عن علمه ومشيئته تعالى عندما قال : (كن) فكان ، وعندما يشاء الله أن يخلق تكفي منه (سبحانه) كلمة الأمر (كن) » [٢] .

٢- الجواب عن إطلاق لقب الألوهية والربوبية على المسيح عليه السلام .

قبل الشروع في الجواب عن إطلاق لقب الألوهية والربوبية على المسيح عليه السلام أبين حقيقة هامة في هذا الباب ، وهي أنَّ النصوص الواردة في إنجيل يوحنا – كما في بقية الأناجيل – مملوءة بالمجاز [٣] ، والذي لابد معه من التأويل ، وأيضاً ؛ فإنَّ كثيراً من الأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام يغلب عليها الإجمال الذي نحتاج معه إلى التفصيل والبيان ، وممن نبه إلى هذا الأمر شيخ الإسلام ابن تيمة – رحمه الله – حيث قال : « وممَّا ينبغي أن يعلم أنَّ سبب ضلال النصارى ، وأمثالهم من الغالية ، كغالية العباد والشيعة ، وغيرهم ثلاثة أشياء : أحدها : ألفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء (اتبعوها) ، وعدلوا عن الألفاظ

---

[١] كان كبير الكهنة ، وأستاذ اللاهوت ، وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان ، ولد عام ١٨٦٧م في إيران وتلقى فيها تعليمه ، ثم عمل ضمن بعثة رئيس أساقفة "كانتربري" التي توجه النصارى الآشوريين ، وفي عام ١٨٩٢ أُرسل إلى روما لتعلم الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وفي عام ١٨٩٥م عُين كاهناً ، وفي طريقه إلى إيران عام ١٩٠٤م قادما من بريطانيا توقف في إستانبول وجرت بينه وبين جمال أفندي وبعض علماء المسلمين عدة مناظرات اعتنق على إثرها الإسلام – والحمد لله – . انظر مقدمة كتابه الآتي ذكره .

[٢] محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ، عبدالأحد داوود ، ص ٢٨-٢٩ .

[٣] وهذا ليس بغريب ؛ إذ المجاز يناسب الغلو الذي هو من صفاتهم .

الصريحة المحكمة وتمسكوا بها ، وهم كلَّما سمعوا لفظاً فيه شبهة تمسكوا به ، وحملوه على مذهبهم ، وإن لم يكن دليلاً على ذلك ، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك ، إمَّا أن يفوضوها ، وإمَّا أن يتأولوها ، كما يصنع أهل الضلال يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية أو السمعية ، ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين » (١) .

وقال الشيخ رحمة الله الهندي (٢) – رحمه الله – منبهاً على ذلك المعنى: « قد عرفت في الأمر الخامس من المقدمة أنَّ كلام يوحنا مملوء بالمجاز فقلَّما تجد فقرة لا تحتاج إلى التأويل ، وقد عرفت في الأمر السادس أنَّ الإجمال يوجد كثيراً في أقوال المسيح عليه السلام (٣) ؛ بحيث لم يفهمها معاصروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسرها بنفسه ، وقد عرفت في الأمر الثاني عشر أنَّ عيسى عليه السلام ما بيَّن ألوهيته إلى (العروج) (٤) ببيان لا يبقى فيه شبهة ويفهم منه صراحة هذا المعنى ، فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالباً مجملة منقولة عن إنجيل يوحنا وعلى ثلاثة أقسام : بعضها لا يدل بحسب معانيها الحقيقية على مقصودهم ، فاستنباط الألوهية منها مجرد زعمهم ، وهذا الاستنباط والزعم ليسا بمعتمدين ولا جائزين في مقابلة البراهين العقلية القطعية والنصوص العيسوية » (٥).

بعد هذا البيان ، يمكن الجواب عن ألفاظ الألوهية والربوبية بما يلي :

(أ) إطلاق لفظ الإله على المسيح عليه السلام :

عند الرجوع إلى إطلاق هذا اللفظ في نصوص العهدين القديم والجديد ، نجد أنَّ هذا اللفظ لم يكن إطلاقه خاصاً بعيسى عليه السلام ، بل إنَّه قد شمل غيره من الأنبياء ، فقد اطلق على موسى عليه السلام ، كما في سفر الخروج : « فقال الرب لموسى : انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون ،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية : (٢/ ٣١٥).

(٢) هو محمد رحمةالله بن خليل الهندي ، يعرف (بخليل الرحمن) الكيرواني العثماني الهندي ، ينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، من علماء الهند، ولد عام ١٢٣٣ هـ ، في قرية كيرانة بالهند ، وله جهد عظيم في مقاومة التنصير بالقارة الهندية ، وخاصة في مجال التأليف ، ومن أجلِّ كتبه في ذلك:كتاب إظهار الحق ، توفي عام ١٣٠٨ هـ ، ولترجمته انظر : مقدمة كتاب إظهار الحق ، تحقيق : د. : محمد احمد عبدالقادر خليل ملكاوي .

(٣) هذا الكلام غير دقيق ، ولعله يقصد : (في الكلام المنسوب إلى المسيح عليه السلام) لأنَّ المسيح عليه السلام فوق كونه نبي ممن اشتهر بالحكمة ، وبذلك وصفه القرآن الكريم ، مما يبعد معه أن يكون كلامه بهذه الصفة والله أعلم.

(٤) هكذا العبارة ، وربما كان يقصد رفعه إلى السماء ، والله أعلم .

(٥) إظهار الحق : (٣/٧٥١).

وهارون أخوك يكون نبيك »[١] ، وجاء في سياق الحديث عن هارون عليه السلام : « وهو يكلم الشعب عنك ، ويكون لك فماً ، وأنت تكون له إلهاً »[٢] ، وجاء أيضاً على لسان داوود عليه السلام : « الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي »[٣] .

وفي هذه النصوص نجد أنَّ لفظ الإله ، والآلهة أيضاً قد أطلق على موسى عليه السلام ، وعلى من هم أقل درجة من الأنبياء ، وهم قضاة بني إسرائيل ، وهذا يدل على شيوع مثل هذا اللقب على الأنبياء ، وعلى بقية البشر كذلك ، والنصارى لم يقولوا بألوهية موسى عليه السلام ، فضلاً عن القول بألوهية من هو دونه من البشر ، وبناءً على ذلك فيلزمهم — لصحة استدلالهم بهذه النصوص – القول بألوهية موسى عليه السلام ، والقضاة من بني إسرائيل ، وكل من اطلق عليه هذا اللقب في هذه الأسفار التي يؤمنون بها ، فإن أقروا بوجوب تأويلها في هذه المواضع وحملها على المجاز ، وأنَّ المراد غير معنى الألوهية الحقيقي ، فيلزمهم فعل ذلك أيضاً في النصوص الواردة — عندهم — في حق المسيح عليه السلام سواء بسواء .

ولابد من حمل تلك النصوص التي سبق ذكرها على المجاز ، وأنَّها لا تعني أكثر من مجرد السيادة أو التسلط ، فيكون معنى أولوهية موسى عليه السلام لهارون حينئذٍ أنَّه سيده ؛ لأنَّه يأمره وينهاه ، وتكون ألوهيته لفرعون بمعنى التسلط عليه ؛ لما آتاه الله تعالى من السلطان الذي أيده به ، وكذلك إطلاق لفظ الألوهية على القضاة من بني إسرائيل لا يمكن حمله إلا على المجاز ، ويكون المراد منه بناء على ذلك التشريف والتعظيم .

(ب) إطلاق لفظ الرب على المسيح :

إذا كان الإجمال سمة في نصوص الأسفار التي يحتج بها النصارى على دعوى ألوهية المسيح عليه السلام ؛ فإنَّ ذلك يدعونا إلى البحث في النصوص الأخرى ؛ لمعرفة التفسير الصحيح للنصوص المجملة ، وإذا بحثنا في إطلاق كلمة الرب على المسيح عليه السلام ، نجد أنها في أغلب المواضع لم يرد إلا بمعنى المعلِّم ، وهو أكثر الأوصاف التي اتصف بها عيسى عليه السلام ؛ فهو يعلِّم قومه الوحي الذي أنزل إليه ، وهذا التفسير الذي ذكرته هو تفسير صاحب الإنجيل الذي

---

[١] الخروج : (١/٧) .
[٢] المصدر نفسه : (١٧/٤) .
[٣] المزامير : ١/٨٢) .

جاءت فيه هذه النصوص ، وهو يوحنا ، حيث يقول : « وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو واثنان من تلاميذه فنظر إلى يسوع ماشياً فقال : هوذا حمل الله فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع فالتفت يسوع ، ونظرهما يتبعان فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ فقالا :(ربي) الذي تفسيره يا معلم . أين تمكث » [1] .

وهذا النص لا يحتاج إلى تعليق ، فإذا اعتبرنا أن لفظة (الرب) من الألفاظ المجملة ، التي تحتاج إلى تفسير ، فإنَّنا في هذا الموضع لن نجد تفسيراً أولى من تفسير قائل هذه العبارة نفسه ، والذي فسرها بهذا المعنى ، وإنَّ من اللافت للنظر شدة حرص يوحنا على دفع أي توهم ، وقطع كل شبهة عن أي معنى آخر يمكن أن يفهم من هذه الكلمة ، حتى أنَّه يذكر تفسير الكلمة بعدها مباشرة ، وفي نفس النص ، وهذا الذي فعله في هذا النص كرره في نص آخر، حيث جاء في نفس السفر حواراً بين عيسى عليه السلام ومريم التي تدعى بالمجدلية « قال لها يسوع : يا مريم فالتفتت تلك وقالت له : (ربوني) الذي تفسيره يا معلِّم .قال لها يسوع : لا تلمسيني لأنَّي لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم : إنَّي أصعد إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » [2] .

وفي هذا النص نجد أنَّ يوحنا ينص نصاً صريحا على تفسير كلمة الرب بالمعلِّم ، ثمَّ يذكر أيضاً من القرائن الأخرى ما يقطع أي احتمال بفهم معنى الألوهية ؛ فيذكر أنَّ لعيسى عليه السلام إخوة ، وأعظم من ذلك قوله : أنَّه سيصعد [3] إلى إلهه الذي في السماء ، وبهذا نجد أنَّ هذا الدليل قد قطع كل شبهة ، ودفع كل توهم يمكن أن يتعلق به النصارى في الاستدلال بكلمة الرب على معنى الربوبية الحقيقية لعيسى عليه السلام ، بل أصبح هذا النص دليلاً على بشرية عيسى عليه السلام ، وعبوديته لربه سبحانه وتعالى .

وخلاصة القول أنَّه لا يوجد نص واحد صرَّح فيه المسيح عليه السلام بأنَّه إله ، وإذا كان المسيح هو الرب فهل يليق به أن يكتم أعظم حقيقة على أتباعه أو على عباده ، مع بيانه لما هو دون ذلك بكثير ؟! وبذلك يتبين بطلان هذه الدعوى ، والحمد لله على تعالى.

---

[1] يوحنا : (١/٣٥-٣٨).

[2] المصدر نفسه : (٢٠//١٦-١٧).

[3] دائما يعبر النصارى بلفظ الصعود ، ونحن نقول : (رُفِع) . كما أشرت من قبل .

رابعاً : الرد على استدلالهم بما يسمى المعجزات على ألوهيته .

يمكن الرد على استدلال النصارى بالآيات التي أظهرها الله على يديه على ألوهيته من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ هذه الآيات دائرة في سياق إظهار القدرة الإلهية على كل شـيء ؛ فالله سبحانه وتعالى الذي له القدرة الكاملة والحكمة التامة يجري على أيدي أنبيائه وعباده ما يكون خارقاً للعادة المألوفة ، ويكون ذلك لحكم عظيمة ، منها بيان قدرته المطلقة على كل شيء ، وتصديق رسله ، وتحقيق الغلبة لهم على أعدائهم ، وإذا كان هذا شأن هذه الآيات ؛ فليس فيها أي مستند للقول بألوهية من جرت على يديه ، بل هي دليل على ألوهية من أجراها على يدي النبي تصديقاً لرسالته .

الوجه الثاني : أنَّ التأييد بالآيات المعجزة لم يكن خاصاً بعيسى ﵇ ، بل هو لسائر الأنبياء ، بل إنَّ من الأنبياء من كانت معجزته أظهر من معجزات عيسى ﵇ ، فتحويل العصا الجامدة إلى حية تسعى أمام الناس أعظم من إحياء الميت الذي كان مخلوقاً ولكنَّه فقد الروح ، وهو كذلك أعظم من إبراء الأكمه والأبرص ، وأيضاً : فإنَّ انشقاق البحر بضربة عصا وتحوله إلى طرق عديدة حتى يصبح نجاة لموسى ﵇ وقومه ، وهلاكاً لفرعون وجنوده في نفس الأمر أية أخرى لا تقل شأناً عما جاء به عيسى ﵇ إن لم تكن أعظم منها، فلماذا لا يقر النصارى بألوهية موسى ﵇ ، وقد ظهر على يديه من الآيات ، ما هو أعظم مما ظهر على يدي عيسى ﵇ ، وهم يقرأون كل ذلك في توراتهم ؟!.

وقد ظهر من الآيات على أيدي أنبياء بني إسرائيل ، ما يبهر العقول ، ويلفت الأنظار ، فمن ذلك ما ورد عن حزقيال [1] : « فتنبأت كما أُمرت . وبينما أنا أتنبأ كان صوتٌ وإذا رعشٌ ، فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه . ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها ، وبُسط الجلد عليها من فوق ، وليس فيها روح . فقال لي : تنبأ للروح ، تنبأ يا ابن آدم ، وقل للروح هكذا قال السيد الرب : هلُمَّ يا روح من الرياح الأربع ، وهُبَّ على هؤلاء

---

[1] يقال إنَّه نبي ، ولا أعلم دليلاً على صحة نبوته ، والله أعلم .

القتلى ليحيوا . فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح ، فحيوا وقاموا على أقدامهم جيشُ عظيم جداً جداً » [1] .

وورد عن إيليَّا أيضاً [2] أنَّه أحيا ولداً صغيراً : « فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : ياربُ إلهي لتُرجع نفس هذا الولد إلى جوفه فسمع الرب لصوت إيليَّا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش »[3] . وورد مثل ذلك عن اليشع أيضاً [4] .

وكل ما ذكرته مذكور في أسفارهم – وإن كنا لا نملك دليلاً مستقلاً على صحته – ، فأي وجه لتخصيص عيسى ﷺ بالألوهية دون غيره من الأنبياء أو من تنسب إليهم النبوة ، أم أنه التحكم وإتباع الهوى ؟!.

الوجه الثالث: أنَّ عيسى ﷺ يصرح بأنَّه لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ، بل يفعل ذلك بمشيئة الله تعالى ، بل إنَّه يعترف بعجزه عن أن يفعل شيئا من نفسه ، فهو يقول : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً ، كما أسمع أدين ، ودينونتي عادلة لأنَّي لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني » [5] .

رابعاً : بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل العقلي :

إذا نظرنا إلى عقيدة ألوهية المسيح ﷺ بالمنظار العقلي المجرد نجد من التناقضات ما يحول دون قبولها ، ويمكن أن نضع العشرات من الأسئلة ، التي لا يمكن أن نجد لها جواباً منطقياً في ظل الاعتقاد بمثل هذه العقيدة ، وإحالة العقل لها مما يشعر به النصارى ، ولذلك يفرضون على أتباعهم التسليم بها دون نقاش ؛ لعجزهم عن الإجابة عن التساؤلات التي يمكن أن يثيرها عقل أي إنسان مهما كان بسيطاً .

وليس الغرض استعراض الأسئلة التي يمكن أن يطرحها العقل حول هذه العقيدة ، فهذا موضوع يطول استعراضه ، ولكنني سأشير فقط إلى بعض الأوجه في مناقضة هذه العقيدة لصريح العقل ، ومنها ما يلي :

---

[1] حزقيال : (٣٧/١-١٤) ، والنص طويل جداً اقتصرت على الشاهد منه .

[2] كذلك يقال إنه نبي ، ولا أعلم دليلاً على صحة نبوته ، والله أعلم .

[3] الملوك الأول : (١٧/٢١-٢٤).

[4] الملوك الثاني : (٤/٣٢-٣٧).

[5] يوحنا : (٥/٢٠).

الوجه الأول : أنَّ وصف عيسى عليه السلام بالصفات البشرية ، يتعارض كلية مع مبدأ الألوهية المزعوم له ، بل إنَّ ثبوت صفة واحدة من الصفات البشرية ينفي معنى الألوهية عنه ، فكيف يكون إلهاً من يجوع وينام ويركب الجحش ؟ ، و يقاس على ذلك بقية الصفات البشرية التي اتصف بها المسيح عليه السلام .

الوجه الثاني : أنَّ وصف المسيح عليه السلام بالألوهية يتعارض مع صفات أخرى ، فكيف يكون إلهاً ، وملكاً ؟ ، بل ما حاجته إلى الملك وهو الإله ؟ ، وكيف يكون إلها ورسولاً في ذات الوقت ؟ ، ومن الذي يمكن أن يرسله وهو الإله ذاته ، وكيف يكون إلهاً ومعلِّماً في آن واحد ؟ ، وكيف يكون إلهاً وإنساناً في نفس الأمر ؟ .

الوجه الثالث : إنَّ وجود إلهين لهذا الكون غير مقبول عقلاً ، لأنَّ العقل البشري يقضي بوجوب وجود طرفين ، إله ، ومألوه يتوجه له بالعبادة ، وبمعنى آخر أيضاً : طرف يأمر وينهى وطرف ينفذ ذلك الأمر ، وينتهي عن ذلك النهي ، وبغير ذلك لا يمكن أن ينتظم أمر الكون ، وهذا أمر ظاهر ، فلو افترضنا وجود ملِكين في مملكة واحدة ، كل له أمر ونهي ، فإلى من سيتوجه شعبهما ؟ . إنَّ الأمر سيؤدي في النهاية إلى فساد عريض لا يمكن أن ينتهي إلا بوجود ملك واحد يتوجه إليه الشعب بالطاعة والانقياد ، ويمكن أن نعود ونسأل من كان يدير هذا الكون من الإلهين هل هو الإله الخالق أم الإله الذي صلب ، ومات ، ودفن – كما يزعمون – ؟!.

الوجه الرابع : أنَّ ألوهية المسيح عليه السلام تتعارض مع نزول الروح القدس بالوحي إليه ، وكذلك نزول هذا الملك ليقويه – كما تزعم أسفار النصارى – فكيف يكون إلهاً ثم يوحى إليه ؟ ، بل كيف يكون إلهاً ويحتاج إلى الوحي ؟ ومن الذي يمكن أن يوحي إلى إله ؟ ، وإن كان هذا الإله مساوٍ للآخر – كما يزعمون – فكيف يوحي أحدهما إلى الآخر؟ ، وهكذا نجد سلسلة من الأسئلة لا يمكن أن نجد لها جواباً شافياً ، بل لا يمكن أن نجد لها جواباً صحيحاً ، وإذا كان الروح القدس – أياً كان هذا الروح عندهم – نزل ليقوي المسيح عليه السلام – كما نصت عليه كتبهم – فكيف يكون إلهاً من يحتاج إلى من ينزل إليه ليقويه ؟ .

الوجه الخامس : أنَّ وصف عيسى عليه السلام بأنَّه مولود من الله يتناقض مع كونه مساوٍ لله – بزعمهم – ، فكيف يكون المولود مساوٍ للوالد من كل وجه ؟ ، ويتناقض أيضاً مع

كونه إلهاً ، فكيف يكون مولوداً وإلهاً في نفس الأمر ؟ وماذا كان هذا الإله قبل الـولادة ، وبعدها ، وأثناء فترة رضاعه ، ماذا كان دوره ؟ .

خامساً : بطلان هذه العقيدة من خلال القرآن الكريم :

يتميز القرآن الكريم في نقضه لهذه العقيدة بتعدد أساليبه ، ووضوح بيانـه ، وبلاغـة برهانه ،وربطه هذه القضية بالإيمان ، وتحقيق الوحدانية لله سبحانه وتعالى ، وقد سد بهـذا المنهج الرشيد كل طريق وقطع كل شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق في إثبات ألوهية المسـيح عليه السلام ، وسوف أورد في هذا المقام بعض الأوجه في نقض ألوهية المسـيح عليه السلام ، ببيـان الوجه الدال على ذلك ، ثم أتبعه بذكرالشاهد عليه من الآيات ، دون التعرض إلى التفسـير المفصل لوضوح القرآن في هذه القضية إلا ما دعت الحاجة إلى ذكره ، وبالله التوفيق.

الوجه الأول الأمر بتوحيد الله تعالى والنهي عن الشرك :

في القرآن الكريم نجد الأدلة الكثيرة التي تأمر بتوحيد الله تعالى ، والنهي عن الشرك به ، ولا شك أنَّ اعتقاد ألوهية المسيح عليه السلام من أعظم الشرك بالله تعالى ، ومما يناقض التوحيد من أصله ، وكل نهي عن الشرك يتضمن النهي عن اعتقاد ألوهية المسيح ، والآيـات الـتي تنهى عن الشرك كثيرة ، قوله تعالى : ﴿ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﴾النساء: ٣٦

الوجه الثاني إنكار ألوهية المسيح والحكم الصريح على صاحبها بالكفر :

وقد ورد ذلك في موضعين من القرآن الكريم كلها في سورة المائدة .

الموضع الأول : قوله تعالى : ﴿ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ ﴾ المائدة: ١٧ ، والثاني قوله تعـالى : ﴿ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭱ ﴾المائدة: ٧٢ . ومعـنى الآيتين ظاهر ، لكن يلفت النظر في الآيتين أمران : الأول : الاتفاق التام بين ألفاظ الآيـتين الكريمتين ، . والثاني : أخبرت الآيتان أنَّ أصحاب هذه المقالة يقولون : (إن الله هو المسيح ابن مريم) ، ولم تذكر أنَّهم يقولون إنَّ (المسيح هو الله) ، والذي يظهـر لي أنَّ في ذلـك أشارة إلى قول النصارى بحلول الله في المسيح عليه السلام – تعالى الله عن قولهم – ، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الرازي رحمه الله حيث قال : « وذلك لأنهم يقولون (يقصد النصـارى) أنَّ إقنوم الكلمة اتحد بعيسى » [1] .

---

[1] تفسير الرازي : (١١/١٩٠-١٩١).

الوجه الثالث : إخبار عيسى عليه السلام بأنَّه مربوب لله تعالى ، وأنَّه دعا قومه إلى عبـــادة ربه عز وجل وحده لا شريك له .

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى عن عيســـى عليه السلام : ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ آل عمران: ٥١ ، وقوله تعالى حكاية عنه أيضـــاً : ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ المائدة: ٧٢ ، وقوله: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ المائدة: ١١٦ - ١١٧

وفي هذه الآيات الثلاث دلائل كثيرة على مرادنا ومنها:

١- في الآيات الإخبار بأنَّ عيسى عليه السلام وقومه كلهم مربوبون لله تعالى وحده .

٢- وفيها — كذلك — الأمر بعبادة الله وحده دون سواه.

٣- في الآية الأولى إخبار بأنَّ عبادة الله وحده هي الصراط المستقيم .

٤- من الآية الأولى والثانية : أنَّ من حاد عن هذا الصراط المستقيم ، وأشرك مع الله تعالى ، فقد استحق الوعيد العظيم من الله بالحرمان من الجنة ، والقرار في النار ، ووصـــفه بالظلم الذي لن يجد معه من ينصره يوم القيامة.

٥- أنَّ عيسى عليه السلام قد التزم بكل ما أمره الله به تجاه قومه من أمرهم بعبادة الله وحده طيلة بقائه فيهم ، وبذلك يحتج عليهم يوم القيامة في جعلهم إياه شريكاً مع الله تعالى .

الوجه الرابع : أنَّ عيسى عليه السلام يقر بعبوديته لربه ، ولا يستنكف من عبادته :

ومن جميل ما يمكن أن يرد به على النصارى في دعواهم ألوهية المسيح عليه السلام أنَّ أول كلمة نطق بها المسيح عليه السلام - وكان ذلك بآية عظيمة ، وهي كلامه في المهد [1] — هـــي إعلانه العبودية لله سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ مريم: ٣٠ كما أنَّ آخر كلمة في سياق هذه المعجزة هي إعلان ربوبية الله تعالى له ولقومه

[1] لم يرد في أناجيل النصارى كلها أي إشارة إلى هذه المعجزة العظيمة ، وهذا من دلائل إخفائهم للحق .

، وأنَّ الله هو الذي يجب أن يفرد بالعبادة ، وأنَّ هذا هو الصراط المستقيم لا غـــيره : ﭽ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﭼ مريم: ٣٦ .

فإذا كانت أول كلمة في هذه الآية العظيمة التي أجراها الله تعالى للمسيح ﯥ هـــي الاعتراف بعبوديته لله تعالى ، وآخرها الاعتراف بكمال ربوبية الله تعالى له ولقومـــه ، وأنَّ هذا هو الصراط المستقيم ، فأي ضلال وقع فيه من يدعي ألوهيته بعد هذا الحق ؟ . ولكن ماذا بعد الحق إلا الضلال! .

ومما يدل على أنَّه لا يستكبر عن عبادة ربه ، وحتى الملائكة المقربون مـــن الله قولـــه تعـــالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ النساء: ١٧٢ .

الوجه الخامس : أنَّ الحواريين يعترفون بربوبية الله له ويطلبون منه أن يطلب من الله إن يتزل عليهم المائدة من السماء .

وقد جاء خبر هذه الآية المعجزة [٢] في الحوار الذي دار بين الحواريين و بين عيســـى ابن مريم ﯥ كما جاء ذلك في سورة المائدة ، في قوله تعـــالى : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯾ ﯿ ﰀ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ المائدة: ١١٢ - ١١٤ .

وهذه الآية دالة على أن عيسى ﯥ ليس بإله ، ولا يملك شيئاً من صفات الإله مـــن عدة أوجه :

أولها : أنَّ الحواريين وصفوا عيسى بأنَّه (ابن مريم) ، ولو كان يعتقدون بألوهيتـــه لم يحسن أن يخلعوا عنه لقب الألوهية في مثل هذا الموطن — وهو موطن طلب الآية المعجـــزة ، والذي فيه تشريف له ثمَّ يصفونه بأنَّه ابن مريم .

ثانيها : أنَّهم صرحوا بأنَّ الله تعالى هو ربه في قولهم : (هل يستطيع ربك) ، وأنهـــم لمعرفتهم بمترلته عند الله طلبوا منه من أن يطلب من ربه .

ثالثها : أنَّ عيسى ﯥ طلب من الله تعالى بوصفه رباً للجميع كما في قوله : (ربنا) أن يُترل عليهم هذه الآية ، وقد تحققت لهم هذه الآية للحكم الواردة في الآيات السابقة.

---

[٢] وهذه الآية العظيمة لم ترد في أسفار العهد الجديد مطلقاً مع ذكرهم لما هو دونها بكثير.

الوجه السادس : أنَّ كل الأنبياء يعلمون أنَّ الألوهية حق لله وحده :

ولأجل هذه المعرفة فلا يمكن لنبي أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، لأنَّ هذا هو الكفر بعينه ، والأنبياء أعظم من يُتره عن الوقوع في الشرك فضلاً عن الدعوة إليه وإنَّما يدعون إلى عبادة ربهم ، ويدل على ذلك قوله تعالى : چ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ چ آل عمران: ٧٩ – ٨٠ .

المبحث الثاني

دعوى بنوة المسيح عليه السلام لله تعالى

وفيه مطالب

- المطلب الأول : تقرير قولهم ببنوة المسيح من خلال القول بالولادة الأزلية
- المطلب الثاني : تقرير دعوى بنوة المسيح من النصوص الواردة في كتبهم

- المطلب الثالث : تقرير دعوى بنوة المسيح من خلال الاستدلال بميلاد المسيح
- المطلب الرابع : مناقشة دعوى بنوة المسيح

المطلب الأول : تقرير قولهم ببنوة المسيح عليه السلام من خلال قولهم بالولادة الأزلية :

يعتقد النصارى بأنَّ المسيح عليه السلام مولود من الله – سبحانه وتعالى – ، وقد تضمن قانون الإيمان عندهم تلك العقيدة ، حيث جاء فيه : « وبرب واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب ، قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساوٍ للآب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء » [(١)] .

وهذا القانون يتضمن أنَّ عيسى عليه السلام هو ابن الله الوحيد ، وأنَّه مولود من الله (تعالى الله) منذ الأزل ، وأنه مساوٍ لله عز وجل في الجوهر .

[(١)] انظر قانون الإيمان ، البابا شنودة الثالث ، ص : ٥٠ وما بعدها .

هذه خلاصة عقيدتهم ، وسأحاول بقدر المستطاع ، وبحسب ما يُفهم من كلام علمائهم توضيح مفرداتها، وتقريرها من وجهة نظرهم ، كما يلي :

١- وجود المسيح عليه السلام وجود أزلي :

جاء في تفسير إنجيل يوحنا عند ذكر السبب في عدم إيراد يوحنا لميلاد المسيح في إنجيله كما ورد في الأناجيل الأخرى : « لأنَّ الإنجيل على يد القديس يوحنا قصد به أن ينبه إلى أنَّ السيد المسيح قبل أن يظهر كإنسان في صورة ابن الإنسان (يسوع) كان له وجود قبل الزمان ، وجود أزلي مع الآب في السماء قبل أن يترل على الأرض متجسداً (آخذاً صورة عبد صائر في شبه الناس) [٢] . إنَّ المسيح قبل أن يولد من مريم كان هو الكائن منذ الأزل ، إله مريم ، وخالق مريم ، وكل الخليقة . فليس ميلاده من مريم في الحقيقة إلا أنَّه تجسد منها ، أي أنَّ ميلاده ليس كميلاد أي طفل آخر ، فميلاد أي طفل يعيّن وجوده ، لأنَّه بميلاده يصير له وجود ، أمَّا السيد المسيح فقبل أن يولد من مريم العذراء كان كائناً منذ الأزل مع الآب ، وهو الذي أراد فخلق كل الوجود » [٣] .

وهذا النص الذي ذكره شُرَّاح إنجيل يوحنا يبين اعتقادهم في عيسى عليه السلام ، وأنَّه إله موجود مع الله منذ الأزل ، وخالق كل الخليقة ، وأنَّه تجسد في مريم ، و لم يولد منها على الحقيقة .

٢- تفسير البنوة والولادة :

النصارى يتحاشون — ابتداءً — تفسير هذه الولادة بالولادة البشرية التي تحدث نتيجة الاقتران بين الزوجين ، كما أنَّهم يفرقون بين هذه البنوة وما ورد في أسفار العهدين القديم والجديد من وصف المؤمنين بأنَّهم أبناء الله ، وهم لم يستطيعوا — ولن يستطيعوا — أن يقدموا لنا تفسيراً منطقياً ومقنعاً لهذه الولادة ، وغاية ما عندهم في هذا الشأن أنَّهم يذكرون بعض الأوصاف والمقتضيات لهذة البنوة (المزعومة) ، فيصفون هذه البنوة بالأزلية ، والأصلية ، وأنَّها محبة سرية قائمة ، وأنَّ المسيح عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي حاز رضى الله ، وأنَّه في وحدة كاملة مع الله – تعالى – ، ومن أقوالهم في تقرير هذا الشأن :

---

[٢] هذة الجملة مأخوذة من الرسالة إلى فيلبي : (٢/٧) ، وقد سبق ذكرها .

[٣] الإنجيل للقديس يوحنا مع تفسيره ، تأليف لجنة أعتمد تشكيلها البابا كيرلس السادس ، ص: ١٦٨ .

جاء في كتاب المدخل إلى العقيدة المسيحية : « الابن صادر عن الآب ، ولكنَّه (مولود غير مخلوق) . فالمخلوق يخرج من العدم إلى الوجود بإرادة الله ، ولكنَّ ابن الله يصدر من صميم الله الآب نفسه . لذلك فإنَّ هوة تفصل الخالق والمخلوق ، أمَّا ابن الله والله الآب فهما على الصعيد نفسه ، لأنَّهما يشتركان كلاهما في الطبيعة الإلهية الواحدة . . أمَّا يسوع المسيح فهو ابن الله بطبيعته أي أنَّه بحد ذاته في وحدة كاملة مع الآب ولذلك دعي(ابن الله الوحيد)» (١) .

ويحاول القس ابراهيم سعيد أن يفسر معنى هذه البنوة عند تفسيره لجملة (ابن العلي) ، التي وردت في الإنجيل المنسوب إلى لوقا قائلاً : « يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد (بابن العلي) أو (ابن الله) ، فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله وإلا لقيل ولد الله ، و لم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعاً أنَّهم أبناء الله ، لأنَّ نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة ، و لم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر ، ولا الزمنية ، ولا في الجوهر، ولكنَّه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله ، وهي محبة متبادلة ، وما المحبة التي بين الأب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها ، وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها » (٢) .

وأما القمُّص ميخائيل مينا ، فيشبه هذه الولادة بولادة الشعاع من الشمس ؛ فكما أنَّ الشعاع يصدر من الشمس طبيعياً فهكذا الابن يولد من الآب ، وكما أنَّه لا يظهرجرم الشمس بدون شعاع لم يكن الآب أبداً بدون الابن (١) .

٣- مساواة المسيح عليه السلام لله سبحانه وتعالى في الجوهر :

يعتقد النصارى كذلك أنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام مع كونه ابناً لله إلا أنَّه مساوٍ لله سبحانه وتعالى فيما يسمونه بالجوهر أي مساوٍ له في الطبيعة الإلهية ، ومعنى ذلك أنَّ الصفات التي تكون لله عز وجل تكون أيضاً للمسيح عليه السلام ، وإذا تعمقنا في قراءة عباراتهم في هذا السياق نجد أنَّهم يجعلون المسيح عليه السلام أعظم من الله سبحانه وتعالى ، ويخصونه بأمور

---

(١) كوستي بندلي ومجموعة من المؤلفين : (١٠١-١٠٢).

(٢) نقلاً عن محاضرات في النصرانية ، محمد ابو زهرة ، ص:٩٣ .

(١) انظر : علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : (٢٥٦/١) .

من الربوبية والألوهية لا يجعلونها لله تعالى ، كقولهم : خالق كل الخليقة ، وخالق كل الوجود ، وأنَّه كان به كل شيء ، وأنَّ المسيح عليه السلام هو الذي تقدم له ، وباسمه العبادة في الدنيا ، وهو الذي يتولى شؤون الخلق يوم القيامة ، ويحق لنا أن نسأل ونقول : إذا كان المسيح عليه السلام هو الخالق للوجود ، وبه كان كل شيء ، وهو الذي له حق العبادة في الدنيا ، وسيتولى أمر الخلق يوم القيامة ، إذا كان هذا هو حاله فما الذي بقى لله تعالى بعد ذلك ؟!

المطلب الثاني : تقرير دعوى بنوة المسيح عليه السلام من النصوص الواردة في كتبهم .

ليس لدى النصارى أدلة يمكن أن يعوَّل عليها في القول ببنوة المسيح عليه السلام لا من الأقوال المنسوبة إليه ، ولا من أقوال من يعدونهم من تلاميذه ، بل غاية ما يعتمدون عليه في إثبات هذه الدعوى إنَّما هي نصوص تشتمل على ألفاظ مجملة ، ومشتبهة اعتقدوا أنَّها دالة على بنوة المسيح عليه السلام وجعلوها أساساً لهذه العقيدة ، وهي لا تخرج عن قسمين :

الأول : نصوص يرون أنَّها دالة على بنوة المسيح عليه السلام لله تعالى .

الثاني : نصوص يرون أنَّها دالة على أبوة لله تعالى للمسيح عليه السلام .

وفيما تفصيل لذلك مع ذكر الأمثلة عليه .

أولاً : النصوص التي جاء فيها اطلاق الابن على المسيح عليه السلام وهي نوعان :

النوع الأول : التصريح بلفظ (ابن الله) : ومن الشواهد عليها ما يلي :

١- « .. فتقدم إليه المجرِّب [١] ، وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال : مكتوب : ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان ، بل بكلمة تخرج من فم الله » [٢] .

٢- « وكان المجتازون يجدِّفون عليه ، وهم يهزون رؤوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام ، خلص نفسك ! إن كنت ابن الله فأنزل عن الصليب » [٣].

٣- « وإذا هما قد صرخا قائلين : ما لنا ولك يا يسوع ابن الله ؟ أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا ؟ » [٤] .

---

[١] المقصود به هنا الشيطان ، كما جاء ذكره في بداية الإصحاح .

[٢] متى : (٤/٣-٤).

[٣] المصدر نفسه : (٤٢/٣٩-٤٠) .

[٤] المصدر نفسه : (٨/٢٩) .

النوع الثاني : ذكر لفظ (الابن) مفرداً ، أو مضافاً إلى الله تعالى : ومن الشواهد عليه

١- « وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له » [٥] .

٢- « وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب » [٦] .

ومن النصوص الدالة على لفظ الابن مضافاً إلى الضمير العائد على الله ما يلي :

٣-«فإنَّ الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع اذكركم»[٧]

٤- « فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيَّة ولأجل الخطيَّة وإن الخطيَّة في الجسد لكي يتمَّ حكم الناموس فينا » [٨] .

ومما له علاقة بلفظ البنوة وصف المسيح عليه السلام بالابن "الحبيب" و "الوحيد" ، وهما من أشد ما يتعلق به النصارى في اختصاص عيسى عليه السلام بالبنوة لله دون غيره ، ومنها :

٥- جاء في قصة تعميد يوحنا : للمسيح عليه السلام « .. وكان صوت من السموات . أنت ابني الحبيب الذي به سررت » [١] .

٦- « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» [٢] .

٧- « لأنَّه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية . لأنَّهلم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلص به العالم » [٣] .

---

[٥] المصدر نفسه : (١١/٢٧) .

[٦] مرقص : (١٣/٣٢).

[٧] الرسالة إلى أهل رومية : (١/٩).

[٨] المصدر نفسه : (٨/٣) .

[١] مرقس : (١/١١) .

[٢] يوحنا : (١/١٨) .

[٣] المصدر نفسه : (٣/١٦-١٧) .

٨- « بهذا أُظهرت محبة الله فينا ، أنَّ الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به • في هذا هي المحبة : ليس أنَنا نحن أحببنا الله ، بل أنَّه هو أحبنا ، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » [٤] .

وهذان الوصفان يتعلق بها النصارى في إثبات خصوصية هذه البنوة بالمسيح ، كما جاء في كتاب المدخل إلى العقيدة المسيحية : « ولذلك دعي (أي المسيح عليه السلام) ابن الله الوحيد ، أي أنَّه وحده ابن الله بالمعنى الكامل لهذه العبارة ، بينما نحن لا نُدْعى أبناء الله إلا لأنَّ محبة الله تتبنانا رغم الهوة السحيقة بين طبيعة الله وطبيعتنا المخلوقة »[٥] .

القسم الثاني : الألفاظ التي جاء فيها إطلاق لفظ الأبوة على الله وهي نوعان :

النوع الأول : النصوص التي جاء فيها لفظ الأب مطلقاً ، ومنها :

١- « في ذلك الوقت أجاب يسوع وقال : أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنَّك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء ، وأعلنتها للأطفال ، نعم أيها الآب هكذا صارت المسرة أمامك » [٦] .

٢- « وقال يا أيها الآب : كل شيء مستطاع لك • فأجز عني هذه الكأس » [٧] .

النوع الثاني : النصوص التي جاء فيها لفظ الأب مضافاً إلى المسيح عليه السلام ، ومنها :

٣- « ليس كل من يقول لي : يا رب يدخل ملكوت السماوات • بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات » [١] .

٤- « كل من يعترف بي قدَّام الناس اعترف أنا أيضاً به قدَّام أبي الذي في السموات ، ولكن من ينكرني في قدَّام الناس أنكره أنا أيضاً قدَّام أبي الذي في السموات » [٢] .

هذه بعض النصوص التي يستدل بها النصارى على دعوى أبوة الله للمسيح عليه السلام ، وبالتالي إثبات بنوته بناءً على ذلك ، وسوف أناقشها في موضعها إن شاء الله تعال •

---

[٤] رسالة يوحنا الأولى : (٤/٩-١٠) •

[٥] كوستي بندلي ومجموعة من المؤلفين ، ص: ١٠٢ •

[٦] متى : (١١/٢٥-٢٦) •

[٧] مرقس : (١٤/٣٦) •

[١] متى : (١٧/٢١) •

[٢] المصدر نفسه : (١٠/٣٢-٣٣) •

المطلب الثالث : تقرير هذه الدعوى من خلال الاستدلال بميلاد المسيح عليه السلام :

استدل النصارى بميلاد المسيح عليه السلام العجيب من غير أب على بنوته لله تعالى وقالوا : إن كان المسيح قد ولد من غير أب فلابد أن يكون الله - تعالى عن قولهم - هو أبوه ، ويكون هوحينئذٍ ابن الله ، وهم يتوصلون بذلك إلى القول بألوهيته أيضاً ؛ لأنَّ الابن – في زعمهم – يأخذ طبيعة أبيه .

ومما يؤكد هذا الاستدلال من أقوال النصارى ما يلي :

١- يقول القس لبيب ميخائيل تحت عنوان :(لماذا نؤمن بأنَّ المسيح هو الله ؟) :« إنني أؤمن بأنَّ المسيح هو الله على أساس ميلاده المعجزي من عذراء » [٣] .

٢- ويقول إبراهيم لوقا : « ولقد اتخذت المسيحية منذ بداءها ذلك الميلاد العجيب برهاناً على لاهوت المسيح ، وهي في ذلك لم تنحرف عن جادة الصواب ، فالشخص الذي يولد على غير الطبيعة والمألوف لا يمكن أن يكون إلا شخصاً خرج عن دائرة البشر » [٤].

المطلب الرابع : مناقشة دعوى بنوة المسيح عليه السلام :

أولاً : الرد على استدلالهم بأزلية الابن وولادته من الله تعالى :

يقع النصارى في التناقض تقرير هذه العقيدة ابتداءً ، فضلاً عن تفسيرها وإقناع أتباعهم بصحتها ، ومن الأوجه التي تنقض هذه الدعوى من أصلها – بإذن الله – ما يلي :

الوجه الأول : التناقض بين مفردات هذه الدعوى ، وبيان ذلك كما يلي :

(أ) قولهم عن المسيح : (المولود قبل كل الدهور) ، كما ينص قانون إيمانهم ، ومن حقنا أن نتسائل : كيف يكون مولوداً ، وتكون ولادته قبل كل الدهور ؟ . وإذا بحثنا عن تفسير هذه العبارة فسنجد أنهم يفسرونها بأنه المولود منذ الأزل . وهذا التفسير أبلغ في التناقض ؛ لأنَّه لا يجتمع القول بأنَّه مولود وأنَّه موجود منذ الأزل ، وإذا كان الوجود الأزلي

---

[٣] هل المسيح هو الله ، ص ١٢٦ ، نقلاً عن كتاب تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، أحمد عجيبة ، ص ٣٥٩ .

[٤] المسيحية والاسلام ، ص:١٢٩ . نقلاً عن المصدر السابق .

هو الذي لم يسبق بعدم . فكيف يصح أن يقال إنَّ المسيح عليه السلام موجود منذ الأزل ، ومع ذلك فهو مولود ؟ ، ولا شك أنَّ الولادة حدث ، والحدث لابد أن يكون مسبوقاً بزمن .

وإذا قال النصارى إنَّ هذه الولادة غير حقيقية ، وَّنها بمعنى المحبة ، والعلاقة الخاصة . قلنا إنَّ هذا اللفظ (مولود من الآب) لا يدل على هذا المعنى ؛ لأنَّ قولهم :(مولود من الآب) ثم قولهم بعده : (قبل كل الدهور) يعين معنى الولادة . والله أعلم .

(ب) قولهم : (مولود غير مخلوق) : وهنا نجد التناقض من جهة العبارة ذاتها ومن جهة تفسير النصارى لها . أمَّا التناقض في ذات العبارة فهو ظاهر ؛ لأنَّ الولادة خلق ، ولا يمكن أن يكون الشيء مولوداً ولا يكون مخلوقاً .

وأمَّا التناقض في تفسيرهم لمعنى الولادة ، فمنهم من يقول هي الاشتراك في الطبيعة الإلهية ،كما يشبه الابن أباه في الطبيعة ، وهذا التفسير يلزم منه أن يُقرَّ أصحابه بأنَّ هذه الولادة هي الولادة الحقيقية ، وهي الولادة البشرية ؛ لأنَّها هي التي (يشبه فيها الابن أباه) ، فإن فرُّوا من هذا التفسير وأنكروه لم يستقم لهم هذا التشبيه .

(ج) قولهم : (مساوٍ للآب في الجوهر) ، ومقصودهم أنَّ عيسى عليه السلام مساوٍ لله تعالى في الجوهر أي في الطبيعة ، وهذا غير مسلَّم . فكيف يكون مولوداً منه ومساوٍ له في نفس الأمر ؟!. فالعقل لا يقبل ذلك ؛ لأن الابن لابد أن يكون دون الأب في الزمن ، والذات ، والصفات ، وإذا كان الابن مساوياً لأبيه من كل وجه ، فلماذا كان هذا أباً وذاك ابناً ؟!

و تشبيههم الولادة بولادة الشعاع من الشمس ينقض هذه المساواة من ثلاثة أوجه :

الأول : أنَّ صدور الشعاع من الشمس لا يسمى ولادة ، و لم تُعرف هذه التسمية على الاطلاق إلا عندهم .

والثاني : لا يقول عاقل بأنَّ شعاع الشمس مساوٍ للشمس نفسها ، فالقول بذلك مكابرة للعقل والحس معاً .

والثالث : على التسليم بصحة هذا التشبيه ؛ يلزم منه أن تكون هذه الولادة متجددة كما أنَّ شعاع الشمس يتجدد كل يوم ، وهذا ما لايقول به النصارى . وبذلك أصبح هذا التشبيه دليلاً على بطلان تلك العقيدة .

وهذه الدعوى (دعوى المساواة) تكذبها أسفارهم ، فقد جاء فيهـا – منسـوباً إلى المسيح عليه السلام – : « لأنَّ أبي أعظم مني » [1] ، وجاء أيضاً : « أنا الكرمة الحقيقيـة ، وأبي الكرّام ، كل غصن فيَّ لا يأتي بثمره يترعه » [2] .

وتفسير هذا النص الثاني – لو صح – كما يلي : الكرمة هي المسيح عليه السلام ، وهـي الشجرة الطيبة ، والله – عز وجل – هو الكرَّام ، وهو الذي زرع الشجرة ، والتلاميذ هـم أغصانها ، ثمَّ إنَّ المسيح عليه السلام قد نسب الترع إلى الله تعالى [3] .وهذا التفسير ينقض المساواة بين الله عز وجل وبين المسيح عليه السلام ، أو بين الكرام والكرمة – بحسب تعبير النص .

وأمَّا قول القس إبراهيم الذي ينفي فيه القول بالولادة الطبيعية ، ويعلل ذلك بأنَّه لـو كان كذلك لقيل (ولد الله) ، فأقول : إنَّ ما نفيته هنا قد ورد به قانون إيمانك الذي يـنص على أنَّ الابن (مولود من الله) ، وهذا تناقض ظاهر بين قوله ، وقانون إيمانه .

وأمَّا تناقضات المفسرين ، فإنَّهم يقولون إنَّ هذه الولادة ، ليست بمعنى الولادة البشرية ، وليست بالمعنى المجازي الذي تفسر به البنوة الواردة في حق غيره من الأنبيـاء أو غيرهـم ولكنها محبة سرية ، خاصة ، فائقة ، ونحن نقول ما هي حقيقة هذه المحبة ؟ وكيف كانـت منذ الأزل ؟ وليس عندهم جواباً يشفي الغليل !.

الوجه الثاني : النصوص التي جاءت في أسفارهم تنقض هذه الدعوى ، حيث دلـت على ولادة بشرية حقيقية للمسيح عليه السلام من مريم عليها السلام ، وأفادت أنَّ مريم أتاها المَلَك ، وبشرها بالمولود ، ومع ذلك لم يخبرها بأنَّ هذا المولود هو الإله ، وإنَّما اكتفـى بقولـه: «ستلد ابناً ، وتدعو اسمه يسوع لأنَّه يخلص شعبه من خطاياهم » [1] . ونحن لا نعلم كيف يبشر المَلَك مريم بأنَّ هذا المولود سيكون اسمه يسوع ، ويكتم عنها البشارة بأنَّه هو الإله ؟! ، ولا نعلم إن كان هذا المَلَك يعلم أنَّ هذا المولود هو الإله أم أنَّه كان جاهلاً بهذه الحقيقـة حتى جاء النصارى الذين علموا بذلك ، وأخبرونا به ، ولا مناص لهم في هذا المقام من اتهام هذا المَلَك إما بالجهل ، أو بالكتم ، أو بالذهول عن أعظم الحقائق ، وهي حقيقة الألوهية .

---

[1] يوحنا : (٢٨/١٤).

[2] المصدر نفسه : (١/١٥-٢) .

[3] انظر : النصرانية في ميزان العقل والإسلام ، محمد سليم فاضلي ، ص: ٢٩-٣٠ .

[1] متى : (٢١/١) .

وتفيد هذه النصوص بأنَّ مريم حبلت بهذا المولود ، وولدته ، وهربت به إلى مصر ، خوفاً عليه من ملك اليهود ، وأنَّ هذا المولود كان ينمو ، ويكبر ، ويعرض له ما يعرض لسائر البشر من النوم ، والحزن ، والخوف ، وأنَّه كان يأكل ، ويشرب ، ويُعذب ، ويُصلب ، ويموت ، ويُدفن ، إلى غير ذلك من الأمور ، ونحن نطلب من النصارى أن يأتوا بصفة واحدة من هذه الصفات يمكن أن تتفق مع كون المسيح عليه السلام إلها أو ابناً للإله ! ، وقد أشرت إلى طرف منها عند الحديث عن دعوى ألوهية المسيح عليه السلام .

الوجه الثالث : استدلالهم على أزلية المسيح عليه السلام بما أوردوه في كتبهم : « قبل أن يوجد إبراهيم أنا كائن » ، من أبلغ الدلائل على كذبهم ، وبيان ذلك من وجهين :

الأول : أنَّه يحق لنا — بناءً على ظاهر هذا الدليل — أن نقول : إنَّه من المعلوم أن نوحاً وآدم وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام كانوا قبل إبراهيم عليه السلام ، فإن كان مجرد (القبلية الزمنية) دليلاً على أزليَّة المسيح عليه السلام ؛ فإنَّ هذا الاستدلال سينتقض من أصله لكون هؤلاء الأنبياء عليهم السلام قبل إبراهيم عليه السلام ، وعليه فيحق لنا أن نقلب الدليل عليهم ونقول : إنَّ هذا دليل على ألوهية آدم ، ونوح ، وغيرهم ممن كان قبل إبراهيم .

والأمر الثاني : نقول للنصارى كيف يكون عيسى عليه السلام قبل إبراهيم عليه السلام ، ثم لا يخبر هذا النبي العظيم الذي هو أبو الأنبياء عن إلهه ، وهل يليق به أن يجحد إلهه ولا يخبر بأدنى خبر عنه فضلاً عن أن يعبده هو ويأمر الناس بعبادته ؟! أم أنَّه كان جاهلاً بذلك كله ، و لم يتفطن إليه إلا النصارى الذين أخرجوا هذا العلم (المكتوم !) إلى الناس! .إنَّ هذا الدليل الذي استدلوا به — لو صح – أعظم تهمة لهذا النبي الكريم عليه السلام ، وتهمتهم تتردد بين تجهيله بأعظم الحقائق ، وهي ألوهية المسيح ، أو كتمه وتقصيره في إبلاغها ، وكلا الأمرين عظيم يُنزه عنها من امتدحه الله تعالى بقوله : ﴿ ﴾ النجم: ٣٧ .

الوجه الرابع : وهو تابع لما سبق ، وهو أن أقول : كيف يكون هذا الإله موجوداً منذ الأزل ، ولا يعلم عنه أحد ؟ لا من الأنبياء ولا من غيرهم ، ولمن كان يتوجه الناس في عبادتهم ودعائهم ، وهو غافلون عن إلههم ؟ !، بل كيف يكون هذا (الإله) معطلاً عن أفعاله الإلهية ، ومن كان يدبر أمر هذا الكون ويقوم على شؤونه وشؤون الخلق جميعاً هل هو الإله (المجهول) – بزعمهم — أم أنَّه الحي القيوم سبحانه وتعالى عما يصف الظالمون !.

ثانياً : الرد على استدلالهم ببعض الألفاظ على بنوة المسيح عليه السلام :

ذكرت عند عرض أدلة النصارى على بنوة المسيح عليه السلام أنَّها راجعة إلى ألفاظ مجملة ومشتبهة ، جاءت في نصوص كتبهم ، وهذه الألفاظ هي لفظ البنوة و الأبوة ، وعند دراسة النصوص التي وردت فيها تلك الألفاظ ، والنصوص الأخرى التي جاء فيها إطلاق هذه الألفاظ على غير المسيح عليه السلام تبين لنا المعنى الصحيح والمراد منها ، ومن ثمَّ تبين لنا عدم صحة استدلال النصارى بها على بنوة المسيح عليه السلام ، وبيان ذلك من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ معنى لفظ البنوة لا يمكن حمله على معنى البنوة الحقيقية ولا يمكن حمله على غير المجاز ؛ وأنَّ المراد به ليس أكثر من الدلالة على معنى القرب ، والمحبة ، والصلاح ، والولاية ، والطاعة ، ونحوها من الألفاظ ، وهذا المعنى مما استفاضت به نصوص العهد القديم والجديد على السواء ، ومن ذلك :

جاء في إنجيل يوحنا : « الآب يحب الابن » (1) ، « الآب يقرب الابن » (2) ، « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأنَّ زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطيء لأنَّه مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون » (3) .

وهذه النصوص تفسر البنوة بالمحبة ، والقرب ، وعدم المعصية ، وهكذا يمكن أن يقال في بقية النصوص ، وسيأتي المزيد من البيان لها ، وهذا المعنى يؤكده الكثير من العلماء .

يقول الإمام تقي الدين الجعفري (1) : « فلغتهم (النصارى) تسمِّي الولي ابناً ، وتسمي المربِّي أباً ، ويعبرون عن ذلك بأبوة النعمة ، وبنوة الخدمة . وذلك عندهم مشهور ، وفي نبوات أنبيائهم مرسوم مذكور » (2) .

---

(1) يوحنا : (٣/٣٥) .

(2) المصدر نفسه : (٥/٢٠) .

(3) المصدر نفسه : (٣/٩-١٠) .

(1) هو صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزينبي ، وكنيته "أبو البقاء" ، واشتهر بلقبين تقي الدين وقاضي قوص ، ولد عام ٥٨١ هـ ، وسكن منطقة الجعافرة بمصر ، وله مؤلفات قيمة في الرد على اليهود والنصارى ، ولا يعرف له غيرها ، وهي : تخجيل من حرف الإنجيل ، والبيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ، والرد على النصارى ، انظر : مقدمة كتاب تخجيل من حرف الإنجيل ، دراسة وتقديم خالد محمد عبده : ص ٣ .

(2) تخجيل من حرف الإنجيل ، ص : ١١٣ .

ويقول المهتدي إلى الإسلام محمد مجدي مرجان [٣]: « والحقيقة أنَّ اللفظ الذي كان يطلق في بعض الأحيان على السيد المسيح عليه السلام لم يكن يقصد به على الإطلاق وجود علاقة نسب خاصة بين الله وبين السيد المسيح عليه السلام ، كما لم يكن يقصد به ولادة السيد المسيح عليه السلام أو تناسله من الله ، أو إنفراده وحده ببنوة الله ، وإنَّما قُصد بها فقط إبراز قرب السيد المسيح عليه السلام من الله ، ويشترك في هذا القرب الإلهي مع السيد المسيح عليه السلام كافة أنبياء الله وخلصاؤه ، وباقي عباده الصالحين » [٤] .

الوجه الثاني : أن هذا اللقب لم يختص به عيسى عليه السلام ، بل ورد إطلاقه على غيره ، ومن ذلك ما جاء في إنجيل لوقا من وصف آدم عليه السلام بأنَّه: « ابن الله » [٥] . ووُصف داود عليه السلام بأنَّه ابن الله « إنِّي أخبر من جهة قضاء الرب قال لي : أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك ، أسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصي الأرض ملكاً لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزَّاف تكسِّرهم » [٦] .

ولو طبقنا منهج النصارى في الاستدلال على هذا النص ، فلن نجد أولى من داود عليه السلام بلقب البنوة لله ؛ لقوله :(أنت ابني) ثمَّ قوله : (أنا اليوم ولدتك) ، وهذه العبارة لم ترد حتى في حق عيسى عليه السلام ، ولكنَّنا نجد في نفس هذا النص من القرائن ما يدل على أنَّ المراد بالبنوة القرب ، مثل قوله :(اسألني فأعطيك) ،و قوله:(تحطمهم بقضيب من حديد) ، فهي تبين المراد غاية البيان .

وقد وُصف سليمان عليه السلام بأنَّه ابن لله ، وأنَّ الله أبوه: « هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة ، وأريحه من جميع أعدائه حواليه . لأنَّه أسمه يكون سليمان . فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه ، هو يبني بيتاً لاسمي ، وهو يكون لي ابناً ، وأنا له أباً ، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد » [١] .

---

[٣] ولد في أسرة نصرانية ، وكان شماساً في الكنيسة ، ثم اعتنق الإسلام وألف أربعة كتب في إظهار الحق ، منها : "المسيح إنسان أم إله" و"الله واحد أم ثالوث" في الرد على عقيدة التثليث .

[٤] الله واحد أم ثالوث ، ص: ٧٨ .

[٥] لوقا: (٣٨/٣) .

[٦] المزامير : (٧/٢) .

[١] أخبار الأيام الأول : (٩/٢٢-١٠) .

ووُصف بعض الأنبياء بما فيه زيادة على معنى البنوة ؛ كما وُصف يعقوب عليه السلام بأنَّه(الابن البكر) : « فتقول لفرعون : هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر » [٢] .

ووُصف بالبنوة غير الأنبياء ؛ فقد وُصف الملائكة بالبنوة لله : « ولكنَّ الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يُزَوجَون ولا يُزوجُون . إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة ، وهم أبناء الله » [٣] ، « وكان ذات يوم أنَّه جاء بنوا الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم » [٤] ، والمراد ببني الله هنا الملائكة .

ووُصف بالبنوة لله بنوا إسرائيل : «أنتم أولاد للرب إلهكم » [٥] ، وكذلك جاء وصف صانعي السلام بأنهم أبناء الله « وطوبى لصانعي السلام لأنَّهم أبنا الله يُدْعون » [٦] ، بل جاء على لسان المسيح عليه السلام أنَّ الذين يحسنون إلى أعدائهم سيكونون أبناء لله : « وأمَّا أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات »[١].

واختم بهذا الشاهد : « لكن يكون عدد بني إسرائيل كرمل البحر الذي لا يكال ولا يعد ، ويكون عوضاً عن أن يقال لهم لستم شعبي يقال لهم أبناء الله الحي » [٢] .

وهل يقول النصارى بعد هذا النص أنَّ بني إسرائيل الذين يكون عددهم كرمل البحر أنهَّم جميعاً أبناء الله ؟!.

الوجه الثالث : أنَّ استدلال النصارى على خصوصية عيسى عليه السلام بهذه البنوة ببعض الألفاظ الخاصة مثل : الابن البكر ، والوحيد ، وابن العلي منقوض أيضاً من جهتين :

---

[٢] الخروج : (٢٢/٤) .
[٣] لوقا : (٢٠ / ٣٥-٣٦).
[٤] أيوب : (٦/١) .
[٥] التثنية : (١٩/١٤ .
[٦] متى : (٩/٥) .
[١] متى : (٤٤/٥-٤٥).
[٢] هوشع : (١٠/١).

الأولى : ما اثبته قريباً من وصف غير المسيح ﷺ بهذا اللقب من الأنبياء والملائكة وغيرهم ، وإذا ثبتت البنوة لفرد واحد غير المسيح ﷺ بطل قولهم بأنَّه (الابن الوحيد) .

الثانية : أنَّ هذه الأوصاف التي يزعمون خصوصيتها بالمسيح ﷺ قد ثبتت لغيره ، وقد مر معنا أنَّ إسرائيل ﷺ قد وصف بأنَّه (الابن البكر) ، ولقب (ابن العلي) وصف به جميع بني إسرائيل : « أنا قلت أنكم آلهة ، وبنوا العلي كلكم » [٣] ، ووُصف به التلاميذ : « بل أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا ، وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً ، وتكونوا بني العلي » [٤] ، ولقب (الابن الحبيب) وصف به بنيامين [٥]: « ولبنيامين قال : حبيب الرب يسكن لديه آمناً يستره طول النهار ، وبين منكبيه يسكن » [٦] ، ووُصف سليمان ﷺ بأنَّه محبوب لله ، ولم يكن في الأمم مثله : « أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ، ولم يكن في الأمم الكثيرة مثله ، وكان محبوباً إلى إلهه » [٧] .

ومن هذه النصوص نجد أنَّ هذه الأوصاف التي يدعي النصارى خصوصيتها بالمسيح ودلالتها على بنوته لله دون غيره أنها قد وردت لغيره ، ويتبين لنا بطلان هذه الدعوى ، وأنَّه ليس للمسيح أي مزية عن غيره من البشر إلا ما اختصه الله تعالى من أمر الرسالة .

الوجه الرابع : شهادة المسيح ﷺ نفسه وشهادة أتباعه بعدم خصوصيته بهذا اللقب ؛ فقد ساوى المسيح ﷺ بينه وبين أتباعه «أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» [١] ، ففي هذا النص نجد أنَّه ساوي بينه وبين أتباعه في أبوة الله تعالى لهم ، ثم وضح معنى الأبوة ، وأنَّها تعني ألوهية الله لهم بدليل اقتران اللفظتين في نفس النص .

وكذلك فإنَّ أتباع المسيح ﷺ لم يفهموا هذا المعنى (الخاص) للبنوة الذي يدعيه النصارى ، فنجدهم يطلقون هذا اللقب على أنفسهم ، فهذا يوحنا الذي يصفه النصارى بالحبيب ويدَّعون قربه من المسيح ﷺ يقول مخاطباً بقية الأتباع : « انظروا أيَّة محبة أعطانا

---

[٣] الزامير : (٦/٨٢) .

[٤] لوقا : (٣٥/٦) .

[٥] يُقال إنه أحد أبناء يعقوب عليه السلام ، ولم أجد ما يدل على صحة ذلك ، والله أعلم .

[٦] التثنية : (١٢/٣٣) .

[٧] نحميا : (٢٦/١٣).

[١] يوحنا : (١٧/٢) .

الآب حتى نُدعى أولاد الله ..أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله »[٢] . فهذه شهادة من يوحنا بإطلاق هذا اللقب على غير المسيح عليه السلام ، وأيضاً ؛ فإنَّ في هذا النص تفسيراً لمعنى البنوة بالمحبة ، ويتأكد هذا المعنى من تفسيره لمعنى الولادة من الله (تعالى) بعد ذلك بأنَّهااجتناب المعصية ، حيث يقول: « كل من هو مولود من الله لا يفعل الخطيَّة لأنَّ زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله ، بهذا أولاد الله ظاهرون »[٣] .

فهذا يوحنا المقدم عندهم يفسر البنوة بالمحبة ، وترك المعصية . فهل النصارى أعلم بالمسيح من نفسه ، وتلميذه المقرب إليه الذي أطلق هذا الوصف على بقية أتباعه ؟!.

الوجه الخامس : أنَّ ما ذُكر في معنى البنوة يصح في معنى الأبوة ، ومن الشواهدالتي تبين أنَّ هذا اللقب لم يكن خاصاً بعيسى عليه السلام ، بل اشترك معه آخرون ما يلي :

١- اطلق هذا اللقب على داود عليه السلام حيث جاء في العهد القديم : « وجدت داود عبدي . بدهن قدسي مسحته الذي تثبت يدي معه أيضاً ذراعي تشدده ... هو يدعوني أبي أنت . إلهي وصخرة خلاصي »[٤] .

٢- نسب المسيح عليه السلام هذا اللقب إلى جميع قومه حيث يقول: « لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات »[١] .

٣- ومما نسب إليه أيضاً قوله لأتباعه : « ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيءٌ ، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السماوات زلاتكم »[٢].

٤- وأوضح منه ما نسب إليه : « قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم:إني أصعد إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم »[٣] .

وهذه القرينة (إلهي وإلهكم) ، تقطع الشك من أن يفهم من البنوة غير ما ذكرت من المعاني . والله أعلم .

---

[٢] رسالة يوحنا الأولى : (٣/١-٢) .

[٣] المصدر السابق : (٣/٩-١٠) .

[٤] المزامير : (٨٩/ ٢٠-٢٧).

[١] متى : (٥/٤٥) .

[٢] مرقس : (١١/٢٥).

[٣] يوحنا : (١١/٢٥).

الوجه السادس : وهو النصوص الدالة على بشريته ، وأنَّه إنسان ، وابن إنسان ، وقد فصلت ذلك في المبحث السابق بما يغني عن إعادته .

ثالثاً : الرد على استدلالهم بميلاد المسيح ﷺ من غير أب :

سبق أن قررت استدلال النصارى على بنوة المسيح ﷺ بميلاده العجيب من غير أب ، وبطلان هذا الاستدلال من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ هذا الحدث آية من آية الله تعالى دائر في سياق القدرة الإلهية التي ليس لها حد، وليس فيه دليل على كون المسيح ﷺ ابناً لله تعالى ، ودعوى البنوة لله يكذبها ما في أناجيلهم من ذكر نسب المسيح ﷺ ، وقد جاء نسبه في إنجيل متى ولوقا ، وهو المشهور عندهم بابن داود ، والعجيب أنَّهم يزعمون أنَّ زوج مريم عليها السلام هو يوسف النجار [٤] ، فكيف يكون زوجها يوسف النجار ، ويكون ولدها ابناً لله ؟! .

الوجه الثاني : أنَّ الولادة من غير أب لم يختص بها عيسى ﷺ وحده ، فحواء قد خلقت من غير أم ، وذلك أعظم من الخلق من غير أب ؛ وأعظم منه خلق آدم ﷺ نفسه ، الذي خلق من غير أب ولا أم ، بل خلق من تراب ، وخلق آدم وحواء مفصل في التوراة التي يؤمن بها النصارى ، ومع ذلك لم يقولوا أنَّ آدم ابن الله أو أنَّ حواء ابنة الله .

يقول الجاحظ [١] : « إن كان المسيح (ﷺ) إنما صار ابن الله ، لأنَّ الله خلقه من غير ذَكَر ، فآدم وحواء إذ كانا من غير ذَكَر وأنثى أحق بذلك ، إن كانت العلة في اتخاذه ولداً أنه خلق من غير ذَكَر » [٢] .

الوجه الثالث : أنَّه يوجد في هذا الكون من المخلوقات – مما نعلم وما لا نعلم – من يولد بلا أب ، فهل يعقل أن تكون هذه المخلوقات أبناء أو بنات لله تعالى على الحقيقة ؟ !

---

(٤) هذا الزعم يكذبه صريح القرآن ، وهو قوله تعالى : ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ مريم: ٣٢ .

(١) هو أبو عثمان بن بحر الكناني الليثي ، لقب بذلك لأن عينيه ناتئتين ، وإليه تنسب فرقة الجاحضية من الفرق الكلامية ، وهو تلميذ النظام ، وله تصانيف أشهرها كتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، والرد على اليهود ، والرد على النصارى ، توفي سنة ٢٥٠ أو ٢٥٥ . انظر :وفيات الأعيان، ابن خلكان :(٤١٢/٣-٤١٧) ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : (٥٢٦/١١-٥٣٠) .

(٢) المختار في الرد على النصارى ، ص: ١١٦ .

وهل يعقل أن نطلق عليها مثل هذا اللقب ، وعلى منهج النصارى في الاستدلال فكم سيكون من أبناء الله أو بنات لله من هذه المخلوقات ؟ ! .

يقول رحمة الله الهندي – رحمه الله : « وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته فيستدلون تارة أنَّه ولد بلا أب ، وهذا الاستدلال ضعيف جداً ، لأنَّ العالم حادث بأسره وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة – على زعمهم – وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في أسبوع واحد ، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم فكل من هذه يشارك المسيح عليه السلام في كونه مخلوقاً بلا أب ويفوق عليه في كونه بلا أم ، وتتوالد أصناف الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم ، فكيف يكون هذا سبب في الألوهية ؟ » [٣].

الوجه الرابع : أنَّه يلزم من هذا الادعاء كثير من اللوازم الباطلة ، ومن أعظمها أنَّ يتصف الله عز جل وهو (الأب) في نظرهم بكامل الصفات الأبوية والزوجية ، وأمَّا اللوازم التفصيلية لكونه أباً أو زوجاً فمما يستشنع ذكرها في هذا الموضع ، وربَّما كان التلميح إليها دون تفصيل أحكم ، والله أعلم .

رابعاً : مناقشة استدلالهم من القرآن الكريم :

للقرآن الكريم منهج متميز في نقض هذه الدعوى ، يتسم بالوضوح التام ، والإقناع عن طريق الحجج والبراهين القاطعة ، ويتميز بالتأثير العظيم في الوجدان عن طريق ذكر شناعة هذا القول ، وعظيم الوعيد لأصحابه في الدنيا والآخرة ، وبيانه في الأوجه التالية :

الوجه الأول : بيان مشابهة النصارى للكفار السابقين في هذه المقالة ، وهو تضمين بكفرهم .

قال تعالى : چ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ چ التوبة: ٣٠ .

وفي هذه الآية إخبار بأنَّ دعوى بنوة المسيح عليه السلام لله تعالى تشبه مقالة الكفار السابقين للنصارى ، وهي تدل – والله أعلم – على أمرين :

---

[٣] اظهار الحق ، : ٣/٧٦٥ .

الأول : الحكم بكفر أصحاب هذه المقالة ، ويستنبط ذلك من حيث أنَّه لم يرد لهم في هذا الموضع إلا قولهم ببنوة المسيح عليه السلام ، فعلم أنَّه سبب كفرهم .

الثاني : في الآية إشارة لطيفة ، وهي أنَّه يوجد فيمن سبق من الكفار من قال بالبنوة لله تعالى [1] ، وحاصل الأمرين أنَّ النصارى قد شابهوا من سبقهم من الكافرين في القول ، وهو ادعاء الابن لله تعالى ، وفي الحكم ، وهو الكفر بالله تعالى .

وقوله:(ذلك قولهم بأفواههم) إشارة إلى تكذيبهم ، وأنَّ مقالتهم لا تتجاوز ألسنتهم .

الوجه الثاني : استحالة اتخاذ الله تعالى للولد :

ومن ذلك : قوله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ البقرة: ١١٦ - ١١٧ .

وقوله تعالى:(سبحانه) تدل على استحالة هذا الأمر ، وقوله:(له ما في السماوات) يشير إلى غناه سبحانه ، فلا حاجة له إلى الولد . ومثله قوله تعالى : ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ □ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ ﭼ يونس: ٦٨ – ٧٠

وهذه الآية تشبه الآية السابقة وتتضمن أموراً أخرى منها :

١– أنَّه ليس لأصحاب هذه المقالة أي برهان على صحتها ، وإنما هو محض الافتراء والكذب على الله تعالى .

٢– الوعيد الشديد لأصحابها ، وأنه ليس بينهم وبين العذاب – إن لم يتوبوا – إلا انقضاء الحياة الدنيا .

الوجه الثالث : بيان شناعة هذا القول في ذاته ، وأثره على الكون كله ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﯩ ﯪ ﯫ □ □ □ □ □ ﭼ مريم: ٨٨ – ٩٥ .

وهذه الآية الكريمة تتضمن أموراً عظيمة منها :

---

[1] وهذا ما أثبته عند الحديث عن الديانات الوثنية السابقة للنصرانية .

١- الإشارة إلى شناعة نسبة الولد إلى الله ، وأنَّه قول عظيم تكاد السموات أن تتفطر ، والأرض أن تنشق ، والجبال أن تسقط من هوله.

٢- بيان استحالة اتخاذ الله تعالى للولد .

٣- الوعيد الشديد لأصحاب هذه المقالة بأنَّهم جميعاً سيأتون إليه يوم القيامة ، وهــذا يتضمن عذابهم . والله أعلم .

الوجه الرابع : وهو من ألطفها – وقد سبقت الإشارة إليه – : أنَّ أول كلمة نطق بها المسيح ، وكان ذلك في آية عظيمة – وهي كلامه في المهد – هي نقض هذه الدعوى وذلك في قوله تعــالى : ﴿ ﴾ مريم: ٢٩ – ٣٢ .

وقد نقض عيسى هذه الدعوى من جهتين :

الأولى بقوله : (إني عبدالله) ولوكان ابناً لله لقال : (إني ابن الله) لا سيَّما أنَّ المقام مقام إعجاز ، وتشريف أيضاً.

الثانية : بقوله (وبراً بوالدتي) ، وهو من أصرح الأدلة على نفي هذه العقيدة فلو كان له أب لأشركه في البر ، وخاصة أنَّه قد ذكر ذلك في مقام ذكر منة الله تعالى عليه ، وقــد مدح الله تعالى قبله – وفي نفس السورة – يحي بن زكريا عليهما السلام بقوله تعالى عنه : ﴿ ﴾ مريم: ١٤ . وهل يعقل أن يكون باراً بأمه ، وعاقاً لأبيــه الذي هو إله – بزعم النصارى – ؟!.

الوجه الخامس : الآيات التي تبين بشرية عيسى ، وأنَّه عبدالله ورسوله ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿ ﴾ النساء: ١٧١

وفي هذه الآية أمور منها :

١- النهي عن الغلو ، ويتضمن غلو النصارى في نسبتهم الولد إلى الله تعالى .

٢- بيان حقيقة عيسى ، وأنَّه ابن مريم وليس ابــن الله ، وأنَّــه رســول الله ، والمخلوق بكلمة من الله تعالى وهي قوله (كن) .

٣- بيان وحدانية الله تعالى ، واستحالة اتخاذه سبحانه للولد .

٥- بيان غناه الكامل وأنَّ له ما في السموات والأرض ، فلا حاجة له إلى الولد .

الوجه السادس : بيان كمال الله تعالى المطلق ، وذلك بنفي التولد ، والولاة عنه :

ويدل على ذلك سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن ، لكونها تتحدث عن توحيد الله تعالى .

المبحث الثالث

عقيدة التثليث

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : تقرير عقيدة التثليث عند النصارى
- المطلب الثاني : الرد على عقيدة التثليث

المطلب الأول : تقرير عقيدة التثليث عند النصارى :

يعتقد النصارى أنَّ الله مكون من ثلاثة أقانيم [(١)] : الآب ، والابن ، والروح القدس ، وهذه الثلاثة إله واحد ،يعبرون عنه بقولهم : وحدة في تثليث ، وتثليث في وحدة [(٢)]، ووجه تقديس الأشخاص فيبها اعتقادهم أنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام هو الأقنوم الثاني من الثالوث .

اولاً: أهمية هذه العقيدة عند النصارى :

التثليث من أهم العقائد النصرانية ، ويتضمن القول بألوهية المسيح ، وبنوته لله تعالى .

يقول القس توفيق جيد: في بيان أهميته: «إنَّ عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها لأنَّها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه،فمعرفتها هي معرفة الله والإيمان بها هو الإيمان بالله ،ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله »[(٣)].

ويقول أيضا: « إنَّ الدخول في المسيحية لا يتم إلا بالإيمان بسر الأزل سر الثالوث الأقدس ، إنَّ كلمة السر التي بها يقبل أي كائن في ملكوت السموات هي سر الأزل سر الثالوث الأقدس، هذا الاسم اسم الأب والابن وروح القدس ينبغي أن يوضع على كل من يلج باب الملكوت، هذه هي السمة التي ينبغي أن يحملها على جنبيه كل داخل الى ملكوت السموات، سمة الثالوث الاقدس » [(٤)]

ويقول القُمُّص إبراهيم في كتابه (التثليث والتوحيد) مبيناًخطر نفي التثليث وما يترتب عليه : « لا يصح مطلقاً نفي التثليث لأنَّه بانتفائه تنتفي أنت ، إذ هو أنموذجك ومصدر

[(١)] الأقانيم : جمع مفرده أقنوم ، وهي كلمة سريانية الأصل ، وتعني – عند النصارى – من له تميُّز عمَّا سواه بغير انفصال . انظر : موسوعة الحقائق الكتابية ، برسوم ميخائيل ، ص:١٢٥ .

[(٢)] انظر : علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، للمتنيح القمص ميخائيل مينا : (١/١٩٤).

[(٣)] نقلاً عن :الله واحد ام ثالوث ، محمد مجدي مرجان ، ص:١١ .

[(٤)] المصدر نفسه ، ص:٢١ .

صفاتك الذاتية الثلاثية الذات والنطق والحياة وآثارها غير مفقودة ، فكيف يصح انتفاؤك وأنت موجود.. بنفي الأقانيم الثلاثة الإلهية..» [٥] .

وتقوم فلسفة التثليث عند النصارى على أساس أنَّ الله (تعالى) ذات ، ولها كيان ووجود،كما أنها عاقلة وحية،وهذه الثلاثة أي الذات والعقل والحياة هي أركان الذات [١] .

ويشرح الدكتور محمد مجدي مرجان فكرة الثالوث قائلاً : « يرى فلاسفة المسيحية أنَّ الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم أي ثلاثة عناصر أو أجزاء ، وهذه الأقانيم أو الأجزاء الثلاثة هي : الذات ، والنطق ، والحياة .

فالله موجود بذاته . ناطق بكلمته . حي بروحه .

كل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفاً معيناً أو مظهراً خاصاً ، فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الأب ، وإذا نطق فهو الابن ، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس [٢] .

ويتكلف النصارى بكل وسيلة لإثبات ثالوثهم ، وهم غير متفقين على طريقة واحدة في ذلك ، بل كل له طريقته الخاصة في ذلك ، ولكننا إذا درسنا أساليبهم في إثبات ذلك نجد أنها لا تخرج في الغالب عن أسلوبين :

الأسلوب الأول : ضرب الأمثلة الكثيرة على أنَّ التثليث أمر متصور ، و محسوس يمكن ملاحظته في الإنسان بل وفي النبات ، وحتى في الحيوان .

الأسلوب الثاني : وعادة ما يلجئون إليه عند عجزهم عن الإقناع بالأسلوب الأول ، أو عجز أتباعهم عن فهم تلك الأمثلة ، وهو أن العقيدة للاعتقاد لا للنقاش ، وهذا الأسلوب أقرب ما يكون إلى حيلة الأب الجاهل حينما يسأله ابنه لماذا يفعل كذا أو يترك كذا ؟ فيحيل عجزه بالقول إنَّ عليك أن تطيع أمري وتنتهي عن نهيي !.

ونرجع إلى بيان الأسلوب الأول ، وهو ضرب الأمثلة ، فمن ذلك تشبيه الله المثلث الأقانيم بالإنسان المثلث العناصر ، فكما أنَّ الله ذات كونية فكذلك الإنسان بذاته كائن

---

[٥] المصدر نفسه ، ص:١٠ .

[١] انظر : فلسفة اللوقس (الكلمة) ، د . رشدي حنا عبدالسيد ، ص : ٢ .

[٢] الله واحد أم ثالوث ، ص: ٩ .

على صورة الله ومثاله . وكما أنَّ الله ناطق كذلك فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله . وكما أنَّ الله حيٌّ فكذلك الإنسان حيٌّ على صورة الله ومثاله [٣] .

ومن أمثلتهم كذلك على إلههم ذي الأقانيم الثلاثة تمثيلهم ذلك بالتفاحة . « فكما أنَّ التفاحة لها ثلاث خواص هي الذات والطعم والرائحة ، ويمكن التمييز بين هـذه العناصـر الثلاثة وإن كانت التفاحة واحدة فالرائحة مثلاً غير الذات والطعم ، والذات هي علة الطعم والرائحة ، وكما أنَّ التفاحة لا توجد بدون الطعم والرائحة كذلك لا يمكن تصـور الآب بدون الابن والروح القدس فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله » [١] .

ثمَّ يضربون أمثلة مشابهة على الشمس والشجرة والأسرة السعيدة ، وغيرها . وعنـد النظر في أدلتهم نجد أنَّ كتابهم المقدس لم يشتمل على لفظـة "التثليـث" ،أو "الأقـانيم" ، ويعترف بعض النصارى بذلك ، ومنهم ج . وتلر ، حيث يقول : « ومعـروف أنَّ تعـبير الثالوث لم يكن موجوداً مادياً في العهد الجديد ، ولا لدى الآباء الرسوليين » [٢] .

وإنَّما أخذ النصارى ثالوثهم من القانون الذي وضعه لهم أثناسيوس [٣]، وينص على« إنَّ الإيمان الكاثوليكي أي العام أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث ، وثالوثاً في وحدانية غير مشوشين الأقانيم ، ولا مقسمين في الجوهر،فإن أقنوم الآب آخر،وأقنوم الروح القـدس آخـر،لكن للآب والابن والروح القدس لاهوتاً واحداً ومجداً متساوياً،وعظمة متساوية في الأزلية »[٤].

ومع ذلك فإنَّ النصارى يتكلفون غاية التكلف في إثباته ، والاستدلال عليه من كتابهم المقدس ومما يدل على ما جاء في سفر العدد : « يباركك الرب ويحرسك ، يضـيء الـرب بوجهه عليك ويرحمك ، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً » [٥] .

---

[٣] المصدر نفسه ، ص: ١٠ .

[١] المصدر السابق ، ص : ١٤ .

[٢] الهرطقة المسيحية ، ص : ٧٧ .

[٣] ولد بالإسكندرية عام ٢٩٦م ، ولعب دوراً هاماً في مجمع نيقية ، واعتلى عرش الإسكندرية عام ٣٢٦م .انظـر : موسوعة تاريخ الأقباط ، زكي شنودة : (١/١٣٤-١٣٥) .

[٤] خلاصة اللاهوت العقائدي ، مكاريوس : (١/٥٨) .

[٥] العدد : (٦/ ٢٤-٢٦).

ويفسر رمسيس ونيس هذا النص قائلاً : « يباركك الـــرب ويحرســـك (الله الأب) ، ويضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك (الله الابن) ، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً (الله الروح القدس) [٦] .

وبعد ذكر هذا النص وتفسيره الدال على تكلفهم وتلاعبهم ، نجد أنَّهم يتمســـكون بنصين هما أكثر ما يعتمدون عليه النصارى وهما :

١- « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس »[١] .

٢- «كان الذين يشهدون في السماء ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس ، وهولاء الثلاثة هم واحد » [٢] .

المطلب الثاني الرد على عقيدة التثليث :

بعد أن عرضت عقيدة التثليث بحسب ما فهمته من أقوال النصارى ، يمكن أن أوجز الرد على هذه العقيدة ، بما يلي :

أولاً: لا يوجد في الكتاب المقدس نص واحد في إثبات لفظة «التثليث» أو ما يسمونه «بالأقانيم »، وقد بينت ذلك عند ذكر استدلالهم على هذه العقيدة .

ثانياً : إذا كانت الأناجيل تحتوي على كثير من النصوص الباطلة ، فهذان النصان هما في مدار الريب والشك ، وهما كذلك عند علمائهم ، ومنهم «أوولف هرنك» الذي نظر إلى عبارة متى وجعلها دخيلة على المسيحية «النصرانية» لاعتبارين :

الأول : أنَّ الكلام عن المسيح وهو يلقي المواعظ ويعطي التعليمـــات لم يـــرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية .

الثاني : أنَّ صيغة التثليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح ، و لم يكن لها نفوذ في عصر الرسل [٣]

---

[٦] الكلام هنا منقول من كتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، محمد الحاج ، ص : ٢٢٠ .

[١] متى : (٢٨/ ٢٩) .

[٢] يوحنا : (٥/ ٧) .

[٣] انظر : المسيحية بين التوحيد والتثليث ، د . عبد المنعم فؤاد ،ص : ٢٠٦-٢٠٩

ثالثاً : بالنسبة للنص الذي ذكره يوحنا فإنا التراجم الحديثة لما يسمى بالكتاب المقدس قد حذفتها باعتبارها نصاً دخيلاً أقحمه كاتب مجهول منذ قرون [٤]

رابعاً : أنَّ هذه العقيدة تخالف العقل ؛ فإنَّ من بداهة العقول أنَّ الواحد لا يكون ثلاثة ، بل لا يكون اثنين وتوضيح الواضح أمر في غاية الصعوبة ، فهو بمثابة من يطلب الدليل على وجود النهار والشمس في وسط السماء . ولذلك فكل من أراد توضيح هذه العقيدة وقع في التناقض ولابد، ومن الأمثلة على ذلك التناقض ما وقع فيه أثناسيوس ، الذي وضع قانون التثليث نفسه —فنجده يقول : « إنَّ الإيمان المستقيم هو مؤسس على أنَّ الأقانيم تتميز عن بعضها بالخواص الأقنومية فقط . اعني خاصة أقنوم الآب أنَّه غير معلول وله الأبوة ، وخاصة أقنوم الابن أنَّه معلول وله البنوة . وخاصة أقنوم الروح القدس الانبثاق ، وهذه هي الخواص التي فيها في كل أقنوم وفي الآخرين بمفرده ما ليس في الأقنومين الآخرين ، وفي الآخرين ما ليس فيه . ثمَّ تشترك الأقانيم الثلاثة بالجوهر الإلهي ومن ثمَّ لهم إرادة واحدة وذاتاً واحدة ، أي أنَّ لكل من الآب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات . وكل ما ينسب إلى أحدهم من السرمدية ، وعدم التغير ، والعدل ، والجودة ، والحق ، والعلم والمشيئة ، والقوة ، وأيُّ صفة من صفات اللاهوت الكاملة ينسب إلى الآخر بمعنى واحد ، وعظمة واحدة ، وذلك لأنَّ الطبيعة واحدة [١] .

والتناقض في هذا النص ظاهر ؛ حيث يقرر أثناسيوس في أول النص أنَّ كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة متميز عن الآخر في صفاته الخاصة ، ويمثل لذلك بأن أقنوم الآب يتميز بأنَّه غير معلول ، وأقنوم الابن يتميز بأنَّه معلول ، وأقنوم الروح القدس يتميز بأنَّه منبثق ، ثمَّ يؤكد أنَّ الخواص التي توجد في كل أقنوم بمفرده لا توجد في الأقنومين الآخرين ، ثمَّ يتناقض بعد ذلك فيقرر أنَّ كل هذه الأقانيم لها إرادة واحدة ، وذاتاً واحدة ، وطبيعة واحدة ، بل وأنَّ ما يوجد في كل أقنوم من الألقاب والصفات يوجد في الآخر بنفس المعنى والعظمة . فأيُّ تناقض أعظم من هذا ؟! .

---

(٤) انظر الإسلام والأديان الأخرى ، اللواء احمد عبد الوهاب ، ص: ٩١ .

(١) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، المتنيح القمص ميخائيل مينا : (١/١٩٤-١٩٥) .

خامساً : عجز أصحاب هذه العقيدة عن توضيحها بمنطق يقبله العقلاء ولجوؤهم إلى ضرب الأمثلة كما ذكرت ، فإن لم تُجدِ فرضوا على الناس التسليم والانقياد بدعوى أنَّ هذا هو شأن العقائد ، فهي تقابل بالانقياد دون نقاش [٢] ، ولا ندري كيف يؤمن النصـــراني بعقيدة لم يفهمها فضلاً عن أن يقتنع بها ؟! .

سادساً : اعتراف النصارى بعجزهم عن فهم هذا الثالوث .

يقول صاحب رسالة « التوحيد والتثليث» : « من الصعب علينا أن نحاول فهم هـــذا الأمر (التثليث) بعقولنا القاصرة كما قال الدكتور توراس لأنَّ الله روح » [١] .

ويتحدث د. محمد مجدي مرجان ، عن تجربته بعد حديثه عن التثليث : « ولقد تابعت طويلاً كلمات النقول وناقشت ذوي العقول ، بل لقد أتاحت لي ظروف نشأتي في عائلـــة تؤمن بإله ثالوثي...وتقيم الابتهالات و... أتاح لي ذلك وغيره الاطلاع على كـــثير مـــن العلوم الدينية ، والأسرار اللاهوتية ، ولقد بذلت جهداً كبيراً في محاولة إقناع عقلي وفكري بظروف ولادتي ونشأتي التي تحتم الإيمان بالله الثالوث بحكم الوراثة والتقليـــد والانســـياق والعادة ، ولكنني فشلت في هذا فذهبت أبحث العقائد الأخرى »[٢] .

سابعاً :الأمثلة التي يذكرها النصارى لا تزيد هذه العقيدة إلا غموضاً ، بل لا تزيـــد الإنسان إلا إيماناً باستحالة الثالوث عقلاً وحساً . وأما تشبيههم الله – سبحانه وتعـــالى – بالإنسان فهو من قياس الغائب على الشاهد ، فكيف يشبه مـــن چ ٺ ٺ ٿ ٿٿ ٿ ٹ ٹ چالشورى: ١١ بمن هو دون ذلك ، وكيف يشبه الخالق بالمخلوق ؟

ونحن نعلم أنَّ التشبيه لابد فيه من وجود صفة أو صفات مشتركة بين المشبه والمشـــبه به ، فما التشابه بين الخالق والمخلوق والرب والمربوب عند النصارى ؟ .

إذا كان الله ذاتاً ، وناطقاً ، وحياً ، فهل يوجب ذلك أن يكون مثل الإنسان الذي له ذات ، وهو ناطق ، وحي ؟ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

---

[٢] في عقيدة المسلم هناك أمور محددة غير قابلة للنقاش لأننا لا نستطيع إدراكها بعقولنا مثل ذات الله وأمور الغيب ونحوها ،أما ماعدا ذلك فما أكثر دعوة القرآن إلى التدبر والتفكير في آيات الله الكونية والشرعية .

[١] نقلاً عن كتاب المسيحية بين التوحيد والتثليث ، عبد المنعم فؤاد ، ص: ٢٢٨.

[٢] الله واحد أم ثالوث ، ص : ٥ .

وأمَّا التشبيه بالتفاحة التي لها ذات وطعم ورائحة ، فنحن نستطيع أن نقول على فرض التسليم بذلك إنَّ خواص هذه التفاحة لا تقتصر على هذه الثلاث الصـفات المـذكورة ، فالتفاحة ، وما يماثلها لها حجم ، ولون ، وشكل ، وملمس ، ووزن ، وغـير ذلـك مـن الأوصاف ، فلماذا لا يقول النصارى بدلاً من الثالوث بالرابوع والخـاموس والسـادوس ، وهكذا بعدد خواص المشبه به حتى يستقيم تمثيلهم ، ونجد أننا في غنى عن الاسترسال في الرد فقد ظهر من الأدلة على بطلان هذه العقيدة ما حصل منه المقصود إن شاء الله .

رد القرآن الكريم على هذه العقيدة :

رد القرآن على عقيدة الثالوث الباطلة بأبلغ رد وأوضح بيان ؛ فقد كفَّر أصحاب هذه المقالة ولانجد أننا بحاجة مع بيانه إلى مزيد من البيان ، وإلى الآيات الدالة على ذلك :

قال تعالى : چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک چالنساء: ١٧١

بل صرح بكفر أصحاب هذه المقالة وتوعدهم إن لم يكفوا عنها بالعذاب الأليم : چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ چالمائدة: ٧٣ .

المبحث الرابع

تقديس مريم عليها السلام

وفيه تمهيد ومطلبان

- المطلب الأول : التقديس الاعتقادي
- المطلب الثاني : التقديس العملي

تمهيد :

يرتبط تقديس النصارى لمريم عليها السلام بتقديسهم للمسيح عليه السلام ؛ فعقيدتهم فيها ترتبط بعقيدتين من العقائد المتعلقة بالمسيح عليه السلام ، وهما :

١- عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام ؛ فلكون المسيح عليه السلام إلهاً – عندهم – فإنَّ مريم لابد أن تكون هي والدة الإله.

٢- عقيدة تجسد المسيح عليه السلام ، وعندهم أنَّ التجسد لم يتم إلا عن طريق العذراء مريم ، ولولا أنَّها قبلت أن تكون جسداً للمسيح عليه السلام لم تتم عملية التجسد .

يقول اللاهوتي الأرثوذكسي نقولا كباسيلاس : « إنَّ التجسد لم يكن فعل الأب وقدرته وروحه فحسب ، ولكنَّه أيضاً فعل إرادة العذراء وإيمانها . فبدون الكُلَّية النقاوة ، بدون مساهمة إيمانها لكان تحقيق هذا المقصد متعذراً » [1] .

وهذا النص يبين دور مريم في عملية التجسد ، وأنَّها تمت طبقاً لإرادتها وقبولها لها .

وإذا بحثنا في مظاهر تقديس النصارى لمريم عليها السلام نجد أنَّها تضمن جانبين جانب اعتقادي ، وجانب عملي ، وسأتحدث عن ذلك فيما يلي :

المطلب الأول : التقديس الاعتقادي :

ويُعد الجانب الأهم في تقديس مريم عليها السلام عند النصارى ، ومن أهم صوره :

١- الاعتقاد بأنَّ مريم والدة الإله :

يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أنَّ مريم هي والدة الإله ، وأنَّ الله تعالى اختارها منذ الأزل لتكون أمَّاً لابنه . وهذه العقيدة من أهم العقائد المتعلقة بمريم عليها السلام .

وقد تقررت في المجمع المسكوني الثالث (مجمع أفسس الأول) عام ٤٣١م [2] . وكان إقرارها رداً على مقالة نسطور أو "نسطوريوس" الذي كان كاهناً بأنطاكية ثم رُسم أسقفاً

---

[1] نقلاً عن مدخل إلى العقيدة المسيحية ، كوستي بندلي ومجموعة من المؤلفين ، ص:١٢٠ .

[2] انظر خلاصة اللاهوت المريمي ، الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، ص: ٦٥ ، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله ، مجموعة من المؤلفين ، ص: ١٢٣ ، ومريم أم الرب ورمز الكنيسة ، ماكس توريان ، ص: ٨٥ .

على القسطنطينية عام ٤٢٨م ، وكان يقول إنَّ مريم لم تكن سوى امرأة ، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة ، وعليه ؛ فلا يجوز القول بأنَّ مريم هي التي تلد الله ، بل التي تلد يسوع الإنسان ، ولذلك اعتاد أن يستخدم لقب "انثروبوقوس" أو "خريستوطوقوس" الذي يعني والدة المسيح ، ورفض أن يطلق عليها "ثيوطوقوس" الذي يعني والدة الإله [١] .

ولمَّا بلغ ذلك مسامع كيرلس [٢] بابا الإسكندرية كتب رسالة إلى نسطورس عام ٤٢٩م مبيناً فيها التعاليم الصحيحة – بزعمه – في شأن مريم عليها السلام ، ثمَّ كتب رسالة ثانية إلى نسطورس لذات الغرض .

وفي عام ٤٣١م انعقد المجمع المسكوني الثالث بأفسس تحت رياسة البابا كيرلس ، وممَّا قاله البابا في ذلك المجمع : « السلام لمريم والدة الإله،كتر العالم كله الملوكي،المصباح غيرالمنطفيء ، إكليل البتولية ، صولجان الأرثوذكسية ، الهيكل غيرالمفهوم ، مسكن غير المحدود ، الأم وعذراء » [٣] .

وتقرر في هذا المجمع حرمان نسطور ، حيث أعلن المجمع أنَّ « من لا يعترف بأنَّ عمانوئيل هو الله حقاً ، وبالتالي فإنَّ القديسة العذراء هي "الثيؤتوكوس" إذ ولدت كلمة الله المتجسد حسب الجسد فليكن محروماً » [٤] .

وبذلك أدان المجمع رأي نسطور ، وثبت لقب والدة الإله كعقيدة لجميع النصارى .

أدلة النصارى على أن مريم والدة الإله :

عند البحث في استدلال النصارى على هذه العقيدة نجد أنَّه يعود إلى أصل واحد ، وهو الاستدلال بألوهية المسيح عليه السلام – بزعمهم – ، وأنَّه إذا كانت العذراء قد ولدت "عمَّانوئيل" الذي معناه الإله فهي والدة الإله .

---

[١] انظر خلاصة اللهوت المريمي ، ص:٦٦، الرؤية الأرثوذكسية ، ص:١٢٢ ، القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص: ٢٨ .

[٢] يسمى كيرلس الكبير الأول والبابا الرابع والعشرون ، تولى البابوية في الفترة (٤١٢-٤٤٤) م ، وتولى رئاسة مجمع أفسس عام ٤٣١م . انظر: تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطي ، ص:٨٧ .

[٣] القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص:٢٨ .

[٤] المصدر نفسه ،ص:٣٠ .

ومع أنَّ هذه العقيدة لم تقر إلا متأخراً ، إلا أنَّ النصارى يحاولون الاستدلال عليها بنصوص الأسفار ، ومن أشهر أدلتهم في ذلك دليلان :

الأول : يطلقون عليه دليل البشارة ، ويراد به عندهم بشارة الملاك بميلاد "الإله" في زعمهم ، وهو النص الوارد في إنجيل لوقا : « فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ! الرب معك . مباركة أنت في النساء . فلمَّا رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية ! . فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم لأنَّك وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيماً ، وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسي داوود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً . فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظلك ، فذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله . وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً لأنَّه ليس شيء غير ممكن لدى الله . فقالت مريم : هوذا أنا أمة الرب . ليكن لي كقولك . فمضى من عندها الملاك » [1] .

الدليل الثاني : دليل الزيارة ، ويقصد به زيارة مريم لنسيبتها أليصابات (زوجة زكريا) كما يقولون ، وقد جاء في هذا النص : « فقامت مريم في تلك الأيام ، وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ، ودخلت بيت زكريا ، وسلمت على أليصابات . فلمَّا سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها ، وامتلأت أليصابات من الروح القدس ، وصرخت بصوت عظيم ، وقالت : مباركة أنت في النساء ، ومباركة هي ثمرة بطنك ! فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ ؟ فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني أرتكض الجنين بابتهاج في بطني . فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب » [2] .

ويمكن نقد هذ العقيدة بما يلي :

١- هذه العقيدة لم تقر إلا في مجمع أفسس الذي عقد في عام ٤٣١م . أي بعد ما يقارب أربعة قرون من رفع المسيح عليه السلام ، وهذا يعني عدم وجود نصوص في الأناجيل تدل

---

[1] لوقا : (١/٢٨-٣٨) .

[2] المصدر نفسه : (١/٣٩-٤٥) .

عليها شأنها في ذلك شأن الكثير من العقائد المبتدعة عند النصارى التي تقر نتيجة الخلاف الذي يقع بينهم ، ولو وجد النص الصحيح والصريح لم يقع فيها الخلاف .

٢- كان الغرض من إثباتها في الحقيقة هو تأكيد عقيدة أخرى ، وهي القول بألوهية المسيح عليه السلام ، والذي يلزم منه القول بأنَّ مريم هي والدة الإله . وهذا يعني أن هذه العقيدة ليس لها مستند صحيح ، وإنما نشأت لخدمة عقيدة أخرى دار حولها الخلاف .

٣- من وجه آخر أقول : إنَّ هذه العقيدة لم تقرابتداءً بناء على نصوص عند النصارى ، وإنما كانت رداً على مقالة نسطور بأنَّ مريم هي أم المسيح عليه السلام ، وهذا يتضمن القول ببشرية المسيح عليه السلام ، وهو ينقض ما تقرر سابقاً لدى النصارى من القول بألوهيته ، فلزم النصارى القول بأنَّ مريم هي والدة الإله لإثبات الأمر الأول . وهذا يدل على أنَّ النصوص التي أوردها النصارى من الكذب الذي اختلقوه لإثبات عقائدهم المبتدعة .

٤- لم ترد البشارة بأنَّ مريم عليها السلام هي والدة الإله على لسان المَلَك ، وإنَّما جاءت في قول مريم ، ثمَّ في قول أليصابات – كما في النص الثاني – وهذا يدل على أن هذا النص من الكذب ؛ لأنّه لو كانت مريم هي والدة الإله لكان ذلك الأمر أول ما يبشر به المَلَك ، وإنَّما جاء وصف المولود كما في النص السابق بأنه : ابن ، يسوع ، ملِك ، وهذه ليست من صفات الإله وإنما هي من صفات سائر البشر . والله أعلم .

٢- بتولية مريم الدائمة :

يعتقد النصارى ببتولية مريم وأنَّ ابن الله – بزعمهم – ولد من عذراء حافظت على بكارتها ، وبقيت عذراء في الولادة وبعدها ، وقد أُقرت في المجمع المسكوني الخامس (القسطنطيني الثاني) عام ٥٥٣م،وجاء فيه : «إذا لم يعترف أحد بميلادي ابن الله الأول من الآب قبل الدهور ، وهو ميلاد لا زمني ولا جسدي ، والآخر في الأيام الأخيرة ، وهو الذي نزل من السماء وتجسد في مريم القديسة المجيدة أمَّ الله الدائمة البتولية ، وولد منها فليكن ملعوناً »[1] .

وهاتان العقيدتان اتفقت عليهما جميع الطوائف النصرانية ، وزاد الكاثوليك ما يلي :

[1] انظر : اللاهوت المقارن ، البابا شنودة : (٩٥/١) ، خلاصة اللهوت المريمي ، الأب وغسطين دوبرة لاتور ، ص:٢٧١ ، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله ، مجموعة من المؤلفين ، ص:١٢٩ .

٣- عقيدة الحبل بلا دنس :

ويقصد بها عندهم أنَّ مريم عليها السلام افتُديت منذ أن حُبل بها من دنس الخطيئة الأولى ، التي تلوث بها جميع البشر – بزعمهم- ، وأنَّها قد تفردت من بين جميع البشر بأنَّها ولدت دون أن تصيبها أدنى لطخة من الخطيئة الأصلية الأولى .

وقد تقررت بإعلان البابا بيوس التاسع لها عام ١٨٥٤م ، وجاء في إعلانه: « إنَّ الطوباوية العذراء مريم قد صينت منذ اللحظة الأولى للحبل بها سليمة من كل لطخة من لطخات الخطيئة الأصلية ، وذلك بنعمة من الله الكلي ، وبإنعام منه ، نظراً إلى استحقاقات يسوع المسيح مخلص الجنس البشري »[١] .

وهكذا يرى النصارى تميز مريم عليها السلام عن بقية البشر ، بأنَّها لم تتلوث بالخطيئة الأولى ، وأنَّ ذلك راجع إلى استحقاق المسيح عليه السلام نفسه .

وليس لهذه العقيدة أصل في أسفار النصارى ، وهم يعترفون بذلك ، ولكنَّهم يرجعونها إلى قداسة مريم عليها السلام ، ويربطونها بعقيدة والدة الإله ، وبتوليتها الدائمة ، ويرون أنَّها تعبير عن سابق إعداد لتكون أم المسيح عليه السلام .

ويمكن نقد هذه العقيدة بما يلي :

١- أنَّ هذه العقيدة لا تستند على أي دليل من كتب النصارى ، وهذا باعترافهم هم ، وهذا يدل قطعاً على ابتداعها ، ومما يؤكد ذلك :

٢- أنَّها لم تقر إلا في عام ١٨٥٤م ، أي بعد زمن المسيح بأكثر من ثمانية عشر قرناً ، فأين الباباوات السابقون والذين يقارب عددهم المائتين عن هذه العقيدة !.

٣- أنكر الأرثوذكس والبروتستانت هذه العقيدة ، بل ردت عليها ، ومما رد به الأرثوذكس على ذلك أمرين :

الأول : أنَّ عملية الفداء تمت بصلب المسيح لا قبله ، والقول بأنَّ مريم ولدت مفتداة من الخطيئة لا يجعل عملية الخلاص التي قام بها المسيح ذات قيمة .

---

[١] التعليم الميسحي للكنيسة الكاثوليكية ، لجنة التأليف بالكرسي الرسولي ، ص١٦١ ،، وخلاصة اللاهوت المريمي ، الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، ص:٨١-٨٢ .

والثاني : إذا كان القول بأنَّ مريم ولدت مفتداة لأجل أنَّها ساهمت في إعداد الطبيعة التي تجسدت في أحشائها ، فإنَّ كل نسل المسيح قد شارك في ذلك ، فليست لمريم مزية عن غيرها ، فلماذا لم يكَّرم هذا النسل بالافتداء من الخطيئة كما حدث لمريم ؟.

٤- صعود مريم بجسدها إلى السماء :

يرى الكاثوليك أنَّ مريم بعد أن أتمت حياتها على الأرض رُفعت بالجسد والنفس إلى السماء لتكون ملكة السماء ، وتجلس عن يمين ابنها . ولم تقرهذه العقيدة إلا عام ١٩٥٠م ، في عهد البابا بيوس الثاني عشر ، وجاء في إعلانه: « نؤكد ونعلن ونحدد عقيدة أوحى بها الله وهي أنَّ أمَّ الله الطاهرة مريم الدائمة البتولية ، بعدما أتمت مسيرة حياتها في الأرض ، رفعت بالجسد والنفس إلى المجد السماوي » [1] .

وهذه العقيدة - كسابقتها - ليس عليها دليل مما يسمى بالكتاب المقدس ، ولكن الكاثوليك يحاولون الاستدلال عليها من خلال ربطها بقداسة مريم عليه السلام ، وربطها بألوهية المسيح عليه السلام نفسه من جهة أخرى ، وحاصل استدلالهم يعود إلى أمرين :

١- كما أنَّ مريم متحدة مع ابنها الإلهي (هكذا يقولون) اتحاداً وثيقاً ، ومشتركاً معه في مصيره ؛ فإنَّ انتقالها إلى السماء بالجسد والنفس متفق مع ما يقتضيه ذاك الاتحاد ، ولم يكن ممكناً فصلها عن ابنها بعد مماتها.

٢- وصف مريم بأنَّها حواء الجديدة ، وهذا يعني أنَّها موازية لآدم الجديد (يقصدون به عيسى عليه السلام) ، وقد اتحدت بآدم الجديد اتحاداً وثيقاً ؛ ولذلك فلابد أن تتحد معه في النصر ، فكما أنَّ قيامة المسيح جانب جوهري لانتصاره على الخطيئة ؛ فكذلك لابد أن تنتهي الحرب التي خاضتها مريم متحدة مع ابنها بتمجيد جسدها البتولي وذلك برفعه إلى السماء .

وهذا الدليل يعود من حيث المعنى إلى الدليل الأول . ويمكن نقد هذه العقيدة بما ذكرته في العقيدة السابقة مما يغني عن إعادته هنا .

---

[1] خلاصة اللاهوت المريمي ، الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، ص:٩٢ .

٥- أنَّ مريم عليها السلام شريكة في الخلاص مع المسيح عليه السلام :

يعتقد الكاثوليك بمشاركة مريم عليها السلام بمشاركة المسيح عليه السلام في عملية الفداء التي قام بها ؛ ويقولون : كما أنَّ الله جعل المسيح على وجه خاص الوسيط والفادي أراد على نحو فعال ربط شخص الأم وعملها بشخص ابنها وعمله .

وهذه العقيدة أُقرت كذلك في المجمع الفاتيكاي الثاني ، وجاء فيه : « أن العذراء الطوباوية التي أعدت منذ الأزل في تصميم تجسد الكلمة كي تكون أمَّ الله ، غدت على الأرض ، بتدبير العناية الإلهية أُمًّا حبيبة للمخلص الإلهي وشريكةً سخية في عمله بصفة فريدة أبداً ، وأمَّه للرب وديعة بالحبل بالمسيح ، بوضعها إياه في العالم ، وبتغذيتها له ، وبتقدمته في الهيكل إلى أبيه ، وبتألمها مع ابنها الذي مات على الصليب ، ساهمت في عمل المخلص مساهمة لا مثيل لها بخضوعها وإيمانها ، برجائها ومحبتها الحارة كي تعود الحياة الفائقة الطبيعة إلى النفوس . ولهذا كانت لنا أُمًّا في نطاق نظام النعمة » [1] .

وهذا النص يبين بعض أوجه مشاركة مريم عليها السلام للمسيح عليه السلام في عملية الخلاص ؛ ولأجل هذه المشاركة فقد أطلق على مريم الألقاب الكثيرة ، ومنها : الحامية ، والمعينة ، والمساعدة ، والوسيطة [2] .

٦- مريم أم الكنيسة ، وأم أبناء الله ، وأم الناس :

أطلق الكاثوليك هذا اللقب مؤخراً على مريم ،ويزعمون أنَّه بسبب دورها في عملية الخلاص ، وقد أوضح ذلك المجمع الفاتيكاني الثاني ، حيث جاء فيه: « لهذا يتوخى المجمع المقدس ، وهو يقدم تعليم الكنيسة التي فيها يتم الفادي خلاصنا ، أن يوضح بعناية ، من جهة دور الطوباوية العذراء في سر الكلمة المتجسد ، والجسد السري ، ومن جهة أخرى واجبات المفتدين نحو أمِّ الله ، أمِّ المسيح ، أمِّ البشر ، وفي طليعتهم المؤمنين » [3].

وهذه العقيدة مبنية – كالعقائد السابقة – على أنَّ مريم هي أمُّ الله ، وليس لها أدلة مستقلة من كتبهم .

---

[1] الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة : ٦١ ، ص:١٣٥-١٣٦ .

[2] المصدر نفسه ، والفقرة نفسها ، ص:١٣٦ .

[3] المصدر نفسه ،والفقرة : ٥٤ ، ص:١٢٩ .

المطلب الثاني : التقديس العملي :

تمهيد :

حظيت مريم عليها السلام بتقديس كبير عند النصارى بناء على الاعتقاد بأنَّها أم الله ، وهي عندهم فوق جميع البشر – عدا المسيح – ، وفوق الملائكة كذلك . وقد أكد المجمع الفاتيكاني الثاني هذه المترلة الرفيعة ، حيث جاء فيه : « إنَّ مريم التي رفعت بنعمة الله ، بعد ابنها فوق كل الملائكة وفوق كل البشر أُمَّاً لله كلية القداسة ، وعاشت أسرار المسيح لتكرمها الكنيسة بحق ، إكراماً خاصاً . وبالواقع قد كرمت العذراء مريم بلقب أمَّ الله منذ أقدم الأجيال ، والمؤمنون يلجأون إلى حمايتها ، ضارعين إليها في كل مخاطرهم وحاجاتهم ، ولاسيما منذ المجمع الأفسسي ، حيث عرف تكريم شعب الله لمريم نمواً غريباً تحت أشكال الإكرام والمحبة والتوسل إليها والتشبه بها حسب كلماتها النبوية » [(1)] .

وهذا النص يبين الإكرام الخاص الذي حظيت به مريم عليها السلام ، باعتبارها والدة الإله ، ويحدد بعض صور التقديس لها ، مثل الاستغاثة بها في طلب الحاجات ، أو الحماية من المخاطر ، أو التوسل بها عند الرب .وأهم صور إكرامها على التفصيل :

١ – اطلاق ألقاب التعظيم عليها :

فهي : والدة الإله ، أمُّ الكنيسة ، أمُّ أبناء الله ، أمُّ البشر ، أم الأحياء ، فائقة القداسة ، كلية القداسة ، الممتلئة نعمة ، الملكة ، ملكة السماء ، حواء الجديدة ، حواء الثانية ، أمُّ جميع الأحياء ، أمُّ الحياة الجديدة ، المحامية ، النصيرة ، الظهيرة ، الشفيعة ، الوسيطة ، وسيطة كل النعم ،المنارة الذهبية ، وغيرها من الألقاب .

وهذه الألقاب تتضمن تقديساً كبيراً لها ، من حيث كثرتها ، ومن حيث اشتمال بعضها على الشرك الصريح ، مثل وصفها بوالدة الإله ، والشفيعة ، والنصيرة ، وهذه الألقاب مما لا يجوز إطلاقه إلا على الله تعالى .

[(1)] المصدر السابق ، فقرة ٦٦ ، ص:١٣٩-١٤٠ .

٢- إقامة الأعياد لأجلها :

وهذه الأعياد تقام بزعم النصارى تخليداً لذكراها ، وتذكيراً بفضائلها ، وهم يجعلون لكل حدث مهم في حياتها – بحسب معتقدهم – عيداً ، ومن أهم الأعياد التي تقام لأجلها وتسمى بالأعياد المريمية ما يلي :

أ – عيد ميلادها ، ويُقام في ٨ أيلول من كل عام .

ب – دخولها الهيكل ، ويُقام في ٢١ تشرين الثاني .

ج – وفاتها ، ويسمى عيد النياحة أو الرقاد ، ويُقام في ١٥ آب .

د – صعود جسدها إلى السماء – بزعمهم – [١] . وهذا العيد في الأصل مبني على عقيدة صعود مريم بجسدها إلى السماء ، وهي من عقائد الكاثوليك ، ولكنَّ الأرثوذكس يحتفلون بهذا العيد ، مما يدل على اعتقادهم بتلك العقيدة ، وإن كانوا لا يعلنونها كعقيدة رسمية ، لعدم وجود أدلة عليها .

وهذه الأعياد تشتمل على قراءة نصوص من الأناجيل ومن رسائل العهد الجديد ، وتتضمن الشرك بالله تعالى ، من خلال وصف مريم عليها السلام بما لا يجوز أن يكون إلا لله ، أو بطلب ما لا يقدر عليه إلا هو ، أو بعبادتها والسجود لها ، ومن الأمثلة على ذلك :

في عيد ميلاد والدة الإله – بزعمهم – يقولون : « فمريم قد فاقت بهاءً على كل مولود لأنَّها إذ ولدت ولدت بالجسد إله الكل من حشا لا زرع فيه وهي وحدها الباب لابن الله الوحيد الذي اجتازه وحفظه مغلقاً » [٢] ، « ياوالدة الإله أنت الفردوس السري إذ أنَّك أنبت المسيح بغير فلاحة الذي منه نصبت في الأرض شجرة الصليب الحاملة الحياة . فالآن إذ نسجد له مرفوعاً لك نعظم » [٣] .

ويوضح ذلك أكثر ما جاء فيما يسمى عندهم بعيد الرقاد : « هلموا يا معشر محبي الأعياد نتوج البيعة بالنشائد في رقاد تابوت الله ، لأنَّ السماء اليوم تبسط أحضانها متقبلة التي ولدت من لا يسعه الكل ، والأرض تتزين بالبركة والبهاء معيدة ينبوع الحياة .

---

[١] انظر : اللاهوت المقارن ، البابا شنودة : (٨٩/١) ، الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله ، مجموعة من المؤلفين ، ص:٣٨ ، القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمص تادرس ملطي ،ص: ٧٨ .

[٢] الرؤية الأرثوذكسية ، ص:٤٥ .

[٣] المصدر نفسه ص: ٤٧ .

والملائكة يقيمون مصفاً مع الرسل محدقين بمهابة بالتي ولدت عنصر الحياة متنقلة من حياة إلى حياة فلنسجد لها جميعاً مبتهلين وقائلين : لا تنسي أيتها السيدة المشاركين لــك في النســبة البشرية » [(١)] .

وهذه النصوص تتضمن الشرك بعيسى عليه السلام وبمريم علــى الســواء ، بتعظيمهــا ، والسجود لهما ، وما يذكر من حال السماوات والأرض والملائكة لأجلهما في يوم عيد مريم – كما يزعمون – ، وهذا يدل على أنَّ النصارى قد تجاوزوا حدود الإكرام الذي يدَّعونــه ووقعوا في الشرك الصريح في عيسى وفي أمه على السواء.

٣- تقديس صور مريم عليها السلام :

يقدس النصارى الصور التي يزعمون أنَّها لمريم عليها السلام ، ويسمونها بالأيقونات ، وهي ذات مكانة مقدسة عندهم ؛ ولذلك يصفونها بــ "الكتاب المقدس الملون" ، ويزعمون أنَّها تقربهم من الشخص المُصَور حتى يكونوا في حضرته ، وهي أداة للصلاة تُكرَّم وتُبخَّــر ، وهي تبارك المكان – باعتقادهم – ؛ لأنَّها تحضر إليه الشخص المرسوم ، ولأجل ذلك توضع في الكنائس [(٢)] .

وهذه الأيقونات – مثل الأعياد المريمية – تعبِّر عن أهم الأحداث في حياة مريم عليها السلام – كما يعتقد النصارى – ، ومن أبرزها :

أ- أيقونة البشارة ، ويقصد بها بشارة المَلَك لمريم عليها السلام بميلاد المسيح عليه السلام .

ب- أيقونة الميلاد ، وهي تعبير عن ميلاد المسيح عليه السلام .

ج- أيقونة رقاد مريم ، أي موتها ، وهي تعبر عن ذلك المشهد .

ومن الأمور المشتركة بين جميع الأيقونات أمران :

الأول : أنَّها تحتوي على ثلاث نجمات ، الأولى على هامة مريم ، والأخريــان علــى كتفيها ، وذلك يرمز عندهم إلى عذرية مريم قبل الولادة ، وأثنائها ، وبعدها .

والثاني : وجود صورتها مع صورة المسيح عليه السلام ، وهذا يرمز إلى ارتباط مريم بالمسيح الوثيق ، وتحديداً يرمز إلى عقيدة والدة الإله .

---

(١) المصدر السابق ، ص: ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص: ٧٧-٧٨ .

ومما سبق ذكره عن الأيقونات يتبين لنا أمران :

١- وقوع النصارى في الشرك في هذه الأيقونات من خلال اعتقادهم بأنَّ مريم والدة الإله .

٢- عبادتهم الحقيقية لهذه الصور – وإن كانوا ينكرون ذلك نظرياً – من خلال طلب شفاعتها وبركتها ، ومما يؤكد ذلك أيضاً وجود بعض الأيقونات التي تظهر فيها صورة مريم وهي واقفة ، ويداها نحو السماء في وضع صلاة وابتهال ، وهذا يرمز عندهم إلى شفاعتها للجنس البشري [١] .

ولأجل وقوعهم في عبادتها قامت حرب كبيرة ضد هذه الأيقونات من قبل المصلحين باعتبار أنَّها من مظاهر الوثنية والشرك بالله تعالى ؛ ولذلك فإنَّ البروتستانت يحرِّمون وضع الأيقونات في الكنائس .

٤- عبادة مريم عليها السلام :

يوجد في طقوس النصارى ما يدل على عبادة النصارى لمريم عليها عبادة حقيقية ، ومن ذلك :

١- جاء في الصلاة التي تسمى بصلاة النوم الصغرى ما يلي: « أيَّتها المجيدة المباركة والدة الإله الدائمة البتولية قدمي صلاتنا إلى ابنك وإلهنا متوسلة إليه لكي يخلص نفوسنا .. إنِّي أنا عبدك يا والدة الإله أكتب رايات الغلبة يا جندية محامية ، وأقدم لك الشكر كمنقذة من الشدائد . لكن بما أنَّ لك العزة التي لا تحارب اعتقيني من صنوف الشدائد حتى أصرخ إليك : افرحي يا عروساً لا عروس لها » [٢] .

٢- وأيضاً جاء في الصلاة التي تسمى صلاة باكر : « أيَّتها العذراء مريم والدة الإله القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشرية ، اشفعي فينا أمام المسيح الذي ولدته لكي ينعم لنا بغفران خطايانا . السلام عليك أيَّتها العذراء الملكة الحقيقية السلام لفخر جنسنا ولدت لنا عمَّانوئيل نسألك اذكرينا أيَّتها الشفيعة المؤمنة أمام ربنا يسوع ليغفر لنا خطايانا » [٣] .

---

[١] المصدر السابق : ص، ٨٠ .

[٢] المصدر السابق ، ص، ٤١-٤٢ .

[٣] القدسيسة مريم في المفهم الأرثوذكسي ، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص:٧٥ .

خلاصة :

يتبين لنا مما سبق عرضه عن مريم عليها السلام أنَّ النصارى يتوجهون لها بالعبـــادة في كثير من الشعائر ، وإن لم يصرحوا بأنَّها إله أو بعبادهم لها ، وقد جاء في القرآن أيضاً مـــا يؤكد ذلك ، وهو قوله تعـــالى : ﭽ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ﭼالمائدة: ١١٦ .

وهذه الآية تدل دلالة صريحة أنَّ مريم قد عُبدت من دون الله كما عُبد عيسى عليه السلام ، وذلك مما يكذب دعوى النصارى في عدم عبادهم لها . والله أعلم .

الفصل الثاني

تقديس من يطلق عليه النصارى (جماعة الرسل)

وفيه مباحث

- المبحث الأول : جماعة الرسل عند النصارى
- المبحث الثاني : صور تقديس هذه الجماعة
- المبحث الثالث : مناقشة اعتقاد النصارى حول هذه الجماعة

المبحث الأول

جماعة (الرسل) عند النصارى

وفي مطلبان

- المطلب الأول : نظرة حول المصادر النصرانية التي تحدثت عن جماعة الرسل
- المطلب الثاني : المراد بجماعة الرسل في المصادر النصرانية

المطلب الأول : نظرة حول المصادر النصرانية التي تحدثت عن جماعة الرسل :

يدعي النصارى أنَّ عيسى عليه السلام قد اختار من أتباعه اثني عشر رجلاً وجعلهم رسلاً ، وأعطاهم سلطانه ، وأمرهم أن يكرزوا بالإنجيل الذي جاء به جميع بني إسرائيل ؛ وبناءً على ذلك ، فقد اطلق النصارى على هذه الجماعة لقب (الرسل) .

ومن أهم المصادر النصرانية التي تحدثت عن جماعة الرسل ما يلي :

١- سفر أعمال الرسل .
٢- تاريخ الكنيسة ، ليوسابيوس القيصري الذي كان معاصراً لقسطنطين الذي تولى عرش الإمبراطورية عام ٣٢٣م ، وهذا الكتاب من أهم وأقدم المصادر التي تحدثت عن هذه الجماعة .
٣- تاريخ الأمة القبطية ، من تأليف لجنة التأريخ القبطي .
٤- تاريخ الفكر المسيحي ، للدكتور القس حنَّا الخضري .
٥- الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، لنيافة الأنبا يوأنس .

وإذا أردنا البحث عمَّا كُتب عن هذه الجماعة من خلال هذه المصادر فسنلاحظ الملاحظات التالية :

الأولى : أنَّ هذا البحث يكتنفه بعض الصعوبات ، وفي المقام الأول منها قلة المصادر والوثائق التاريخية التي تتحدث عن هذه الفترة الأمر الذي ينتج عنه قلة المعلومات في هذا الباب ، وبالتالي الخروج بصورة غير دقيقة عن هذه الجماعة ، فنحن لا نجد في هذه المصادر حديثاً مفصلاً عنها مع أنَّها تتبوأ أعلى المنازل التي يمكن أن يصل إليها البشر وهي مترلة الرسالة ، وهذا الحكم ينسحب على الفترة التاريخية التي عاشت فيها تلك الجماعة .وقد اعترف بعض النصارى بهذه الحقيقة ، ومن ذلك :

يقول نيافة الأنبا يوأنس: « سنحاول بقدر الإمكان أن نرسم صورة لدى انتشار بشرى الخلاص في العالم القديم على أيدي (رسل) المسيح .. لكنَّها مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد ، فتاريخ الكنيسة في العصر (الرسولي) تعوزه المصادر والوثائق التاريخية السليمة ، والموثوق بها .. ومن هنا كانت الصعوبة والتعقيد » [1] .

---

[1] الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، ص: ١٢٢ .

وهذا الأمر الذي أشرت إليه يصل أحياناً إلى الحد الذي لا نجد فيه أي معلومة عـــن بعض أفراد هذه الجماعة غير أسمائهم .

وهذا الملحظ مع كونه في غاية الغرابة إلا أنَّ له دلالة في غاية الأهمية ، وسنذكرها في موضعها عند مناقشة الآراء حول تلك الجماعة .

الثانية : يستثنى من الحكم السابق ما ورد في حق اثنين ؛ أمَّا الأول فإنَّه من أفراد هذه الجماعة ، وهو بطرس الذي يرى النصارى أنَّه رئيس الجماعة ، وأمَّا الثاني فهو بولس ، ومع أنَّ هذا الرجل لم يرد له أي ذكر في قائمة هذه الجماعة ، لا في الأناجيـــل ولا في أقـــوال النصارى أنفسهم إلا أنَّه قد نال مترلة فاقت مترلة جميع أفراد هذه الجماعة حتى بطرس نفسه ، كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله .

الثالثة : أنَّ السفر المسمى بسفر أعمال الرسل ، والذي يختص بالحديث عـــن هـــذه الجماعة لا يتعرض لبطرس — وهو رئيس الجماعة عندهم – إلا بشيء قليل من الذكر ، وأمَّا النصيب الأكبر فقد حازه بولس الذي يقارب الحديث عنه ثلثي هذا السفر ، وأمَّا بقية هذه الجماعة فإنَّ الحديث عنهم لا يكاد يذكر ، وبعضهم لم يرد إلا اسمه فقط.

المطلب الثاني : المراد بجماعة الرسل في المصادر النصرانية :

١– إطلاقات الكلمة في هذه المصادر :

يقول أصحاب قاموس الكتاب المقدس عن كلمة رسول أنها أطلقت على ما يلي :

١– يطلق الاسم بصفة خاصة على تلاميذ (الرب) يسوع الإثـــني عشـــر ، الـــذين أختارهم ليعاينوا حوادث حياته على الأرض ، ويروه بعد قيامته ، ويشهدوا له أمام العـــالم بعد حلول الروح القدس عليهم .

٢– وأطلقت لفظة رسول أيضاً على برنابا الذي لازم بـــولس في خدماتـــه الأولى في أنطاكية ، وفي آسيا الصغرى .

٣– وأطلقت كذلك بمعنى أعم على المبشرين بالإنجيل .

٤– وسُّمي مخلصنا رسولاً ، وهوخليق بهذا الاسم ، لأنَّه هو المرسل من الآب لخلاص البشرية وفي ٤٢موضعاً من إنجيل يوحنا يتحدث المسيح عن نفسه بأنَّه مرسل من الآب[1] .

---

[1] قاموس الكتاب المقدس : ٤٠٣ .

وهذا البيان لإطلاق كلمة الرسول عند النصارى يلاحظ عليه أمران :

الأول : أنَّ أشهر إطلاقاها على جماعة التلاميذ الإثني عشر ، الذين يعتقد النصارى أنَّ المسيح عليه السلام عينهم ، وهذا هو المشهور عندهم ، وهو ما تؤكده موسوعة الكتاب المقدس ، التي جاء فيها : « وهي تستعمل في العهد الجديد بصورة رئيسية للإشارة إلى تلاميذ المسيح الإثني عشر ، وإلى بولس وغيره من المسيحيين الذين شغلهم العمل التبشيري » [1] .

الثاني : إغفاله لإطلاق هذه الكلمة على بولس ، مع أنَّ هذا الإطلاق قد ورد كثيراً في العهد الجديد ، وقد جاءت الإشارة إلى هذا الإطلاق في نص موسوعة الكتاب المقدس السالف الذكر .

٢- وصف هذه الجماعة في العهد الجديد :

يعتقد النصارى أنَّ عدد هذه الجماعة اثنا عشر شخصاً ، وأنَّهم رسل من قبل المسيح عليه السلام ، ويستندون في تحديد هذا العدد على ما ورد في إنجيل متى : « ثمَّ دعا الاثني عشر ، وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مريض ، وكل ضعف ، وأمَّا أسماء الاثني عشر رسولاً فهي هذه : الأول سمعان الذي يقال له بطرس ، وأندراوس أخوه ، ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه ، فيلبس ، وبرثولماوس ، توما ، ومتى العشار ، ويعقوب بن حلفي ، ولبّاوس الملقب تدّاوس ، سمعان القانوي ، ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه . هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع ، وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون ، أكرزوا قائلين : إنَّه قد اقترب ملكوت السماوات . اشفوا مرضى ، طهروا برصاً ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين ، مجانا أخذتم مجاناً أعطوا .. » [2] .

وهذا النص ، بل وهذا الإصحاح الذي أوردت منه النص يعد في غاية الأهمية عند النصارى حيث إنَّه – عندهم – يؤكد تكليف عيسى عليه السلام – الرب عندهم – بالرسالة لهؤلاء الاتباع .

---

[1] موسوعة الكتاب المقدس ، ص : ١٥٧ ، نخبة من ذوي الخبرة ، لم تذكر اسمائهم في الكتاب المذكور .

[2] متى : (١/١٠-٨) . والإصحاح الأول كله في شأن هذه الجماعة .

يقول متى هنري - شارح إنجيل متى - في مقدمته لشرح هذا الإصحاح الذي أوردت منه النص المذكور : « هذا الإصحاح هو بمثابة عظة الرسامة التي ألقاها الرب يسوع المسيح حينما رقّى تلاميذه الإثني عشر إلى درجة الرسولية »[١].

وهذا النص المنسوب إلى عيسى عليه السلام – عند تحليله –يثبت أموراً ، منها :

١- تحديد عدد رسل المسيح عليه السلام - بزعم النصارى – وأنّهم اثنا عشر .

٢- أنّه يُعد عندهم بمثابة اعتماد هؤلاء التلاميذ رسلاً .

٣- أنّه يتضمن إعطاءهم السلطان المؤيد لرسالتهم ، وهو سلطانهم في إخراج الأرواح النجسة ، وشفاء المرضى ، والضعفاء.

٤- تحديد مضمون هذه الرسالة ، وهو الكرازة باقتراب ملكوت السماوات ، والذي يعلق عليه هنري متى بقوله : « دعوا الناس يعرفون أنّ ملكوت المسيا ، الذي هو الرب في السماء يجب أن يؤسس الآن حسبما جاء في الكتب ، الأمر الذي يتطلب أنّهم يجب أن يتوبوا عن خطاياهم ويتركوها لكي يؤهلوا لامتيازات هذا الملكوت »[٢] .

٥- تحديد المرسل إليهم ، وهم اليهود دون غيرهم.

وأمّا تحديد عدد هؤلاء الرسل بالاثني عشر ففيه سر عند النصارى ، وقد ذكره أندره لومير[٣] قائلاً : « في العدد اثناعشر إشارة مباشرة إلى أسباط إسرائيل الإثني عشر . وإذا كان يسوع قد اختار اثني عشر رجلاً فلكي يجعل منهم كوادر إسرائيل الجديد »[٤] .

شروط الرسول عند النصارى :

الرسول عند النصارى من توفر فيه شرطان ذكرهما أصحاب الكتاب المقدس وهما :

« الأول : أن يكون قد اتصل بالمسيح عليه السلام ، وعاشره ، وتلقى تعاليمه منه مباشرة .

والثاني : أن يكون المسيح عليه السلام قد دعاه إلى هذه الخدمة »[٥]

---

[١] تفسير الكتاب المقدس : (١/٣١٦).

[٢] تفسير إنجيل متى : (٣٢٣).

[٣] هو باحث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي كما جاء في التعريف به في بداية مقاله في المرجع الذي سأشير إليه .

[٤] تاريخ الكنيسة المفصل : (١/٤٠).

[٥] قاموس الكتاب المقدس : ٤٠٣.

المبحث الثاني

صور تقديس جماعة الرسل عند النصارى

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : صور تقديس الإثني عشر
- المطلب الثاني : تميز بطرس وبولس عن بقية من يسمى بالرسل

المطلب الأول : صور تقديس الإثني عشر :

لقد غلا النصارى في شأن هذه الجماعة ، وأفاضوا عليهم من الألقاب والصفات ما لا يستحقونه، وفيما يلي محاولة لرصد أهم صور التقديس لهذه الجماعة ، مع تدعيم ذلك بما أمكن من أقوال النصارى وتقريراتهم .

الصورة الأولى : دعواهم أنَّ الرب خصهم بكثيرٍ من العطايا :

فالنصارى يرون أنَّ عيسى عليه السلام - الرب في نظرهم — هو الذي اختار هذه الجماعة من بين أتباعه ليكونوا رسلاً يكرزون بالإنجيل الذي جاء به ، ويرون أنَّ عيسى عليه السلام هو الذي سماهم رسلاً : « ولما كان النهار دعا تلاميذه ، واختار منهم اثني عشر ، الذين سمَّاهم أيضاً رسلاً : سمعان الذي سماه أيضاً بطرس ، وأندراوس أخاه . . . » [1] .

وقد ذكر الآب خليل أدَّه اليسوعي كثيراً مما اختصت به هذه الجماعة ، حيث يقول ما مختصره : « ثمَّ أخذ - يعني عيسى عليه السلام - بتثقيفهم وتعليمهم . وكان الرب إذا ضرب مثلاً للجموع يفسره لهم وحدهم في الخلوة ، لأنَّهم أُعطوا معرفة ملكوت السماوات ، وكل الكلام الذي أعطاه إيَّاه الآب ، وقد أحبهم إلى الغاية ، وصلى خصوصاً من أجلهم ، وطلب بإلحاح من الآب أن يكونوا واحداً ، وأن يكونوا معه ليروا مجده . . .ولئلا يرتاب أحد في حقيقة السلطة التي أعطاهم إياها على شعبه قال لهم صريحاً (يوحنا ٢٠/٢١ ، ١٧/١٨) : (كما أرسلني الآب أنا مرسلكم) ، فرسالة الرسل هي رسالة المسيح عليه السلام بالذات . . . فإذا كانت الطاعة للرسل واجبة كالطاعة للمسيح ، فالسلطان الذي لهم سلطان المسيح بعينه . وزاد على ذلك تصريحاً بقوله في موضع آخر : (متى : ١٨/١٨) الحق أقول لكم : إنَّ كل ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء » [2] .

وهذا النص فيه جملة من المزايا التي يرى الكاتب أنَّ المسيح عليه السلام قد منحها لهؤلاء الرسل — بحسب اعتقاده — وهي :

١- الخلوة بهم ، وتخصيصهم بتفسير الأمثلة التي يضربها لشعبه.

---

[1] لوقا : (٦/١٣-١٤) .

[2] الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض ، : ٥٥-٥٧ باختصار.

٢- معرفتهم بأسرار ملكوت السماوات ، والوحي الذي أوحاه الله للمسيح ﷺ .

٣- حبه لهم إلى الغاية .

٤- الصلاة من أجلهم ، والإلحاح على الآب أن يتحدوا بالمسيح ﷺ ، ويروا مجده.

وقد بين يوحنا صاحب الإنجيل هذه الصلاة التي كانت من أجل هؤلاء الرسل تحت عنوان : (الصلاة من أجل تلاميذه) ، فقال ما نصه مختصراً : « من أجلهم أنا أسأل . لست أسأل من أجل العالم ، بل من أجل الذين أعطيتني لأنَّهم لك .. وأنا ممجد فيهم . ولست أنا بعد في العالم ، وأمَّا هؤلاء فهم في العالم ، وأنا آتي إليك أيَّها الآب القدوس ، احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما نحن .حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك الذي أعطيتني حفظتهم ، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب .. قدِّسهم في حقك . كلامك هو حق كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ، ولأجلهم أقدِّس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدَّسين في الحق [1] .

٥- طاعتهم واجبة مثل طاعة المسيح ﷺ .

٦- أنَّهم نالوا نفس السلطان الذي ناله المسيح ﷺ .

ومن العطايا التي يذكرها النصارى لهذه الجماعة - غير ما ذكره الكاتب - أنَّ المسيح ﷺ معهم ، وهو يقودهم كل يوم ، بل وإلى منتهى الدهر : « .. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » [2] .

وقد جاء في كتاب التعليم المسيحي لدى الكنيسة الكاثوليكية – وهو الكتاب المعتمد عندهم – ما يؤكد هذا المعنى : « ... ولكن هناك وجهاً لمهمتهم ثابتاً . فقد وعدهم المسيح بأن يبقى معهم إلى منتهى الدهر » [3] .

الصورة الثانية : دعوى شهودهم قيامة المسيح ﷺ :

يعتقد النصارى بأنَّ المسيح ﷺ قد صُلب ، ودُفن في قبره ، ثمَّ قام من بين الأموات ، ثمَّ ظهر لهؤلاء الرسل أربعين يوماً ، وكان يحدثهم عن ملكوت الله.

---

[1] يوحنا : (١٧/٩-١٩) مختصراً .

[2] متى : (٢٨/٢٠).

[3] التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية : ص ٢٧٤ .

جاء في سفر أعمال الرسل : « بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة ، بعدما تألم ، وهو يظهر لهم أربعين يوماً ، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » [1] .

وقد جاء في الأناجيل أيضا الإشارة إلى ما نالته هذه الجماعة من شهودهم قيامة الرب من بين الأموات – بزعمهم – ومن ثمَّ تخصيصها بالحديث عن ملكوت السماوات ومن النصوص التي جاءت في هذا الباب ما يلي :

١- ما جاء على لسان بطرس : « فينبغي أنَّ الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج ، منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا يصير واحدُ منهم شاهداً معنا بقيامته » [2] .

٢- وأشار أيضاً إلى هذه الآية المعجزة – بشيء من الفخر – في حديثه أمام اليهود قائلاً : « أيَّها الرجال الإسرائيليون : اسمعوا إلى هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم ، كما أنتم أيضاً تعلمون . هذا أخذتموه مسلّماً بمشورة الله المحتومة ، وعلمه السابق ، بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه . الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت ، إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه » [3] .

٣- ثمَّ يكرر بطرس – في عظته لليهود – هذه القضية ، وكأنَّه يريد أن يكرس هذه العقيدة مبيناً أنَّ داوود عليه السلام – الذي أقسم الله له بأن يقيم من صلبه من يجلس على كرسي ملكه – قد أخبر أيضاً عن قيامة المسيح عليه السلام من بين الأموات : « .. أيَّها الرجال الأخوة يسوغ أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود أنَّه مات ودُفن ، وقبره عندنا حتى هذا اليوم . فإذا كان نبياً ، علم أنَّ الله حلف له بقسم أنَّه من ثمره صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه ، سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح .. فيسوع هذا أقامه الله ، ونحن شهود على ذلك » [4] .

[1] أعمال الرسل : (٢/١) .

[2] المصدر نفسه : (٢١/١-٢٢) .

[3] المصدر نفسه : (٢٢/٢-٢٤) .

[4] المصدر السابق : (٢٩-٣٣).

والمقصود من هذه الشواهد أنَّ النصارى يجعلون من أعظم ما أُعطى هؤلاء المسمَّون بالرسل شهودهم لقيامة الرب ، حتى إنَّ بعضهم يحصر المهمة الأساسية لهم بالإعلان عن قيامة المسيح عليه السلام لبني إسرائيل .

يقول الباحث أندره لومير : « وكان مهمة الاثني عشر الأساسية أن تعلن عن قيامة يسوع إلى رجال إسرائيل » [1] .

الصورة الثالثة : دعوى نزول الروح القدس وتأييده لهم :

يدعي النصارى أن الروح القدس قد نزل وحل على هؤلاء (الرسل) في اليوم الخمسين بعد قيامة المسيح عليه السلام - بزعمهم — من بين الأموات وبعد صعوده إلى السماء بعشرة أيام ، وهم يسمون هذا اليوم الذي نزل فيه الروح القدس بيوم العنصرة [2] .

ويرون أنَّ الروح القدس بعد أن حل عليهم زودهم بقدرات خاصة من القدرة على التكلم باللغات المختلفة ، التي لم يكونوا يعرفونها ، وعلى الخطابة ، وعمل المعجزات [3] .

ويستندون في ذلك على ما ورد في سفر أعمال الرسل : « ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنَّها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » [4] .

ويعتبر النصارى أنَّ نزول الروح القدس على هذه الجماعة بمثابة تحقيق الوعد الذي وعدهم به المسيح عليه السلام - الرب في نظرهم — وقد قال لهم : « لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لي شهوداً في أورشليم ، وفي كل اليهودية ،

---

[1] تاريخ الكنيسة المفصل : (١/٤٠) .

[2] قيل إن ذلك نسبة إلى النار على اعتبار أنها عنصر . انظر : تاريخ الأمة القبطية : ص : ٤٣ .

[3] انظر تاريخ الأمة القبطية : ص : ٤٢ .

[4] أعمال الرسل : (٢/ ١-٤) .

والسامرة، وإلى أقصى الأرض » [1] ، وكذلك وعدهم بأنَّ الروح القدس نفسه هو الـــذي سيعمدهم : « وأمَّا أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير » [2] .

ويعظم النصارى هذا اليوم — يوم الخمسين - لاعتبار آخر ، وهو أنَّهم يعدونه بدايـــة التاريخ لكنائسهم ، ولذلك يصفونه بأنَّه يوم ميلاد الكنيسة ، وهذا مبني علـــى اعتبـــار أنَّ هؤلاء الإثني عشر (الرسل في اعتقادهم) هم الذين انشأوا هذه الكنـــائس ، وأنَّ وجودهـــا الواقعي قد بدأ في هذا اليوم [3] .

ويعتقد النصارى أنَّ أثر نزول الروح القدس لم ينته بانتهاء هذه الحادثة بل أنَّه اســـتمر معهم مما كان سبباً في انتشار دعوقم إلى أقاصي الأرض .

يوضح الباحث جان بوتان — أحد مفسري ما يسمى بالكتاب المقدس — هذا الأثـــر قائلاً : « كان أهم شيء في الموضوع أن يفهم الجميع أنَّه ما من شيء يقدر أن يعرقل انتشار الكنيسة إلى أقاصي الأرض ، حتى ولا أعنف الاضطهادات ، لأنَّ روح الله الذي حل علـــى الرسل في يوم الكنيسة الأول سيواصل عمله في رسل المسيح عليه السلام إلى نهاية العالم » [4] .

وهذا القدر الذي ذكرت يوضح المترلة التي نالها هؤلاء الرسل بسبب ما نـــالهم مـــن عطايا (روحهم القدس!) ، مما أعلى مترلتهم لدى النصارى .

الصورة الرابعة : التأييد بالمعجزات :

يرى النصارى أنَّ المسيح عليه السلام تحقيقاً لرسالة هؤلاء الاثني عشر ، ولأجل قيامهم بمـــا يسمى بالكرازة بالإنجيل فقد أيدهم بالمعجزات ، وأعطاهم سلطاناً على جميع الشـــياطين ، وشفاء الأمراض ، والضعفاء ، ويورد لوقا هذا الأمر قائلاً : « ودعا تلاميذه الاثني عشـــر ، وأعطاهم قوةً وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض ، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى »[5] .

ويتحدث سفر أعمال الرسل عن هذه الآيات التي أيد الله بها هؤلاء ، ومن ذلك :

---

[1] أعمال الرسل : (١/٨).

[2] المصدر نفسه : (١/٥) .

[3] انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص : ٢٥ .

[4] تاريخ الكنيسة المفصل : (٢/٢٠) .

[5] لوقا : (٩/ ١– ٢).

١- « وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب .. وكان مؤمنون ينظمون للرب أكثر ، جماهير من رجال ونساء ، حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فُرُش وأسرَّة ، حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم . واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة ، وكانوا يبرأون جميعهم » (1) .

فانظر إلى غلو النصارى في هذه الجماعة لاسيما بطرس الذي أصبح مجرد ظله من أعظم ما تتعلق به همم الناس في شفاء مرضاهم وإخراج الأرواح النجسة منهم .

٢- المعجزة التي حدثت لهم في السجن عند اضطهادهم من قبل كهنة اليهود ، وكيف أنهم خرجوا منه بأعجوبة : « فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه فألقوا أيديهم على الرسل ، ووضعوهم في حبس العامة . ولكنَّ ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال : اذهبوا قفوا وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة » (2) .

ويلاحظ أنَّ سفر أعمال الرسل مع ذكره لهذه المعجزات العجيبة ، إلا أنَّه جعل النصيب الأكبر منها لبطرس ، الذي يُعد عندهم رئيس الرسل ، وسوف أتحدث عنه بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .

الصورة الخامسة : سلطان مغفرة الذنوب :

يعتقد النصارى أنَّ المسيح عليه السلام بعد أن ظهر للاثني عشر بعد قيامته من الأموات ، وكلفهم بالرسالة أنَّه أيدهم بسلطان مغفرة الذنوب ، وإمساك الغفران ، وأصبحت بذلك ذنوب العباد ، بل أمورهم مرهونة بهؤلاء ، وهذا غاية التقديس فيهم .

وقد جاء تقرير هذا السلطان الذي نالوه في إنجيل يوحنا : « فقال لهم يسوع أيضاً : سلام لكم ! كما أرسلني الآب أرسلكم أنا . ولمَّا قال هذا نفخ وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت » (3) .

---

(1) أعمال الرسل : (٥/١٢-١٦) .

(2) المصدر نفسه : (٥/١٧-٢١).

(3) يوحنا : (٢٠/٢١-٢٣).

وهذا السلطان المزعوم قد ورثه من يسمى برجال الدين وعلى رأسهم الباباوات ، وسوف أتحدث عنهم في موضعه ان شاء الله.

الصورة السادسة : مكانتهم تضاهي منزلة الأنبياء السابقين أو أعظم :

وتستمر حلقة التقديس لهذه الجماعة ، حتى يصل الأمر إلى أن يجعل بعض النصارى منزلة هذه الجماعة مساوية لمنزلة الأنبياء السابقين ، وقد ساوى بينهم في التسمية لوقا في إنجيله ، حيث جعل من أتباع المسيح عليه السلام أنبياء ورسل : « ولذلك أيضاً قالت حكمة الله : إنِّي أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون ، لكي يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء منذ إنشاء العالم » [1].

وقد جعل بولس نفسه في منزلة أعلى من منزلة هؤلاء الأنبياء باعتبار أن تلقيهم للوحي لم يكن بمباشرة ومعاينة من (الرب بزعمه) كما حدث له هو ذلك ، وقد أشار إلى هذا الفرق بقوله : « فإنَّنا نتصرف برباطة جأش عظيمة لا كموسى الذي يضع قناعاً على وجهه لئلا ينظر بنو إسرائيل نهاية ما يزول » [2].

وهذا النص كما يدل على القدح في هذا النبي الكريم ، فإنَّ فيه تفضيل بولس لنفسه على موسى عليه السلام من حيث أنَّه أعطي من رباطة الجأش ما لم يصل إليه ذلك النبي عليه السلام . يقول عبدالمجيد الشرفي موضحاً تلك المنزلة الرفيعة لبولس على سائر الأنبياء وأنَّه : « أجلّ من موسى وهارون وداود (عليهم السلام) ، وجميع الأنبياء ، وإذا قرئت رسالته وكلامه في البيعة قاموا قياماً إعظاماً وأجلالاً له ولكلامه » [3] .

الصورة السابعة : منزلتهم فيما يسمى بيوم الدينونة :

تمتد منزلة هذه الجماعة عند النصارى حتى تشمل الآخرة ، حيث يعتقدون أنَّ لهؤلاء الرسل منزلة تختلف عن بقية الناس في يوم الدينونة ، وأنَّهم يكونون على اثني عشر عرشاً ، ويقومون بمحاسبة أسباط بني إسرائيل ، وقد جاء هذا الاعتقاد استناداً على ما أورده متى في

---

[1] لوقا : (١١/٤٩-٥٠) .

[2] الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس : (٣/١٣-١٣) .

[3] الفكر الاسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع ، ص: ٥٢٣ .

إنجيله ، حيث قال : « متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر » [1] .

المطلب الثاني : امتياز بطرس وبولس عن بقية من يسمى بالرسل:

حظي بطرس وبولس من بين أفراد هذه الجماعة بمترلة رفيعة لم يصل إليها أحد ، وإذا قارنا بين الأخيرين نجد أنَّ بولس بالرغم من أنَّه لم يكن في عداد من يسمى بالرسل المنصوص عليهم في أسفار العهد الجديد ، إلا أنَّه قد تبوأ مترلة وذكراً لم يبلغه أحد من أفراد هذه الجماعة حتى بطرس نفسه الذي يعد رئيس الجماعة نفسها ، وسأتحدث فيما يلي عنهما ، كما جاء في المصادر النصرانية نفسها .

أولاً : مترلة بطرس :

بطرس اسم يوناني ، معناه صخر أو حجر وهو رئيس جماعة من يسمى بالرسل ، وكان يسمى سمعان ، واسم ابيه يونا ، ويزعم النصارى أنَّ المسيح عليه السلام قد سماه بهذا الاسم ، وكانت مهمته صيد السمك ، ويرجح أنَّه كان تلميذ يوحنا المعمدان قبل مجيئه إلى المسيح عليه السلام ، وقد دعاه المسيح عليه السلام ثلاث مرات ليكون تلميذاً ، ثمَّ دعاه ثانياً ليكون رفيقاً ملازماً ، ثمَّ دعاه ثالثاً ليكون رسولاً له [2] .

ويبرز النصارى مترلته ويخصونه بأمور لا يشاركه فيها غيره .

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يدل على تميزه عن بقية الاثني عشر ، ومن ذلك قولهم : « وقد ساعد حماس بطرس ونشاطه وغيرته على أن يبرز كالمتقدم بين التلاميذ من البداية ، فيذكر اسمه دائماً أولاً عند ذكر أسماء الرسل ، وكذلك عند ذكر أسماء التلاميذ الثلاثة المقربين جداً إلى يسوع كان اسمه يذكر أولاً ، فمثلاً في التجلي ، وعند إقامة ابنة بايرس ، وفي بستان جتسيماني ، وهلم جرا... » [3] .

وأمَّا على وجه التفصيل ، فإن أهم ما تميز به ما يلي :

---

[1] متى : (٢٨/١٩) .

[2] انظر قاموس الكتاب المقدس : ص :١٧٤ .

[3] المصدر نفسه : ص : ١٧٥ .

١- بطرس أول من اعترف بحقيقة المسيح عليه السلام :

يعتقد النصارى أنَّ أكثر ما يميز بطرس عن بقية رفاقه أنَّه أول من أدرك حقيقة المسيح عليه السلام ، واعترافه بأنَّه ابن الله « قال لهم : وأنتم من تقولون أني أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله الحي ! . فأجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان ابن يونا ، أن لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبي الذي في السماوات » [1] .

٢- الرب منح سلطانه إليه :

جاء منح هذا السلطان عُقيب اعترافه بأنَّ المسيح عليه السلام ابن الله ، وكأنَّه مكافأة له على ذلك ، وقد جاءت الإشارة إليه منح في إنجيل متى: « وأنا أقول لك أيضاً يا بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات » [2] .

يقول المفسر النصراني وليام كارلي عند تفسير هذه الفقرة : « إنَّ هذه العبارة من المسيح ليست سهلة ، قد أعطاه المسيح بعض الامتيازات ، وبعض المسئوليات ، فالعبارة تشير إلى سلطة مزيدة ، وقوة خاصة لبطرس . ومن ذلك أنَّ بطرس الخادم الأمين للملكوت ، الذي معه المفتاح ليفتح باب الملكوت أمام الراغبين في الخلاص » [3] .

٣- قيادته للتلاميذ بعد خيانة يهوذا :

يعتقد النصارى أنَّ بطرس هو الذي قاد التلاميذ إلى سد الفراغ بانتخاب البديل ليهوذا ، وأنَّه قام بتوضيح معنى حلول الروح ، وأنَّ الخلاص يكون بالإيمان بابن الله لمغفرة الخطايا ، وبسبب هذا التقدم انظم إلى الكنيسة أول ثلاثة آلاف عضو [4] .

٤- ما نسب إليه من القيام بالمعجزات :

ومما يرفع شأن بطرس – أيضاً – ما ينسب إليه من المعجزات ، مثل شفاء المرضى ، فهو يشفي الشحاذ الأعرج ، وأبيناس ، وهو الذي أحيا طابيثا بعد أن كانت ميتة .

---

[1] متى : (١٦/١٥-١٧) .

[2] المصدر نفسه : (١٦/١٨-١٩) .

[3] تفسير متى : (١/٣١٦-٣١٨) ، بتصرف .

[4] انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص : ١٧٥-١٧٦ .

ثانياً : مترلة بولس :

يمكن إيضاح مترلة بولس بصورة عامة من خلال المقارنات التالية :

الحديث عنه في أسفارالعهد الجديد يأخذ مساحة كبرى لا يوازيها الحديث عن جميع الاثني عشر ، الذين يُعتقد أنهَّم من الرسل ، وأيضاً فإنَّ عدد الرسائل المنسوبة إليه إضافة إلى سفر أعمال الرسل –الذي يتحدث أغلبه عنه– يعادل – تقريباً – ما كتب في الأناجيل مجتمعة ، وبعبارة أخرى : فإنَّ ما كتب عن بولس يعادل نصف أسفار العهد الجديد ، ثمَّ إذا قارنا بين رسائله ، ورسائل العهد الجديد فسنجد أنَّ عدد رسائله يبلغ أربع عشرة رسالة من بين واحدٍ وعشرين رسالة هي مجموع رسائل العهد الجديد ، مما يعني أنَّ بولس قد حضي بثلثي رسائل العهد الجديد ، وأخيراً فإذا قارنا بين ما كتب عنه في سفر أعمال الرسل بما كتب عن غيره ممن يعد من الرسل فسنجد أن الحديث عنه أخذ ثلثي هذا السفر .

وهذه المقارنات توضح مدى ما يتمتع به به من التقديس ، والتبجيل عند النصارى .

وهذا الأمر ينسحب على كتابات النصارى أنفسهم ، ويوضحه أمران :

الأول : أنَّ الذين يكتبون عمن يسمى بالرسل لا يكادون يكتبون في الحقيقة إلا عن بولس وأمَّا غيره ، فلا يكاد أن يذكر ، ومن الأمثلة على ذلك أنَّ أندروملر ، في كتابه مختصر تاريخ الكنيسة قد كتب عمن يعتقد أنهَّم من الرسل في أربع عشرة صفحة ، أي بمعدل صفحة وسدس الصفحة لكل شخص ، بينما تحدث عن بولس في واحدٍ وأربعين صفحة ، وهذا المثال غني عن التعليق !.

الأمر الثاني : أنَّ الكثير من النصارى قد أفرد بولس بمؤلفات مستقلة تتحدث عن جوانب مختلفة من شخصيته ، بينما لا نجد شيئاً من ذلك لغيره من أفراد هذه الجماعة .

أهم ما تميز به بولس عن جميع الاثني عشر:

١- رؤية الرب وتلقي الوحي منه مباشرة :

وهذا قد حصل له – بزعمهم – في حادثة دمشق المشهورة ، وقد تحدثت عنها بالتفصيل عند الحديث عن نشأة بولس .

يتحدث بولس عن تميزه بهذا الأمر فيقول : « بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح ، والله الآب الذي أقامه من بين الأموات » [1] .

ويؤكد أصحاب الكتاب المقدس حصول هذه الرؤية والسماع من الرب – بزعمهم – بالقول : « وإنَّه من المؤكد أيضاً أنَّ الرب يسوع لم يتكلم فقط مع بولس ، بل أيضاً ظهر له فرآه مرأى العين ... وبينما لا يتضح الشكل الذي رآه بولس فيه إلا أنَّه كان أكيداً ، واضحاً مما جعله يتحقق أنَّه يسوع و ابن الله الحي » [2] .

ولأنَّ بولس قد رأى الرب – بزعمهم – ، وتلقى وحيه ، فإنَّه لم يعد بحاجة إلى أن يذهب إلى تلاميذ المسيح عليه السلام فضلا عن أن يستشيرهم أو يأخذ عنهم ، وقد صرح بذلك قائلاً : « ولكن لما سُر الله الذي أفرزني من بطن أمي ، ودعا فيَّ بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحماً ولا دماً ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي ، بل انطلقت إلى العربية ، ثمَّ رجعت أيضاً إلى دمشق » [3].

٢– أنَّه رسول إلى جميع الأمم :

يعتقد النصارى أنَّ بولس قد تميز عن جميع من يسمى بالرسل –بما فيهم بطرس – بأنَّه رسول إلى جميع الأمم ، بينما كان بطرس رسول اليهود دون غيرهم .

يقول بولس متحدثاً عن هذه النعمة التي نالها –- : « لي أنا أصغر جميع القديسين ، أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى » [4] .

ويؤكد أندروملر هذا التميز حيث بقوله : « وإن كانا كلاهما (بطرس و بولس) منقادين بالروح القدس ، لكن كان الأول رسول اليهود العظيم ، والثاني رسول الأمم العظيم » [5] .

ولما كانت رسالة بولس مختلفة – باعتبار القوم المرسل إليهم – عن بقية من يسمى بالرسل كان لبولس أيضاً إنجيل خاص به يزعم أنَّه تلقاه مباشرة من الله .

---

(1) الرسالة إلى أهل غلاطية : (١/١) .

(2) قاموس التاب المقدس ، ص : ١٩٧ .

(3) الرسالة إلى أهل غلاطية : (١/١٥-١٧).

(4) الرسالة إلى أفسس : (٣/٨) .

(5) مختصر تاريخ الكنيسة ، ص:٤١ .

وقد تحدث بولس عن هذا الإنجيل ، وعن إعراض الناس عنه بسببه فقال : « إنِّي أتعجب أنَّكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ! ليس هو آخر ، غير أنَّه يوجد قوم يزعجونكم ، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح » [1] .

وهذا النص يحمل إشارة ضمنية ببطلان ما يتضمنه إنجيله ، مما أدى إلى إعراض الناس عنه ، وتحولهم إلى الإنجيل الآخر الذي كان لدى بطرس.

وقد سُمي الإنجيل الذي جاء به إنجيل الغرلة (أي غير المختونين) في مقابل الإنجيل المسمى إنجيل الختان الذي هو لليهود فقال : « فإنَّ هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء . بل بالعكس ، إذ رأوا أنِّي أأتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان فإنَّ الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل في أيضاً للأمم » [2] .

٣- نشاطه المميز عن بقية الجماعة :

يرى النصارى أنَّ بولس قد تميز عن جميع من يسمى بالرسل بنشاطه التبشيري ، ويعتبر هذا التميز من الأمور التي رفعت من شأنه بين بقية رفقائه .

يقول أصحاب الكتاب المقدس: « ومع أنَّه (أي بولس) لم يكن من الاثني عشر إلا أنَّه جاهد وتعب أكثر منهم جميعاً ، وكرز في بلاد أكثر ، وكتب رسائل أكثر » [3] .

وجاء أيضاً في تاريخ الأمة القبطية : « وامتاز بولس الذي لم يكن من الاثني عشر بأعظم عمل تبشيري في الديانة المسيحية » [4] .

٤- وضع التماثيل والصور له :

ومن أجل ما تمتع به بولس من الأمور التي ذكرها من قبل فقد نُصبت له التماثيل في كل مكان ، وزينت الكنائس بصور رسول الأمم !.

ويوجد له في الوقت الحاضر تمثال ضخم في باحة كنيسة روما ، حيث يُعتقد أنَّه قد مات ودُفن في هذه المدينة .

---

[1] الرسالة إلى أهل غلاطية : (١/٦-٨) .

[2] المصدر السابق : (٢/ ٦-٨) .

[3] قاموس الكتاب المقدس ، ص :٤٠٣ .

[4] تاريخ الأمة القبطية : ص: ٤٦ .

٥- تلاوة رسائله في الكنيسة وقيام النصارى عند ذلك تعظيما وإجلالاً له :

من طقوس النصارى ما يسمى بقداس الأحد ، الذي يقام كل أسبوع في الكنيسة وفيه يقرأ من رسائل بولس ، ويقوم النصارى تعظيماً لشأنه ، وقد ذكرت النص الوارد في ذلك عند الحديث عن تفضيل النصارى لهذه الجماعة على الأنبياء .

المبحث الثالث

نقد ما سبق عرضه

وفيه مطالب

- المطلب الأول : نقد دعوى رسولية من يسمى بالرسل
- المطلب الثاني : دعوى أن عدد من يسمى بالرسل اثنا عشر
- المطلب الثالث : أتباع المسيح ﷺ كما جاء في القرآن الكريم

المطلب الأول : دعوى رسولية الجماعة الإثني عشر :

المحور الأول : مناقشة أصل هذه الدعوى :

أصل هذه الدعوى القول بألوهية المسيح عليه السلام ، وأنَّه بمقتضىاها عينهم رسلاً ، وأعطاهم سلطانه ، ويمكن مناقشتها من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : إذا كانت ألوهية المسيح هي الأصل الذي اعتمد عليه النصارى فقد بينت – فيما سبق – بطلان هذه الدعوى ، وإذا بطل هذا الأصل بطل ما بني عليه ، فيلزم من ذلك بطلان القول برسالة هؤلاء الأتباع .

الوجه الثاني : أنَّ عيسى عليه السلام ليس له ميزة عن بقية البشر إلا بالرسالة ، وإذا كان حاله كذلك فإنَّه لا يملك لنفسه – فضلاً عن غيره – ضراً ولا نفعاً ، ولايستطيع دفع هذا السلطان – المزعوم – لهؤلاء الأتباع لأنَّه لا يملكه ؛ فهو لا يملك الشفاء من الأمراض ، ولا إخراج الشياطين ، فضلاً عن مغفرة الذنوب أو إمساك الغفران والتحليل والتحريم ، وإذا تقرر ذلك بطل كل سلطان يزعم النصارى أنَّه قد منحه لهؤلاء الأتباع .

الوجه الثالث : أنَّ دعوى الرسالة تقتضي وجود الوحي الذي يتزل على الرسول ليبلغه إلى الناس ، وبناءً على ادعاء النصارى رسالة هؤلاء الأتباع فإنَّه لابد أن يكون عيسى عليه السلام قد أوحى إليهم ، وهذا ما قررت بطلانه آنفاً ، وإمَّا أن يكون الله تعالى هو الذي أوحى إليهم ، وهذا ما لم يقل به النصارى ، ولا نجد دليلاً واحداً ، ولا نصاً واحداً على أنَّ هؤلاء المسمين بالرسل كان يوحى إليهم ، وما يذكره النصارى من أمر الروح القدس ، فغايته أنَّ الروح القدس – عندهم – يأتي بالتأييد ، أو بالمعجزات ، ولكنَّهم لم يذكروا نصاً واحداً يقولون عنه إنَّه وحي من الله لهؤلاء الأتباع .

وأمَّا النص الذي أورده لوقا في نزول الروح القدس عليهم فيجاب عنه بما يلي :

١- جاء في نفس الإصحاح بعد هذه الرواية أنَّه كان يقيم في أورشليم يهود أتقياء وأنَّهم تجمهروا وأخذهم الحيرة لأنَّهم سمعوا هؤلاء الرسل بلغات مختلفة حتى إنهم قالوا ساخرين « إنَّ هؤلاء قد امتلأوا من النبيذ » [١] ، والتعليق هنا : كيف تكون حادثة بهذه الشهرة ، بحيث يتجمهر الناس ويسمعون الرسل يتكلمون بلغات مختلفة فيتحيرون ، وتكون

---

[١] أعمال الرسل : (١٣/٢)

بهذه الأهمية ، بحيث يتوقف عليها إثبات رسالة هؤلاء الرسل ، كيف تكون هذه الرواية بهذه الصفة ثمَّ لا يذكرها إلا شخص واحد هو لوقا ؟ ، ولا يذكرها أصحاب الأناجيل أو على الأقل من كان منهم حاضراً لهذه الواقعة ممن تنسب إليهم الأناجيل مثل متى ويوحنا ، وقد كانت - لو صحت – أعظم شرف ينالونه وينقلونه للناس .

٢- أنَّ لوقا نفسه لم يكن حاضراً لهذه الحادثة ؛ لأنَّه أخبر أنَّه استفاد إنجيله من متى ومرقس ، فكيف أخبر بها ؟ وهل علم بها لوحده دون أن يعلم بها من نقل عنهم إنجيله ؟ أوأنَّه أوحي إليه بها ؟ أو أنَّه افتراها من تلقاء نفسه ؟ وأكتفي بهذين الوجهين في هذا المقام .

المحور الثاني : الغموض والجهالة التي تحيط بهذه الجماعة :

يعترف النصارى بأنَّ الجهالة تحيط بأحوال هذه الجماعة ، وأنَّ الغموض يكتنف الفترة التي عاشوا فيها ، وذلك بسبب قلة المصادر الموثوقة التي تحدثت عن تلك الفترة ، وهذه الجهالة لأحوالهم ، والغموض المحيط بفترة حياتهم أمر لا يمكن أن يكون مبرراً مع كونهم بهذه المترلة ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول : من المعلوم – ضرورة – أنَّ الرسل هم أشرف الناس على الإطلاق ، وسادة المجتمع الذي يعيشون فيه ؛ لما خصهم الله به من الفضل في كونهم وسطاء بين الله تعالى وبين خلقه في تبليغ ما أنزله الله إليهم ، ولكونهم القدوات الصالحة الذين تتعلق همم الناس بهم وتتأثر بما تسمع من أقوالهم ، وما تراه من أحوالهم ، مما يلزم منه أن تكون أقوالهم موضع السمع والطاعة ، وأعمالهم موضع الاقتداء ، وهذه الحيثيات تعني أنَّ سيرتهم حاضرة عند أقوامهم ، وأقوالهم معروفة – ولو في الأذهان – وأعمالهم محفوظة عندهم .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يدعيه النصارى من كونهم يأتون بالمعجزات ، من شفاء المرضى ، والضعفاء ، وإخراج الشياطين ، بل ومغفرة الذنوب لم يكن في وسع أحد من الناس أن يجهل من هذا شأنهم .

الوجه الثاني : لا يمكن أن يكون أمر هؤلاء بهذا المستوى من الجهالة ، التي تصل إلى حد أنَّ أكثر من نصف أفراد هذه الجماعة لا يُعرف عنهم شيئاً فضلاً عن معرفة سيرتهم أو أعمالهم في حين يُعرف من هم دونهم في ، وهم الذين يسميهم النصارى (آباء الكنيسة) ، فإنَّ سيرتهم من القرن الميلادي الأول ، إلى عصرنا الحاضر معروفة ، بل ومفصلة حتى ألفت

فيها الكتب المستقلة [1] على الإجمال والتفصيل ، فكيف يجهل النصارى سيرة رسلهم ، ويتغنون بسيرة آبائهم – الذين نقلوا عن هؤلاء (الرسل) – صباحاً ومساءً !؟ .

وإذا استثنينا من هذه القاعدة ما ذكر من سيرة بطرس وبولس اللذين اشتهر أمرهما كان هذا الاستثناء دليلاً على ما ذكرته من أنَّ هذه الجهالة بهم مع اشتهار أمر هذين (الرسولين) أمر غير مبرر ولا مقبول عند العقلاء ، وأنَّ هذا الشذوذ دليل على أنَّ القضية ملفقة من أساسها لإضفاء الشرعية على ما يقوم به بطرس وبولس ، والله أعلم .

المحور الثالث : مناقشة ما ورد من أخبارهم :

عند تحليل الأخبار الواردة عن هذه الجماعة لا نجد ما يدل على رسالتهم،وبيان ذلك :

أنَّ هؤلاء لو كانوا رسلاً يبلغون ما أمرهم الله به لوجدنا في أقوالهم ، وأفعالهم ، ما يدل على ذلك من الدعوة إلى وحدانية الله تعالى – وهي أساس دعوة الرسل جميعاً – أوتعليم الأحكام الشرعية ، أو حتى الدعوة إلى أصول الأخلاق التي دعا إليها جميع الرسل من العدل والصدق والرحمة وغيرها ، بل إنَّ سيرهم الشخصية ليس فيها ما يدل على أنَّهم قدوات للناس ، ، بل يوجد نقيض ذلك ، مما يمكن إيضاحه من خلال الأمثلة التالية :

١ – أنَّ بطرس كبير الرسل – عندهم – ورئيس الجماعة الذي أعطاه الرب – بزعمهم – سلطانه موصوف من قبل المسيح عليه السلام نفسه وفي نص واحد بثلاث صفات ، الواحدة منها كافية في إسقاط أهليته للرسالة بل في كونه من المؤمنين ، حيث قال عنه المسيح عليه السلام – فيما نسب إليه – : « فالتفت وقال لبطرس : اذهب عني يا شيطان ، أنت معثرة لي ، لأنَّك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » [2] .

فهذه ثلاثة أوصاف لبطرس : شيطان ، معثرة ، لا يهتم بما لله ، فهل يصلح أن يكون رسولاً من أتصف بواحدة من هذه الصفات ، وهل يصلح أن يكون من الأتباع الحقيقيين للمسيح عليه السلام !؟ . بل نُسب إلى المسيح عليه السلام أنَّه أخبر بأنَّ بطرس سوف ينكره أمام الكهنة من اليهود عند القبض عليه – بزعمهم – : « قال له يسوع : الحق أقول لك : إنَّك في

---

[1] من هذه الكتب : كتاب دليل إلى قراءة آباء الكنيسة ، لأدلبيرت – ج . همّان ، وآباء الكنيسة ، أسد رستم ، وقديسون وشهداء يسوعيون سيرة مختصرة للآب : سامي حلاّق اليسوعي ، وغيرها كثير .

[2] متى : (١٦/٢٣) .

هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات » [1] ، وقد تحقق ذلك كما يذكر السفر نفسه : « أمَّا بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلي ؟ فأنكر قدام الجميع قائلاً : لست أدري ما تقولين ! . ثمَّ إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى ، فقالت للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصري ! . فأنكر أيضاً بقسم : إنِّي لست أعرف الرجل ! . وبعد قليل جاء القيَّام وقالوا لبطرس : حقاً أنت أيضاً منهم ، فإنَّ لغتك تظهرك ! . فابتدأ حينئذٍ يلعن ويحلف : إنِّي لا أعرف الرجل ! ، وللوقت صاح الديك » [2].

٢- يهوذا الملقب بالإسخريوطي كان خائناً ، بل ثبت عندهم أنَّه الذي أسلم رسوله - أو ربه كما يعتقد النصارى - إلى اليهود مقابل ثلاثين من الفضة : « حينئذٍ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يُدعى يهوذ الإسخريوطي ، إلى رؤساء الكهنة وقال : ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه » [3] .

٣- أمَّا بولس فإن إتصافه بالكذب ، والنفاق ، والتملق ، واتخاذه ذلك مطية لتحقيق مآربه فأمرأشهر من أن يذكر ، وقد أشرت إليه فيما سبق من الحديث عنه .

٤- وبالجملة ، فقد وصف عيسى عليه السلام - بحسب أسفارهم - هذه الجماعة بعدم الإيمان ، ولو بمقدار حبة خردل ، وبالإلتواء ، الدالة على النفاق : « فأجاب يسوع وقال : أيَّها الجيل غير المؤمن ، الملتوي ، إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ... ثمَّ تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه [4] ؟ . فقال لهم يسوع : لعدم إيمانكم ، فالحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل : أنتقل من هنا إلى هناك فينتقل » [5] .

---

[1] المصدر السابق : (٣٤/٢٦) .

[2] المصدر السابق : (٢٦/٦٩-٧٤) .

[3] المصدر السابق : (٢٦/١٤-١٦٩) .

[4] المراد بذلك الشيطان الذي مع الغلام ، كما جاء التصريح بذلك قبل هذا الموضع .

[5] متى : (١٧/١٧- ٢٠) .

فها هي عبارات المسيح عليه السلام لهذه الجماعة تصرح بأنهم ليس لديهم من الإيمان مثقال حبة خردل ، وتوحي بمدى غضبه عليهم ، وإذا كان هذا حالهم فكيف يمكن أن يكونوا رسلاً إلى الناس .

وخلاصة هذا الأمر أنَّ الأولى أن يوصف أفراد هذه الجماعة بما وصف به المسيح عليه السلام من يأتي من بعده حيث جاء – فيما ينسب إليه– : « ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين » [1] . فهذا الوصف هو الأصدق في حقهم ، والله أعلم .

المحور الرابع مناقشة ما يدعي النصارى أن المسيح عليه السلام قد منحهم إياه :

يدعي النصارى أنَّ هؤلاء الأتباع – بموجب ما منحهم الرب – يشفون المرضى ، والضعفاء ، ويخرجون الشياطين ، يحلون ويحرمون ، والمسيح عليه السلام – بزعمهم – يصدق على هذه الأحكام في السماء ، وكذلك فإنَّهم يملكون غفران الذنوب ، أو إمساك الغفران ، ثمَّ هم فوق ذلك يجلسون على اثني عشر عرشاً يوم الدينونة ليحاسبوا أسباط بني إسرائيل .

هذه أهم الأمور التي ينسبونها إلى هؤلاء الأتباع ، والجواب عنها أن نقول : إنَّ جميع هذه الأمور مما اختص الله تعالى به ، وعليه ، ونسبة واحدة منها لغير الله تعالى على جهة الاختصاص يُعد شركاً به ، فيتعين أنَّ هؤلاء شركاء مع الله تعالى ، وكفى بهذا دليلاً على بطلان ما ذهبوا إليه.

خلاصة هذه الدعوى :

من خلال ما سبق مناقشته من دعوى رسالة هؤلاء الاثني عشر نصل إلى ما يلي :

إنَّ دعوى رسالة الاثني عشر باطلة ، لما ذكرته من الأوجه السابقة ، ولما عُلِم من ديننا ،الذي هو خاتم الأديان من أنَّه لم يكن بين عيسى عليه السلام ، وبين نبينا صلى الله عليه وسلم أحد من الأنبياء .

وأمَّا القول بأنَّهم من المؤمنين بالمسيح عليه السلام ، فالأرجح أنَّهم ليسوا كذلك ، لما يلي :

١– مخالفتهم لأمر المسيح عليه السلام بخروجهم إلى غير اليهود .

٢– اتصافهم بكثير من الصفات تناقض الإيمان ؛ من الخيانة ، والنفاق ، ونحوها .

٣– اتصافهم بالشرك بالله سبحانه وتعالى في ربوبيته .

---

[1] المصدر السابق : (١١/٢٤) .

٥- اختلاف صورهم عن الصورة التي جاء ذكرها عن أتباع المسيح عليه السلام ، كما جاء في القرآن الكريم ، وهو ما سأبينه في الفقرة القادمة إن شاء الله تعالى .

مناقشة تفضيل بطرس على بقية الجماعة :

تميز بطرس عن بقية الجماعة – كما يرى النصارى – بأمور أهمها ما يلي :

١- أنَّه أول من اعترف بأنَّ المسيح عليه السلام هو ابن الله .

٢- أنَّ الرب –المسيح بزعمهم – قد منحه سلطانه .

٣- قيادته للتلاميذ ، لاسيما في انتخاب الثاني عشر .

٤- ما نسب إليه من المعجزات .

ويمكن الرد على هذه المزاعم من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : استدلالهم بالنص الذي ورد في أنَّه أول من اعترف بأنَّ المسيح عليه السلام هو ابن الله مبني على أصل باطل ، هو القول ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى ، وقد بينت بطلانه ؛ وبناء عليه ؛ فإنَّه يلزم بطلان النتيجة التي وصلوا إليها ، وأنَّ هذا النص لابد أن يكون مما نُسب إلى المسيح عليه السلام ، هو بريء منه ، لأنَّه لم يثبت – في الأناجيل نفسها – نص واحد صريح قال فيه المسيح عليه السلام أنَّه ابن الله .

الوجه الثاني : مما يدل على الكذب في هذا النص ما جاء فيه ، بعد فقرات قليلة من أنَّ المسيح عليه السلام قد وصف بطرس بأنَّه شيطان ، معثرة ، منافق ، وهو ما يتعارض تماماً مع ما سبق ذكره من الثناء على بطرس .

الوجه الثالث : لا يمكن لعيسى عليه السلام - وهو أعرف الناس بالله – أن يمنح ذلك السلطان لغيره ، لأنه لا يملكه ، ولأنَّ ذلك يلزم منه إقراره بالشرك ، وحاشاه عليه السلام ذلك ، وهو الذي جاء لإخراج العباد من حمأة الشرك ، وتزكية نفوسهم بالعبودية لله تعالى .

الوجه الرابع : وهو يتعلق بما سبق ، وهو أنَّ هذا السطان – لو سلمنا به تنزلاً في الخطاب معهم – لم يكن خاصاً ببطرس ، فيكون دليلاً على تميزه عنهم ؛ لأنَّه قد نُسب إلى المسيح عليه السلام أنَّه قد منح هذا السلطان أيضاً لجميع التلاميذ: « فالحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلون على الأرض يكون محلولاً في السماء . وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنَّه

يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات ، ولأنَّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم » [1] .

الوجه الخامس : استدلالهم بأنَّ بطرس قد قاد التلاميذ – على فرض التسليم بـه – ليس فيه دلالة في ذاته ، بمعنى أنَّه لا يدل على أفضلية مطلقة لبطرس ؛ لأنَّ هذه القيادة قد تكون لسبب آخر كأن يكون أكبرهم سناً أو لسبقه عليهم في صفة خاصة أوجبت تقدمه عليهم .وأما كونه الذي أخبرهم بأنَّ الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بابن الله ، فقد بينت أصله الباطل الذي يقوم عليه ، في الوجه الأول من هذه المناقشة .

الوجه السادس : ما نسب إليه من شفاء المرضى ، وغير ذلك من المعجزات الأخرى فإنَّ ذلك لم يكن مختصاً به ؛ فقد نسب أيضاً إلى بقية التلاميذ ، كما في الأناجيل .

وأمَّا دعوى تميز بولس المطلق على هذه الجماعة ؛ فقد قررت فيما سبق أنَّه مبتدع والعدو الأول لرسالة عيسى عليه السلام ، مما يقطع كل طريق للقول بكونه من أتباعه فضلاً عن القول برسالته .

المطلب الثاني : مناقشة دعوى أن عددهم اثنا عشر رسولا :

تقول أناجيل النصارى على أنَّ عدد من يسمى بالرسل اثناعشر رسولاً ، ويقول علماؤهم إنَّه يشترط في الرسول أن يكون قد اتصل بالمسيح عليه السلام ، وتلقى منه التعاليم مباشرة ، وأن يكون المسيح عليه السلام قد ندبه إلى هذه الخدمة ، وبين نصوص أناجيلهم ، وأقوال علمائهم بعض التناقضات ، يمكن إجمالها في الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ بولس الذي لم يرد في القائمة التي أعلن المسيح عليه السلام – بزعم النصارى – أنهم الرسل ، و لم ينطبق عليه أيّ من شرطي النصارى التي اشترطوها في الرسول ، حيث إنه لم يلتقِ بالمسيح عليه السلام طول حياته ، و لم ينتدب من قبله لهذه الرسالة مع ذلك كله فهو معدود عند النصارى من الرسل بل إنَّه عندهم في الطليعة ، فهو رسول الأمم ، وسيرته عندهم تدل على أنَّه أعظمهم على الإطلاق ، ولا ندري بأي حيلة استطاع هذا الرجل أن يفلت من (شروط علمائهم) ، و(قدسية نصوص أناجيلهم) لينال أعظم المراتب بين هؤلاء الموصوفين بالرسل ، ويصبح أعظمهم على الإطلاق .

---

[1] متى : (١٨/١٨-٢٠) .

الوجه الثاني : أنَّ خيانة يهوذا الاسخريوطي العظمى إضافة إلى كونها قدح في اختيار المسيح عليه السلام ، فإنَّها تنقض عدد هؤلاء المسمين بالرسل ليصبح أحد عشر رسولاً فقط ، ويلزم من ذلك لوازم ، منها خلو العرش الثاني عشر يوم الدينونة ممن يجلس عليه ، ومن ثمَّ فإنَّ سبطاً من أسباط بني إسرائيل لن يتم حسابهم في ذلك اليوم لعدم وجود من يحاسبهم ، وإن قال النصارى أنَّ الرسول الثاني عشر هو متياس أعترضنا على قولهم من عده جهات :

الجهة الأولى : أنَّ في ذلك نقض لمن عينهم المسيح عليه السلام بنفسه ولا محالة .

الجهة الثانية : أنَّ في ذلك اعتداء على سلطان المسيح عليه السلام في تعيين الرسل.

الجهة الثالثة : أنَّ في ذلك نقض للشروط التي وضعوها ، فانَّ هذا المدعو متياس لم يثبت أنَّه لقي المسيح عليه السلام طيلة حياته ، وكذلك فإنَّه لم يندبه إلى تلك الخدمة .

الوجه الثالث : أنَّ إجراء القرعة لاختيار الرجل الذي يكمل الثاني عشر بين متياس ، والرجل الآخر ، وهو يوسف الذي يدعى بارسابا ، والملقب بيوستس [1] يدل على أنَّ الرجلين استوفيا الشرطين اللازمين لكونهما من الرسل ، وعلى ذلك فإنَّ كلا الاثنين يعدان من الرسل مما يجعل العدد الحقيقي ثلاثة عشر رسولاً ، فيبطل قول النصارى بأنَّ عددهم اثنا عشر رسولاً ، وينتقض بذلك قدسية أناجيلهم التي تحدد هذا العدد .

الوجه الرابع : أنَّ هناك من يطلق عليه اسم الرسول و ليس من الرسل الذين عينهم المسيح عليه السلام بنفسه ، ولا ممن تنطبق عليه شرطا الرسل ، كما حددها علماء النصارى ، ومن أبرزهم بولس ، وبرنابا اللذين وصفا بالرسول ، بل ورد أنَّ لفظ الرسول – كما ذكرت من قبل – يشمل كل مبشر بالإنجيل .

وأقرر هنا أنَّ قضية عدد الرسل ليست ذات أهمية كبرى عندنا لبطلان أصلها ، وهو القول برسالتهم ، ولكنَّنا ناقشها لما يقتضيه البحث العلمي من جهة ، ولبيان أن بطلان أصلها يلزم منه بطلانها كنتيجة ، وهذا ما أثبته ، والحمد لله تعالى .

---

[1] انظر : أعمال الرسل : (١/٢٣) .

المطلب الثالث : أتباع المسيح عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم :

صورة أتباع المسيح عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم صورة مشرقة ، ومختلفة اختلافاً كلياً عن الصورة التي رسمها النصارى لأتباعه ، وسوف أذكر الآيات الكريمة الواردة في هذا الشأن ثم اتبعها بالتعليق المستفاد منها ، بالله التوفيق .

الآيات الواردة في شأن أتباع عيسى عليه السلام :

ورد ذكر أتباع عيسى عليه السلام في أربعة مواضع من القرآن وهي كما يلي :

١- : قوله تعالى : ﴿ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ی ی ي ي □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﴾ آل عمـــران: ٥٢ – ٥٣

٢- : قوله تعـــالى : ﴿ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴾ المائدة: ١١١ .

٣- : قوله تعالى : ﴿ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ المائدة: ١١٢

٤- : قوله تعالى : ﴿ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ □ ﴾ الصف: ١٤

هذه هي المواضع التي ورد فيها الحديث عن أتباع عيسى عليه السلام ، ومن خلالها تتضـــح لنا صورة هؤلاء الأتباع ويمكن تفصيلها فيما يلي :

أولاً : أتباع المسيح عليه السلام هم الحواريّون :

وقد جاءت تسميتهم بهذا الاسم في جميع هذه المواضع ، فهم ليسوا رسلاً كما يدعي ذلك النصارى ، وبالرجوع إلى كتب اللغة لمعرفة مدلول هذا الاسم نجد ما يلي :

قال الجوهري : « الحواريُّ : الناصر ، وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون ، لأنَّهم كانوا قصَّارين » [1] .

وقال الفيروزآبادي :« الحواريُّ : الناصر أو ناصر الأنبياء ، والقصَّار ، والحميم »[1].

---

[1] الصحاح : ٦٣٩/٢ ، مادة : حوَر .والقصار الذي يغسل الثياب وينظفها كما في المصدر نفسه : (٧٩٤/٢) .

[1] القاموس المحيط : (٤٨٧) .

وزاد ابن منظور على ذلك : « الحواريّون : القصَّارون لتبييضهم ، لأنَّهم كانوا قصَّارين ، ثمَّ غلب حتى صار كل ناصر وكل حميم حوارياً ، وتأويل الحواريين في اللغة : الذين أُخلِصوا ونُقُّوا من كل عيب ، وكل مبالغ في نصر آخر حواريّ ، وخص بعضهم به أنصار الأنبياء ، وروى شمر أنَّه قال : الحواريّ الناصح ، وأصله الشيء الخالص »[٢] .

وخلاصة ما سبق أنَّ الحواري يطلق على معاني منها : الناصر ، والقصَّار والحميم ، والمخلص النقي من كل عيب ، والمبالغ في نصرة أخيه ، وكذلك الناصح ، وتطلق في معناها الخاص على أتباع عيسى عليه السلام ، وكل هذه المعاني تنطبق على أتباعه عليه السلام .

وهذه المعاني أيضاً تضمن تزكية أتباعه ، دون الغلو فيهم الذي يدعيه النصارى ، بل الحق الذي لا ريب فيه أنَّ من يتحدث عنهم النصارى غير أتباع المسيح الحقيقيين الذين وصفتهم الآيات السابقة .

ثانياً : أتباع المسيح عليه السلام لم يثبت لهم عدد معين :

فكل الآيات التي وردت في حقهم لم يرد فيها تحديد عدد لهم ، والأقرب – والله أعلم – أنَّ كل من آمن بما جاء به عيسى عليه السلام واتبعه على ذلك ، فهو من الحواريين ، لأنَّ هذين الوصفين (أي : الإيمان والاتباع) هما اللذان ذُكرا في الآية الثانية من سورة آل عمران ، وجاءت وصفاً لحال هؤلاء الحواريين ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : ذكر الصفات الحميدة لهؤلاء الحواريين :

وهي مستفادة من معاني كلمة الحواريّ ، وكذلك من الآيات الواردة ومن أهمها :

١- الإيمان بالله تعالى .

٢- اتباع عيسى عليه السلام .

٣- نصرتهم له .

٤- قربهم من المسيح عليه السلام .

٥- إخلاصهم لله تعالى ، ونصحهم لنبيه عليه السلام .

٦- أنَّهم قدوات صالحة لغيرهم ، ولذا أمر الله تعالى أمر المؤمنين من أمَّة محمد ﷺ بالإقتداء بهم .

---

[٢] لسان العرب : (٢/٦٥٢) .

وهذه الصفات للحواريون تختلف كلية عما ذُكر من الصفات التي يذكرها النصـــارى لمن يسموهم بالرسل ٠

تنبيه :

في قوله تعالى : ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ المائدة: ١١١

الوحي في الآية لا يراد به وحي النبوة ، وإنَّما وحي الإلهام ، وله نظائرفي القرآن الكريم ؛ فقد أخبر الله تعالى عن وحيه لأمِّ موسى الطَّيْكُلاَ في قوله تعـــالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ القصص: ٧ ، وهذا الوحي هو وحي الإلهام بلا خلاف ، كما ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى [١]،وأخبر عن وحيه إلى النحل ، في قوله تعالى:ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ النحل: ٦٨،وهذا الوحي هو أيضاً وحي الإلهام ٠

قال ابن جرير – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية : « عن السدي (ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) يقول قذف في قلوبهم ، وقال آخرون معنى ذلك : ألهمتهم ، ثمَّ قال بعد ذلـــك : فتأويـــل الكلام إذاً : وإذ ألقيت إلى الحواريين أن صدقوا بي وبرسولي عيسى فقالوا : آمنا أي صدقنا بما أمرتنا أن نؤمن يا ربنا » [٢] ٠

وعلى هذا المعني فلا حجة في هذه الآية على رسولية هؤلاء الحواريين ٠ والله أعلم ٠

الفصل الثالث :

[١] انظر : تفسير القرآن العظيم : (٢/٢٢٤) ٠

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن : (٥/١٧٣) ٠

تقديس البابا

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول : البابوية تعريفها ونشأتها
- المبحث الثاني : صور تقديس البابا
- المبحث الثالث : نقد هذه الصور

المبحث الأول

البابوية تعريفها ونشأتها

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : معنى البابوية ونشأتها
- المطلب الثاني : أسباب سلطة البابوية

المطلب الأول : معنى البابوية ونشأتها :

معنى لقب البابا : أبو الآباء ، وأول من أُطلق عليه يارا كلاس البطريرك الثالث عشـــر من بطاركة الاسكندرية الذي اعتلى العرش الإسكندري بـــين عـــامي(٢٣٠ – ٢٤٦م) ، ونقل أثناسيوس راهب الكنيسة القبطية الإجماع عليه،وأنَّه ناله لشدة اعتبار النصارى ومحبتهم

له [1] . ثمَّ انتقل هذا اللقب إلى رومة ، من أجل أنَّه كرسيّ بطـــرس ، رأس الحـــواريين ، فصار بطريرك رومية يقال له "البابا" ، واستمر على ذلك إلى زمننا الذي نحن فيه [2] .

ويختص بهذا اللقب في الوقت الحاضر رئيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ،الذي يتخذ الفاتيكان مقراً له ، وينازعه عليه رئيس كنيسة الأقباط في مصر ، الذي أمر أتباعه بمناداتـــه بلقب بابا الإسكندرية ، ويطلق عليه رسمياً "صاحب الغبطة والقداسة بابا وبطريرك ورئيس اساقفة المدينة العظمى الإسكندرية وكل أرض مصر والمدينة المقدســـة أورشـــليم والنوبـــة والحبشة والخمس مدن الغربية وسائر أقاليم الكرازة المرقسية وكل أفريقيا وبلاد المهجر"[3] .

نشأة السلطة البابوية :

تدَّعي الكنيسة الكاثوليكية أنَّها الحاكمة على جميع المجتمع النصراني، وأنَّ البابا صاحب السلطة على جميع الكنائس الأخرى ، لأنه خليفة بطرس ، ونائب المسيح على الأرض .

ويعود تاريخ الكنيسة الرومانية إلى النصف الثاني من القرن الأول من الميلاد ، حيـــث اعتقد الكاثوليك أنَّ مؤسسها بطرس نفسه ، ولكنَّ نفوذها ، وظهور شأن البابا لم يكن إلا في القرن الخامس الميلادي. ويعتقد أنَّ السبب المباشر لذلك إصدار الإمبراطور الروماني قراراً عام ٤٤٥م ، يجعل بابا روما رئيساً عاماً للكنائس النصرانية [4] .

المطلب الثاني : أسباب سلطة البابوية :

هناك أسباب أخرى أدت إلى ظهورالسلطة البابوية ، وأهمها ما يلي :

١–السبب الديني :

---

[1] انظر : الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ص:٢٧ ، معجم المصطلحات الكنسية ، أثناسيوس : (١/١٥١–١٥٢) .

[2] انظر : تاريخ الكنيسة ، ليوسابيوس القيصري ، ص: ٨٩ ، وتاريخ الأقباط ، والمسمى بالقول الأبريزي ، لتقي الدين المقريزي ، ص : (٤٣–٤٤) .

[3] انظر : معجم المصطلحات الكنسية ، أثناسيوس : (١/١٥٣) .

[4] انظر الميزان في مقارنة الأديان ، لمحمد عزت الطهطاوي ، ص: ٢٠٦ ، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث ، محمد أحمد الحاج ، ص : ١٦٥ .

وهو ادعاء بابا روما بأنه خليفة بطرس ، والوريث الشرعي ، والوحيد ، للسلطان الممنوح له من قبل الرب بزعمهم ، وسأتحدث عن هذ السبب بالتفصيل فيما سيأتي .

٢- المكانة الرفيعة التي تحظى بها مدينة رومة :

فهذه المدينة تتبوأ مترلة رفيعة ؛ فهي : « أكبر المدن ، وأغناها ، وكانت كرسي الملك ، وأمَّ الشعوب ، وهي مدينة الله ، وينبوع الشرائع ، فإذا كانت رومية ملكة المدن ، فلماذا لا يكون راعيها ملك الأساقفة ، وكنيستها أمُّ الكنائس ، وسلطة شريعتها المطلقة ، كانت كذلك » [١] . ومن أعظم ما تميزت به وجود قبري أعظم قدِّيسين ، وشهيدين – بحسب رأي النصارى – وهما بطرس وبولس .

٣- ضعف السلطان السياسي في القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية :

بدأت آثار هذا الضعف بعد انتقال السلطة السياسية من روما إلى القسطنطينية ، في عهد الإمبراطور قسطنطين ، وبسبب ذلك حل بابا روما محل الإمبراطور ، كما حل الأساقفة محل حكام الأقاليم ، وكذلك حل رجال الأكليروس محل مجلس السناتو بروما [٢] .

وبذلك انتقلت الزعامة السياسية في روما إلى يد الكنيسة التي يرأسها البابا نفسه ، كما وقعت بأيديهم السلطة الدينية على ما بينت من قبل .

٤- الحروب التي خاضتها الإمبراطورية :

شنت الإمبراطورية حروبا ضارية مع الدول التي تقيم على حدودها ، ومع قيامها ، لم يجد الشعب بديلاً يولي قبلته إليه إلا الكنيسة ، استغلت الموقف ، وقامت بدورها، واستطاعت كسب ولاء شعبها ، الأمر الذي كان يصب في رصيد نفوذها وسلطانها .

٥- البعثات التنصيرية :

[١] تاريخ الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ، ليميريل دوبينياه ، ص: ٤ ، والنص منقول بتصرف يسير .

[٢] انظر : الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي ، د. محمد آل عمر ،ص: ٧٩، بتصرف .

قامت كنيسة روما بإرسال بعثاتها للتبشير بالدين النصراني في جميع أرجاء العالم ، وكانت كلما ضمت أليها منطقة أو دولة ، كسبت ولاء شعوبها ، وكان كل ذلك يحسب في رصيد البابا في المقام الأول ، الأمر الذي توسعت معه دائرة نفوذ تلك الكنيسة .

٦- ضعف سلطة كنائس المشرق :

ويعود ذلك الضعف إلى قوة سلطة الإمبراطورية في تلك المنطقة ، حيث أنَّ قسطنطين حينما نقل عرشه إلى القسطنطينية استطاع أن يتدخل في جميع شؤون الكنيسة ، بل أصبح هو الذي يدير شؤونها ، فكان هو بنفسه الذي يدعو إلى أقامة المجامع المسكونية ، بل إنَّه في مواجهة ما تسميه النصارى "البدعة الآريوسية" ، ادعى أنَّ له أن يجدد الإيمان للنصارى ، وكانت هذه الأحداث مقدمات لظهور "القيصرية البابوية" ، وهي النظام الذي يحل فيه الإمبراطور محل السلطات الكنسية في إدارة شؤون الكنيسة ، حتى على صعيد التعليم [1] .

و هذه السلطة كما أضعفت سلطان كنائس المشرق زادت في نفوذ كنيسة روما .

٧- دخول كنائس المشرق تحت لواء الدولة الإسلامية :

بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومصر أصبحت كراسي المشرق ، وهي كراسي أنطاكية ، والقدس ، والإسكندرية تحت ظل الدولة الإسلامية ، الأمر الذي زادها ضعفاً إلى ضعفها ، وخلا بذلك الجو لكنيسة روما .

---

[1] انظر : تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة لكلود لوبيليه : (١٥٢/٢) ، والكاتب أستاذ في جامعة ليل الفرنسية .

المبحث الثاني

صور تقديس البابا

وفيه ستة مطالب

- المطلب الأول : دعوى أن الرب منح سلطانه لبطرس وأنابه على مملكته
- المطلب الثاني : دعوى أن البابا نائب الرب والوارث لسلطانه ورئيس الكنيسة المنظور
- المطلب الثالث : دعوى عصمة البابا
- المطلب الرابع : دعوى ن البابا له سلطان لتشريع
- المطلب خامس : دعوى ن البابا له سلطان مغفة الذنوب
- المطلب السادس : دعوى أن البابا له حق التحلة

المطلب الأول : دعوى أنَّ الرب منح سلطانه لبطرس وأنابه على مملكته :

هذه العقيدة عند النصارى ليست مظهراً مباشراً من مظاهر تقديس البابا ، لكنَّها الأصل الذي قام عليه تقديسه في الحقيقة ؛ ويمكن عرضها كما يلي :

إنَّ الرب – المسيح عليه السلام في نظرهم – أقام في غيابه نائباً له على مملكته الأرضية ، هو بطرس ، ومنحه السلطان المطلق ، واللازم لرعاية (خِرافِه) والذي لا يرجع فيه إلى أحد من البشر ، بل كل ما يحكم به على الأرض فإنَّ الرب سوف يصدق عليه في السماء فيربط ما ربطه على الأرض ، ويحل ما أحله ، وقد اختار بطرس أحد عشر رجلاً لمساعدته ، وأعطاهم سلطة مقيدة بشرط اتحادهم معه ، وكونهم تحت رئاسته ورعايته ، فكل واحدٍ منهم راعٍ خاص ، وهو الراعي الأعلى [1] .

وعند تحليل هذه الدعوى نجد أنها ترتكز على بطرس،وأنَّه المتفرد عن بقية من يسمى بالرسل ، بالنيابة عن المسيح عليه السلام ، والسلطان الممنوح منه ،والرياسة المطلقة لتلك الجماعة.

وأما استدلالهم عليها ؛ فإنهم يحاولون إثبات ذلك بالاستناد إلى أسفارهم ، وأشهر أدلتهم عليها دليلان .

الدليل الأول : جاء في إنجيل متى: « ولمَّا جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً : من يقول الناس إنِّي أنا ابن الإنسان . فقالوا : قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون : إلَّيا، وآخرون : إرميا أو واحد من الأنبياء . قال لهم وأنتم : من تقولون إنِّي أنا . فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله الحي ! . فأجاب يسوع ، وقال له : طوبى لك سمعان بن يونا ، إنَّ دماً ولحماً لم يعلن لك ، لكن أبي الذي في السماوات . ، وأنا أقول لك أيضاً : أنت بطرس ، على هذه الصخرة ابنِ كنيستي ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات » [2] .

وهذا الدليل يعده الكاثوليك "المرسوم الإلهي" [3] ، لرئاسة بطرس على كنيسته .

ومن الدلالات التي أوردوها عند هذا النص ما يلي :

١- أنَّ المسيح ، قد وجه حديثه إلى بطرس دون غيره ممن يسمى بالرسل.

---

[1] انظر : الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض ، للآب خليل أدَّه اليسوعي ، ص: ٨٥-٨٦ ، ملخصاً .

[2] متى : (١٦/١٣-١٩).

[3] هكذا يعبر النصارى ، انظر : الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض ، للآب : خليل أدّه اليسوعي ، ص : ٧٠ .

٢- أنَّ بطرس وحده هو الذي اعترف بلاهوت المسيح عليه السلام .

٣- أنَّه كافأه لوحده على هذا الاعتراف ، بقوله : "وأنا أقول لك" ، فكأنَّ هذا التكريم مكافأة على ذلك الاعتراف ، وبناء على ذلك فإنَّ هذه المنحة "الربانية" قد تعينت لبطرس دون سواه .

الدليل الثاني : جاء في إنجيل يوحنا: « فبعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس : يا سمعان بن يونا ، أتحبني أكثر من هؤلاء ؟ . قال نعم يارب ، أنت تعلم أنَّي أحبك . قال له : أرع خرافي . قال له أيضاً ثانية : يا سمعان بن يونا ، أتحبني ؟ . قال له : نعم يا رب أنت تعلم أنَّي أحبك . قال له : أرع غنمي . قال له ثالثة : يا سمعان بن يونا أتحبني ؟ . فحزن بطرس لأنَّه قال له ثالثة أتحبني ؟ . فقال له يا رب ، أنت تعلم كل شيء . أنت تعرف أنَّي أحبك . قال له يسوع : أرع غنمي »[1] .

ووجه الاستدلال من هذا النص أنَّ المسيح عليه السلام (الرب بزعمهم) قد كرر السؤال ثلاثاً ، وخص به بطرس دن غيره ، ثمَّ أمره ثلاثاً أن يقوم برعاية شعبه .

ويرى النصارى أنَّ خلافة بطرس للمسيح عليه السلام هو أمر قد قررته مجامعهم ، حيث جاء في الدستور العقائدي للكنيسة الذي أقره المجمع الفاتيكاني الثاني: « هذه الكنيسة التي سلمها مخلصنا بعد قيامته إلى بطرس ليكون راعيها ، وأوكل أمرها إليه ، وإلى سائر الرسل ، كي ينشروها ويسوسوها »[2] .

وأمَّا تفرده باستلام مفاتيح الملكوت ؛ فتقرر في المجمع السابق ، وفيه: « فالرب جعل من سمعان وحده صخرة لكنيسته،وإليه وحده سلم المفاتيح، ووضعه راعياً لكل قطيعه ، وأمَّا سلطان الحل والربط الذي أعطى لبطرس أعطي أيضاً لحلقة الرسل متحدين برأسهم »[3] .

فالرئاسة إذاً هي لبطرس دون غيره ، وكذلك تسليم المفاتيح ، وأمَّا الحل والربط فإنَّه وإن كان للرسل إلا أنَّه مقيد بالاتحاد ببطرس ، فعاد الأمر كله إليه .

ومن خلال العرض السابق لهذه الدعوى نخلص إلى ما يلي :

---

[1] يوحنا : (٢١/١٥-١٧) .

[2] الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة : ٨ ، ص:٥٢ .

[3] المصدر نفسه ، والعنوان نفسه ، فقرة : ٢٢ ، ص:٧٧ .

١- بطرس وحده هو نائب المسيح ﷺ ، وخليفته على كنيسته .

٢- بطرس وحده الذي مُنح سلطان المسيح ﷺ .

٣- بطرس وحده الذي له الرئاسة على جميع من يسمى بالرسل .

ومحصلة ذلك : بما أنَّ بطرس أسس كنيسة روما ودُفن بها فإنها الوحيدة ذات الصبغة "الشرعية" ، وإن أساقفة روما "الورثة الشرعيون" لهذا السلطان .

المطلب الثاني : دعوى أنَّ البابا نائب الرب والوارث لسطانه ورئيس الكنيسة :

وهذه الصورة الأولى من صور التقديس للبابا ، وهي الأصل الذي قامت عليه جميع صور التقديس الأخرى ، وبها تسلط البابا على جميع النصارى .

وأما إثباتها ؛ فأنَّها تعود إلى أمر واحد هو زعمهم أنَّهم خلفاء بطرس الذين ورثوا سلطانه الذي منحه الرب ، وبعبارة أخرى : أنهم يثبتون ذلك من خلال مقدمتين :

الأولى : أنَّ بطرس نائب المسيح ، ووارث سلطانه ورئيس الكنيسة المنظور .

والثانية : أنَّ هذه الرئاسة باقية إلى مدى الدهر ، ومنتهى الآجال .

والنتيجة : لابد أن يكون لبطرس خلفاء في رئاسته ، ولن يكونوا إلا الأساقفة الذين هم باباوات روما [١] .

وقد تحدثت عن المقدمة الأولى فيما سبق ، وسوف أتحدث هنا عن المقدمة الثانية .

القول ببقاء الرئاسة في الكنيسة إلى مدى الدهر :

من أبرز ادلتهم عليها ما جاء في إنجيل متى : « وها أنا معكم إلى كل الأيام إلى انقضاء الدهر » [٢] .

يوضح متى هنري – أحد مفسري الأناجيل – معنى بقاء المسيح مع تلاميذه إلى منتهى الدهر بأنَّه مع خلفاء هؤلاء (الرسل) ، فيقول : « وقبل أن تأتي هذه النهاية سوف تبقى المسيحية منتشرة في كل ارجاء العالم ، ويبقى المسيح ملازماً خدامه . أنا معكم إلى انقضاء

---

[١] انظر : الكنيسة أو مملكة المسيح ، لخليل أده اليسوعي ، ص : ١٠٠ .

[٢] متى : (٢٨/٢٠) .

الدهر ، ليس معكم شخصياً ، فإنهَّم قد ماتوا بسرعة ، لكن : معكم ومع خلفائكم ، معكم ومع كل خدام الإنجيل في كل عصور الكنيسة المختلفة » [1] .

وتؤكد قرارات المجامع ذلك ، فقد جاء في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني : « إنَّ يسوع المسيح قد بنى الكنيسة المقدسة بإرساله رسله ، كما أرسله الآب . لقد أراد أن يكون خلفاء هؤلاء الرسل ، أعني الأساقفة ، رعاة في الكنيسة إلى منتهى الدهر » [2] .

وأمَّا رئاسة كنيسة روما على جميع الكنائس الأخرى ، فهي مبنية على ثبوت خلافة أساقفة روما لبطرس رئيس الرسل عندهم ، وليس عليها دليل فيما يسمى بالكتاب المقدس ، وإنَّما غاية ما عندهم أقوال ينسبونها إلى آبائهم ، أو استدلالات عقلية ، وحاصلها ما يلي :

١- أنَّ الكنائس الرئيسية - بعد روما - هي أنطاكية ، والقسطنطينية ، والإسكندرية ، وأورشليم ، ولابد أن تكون الرئاسة لواحدة منها ، وليست هناك كنيسة نسبت إليها الخلافة البطرسية غير كنيسة روما ، فكنيسة القسطنطينية لم تظهر إلا في القرن الرابع ، وبقية الكنائس لم يحدد نطاق ولايتها إلا في المجمع المسكوني الأول . فإذا لم تكن هذه الرسالة في هذه الأربع تعيَّن أن تكون لروما.

٢- منذ أوائل الكنيسة ادعت كنيسة روما بالرئاسة على الكنيسة جمعاء ، باعتبار أنهَّا كنيسة بطرس زعيم الرسل ، واعترف لها العالم المسيحي بلا نزاع.

٣- قول بطرس: « تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ، ومرقس ابني » [3] .

وبابل هي رومة ، وليست بابل القديمة ، لأن بطرس وبولس لم يقصداها، وإذا ثبت أن بطرس جاء رومة وأسس كنيستها ، ومات فيها أضحى من القضايا التي لا يجوز إنكارها .

٤- ومن الأدلة أنَّ لوائح أسماء الأساقفة الذين تعاقبوا على كرسي رومة ، وقد عني الآباء بضبطها كلها تبتديء من بطرس ، مما يدل على أنَّ الذين أتوا بعده هم خلفاؤه ، ولذلك كان يسمى كرسي رومة كرسي بطرس [4] .

وهذا الحق الذي يدعيه البابا كفلته المجامع المسكونية ، ومن قراراتها في ذلك :

---

[1] تفسير الكاب المقدس : (٥٤٩/٢) .

[2] الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة: ١٨ ، ص:٦٩ .

[3] رسالة بطرس الأولى : (١٣/٥) .

[4] انظر : الكنيسة أو ملكة المسيح ، لخليل أدَّه اليسوعي ، ص : (١٠٠-١٠٥) .

١- جاء في تقرير كونه خليفة بطرس : « هذه الكنيسة المؤسسة والمنظمة كمجتمع في هذا العالم هي الكنيسة الكاثوليكية يسوسها خليفة بطرس ، والأساقفة المتحدون معه بالشركة »[(1)] .

٢- وجاء في تقرير كونه نائب المسيح عليه السلام ، ورئيس الكنيسة جمعاء : « وإذ يكمل المجمع ما بدأ به ، يريد أن يعلن أمام الجميع ، وأن يفسر التعليم المختص بالأساقفة خلفاء الرسل الذين يسوسون بيت الله الحي مع خليفة بطرس ، نائب المسيح ، والرأس المنظور للكنيسة كلها[(2)] » .

ويرى بعض النصارى أنَّ خلافة اساقفة روما لبطرس تثبت كما يلي :

١- من إقرار المجامع المسكونية ، واعتراف الآباء والمؤرخين ، وطقوس الكنائس الشرقية ، ومؤرخوا الإسلام (هكذا يرون !) .

٢- تنفيذ الأحبار سلطتهم في الكنيسة جمعاء ، دون معارض .

٣- استغاثة البطاركة ، والأساقفة ،وبعض المؤمنين بهم،وهم لم يلتجؤا إلى أحد قط .

٤- رئاستهم للمجامع المسكونية .

٥- لم يجسر أحد أن يتقدم عليهم ، ويسمي نفسه أسقف روما وخليفة بطرس .

٦- جمود الكنائس الباقية ، وتأخرها .

٧- ازدهار الكنيسة الكاثوليكية[(3)].

وقد حل للبابا بهذا الحق – حق النيابة عن الرب ورئاسة الكنيسة – جميع السلطات على اتباعه .

المطلب الثالث : دعوى عصمة البابا:

يعتقد النصارى – الكاثوليك – بعصمة البابا ، ومعنى ذلك أنَّ : « البابا ، يحفظ ، بصفته مسئولاً عن خدمة المشاركة ، بين جميع الكنائس ، من كل ضلال ، بفضل عون

---

(1) الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة: ٨ ، ص: ٥٢ .

(2) المصدر نفسه ، فقرة : ١٨ ، ص: ٦٩ .

(3) انظر : هم ونحن ، دراسات مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات ، ص : (٢٥٦-٢٥٧)-

الروح القدس ، حين يعلن ، بعمل نهائي تعليماً يختص بالإيمان أو الأخلاق ، ويلزم جميع الكنائس معاً لتبقى شهادتها واحدة » [1] .

وهذه العقيدة من أخطر العقائد الكاثوليكية ، وأكثرها غلواً ؛ فهي تتيح للبابا أن يقول ما يشاء ، ويفعل ما يشاء ، بل ويحكم بما يشاء ، ويكون ذلك كله ديناً يجب التزامه ، بكل خضوع ورضا لتعليم الحبر الروماني الأصيل ![2] .

و لم تظهر إلا في المجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٦٩م في عهد بيوس التاسع [3] ، وقد أعلن أنَّ البابا بيوس التاسع مع كل من خلفه ومن سيخلفه معصومون من الغلط .

وقد أدهش إعلان هذا القرار العالم "المتمدن" ، وأبى كثير من الكهنة المصادقة عليه ، منهم الآب غرانزي الذي أثبت بالشواهد التاريخية "هرطقة" [4] بعض الباباوات ، وهذه العقيدة كانت بمثابة فتح باب " الشماتة " من قبل أعداء هذه الطائفة ، ومقدمة لسقوط البابوية الرومانية من عليائها الذي كانت تتمتع به . وقد أعلنت في : ١٨٧٠/٧/١٨م ، كما يلي : « نُعلِم ونُعلن ، كعقيدة أوحى بها الله : حين يتكلم الحبر الروماني رسمياً ، أي حين يقوم بوظيفته كراعي جميع المسيحيين ومعلمهم ، فيحدد بحكم سلطته الرسولية ، أنَّ تعليماً في الإيمان أو الأخلاق يجب على الكنيسة كلها أن تؤمن به ، فإنَّه يتمتع ، بعون الله الموعود به في شخص القديس بطرس ، بتلك العصمة عن الخطأ ، التي شاء الفادي الإلهيّ أن توفر لكنيسته ، حين تحدد التعليم في الإيمان والأخلاق . وبناءً على ذلك ، فإنَّ هذه التحديدات التي يعلنها الحبر الروماني هي غير قابلة للتعديل في حد ذاتها ، لا بحكم موافقة الكنيسة . إن أعتد أحد بنفسه ، معاذ الله ، ونقض تحديدنا ، فليكن مبسلاً » [5] .

---

[1] انظر : معجم الإيمان المسيحي ، للآب : صبحي حموي اليسوعي ، ص: ٣٢٨ ، مادة : عصمة ،اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ، سليم بسترس : (٢/٢٥٢-٢٥٣) .

[2] انظر : الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، عنوان:دستور عقائدي في الكنيسة،فقرة:٢٥،ص:٨٢

[3] اسمه جيوفاني – ماريا ماستاي – فيرتي ، وقد تمتع بأطول فترة على كرسي البابوية (من عام : ١٨٤٦-١٨٧٨م) ، واتسمت فترة بابويته بأحداث كبرى ، منها : زوال سلطان الباباوات الزمني ، وانتشار مملكة إيطاليا ، وانتشار الإمبراطورية الألمانية ، إضافة إلى صدور قرار عصمة البابا . انظر : معجم الباباوات ، لخوان داثيو ، ص:٣١٧ .

[4] ضد الرأي المستقيم ، ويراد بها من لا يوافق على صيغة الإيمان . انظر : معجم الإيمان المسيحي ، ص:٥٢٥ .

[5] الإيمان الكاثوليكي ، للآب : جرفيه دوميج اليسوعي ، ص: ٢٥٤ ، وانظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، للآب جان كمبي ، ص: ٣١٤ ، وقد ذكر صيغة قريبة منها .

استدلال الكاثوليك على هذه العقيدة :

ليس للكاثوليك دليل معتبر يمكن الاستناد إليه في إثبات هذه العقيدة ، بل إنَّ مصطلح "العصمة" لم ترد في أسفار العهد الجديد مطلقاً ؛ ولذلك نجد أنَّ علمائهم يتكلفون في الاستدلال عليها ، ومنهم الأب "خليل أدّة اليسوعي" وله في إثباتها عدة مسالك ، هي :

المسلك الأول : عصمة البابا من خلال إثبات عصمة الكنيسة .

المسلك الثاني: شهادة الآباء .

المسلك الثالث : شهادة المجامع .

المسلك الرابع : شهادة التاريخ .

المسلك الأول : إثبات عصمة البابا من خلال إثبات عصمة الكنيسة نفسها :

يقرر الكاتب هذا المسلك كما يلي : أنَّ الكنيسة عبارة عن هيئة حاكمة مكلفة بتعليم الشعب النصراني ، ما أوحاه الرب ، وهذه الهيئة الحاكمة لها صورتان :

الصورة الأولى : مجمع الأساقفة الذي يرأسه الحبر الروماني .

الصورة الثانية : مجمع مسكوني يرأسه البابا أو نائبه .

وفي الحالتين يمكن أن يقال أنَّ الرب قد أعطى هذه الهيئة ميزة خصوصية ، وهي العصمة من الغلط فيما إذا علَّمت أو حددت قضايا الإيمان أو ما هو متعلق بالخلاص ، ثمَّ إذا تقررت عصمة الكنيسة ثبتت عصمة البابا بناءاً على ذلك .

وأما إثبات عصمة الكنيسة عندهم فمن خلال الأدلة التالية :

الدليل الأول : ما ورد عند متى : « أبواب الجحيم لن تقوى عليها » [1] .

وهذا وعد من الرب بأنَّ أبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وهذا الوعد لن يكون باطلاً ، وعليه ، فلا يمكن أن يكون معتقد الكنيسة باطلاً ، وينتج عن ذلك أنَّ إجماع الشعب على قضية أنَّها من الإيمان دليل على صحتها ، وهذا يعني عصمة البابا لأنَّه إذا كان المتعلمون معصومين فمن باب أولى عصمة المعلمين .

الدليل الثاني : أنَّ الرب قد وعد (الرسل) وخلفاؤهم بأن يعطيهم الروح القدس ، وأن يقيم معهم إلى الأبد ويعلمهم كل شيء: « وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزِّياً آخر ليقيم

---

(1) متى : (١٨/١٦)

معكم الأبد روح الحق هو يعلّمكم كل شيء ، ويذكركم كل ما فعلت لكـــم » [1] . وإذا كان الروح القدس مع هذه الهيئة فكيف يمكن أن تغلط ؟ .

الدليل الثالث : أنَّ الرب أعطى المجمع برئاسة بطرس ، والأساقفة برئاسة البابا سلطان الحل والربط ، ووعد بتأييده ، ويشمل الرعاية ، والتعليم ، وإذا كان الرب يؤيد في السماء ما تعلّمه الكنيسة ، فلا يمكن أن يكون في تعليمها شيء من الضلال ؛ فهي إذاً معصومة .

الدليل الرابع : قول الرب عندما كلف (الرسل) بالرسالة : « وها أنا معكـــم كـــل الأيام إلى منتهى الدهر » [2] . دليل على العصمة ؛ لأنه وعد الرسل وخلفاؤهم أن يكـــون معهم ، وهم يعلّمون ويعمِّدون ويتلمذون الأمم إلى المنتهى .

الدليل الخامس : تثبت عصمة البابا من عصمة المجامع المقدسة – وهي الصورة الثانية للهيئة الحاكمة – ، ومما يدل على عصمتها الأمور التالية :

١- أنَّ أثناسيوس سمى قرارات مجمع نيقية "كلمة الله" ، كما في رســالته إلى أهــل أفريقيا : « إنَّ كلمة الله نطق بها المجمع المسكوني النيقاوي ، وهي باقية إلى الأبد » [3] .

٢- كتب "مار لاون الكبير" [4] : في رسالة له ، وهو يحرِّم إعادة النظر فيما قررتـه المجامع المسكونية ، لأنَّ الله هو الذي يثبتها [5] .

المسلك الثاني : شهادة الآباء :

تدل شهادة الآباء على عصمة البابا ، ومن أهم شهاداتهم على ذلك ما يلي :

١- شهادة مارأغناطيوس [6] ، حيث كان يمدح كنيسة روما ، ويذكر سلطتها علــى الكنيسة الجامعة ، وأنَّها "معلمة باقي الكنائس" ، ويريد أن تبقى الأشياء التي أمرت بهـا في

---

[1] يوحنا : (١٤/١٦-٢٦) .

[2] متى (٢٤/٢٠-٢١) .

[3] مجموعة "مين" للآباء اللاتين ، نقلاً عن الكنيسة أو مملكة الله على الأرض ، خليل أدّة اليسوعي ، ص :١٥٢ .

[4] يُعد منقذ الغرب ضد هجمات البربر ، تولى البابوية في الفترة (٤٤٠-٤٦١) ، و أعلن اتحاد اللاهوت بالناســوت في مجمع خلقدونية ، وكان سياسياً محنكاً ، مات عام ٤٦١م . انظر:معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص:٣٠-٣٣ .

[5] مجموعة " مين " للآباء اللاتين ، نقلاً عن الكنيسة أو مملكة الله على الأرض ، خليل أدّة اليسوعي ، ص :١٥٢ .

[6] يعده النصارى خليفة بطرس على كرسي أنطاكية ، سوري الأصل ، ولد عام ٣٥ ب م ،وحُكِم عليــه بالإعــدام وأُرسل إلى روما حوالي سنة ١٠٧م . انظر : تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ، المطران كيرلس سليم بسترس وزملاءه ، ص:١٣٨ ، آباء الكنيسة ، أسد رستم ، ص:٢٣-٢٤ .

تعليمها تامة ، وهذا لا يكون لولا اعتقاده،ومعاصروه أنَّ هذا التعليم لا يشوبه شـــيء مـــن الضلال .

٢- شهادة مار إيرناوس [١] ، وأنَّه كان يفحم ذوي "الهرطقات" في عصره ، ويحيلهم إلى تعليم كنيسة روما ، التي يجب ضرورة بسبب سلطتها الرئيسية أن تشترك معهـــا كـــل كنيسة في أي بلد كانت ، وأنَّه قد حُفظ فيها تعليم (الرسل) بلا انقطاع .

المسلك الثالث : شهادة المجامع المسكونية :

فالقرارات الصادرة عن تلك المجامع تبين أنَّ الكنيسة تعتقد بعصمة البابا ، وتعمل بهذا الاعتقاد ، ومما يدل على ذلك أنّ المجمع المسكوني الثالث اكتفى بـــأن يشـــهرحكم البابـــا "شلستينس" [٢] ضد نسطورس ، واكتفى المجمع المسكوني الرابع بأن يشهر حكـــم البابـــا مارلاون ضد اوطيخا[٣] وديوسقورس [٤]، وقد كان ذلك بأمر هذين الحبرين (الرومانيين) ، وقد منعا الآباء أن يبحثوا في المسائل ، ويكتفوا بالتنفيذ فقط ، فأطاع الآباء عن طيب خاطر ، ولو لم يكونوا يعتبرون باباوات روما معصومة من الغلط في الإيمان لم يكتفـــوا بـــإعلان تحديداتهم ، واعتبارها قاعدة الإيمان .

المسلك الثالث : شهادة التاريخ :

يقرر الكاتب هذا المسلك كما يلي :

١- اختلف على كرسي ماربطرس في حوالي ١٩٠٠ سنة ، وحتى عهد بيوس الحادي عشر[٥] ٢٨٢ بابا ، دبروا الكنيسة الجامعة ، في ظروف متنوعة ، ومع ذلك لا يوجد بينهم

---

[١] ايرينايوس ، ولد في أزمير من أعمال آسيا ما بين السنة ١٤٠ والسنة ١٦٠م ، غادر آسيا واستقر في ليـــون ، لـــه مصنفات منها "كشف الغنوسية الباطلة الكاذبة ودحضها" . انظر : آباء الكنيسة ، أسد رستم ، ص: ٩٦ .

[٢] لم اقف له على ترجمة .

[٣] عاش في القرن الخامس ، وكان رئيس دير في القسطنطينية ، وخلاصة رأيه أنَّ الكلمة ليس له بعد التجسد ســـوى طبيعة واحدة ، هي الطبيعة الإلهية ، وقد أعلن مجمع خلقدونية مذهب الطبيعتين رداً عليه . انظـــر : تـــاريخ الفكـــر المسيحي ، المطران كيرلس سليم بسترس وزملاءه ، ص:٤٤٦، ٧٥٩ .

[٤] كان أسقفاً على الإسكندرية ، وكان على رأس وفد مجمع أفسس الذي قرر مذهب الطبيعة الواحـــدة . انظـــر : المصدر نفسه ، ص: ٧٥٩ .

[٥] اسمه أكيللي راتّي ولد عام ١٨٥٧م ، وتولى البابوية في الفترة (١٩٢٢-١٩٣٩) ، توفي في الفاتيكان عام ١٩٣٩ . انظر : معجم البابوات ، خوان داثيو ، ص: ٣٤٧-٣٥٠ .

احد علَّم تعليما مغايراً للوحي الإلهي أو الحقائق التي لها علاقة به ، وهذه أعجوبة من أعظم العجائب ، وهي وحدها شاهدكافٍ على المساعدة التي وعد بها الرب بطرس وخلفاؤه .

٢- يتضح ذلك إذا قابلت حال كرسي روما بباقي الكنائس الشرقية . فمثلاً كرسي القسطنطينية قد جلس عليه في ٥٠٠ سنة أكثر من عشرين أسقفاً حرموا بسبب هرطقتهم ، وفي مدة ١٩٠٠ سنة لم يخرج قط عن الكنيسة الجامعة أسقف من أساقفة روما مع ما طـــرأ عليها من الاضطرابات والانقلابات السياسية .

المطلب الرابع : دعوى أنَّ البابا له سلطة التشريع :

أصل هذه الدعوى – عند النصارى – أنَّ الرب قد منح سلطانه للكنيســـة قبـــل أن يصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه [(١)] . ويعتمدون فييها على النص المشهور في إنجيـــل متى : « أنت بطرس ... فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً ، وكل ما تحله علـــى الأرض يكون محلولاً في السماوات .. » [(٢)] .

ويقرر النصارى أنَّ هذه القدرة "قدرة الحل والربط" ، قد انحدرت بـــالتوارث مـــن بطرس إلى الباباوات ، فهم الورثة الشرعيون لها ، وهذه القدرة تعني – تماماً – أن لهم حق التشريع ، بالتحليل والتحريم .

وبناءاً على هذا الحق فقد أصبحت السلطة في إصدار القرارات ، وتحديد المعتقـــدات والأحكام راجعة إلى البابا ، وأصبح حكمه في ذلك قطعياً ، كما قررته المجامع النصـــرانية ، ومنها المجمع الفاتيكاني الثاني ، و فيه : « وعليهم (أي الباباوات) واجب أمام الـــرب في أن يسنوا شرائع لمرؤسيهم ، ويصدروا الأحكام ، وينظموا كل ما يتعلق بالعبادة والرســـالة إذ الروح القدس يحفظ على الدوام شكل الحكم الذي وضعه السيد المسيح في الكنيسة » [(٣)] .

ولقد كان لهذه الدعوي آثار بالغة الخطورة ؛ فقد تناول الباباوات ، من خلال تلـــك السلطة المبتدعة ما بقي من معالم الدين الصحيح بالتغير والتبديل ، والتحليل والتحريم ، وفقاً

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، أ .د محمود مزروعة ، ص:٥٥ .

(٢) متى : (١٨/١٦) .

(٣) الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، عنوان : دستور عقائدي في الكنيسة ، فقرة : ٢٧ ،ص:٨٧ .

لأهوائهم ، واتباعاً لشهواتهم ، وتحقيقاً لمصالحهم الدنيوية العاجلة ، وكان من نتائج ذلك إقرار الشرك ، وجعله ديناً ، وابتداع البدع ، وإباحة ما حرمته التوراة ، ومن ذلك :

١- إباحة عبادة الصور والتماثيل :

فقد كانت عبادة الصور والتماثيل مما جاءت التوراة بتحريمه أشد التحريم ، وعدّه من بقايا الوثنية ، ولكن البابوات أباحوها للناس ، وأصبحت معبودات يُسجد لها ، ويطلب منها المعجزات ، وانتشرت الصور والتماثيل في كل مكان .

يتحدث ديورانت عن هذا التغيير قائلاً :« ولقد نهى العهد القديم في صراحة تامة(الآية الخامسة عشرة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية) المؤمنين أن يضعوا تمثالاً منحوتاً صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى ، شبه بهيمة مما على الأرض وكانت الكنيسة في أول أمرها تكره الصور والتماثيل ، وتعدها من بقايا الوثنية وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثني الذي يهدف إلى تمثيل الآلهة.ولكنَّ انتصار المسيحية في عهد قسطنطين ، وما كان للبيئة والتقاليد ، والتماثيل اليونانية من أثر في القسطنطينية ، والشرق الهلنستي ، كل هذا خفف من حدة مقاومة تلك الآثار الوثنية » (1) .

٢- إباحة الموسيقى وغناء النساء في الكنيسة :

كان الغناء بالنسبة للنساء محرماً في الكنيسة ، بل وفي كل مكان ؛ لما في أصواتهن من إثارة للرجل ، ولكن البابوات أحلوا ذلك ، وأصبح غنائهن من أجمل الزينات ، وأرقى الوسائل في خدمة الدين النصراني .

يتحدث ديورانت عن هذا التطور قائلاً : « وكان كثير من رجال الدين يعارضون في أن تغني النساء في الكنيسة ، بل كانوا يعارضون في أن يغنين في أي مكان عام ؛ لأنَّ صوت النساء قد يثير رغبة دنسة في الرجل القابل للتهييج على الدوام . لكنَّ المجتمعين في الكنائس كثيراً ما كانوا يعبرون بترانيمهم عن أملهم ، وشكرهم ، وبهجتهم ، وأضحت الموسيقى على توالي الأيام أجمل الزينات ، وأرقي الوسائل لخدمة الدين (المسيحي) (2) .

---

(1) قصة الحضارة : (١٥٧/١٤-١٥٨) .

(2) المصدر نفسه : (٢٨٧/١١) .

وهكذا نرى من خلال المثالين السابقين كيف أحل رجال الدين هذه المحرمات ، حتى أصبحت جزءاً من الدين ، وإن كان النص لا يصرح بالدور الحقيقي للباباوات ، إلا أنَّ من المقطوع به أن هذه الأمور لم تحل إلا من قبلهم ، لأنَّهم أصحاب السلطة التشريعية ، ويلاحظ مدى تقبل الشعب النصراني لكل ما يقرره رجال دينه دون تمحيص ، وهذا يدل على جهلهم وسذاجتهم وتقليدهم لآبائهم على غير هدى .

٣- تحريم قراءة الإنجيل أو تفسيره بغير إذن الكنيسة :

حجرت الكنيسة على أتباعها حقهم في قراءة ما يسمى بالكتاب المقدس ، وجعلت قراءته حكراً على رجال الدين أنفسهم . فمع بداية القرن الثالث عشر الميلادي منعت الكنيسة أتباعها من قراءة الإنجيل إلا بترخيص من الكنيسة ، وأوجبت عليهم أن يقبلوا عقائد الكنيسة ، التي هي تعابير عن الحقائق الموحى بها [١] .

وقد جاء في تقرير ذلك: « فكل هذا الذي يتعلق بشرح الكتاب يخضع أخيراً لحكم الكنيسة التي كلفت بمهمة حفظ كلمة الله وشرحها بانتداب من الله » [٢] .

وتحريم الكنيسة على أتباعها حق قراءة كتابهم المقدس لا يعود إلى ما تعلنه من الأسباب ، ولكنَّه يعود إلى أمر آخر تحرص الكنيسة على إخفائه ، هو أن هذا الكتاب فيه من الحقائق الدينية والعلمية [٣] ، وغيرهما ، ما يكشف كذب رجال الدين في كثير مما يدَّعون ، ويثبت ابتداعهم لكثير من الطقوس والأسرار ، والعقائد التي يدعون الناس إلى إتباعها ، فتحريمهم من اطلاع الشعب عليه يهدف إلى المحافظة على صورهم "المقدسة" عند أتباعهم ، لضمان بقائهم كوسطاء بينهم وبين الرب ، ولذا كانت بداية انتشار الإنجيل في أواخر القرون الوسطى واطلاع الشعوب النصرانية عليه البداية الحقيقية لسقوط السلطة البابوية .

المطلب الخامس : دعوى مغفرة الذنوب :

سأتحدث عن الصورة الغالية التي وصلت إليها قضية الاعتراف ، وهي قدرة الباباوات على مغفرة الذنوب ، التي بلغت حد إصدار ما يسمى بصكوك الغفران ، التي أصبحت مهزلة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من نوعها .

---

[١] انظر : موجز تاريخ الأديان ، فليسيان شالي ، ص:٥٩ .

[٢] الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، عنوان : دستور عقائدي ، فقرة : ١٢ ، ص: ١٧٢ .

[٣] سيأتي تفصيل لذلك عند ذكر طغيان الكنيسة ضد العلم .

أصل هذه الدعوى :

لا يوجد في أسفار النصارى أي نص صريح يخوِّل البابا مثل هذا الحق ، الذي يختص به الله تعالى ، وحاصل محاولات النصارى في إثبات ذلك تعود إلى دليلين :

الدليل الأول : هو الدليل الذي سبقت الإشارة إليه في الصورة السابقة وهو النص الوارد في متى : « فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات ، وما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات » [1] .

والدليل الثاني : ما ورد في إنجيل يوحنا ،: « فقال لهم يسوع أيضاً : سلام لكم ! كما أرسلني الآب أرسلكم أنا . ولمَّا قال لهم هذا نفخ وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » [2] .

والنصارى يستدلون كما في هذين النصين بما يسمى سلطان الحل والربط ، وهم يستدلون به على قدرة الباباوات على مغفرة الذنوب تماماً كما يستدلون به على سلطتهم في التحليل والتحريم ، ويرون أنَّ الباباوات – لأنَّهم نواب المسيح وخلفاء الرسل – قد توارثوا هذا السلطان إلى منتهى الدهر .

فلسفة صكوك الغفران :

كل مذنب يحتاج إلى التوبة ، للتكفير عن ذنوبه ، وهذا الأمر البسيط في فهمه ، قد تعرض للتغيير والتطوير على أيدي الباباوات حتى أصبح مفهوماً معقداً في عرف الكنيسة ، وأصبحت مغفرة الذنب تنال بصك – ولو من غير توبة من صاحب الذنب – يصدره البابا ، ويختم عليه بختمه ، ويعطيه للمذنب مقابل دراهم معلومة ، فما أن ترنَّ الدراهم في صندوق بائع الصكوك ، إلا وقد غفر للمذنب ، وربما تعين مقعده من الجنة ، ثمَّ ليفعل بعد ذلك ما يشاء ، فليس عليه مثقال ذرة من الحرج بعدما نال تلك النعمة!. ولقد كانت هذه الصكوك مهزلة مثيرة للسخرية لدى الكثيرين من العقلاء ، ولكنَّ عقول الباباوات لم تعجز عن إيجاد التفسير المنطقي – في نظرها – لهذه الفكرة فقالت للناس : إنَّ للمسيح ، ومريم العذراء ، والقديسين من الفضائل ما هو أكثر من اللازم لخلاصهم ، ولهم من الأعمال أكثر

---

[1] متى : (١٦/١٨) .

[2] يوحنا : (٢٠/٢١-٢٣) .

مما يحتاجون ، وبمعنى آخر : فإنَّ البركة التي تجمعت من آلام المسيح ، وكذلك القدِّيسين جعلت لهم من الحسنات ما يزيد على حاجتهم . ومن هذه الفضائل ، والأعمال ، والبركات تحصَّل رصيد عظيم ، وإنَّ البابا هو الذي يملك مفتاح هذا "الكنز" ، ومنه يهب الغفران للمذنبين من الأحياء ، وحتى الأموات الذين هم في المطهر ، فيمكن لأقاربهم أن يشتروا صكوك الغفران ليفرجوا عنهم [1] .

وكان بروز هذه البدعة في أواخر القرن الحادي عشر ، وتحديداً عام ١٠٩٥م ، في المجمع الذي عقده البابا أوربان الثاني [2] في مدينة "كليرمونت" في الجلسة السادسة من جلسات المجمع ، التي خصصت للحديث عن الحروب الصليبية ، حيث قام أوربان واعتلى منبراً عالياً وألقى على الجماهير خطبة حماسية طويلة استثار فيها عواطف شعبه ، وأعلن في ختماها تحليلاً ، وغفراناً لجميع الخطايا ، وذلك بدون توبة لكل من يحمل السلاح في تلك الحرب المقدسة ، بل وعد بالحياة الأبدية لكل من يقابل "الموت المجيد" في الأرض "المقدسة" أو في طريقه إليها ، ومن طريف ما قال : إنَّه يجب أن يبقى في الكنيسة لحاجتها إليه ، ولكن إذا سمحت الظروف فسوف يلحق بهم ، ولكنَّه سيبقى منشغلاً لأجلهم . وقال بعض المؤرخين (لم يحدده الناقل) إنَّه لم توجد خطبة في التاريخ عملت مثلما عملت خطبة أوربان الثاني وأنتجت ما أنتجته من الآثار على المدى البعيد [3] .

ثمَّ أصبحت صكوك الغفران تمنح في أعمال أقل من ذلك ، فأصبحت تعطى لمن يتلون أدعية معينة ، أو يؤدون خدمات دينية خاصة ، أو القيام بإنشاء القناطر ، والطرق ، وبناء الكنائس والمستشفيات ، وغيرها من الأعمال . وكان هذا الامتياز محفوظاً للبابا وحده ، وفي استطاعته أن يهبه للأساقفة في أبرشياتهم ، وكانت صلاحية البابا تشمل جميع الرعايا. وفي عام ١٢١٥م قرر المجمع المسكوني الثاني عشر ، أنَّ الكنيسة تملك حق الغفران ، وأوصى باستخدامه في داخل الكنيسة باعتدال ، وجاء في القرار :« أنهى المجمع تعليمه فيما يتعلق

---

[1] انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص : ٣٠١-٣٠٢ ، وقصة الحضارة ، ويل ديورانت : (١٧/١٦) ، وتاريخ الكنيسة للقس د : جون لوريمر : (٣٨/٤) .

[2] تولى عرش البابوية بين عامي (١٠٨٨-١٠٩٩) ، وارتبط اسمه بالحملة الصليبية الأولى ، مات بعد أسبوعين من دخول غودفروا القدس منتصراً ، ودفن في رومة . انظر : معجم البابوات ، خوان دائيو ، ص:٩٨-١٠٠ .

[3] انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص:٢٥٩ .

بالغفران فقال : إنَّ يسوع المسيح لَّما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات ، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى ، قد أعلم المجمع المقدس ، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية ، للشعب المسيحي المثبتة بسلطان المجامع » [(١)] .

وهذا النص يبين أنَّ الكنيسة وضعت شيئاً من الضوابط لهذه الصكوك ، مثل أن يكون داخل الكنيسة ، وأن يستخدم باعتدال ، ولكنَّ جشع الباباوات في الحصول على المال حملهم على أن تغافلوا حتى عن قرارات الكنيسة نفسها ، ورأوا أن ذلك الاستخدام "المعتدل" ، والمحفوظ داخل الكنيسة يقف عائقاً دون تحقيق مطامعهم الدنيوية ، فأخرجوا تلك الصكوك عن إطار الكنيسة ، وأصبحت أوربا كلها سوقاً رائجة لتلك التجارة التي أمدت خزينتها بأوفر الأموال ، وأصبح استخدام صكوكها في متناول من يملك دفع المال .

وكانت صيغة الصك المعتمدة من الكنيسة كما يلي : « ألا فليرحمك الرب يسوع المسيح ، ويغفر لك بفضل ما لقي من آلام مقدسة ، وأنا (أي بائع الصكوك) بتفويض منه ، ومن رسوليه المباركين بطرس وبولس ، ومن البابا المقدس منح لي وعهد به إليَّ في هذه الأجزاء أن أحلك أولاً من كل لوم ديني مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها ، ثمَّ من كل خطاياك ، ومن كل تجاوز للحدود ، وكل إفراط في الملذات مهما بلغت من الجسامة ، بل حتى من أي إثمَّ تحتفظ بتقريره وإدراكه السدة البابوية ، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدسة أعفيك من كل عقاب تستحقه في المطهر بسبب هذه الآثام ، واعيدك إلى القربان المقدس للكنيسة ، وإلى البراءة والطهر الذين حزهما في العماد ، ولهذا فإنَّك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب ، وتفتح لك أبواب جنة النعيم ، وإذا لم تمت الآن فإنَّ هذا الفضل سوف يظل في أوج قوته عندما تصبح على وشك الموت باسم الأب ، والابن ، والروح القدس » [(٢)] .

وبعد صدور هذا الصك خرجت مراكب الرهبان تحمل الآلف من هذه الصكوك ليس فقط خارج الكنيسة ، وإنما خارج روما كلها ، وتوجهت إلى كل مكان تطأه أقدامهم

[(١)] تاريخ الكنيسة ، نقلاً عن محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ، ص:١٥٧ .

[(٢)] قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٥/٢٤)

ليعودوا إلى خزينة الكنيسة بأوفر الأموال ٠ وقد كان القرن السادس عشر هو المسرح الذي شهد أحداث تلك المهزلة ٠ ففي بداية هذا القرن ، وفي عام ١٥١٣م على وجه التحديد ، وجد البابا ليوالعاشر[1] أنَّ أكبر مشكلة تواجهه هي كيفية الحصول على الأموال اللازمة لتتميم بناء وزخرفة كاتدرائية "القديس" بطرس ، وتوفير النفقات اللازمة للبلاط البابوي ، حتى استقر رأي الكنيسة على وجوب تخفيض أسعار هذه الصكوك ، وتعيين عدد من الباعة المهرة لنشر هذه التجارة في كل أنحاء أوربا ، وقام هؤلاء الباعة يجوبون الأقاليم والبلدان مؤكدين للناس أنَّه قد أصبح بإمكانهم الآن غفران خطاياهم ، وخلاص نفوسهم بأسعار مخفضة جداً ، وبدون توبة ، وكان الرهبان والراهبات يستقبلونهم حاملين الطبول والرايات ويسيرون على دقات الطبول وأنغام الموسيقى ، وأصبحت الكنائس صالات للبيع ، حيث تعلق شارات البابا على رأس الصليب الكبير الأحمر ، ويوضع بجانب المذبح في الكنيسة ، ويقوم التاجر العظيم (مندوب البابا) ليعلن قيمة الصك ، ومدي تأثيره وفاعليته في محو الذنوب والآثام ٠

الدوافع الحقيقية لهذا الصك :

كانت أهم الدوافع لإصدار تلك الصكوك وبيعها دافعان :

الدافع الأول : الدافع المادي : وهو جمع الأموال لزيادة نفوذ الكنيسة ، وهذا ما تؤكده شهادات المؤرخين ومنها :

١- ما ذكره المؤرخ أندروملر من أنَّ البابا ليو العاشر كان هدفه جمع المال ، وأنَّه استخدم هذه الوسيلة لتحقيق ذلك الهدف [2] ٠

٢- المؤرخ النصراني القس جون لوريمر اعتبر أنَّ صكوك الغفران أحد المشروعات العديدة المدرة للمال التي اخترعتها كنيسة العصر الوسيط [3] ٠

الدافع الثاني : الدافع السياسي : وهذا واضح من استخدام البابا أوربان الثاني لهذه الوسيلة لدفع شعبه إلى الحروب "المقدسة" ، وهي الحروب الصليبية ، التي لم تكن هي أيضاً

---

[1] اسمه يوحنّا مديتشي ، تولى البابوية بين عامي (١٥١٣-١٥٢١) وكان عمره ثمانية وعشرون عاماً ، وفي عهده ارتفع صوت المصلح لوثر في ألمانيا ٠ انظر: معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص:١٩٤-١٩٨ ٠

[2] مختصر تاريخ الكنيسة ، ص:٣٠٣ ٠

[3] تاريخ الكنيسة : (٣٨/٢) ٠

إلا وسيلة لزيادة نفوذ السلطة البابوية على السلطة الزمنية ، بدليل اقتران دعوة البابا أوربان إلى الغفران مع تحريمه على رجال الإكليروس من أن يقسموا يمين الولاء لأي سلطة زمنية ، وكان المقصود من هذا التحريم إنهاء كل اعتماد للكنيسة على السلطة الزمنية [1] .

ويظهر مما سبق أن الدافع الديني لم يكن له أي وجود حقيقي ، وإن كان هو المعلن ؛ فلم يكن الغرض الحقيقي هو تحقيق المغفرة للمذنبين ، بل وربما لم يخطر هذا المعنى على عقول أصحاب تلك التجارة ، وقد كانت هذه المهزلة بوابة الإغراق في الشهوات والسقوط في مستنقع الرذيلة .

المطلب السادس : حق التحلة :

وهذه الصورة لم أجد من أشار إليها - فيما توفر لدي من المصادر – إلا المؤرخ الأمريكي ويلز ، حيث قال عن هذه العقيدة : « وثمة دعوى أخرى أدعتها الكنيسة كانت هي أيضاً أكثر سرفاً وبعداً عن الحكمة هي قولها بأن لها "حق التحلّة" . ومعنى ذلك أنَّ البابا كان يستطيع في كثير من الأحيان أن يهمل قوانين الكنيسة في حالات فردية خاصة ؛ فهو قد يأذن لأبناء العم ، وأبناء الخال أن يتزاوجوا ؛ وقد يسمح لرجل بأن تكون له زوجتان ، أو يحل أي إنسان من نذره ، ولكن إتيان مثل هذه الأمور ينطوي على اعتراف بأنَّ القوانين التي تتصل بها ليست قائمة على أسس من الضرورة اللازمة والصلاح الفطري ، وأنَّها في الواقع إنما تنطوي على التضييق والمضايقة » [2] .

وخلاصة هذه الصورة – كما يدل النص المذكور – أنَّه يحق للبابا أن يحل بعض الأمور المحرمة بموجب القوانين الكنسية لبعض الأفراد ، وهذه الصورة راجعة إلى ما سبقت الإشارة إليه من دعوى سلطة البابا في التشريع من حيث العموم ، وتختلف عنها في خصوصيتها بأفراد معيين ، بحيث يحل لهم البابا ما هو محرم على غيرهم في نفس الأمر ، وليس من فرق – فيما يظهر لي – بين من يحل له الحكم ، ومن يحرم عليه إلا مجرد اختيار البابا واستثنائه بناء على هواه ورؤيته الشخصية .

---

[1] انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر، ص:٢٥٩ .

[2] معالم تاريخ الإنسانية : (٨٩٦/٣) .

المبحث الثالث

نقد تقديس البابا

وفيه خمسة مطالب

- المطلب الأول: نقد دعوة أن بطرس نائب الرب ووارث سلطانه ورئيس الكنيسة
- المطلب الثاني: نقد دعوى أن البابا الروماني هو نائب الرب والوارث لسلطانه ورئيس الكنيسة المنظور
- المطلب الثالث: نقد عصمة البابا
- المطلب الرابع: نقد دعوى أن البابا له سلطة التشريع
- المطلب الخامس: نقد دعوى أن البابا له سلطة مغفرة الذنوب

تحليل واستنتاج :

قبل المناقشة التفصيلية لصور التقديس التي سبق ذكرها أسجل الملاحظات التالية :

١- ذكرت فيما سبق ستة من أهم صور تقديس البابا ، وهي أهم ما وقفت عليه في باب التقديس ، ومن هذه الصور ما يختص به البابا دون غيره من رجال الدين ، وهي رئاسته المطلقة لكنيسة روما ، وعقيدة العصمة ، وعقيدة التحلّة ، وحق إصدار صكوك الغفران ، ومنها ما يشترك معه بقية رجال الدين في معنى الصفة ، لا في درجتها ، وهي سلطان التشريع والتحليل والتحريم ، وسلطان مغفرة الذنوب .

٢- بين هذه الصور ارتباط كبير ، وهي تشترك - على الأقل - في أمرين هامين :

الأول : أنَّها مشتملة على الشرك بالله تعالى ، ومنازعته فيما هو من خصائصه من الربوبية والألوهية .

والثاني : أنَّها ترجع إلى إلى أصل واحد ، هو أن الرب أعطى سلطانه للكنيسة ، ولهذين الاعتبارين جعلت مناقشة هذه الصور بعد عرضهما جميعاً .

٣- الصورة الأولى ليست من تقديس البابا نفسه ، ولكنَّها هي الأصل الذي قامت عليه الصور الأخرى وهي تتضمن عدة أمور سوف أفصلها عند نقد تلك الصورة .

وبناءً على هذا التحليل ؛ فسوف أقوم بمناقشة الصورة الأولى باعتبارها أساس بنيان التقديس ، وإذا سقط الأساس سقط البنيان بكامله ، ثم أتبع ذلك بمناقشة بقية الصور .

المطلب الأول : نقد دعوى أنَّ بطرس نائب الرب ووارث سلطانه ورئيس الكنيسة :

هذه الدعوى عند تحليلها تتضمن ثلاثة محاور ، وهي :

أ – أنَّ الرب منح سلطانه لبطرس.

ب – جعله نائبه ، وخليفته على مملكته .

ج – أنَّ بطرس رئيس "جماعة الرسل" ومؤسس كنيسة روما

المحور الأول : دعوى أنَّ الرب أعطى سلطانه لبطرس :

تقوم هذه الدعوى على أساس النص الوارد عند متى ، يوحنا ، وقد أوردهما عند تقرير هذه الصورة ، والنص الأول هو الأساس في ذلك ، ويمكن أن أوجه إليه ما يلي :

الوجه الأول : أنَّ هذا السلطان مبني على عقائد باطلة ، مثل ألوهية المسيح ، وبنوته لله ، وأن له ملكوت السماوات ، والعقيدتين الأوليين سبق أن بينت بطلانها بالتفصيل ، وأما الثالثة مما يختص به الله تعالى ، وهو راجع إلى ربوبيته – سبحانه – .

الوجه الثاني : أنَّ عيسى عليه السلام نفسه لا يملك هذا السلطان ؛ فهو بشر لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، بل هو مملوك لله تعالى ، وخاضع لسلطانه الذي يشمل كل شيء ، ومن كان فاقداً لهذا السلطان كان منحه ذلك لغيره من باب أولى .

الوجه الثالث : أنَّ هذا السلطان لا يعني غير إقرار الشرك بالله تعالى ، ومنازعته في ربوبيته وألوهيته وملكه ، فملك السموات ، وحق التحليل والتحريم ، ومغفرة الذنوب مما اختص الله تعالى به ، وإنما جاء عيسى عليه السلام لينقض الشرك لا ليقره ، وهذا الوجه مع الوجهين السابقين من أعظم الأدلة على الكذب في هذا النص .

الوجه الرابع : أنَّ عيسى عليه السلام - بحسب النص – قد منح ذلك السلطان لبطرس في مجمع من التلاميذ ، والمفترض أنَّهم جميعاً قد سمعوا ذلك ، وهذا النص – باعتبار ما قرره من سلطان –من أعظم النصوص على الإطلاق عند النصارى ، بل هو الذي تقوم عليه عقائدهم ، فكيف نقبل أنَّ نصاً بهذه المترلة ، وينتشر بمثل هذه الطريقة ، ثم يغفل عن ذكره أصحاب الأناجيل ، وأصحاب رسائل العهد الجديد ، ولا يظفر بروايته عن المسيح عليه السلام إلا شخص واحد هو متى ؟ ، بل يوحنا – وهو معدود عندهم من تلاميذ المسيح عليه السلام - لم يروه . وهذا من أكبر الأدلة على أن هذا النص مفترى على المسيح عليه السلام .

الوجه الخامس : جاء في النص ما ينقض هذ السلطان أشد المناقضة ، وهو وصف المسيح عليه السلام لبطرس ، وبعد العبارة الأولى بقليل بأنَّه شيطان ، ومعثرة ، ومنافق لا يهتم بما لله ، وجاء في نصوص أخرى الإخبار بإنكاره للمسيح عليه السلام ، مما يدل على خيانته ، والوصف الواحد من هذه الأوصاف يكفي لانتفاء أهلية بطرس لأنَّ يكون من تلاميذ المسيح

عليه السلام ، فضلاً عن أن ينال مثل ذلك السلطان "العظيم!" ، وبناءاً عليه ، فإنَّ وصف بطرس بأنَّه خائن المسيح أو عدوه أولى من وصفه بأنَّه الوارث لسلطانه! .

الوجه السادس : أنَّ من النصارى من فسر سلطان "الحل والربط" بأنَّه عزل النصراني عن الجماعة ، أو إعادته إليها ، وعليه فلا حجة للنصارى فيه على دعواهم .

الوجه السابع : هذا النص ليس محل اتفاق بين النصارى ، فبينما يثبته البعض يعارضه المنتقدون للكنيسة ، ويرون أنَّه من وضع أصحاب المصالح في الجيل الثالث أو الرابع ، وأنَّهم أقحموا تلك العبارات لتكون أساساً لما يسمى بالتقليد البطرسي [1] .

هذه أهم الأوجه التي تتعلق بهذا النص ، وأما النص الآخر الذي ورد عند يوحنا ، فليس فيه أي دلالة على السلطان الذي يذكره النصارى ، وغاية ما يمكن أن يستدل به – لو صح – هو فضيلة بطرس ، وقد بينت في الوجه الخامس من صفاته ما ينقض ذلك .

المحور الثاني : أنَّ الرب أقام بطرس نائباً له وخليفة على مملكته :

وهذه الدعوى لا دليل عليها في كتبهم ، ولا أقوال آبائهم ، ومستندها السلطان الممنوح لبطرس ، ، وقد أبطلت ذلك في المحور الأول .

المحور الثالث : أنَّ بطرس هو رئيس (جماعة الرسل)، ورئيس الكنيسة المنظور :

وهذه القضية مبنية على أساس أنَّ الرب خص بطرس دون غيره بمنحه سلطانه ، وتسليمه مفاتيح ملكوت السماوات ، ورعاية خرافه ، وسأناقشها من خلال أمرين :

الأول : رئاسته على بقية الرسل ، والثاني : رئاسة كنيسة روما بناءاً على ذلك .

أولاً : رئاسته على من يسمى بالرسل ، وهي منقوضة بعدة أوجه منها :

الوجه الأول : ما سبق من البيان عن صفات بطرس ، وأنَّه لا يستحق معها أن يكون تلميذاً من تلاميذ المسيح عليه السلام فضلاً عن تلك المترلة التي يدَّعيها النصارى .

الوجه الثاني : رئاسة بطرس على بقية من يسمى بالرسل ليست محل اتفاق بين النصارى أنفسهم ، فإنَّ الأرثوذكس ينازعون فيها ، وفي أصلها ، وهو وجود رئيس للكنيسة ؛ إذ أنَّهم يرون أنَّ الرئيس الأوحد للكنيسة هو المسيح عليه السلام [2] .

---

[1] انظر : أفكار ورجال ، كزين برنتن ، ص:١٩٣ .

[2] انظر : روما نظرة أخرى ، أوليفييه كليمان ، ص:١٣ .

الوجه الثالث : استدلال الكاثوليك على اختصاص بطرس بسلطة "الحل والعقد" غير مسلم به ؛لأنَّه ثبت في نفس الإنجيل ، ما ينفي تلك الخصوصية ، وهو قول المسيح – بحسب ما نسب إليه – : « فكل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء ، وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنَّه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات » [(١)] .

وهذا النص يدل على أنَّ هذا السلطان غير مختص ببطرس ، بل يشمل جميع من يسمى بالرسل ، بل إنَّ دائرته تشمل كل اثنين يتفقان على أمر من الأمور ، وفي كلا الحالتين ينقض اختصاص بطرس بذلك .

ثانياً : رئاسة كنيسة روما على بقية الكنائس :

هذه الدعوى تستند إلى جميع ما سبق ؛ فبما أنَّ بطرس هو وحده الذي منحه الرب سلطانه ، وأنابه على مملكته ، واستحق بذلك رئاسة جماعة الرسل ؛ فهو وحده المستحق لرئاسة كنيسة روما ، وقد أبطلت في فيما سبق المحور الأول والثاني ، ثمَّ أبطلت دعوى رئاسته لمن يسمى بجماعة الرسل ، وهي أصل دعوى رئاسته لكنيسة روما ، وسوف أناقش دعوى رئاسته لكنيسة روما من خلال الأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّ الكنيسة من حيث الأصل أمر مبتدع ، فلا توجد في الأناجيل ادلة تفيد أنَّ المسيح عليه السلام أنشأ كنيسة أو أمر ببنائها ، ولو كان بنائها أمراً مشروعا لم يكن في وسع المسيح عليه السلام تأخير ذلك مع قيام الداعي ، بل ورد في النصوص أنَّ المسيح عليه السلام كان يصلي دون تحديد مكان خاص بالعبادة ، فعُلم من ذلك أنَّها من جملة البدع التي ابتدعها رجال الدين .

الوجه الثاني : ينقض ذلك أيضاً شهادة المؤرخ النصراني "برنتن" بأنَّه لم يكن للكنيسة رئيس واحد طيلة القرون الأربعة الأولي [(٢)] .

الوجه الثالث : لو صحت رئاسة بطرس لكنيسة روما لكان مخالفاً لأمر المسيح عليه السلام ، من جهتين . الأولى : خروجه إلى خارج المكان الذي دعا فيه ، وهي أرض القدس

---

(١) متى : (١٨ /١٩) .

(٢) انظر : أفكار ورجال ، ص: ١٩٣ .

والجليل والناصرة وما جاورها ، مما انتشرت فيه دعوته . والثانية : دعوته غير بني إسرائيل الذين أرسل المسيح عليه السلام إليهم خاصة .

الوجه الرابع : أنَّ بطرس نُسبت إليه كنائس أخرى غير كنيسة روما مثل أنطاكية التي أسسها بنفسه – على قول بعض النصارى – ، وكنيسة الإسكندرية التي أرسل إليها مرقس ، وأنابه عليها ، وبذلك تنتقض خصوصية كنيسة روما برئاسته [1] .

المطلب الثاني : نقد دعوى أنَّ البابا الروماني هو نائب الرب والوارث لسلطانه ورئيس الكنيسة المنظور :

هذه الدعوى تقوم على أن كل ما منحه الرب لبطرس انتقل بالوراثة إلى البابا الروماني ؛ لأنه خليفته على كرسيه ، وقد أبطلت كل الأسس التي قامت عليها هذه الدعوى في الصورة الأولى ، والكاثوليك يثبتون سلطة البابا المطلقة على جميع الكنائس بما سبق ذكره وباعتبار بقاء تلك الرئاسة مدى الدهر ، وبأدلة أخرى يرون أنها تؤكد حق البابا في هذا السلطان ، ويمكن الرد على ذلك بما يلي :

مناقشة استدلالهم على بقاء الرئاسة في الكنيسة الرومانية مدى الدهر :

الوجه الأول : أنَّ النص الوارد في إنجيل متى الذي يستدل به النصارى على سلطان بطرس ، و يعتبر أعظم النصوص عندهم لم يشر بأيَّة إشارة إلى هذه الوراثة المزعومة .

الوجه الثاني : القول بوراثة هذا السلطان للبابا ، ولجميع من يأتي بعده يبطل خصوصية بطرس وتفرده بسلطان المسيح عليه السلام – بزعمهم – ، فكيف يكون حقاً خاصاً لبطرس ، ثم يكون لجميع من أتى من بعده إلى منتهى الدهر؟ .

الوجه الثالث : استدلالهم بالتاريخ يكذبه التاريخ نفسه ؛ فإنَّ ما حدث في تاريخ الكنيسة من انقسامات كبرى ، وما نشأ بين طوائفهم من الخلاف الذي لا يزال قائماً إلى اليوم ، لا يمكن أن يحدث والرب معهم . بل إنَّ ذلك دليل على كذبهم . يقول القس السابق عبد الأحد داوود « لو سلمنا أنَّ المسيح نصب بطرس وعينه لرئاسة كل الكنائس ، ولكنَّ تلك الرئاسة ليست إلى الأبد ، بل كانت مؤقتة إلى ظهور الملكوت ، وأنا أدعي

---

[1] انظر : تاريخ أوربا الوسطى ، د . السيد إلياز العريني ، ص:١٥٧ .

مصراً أنَّه من العبث أن تدوم العيسوية الحاضرة موجودة ، فإنَّ جميع فرق مسيحي اليوم خارجون على تعاليم المسيح عليه السلام » [1]

الوجه الرابع : استدلالهم بأنَّ المجامع النصرانية أكدت سلطة البابا لا يصح ؛ فلو كان الرب مع الباباوات إلى انقضاء الدهر فما حاجتهم إلى تلك المجامع إلا أن تكون من العبث ، وتضييع الوقت والمال . وأيضاً ، فإنَّ هذه المجامع لم ينته فيها مجمع عن اتفاق كامل بينهم ، بل لا يزال الخلاف من سماتها ، فما يقره مجمع ينقضه المجمع الذي يليه ، وهكذا .

الوجه الخامس : استدلالهم بتنفيذ الأحبار سلطتهم دون معارض مما يدل التاريخ على عدم صحته ؛ فقد وجدت الكنيسة المعارضة من أول مجمع أقامته ، وأي معارضة أعظم من انشقاق طائفتي الأرثوذكس والبروتستانت عنهم ، وقيام الحروب الدينية المستمرة بينهم .

الوجه السادس : استغاثة البطاركة الآخرين بهم – لو صح – لم يدل على تقدمهم لأنَّ تقدمهم في قضية معينة لا يدل على تقدمهم المطلق .

الوجه السابع : رئاستهم الدائمة للمجامع غير صحيح ؛ فأول مجمع عقد كان برئاسة بطريرك الإسكندرية ، وبعض المجامع الكبرى لم يحضر فيها إلا مندوب عن البابا ، وبعضها أقيم في غيابهم ، ثم وافقوا على قراراته بعد ذلك .ومن المعلوم أنَّ المجامع الأولى كلها كانت شرقية ، وبدعوة من الامبراطور لا من البابا .

المطلب الثالث :نقد عصمة البابا :

تحدثت فيما سبق عن عقيدة عصمة البابا ، ويمكن أن أوجه إليها الانتقادات التالية :

الوجه الأول : أنَّ قرار العصمة لا دليل عليه من الأناجيل ، أوأقوال آبائهم ، وكيف يكون عليه دليل ، وهو لم يظهر إلا بعد أكثر من ثمانية عشر قرناً من تاريخ الكنيسة.

الوجه الثاني : من الناحية التاريخية ؛ فإن مبدأ العصمة لم يقر إلا في القرن التاسع عشر ، وتحديداً عام ١٨٧٠م ، فكيف يكون البابا معصوماً ولا يعلن ذلك إلا بعد أكثر من ثمانية عشر قرناً ؟! . وأيضاً ؛ فإن مبدأ العصمة لم يعلن – كما قرر بعض مؤرخي النصارى – إلا نتيجة لضروف خاصة تتمثل في توتر العلاقات بين الكنيسة والعالم الخارجي ، وكذلك الخلافات الفكرية التي قامت داخل الكنيسة نفسها بين الكاثوليك والليبراليين المتشددين .

---

[1] الإنجيل والصليب ، ص: ٢٢٠ .

ففي هذه الضروف عُقد المجمع الفاتيكاني الأول برئاسة البابا بيوس التاسع وأُعلنت فيه عصمة البابا كوسيلة لمعالجة تلك الضروف ، وبعبارة أخرى ، فإنَّ قرار العصمة كان حلاً في نظر الكنيسة لما عبرت عنه بالتجاوزات من العقلانية والليبرالية والاشتراكية ، وضماناً لاستقلال البابا بالسلطة الزمنية في ذلك الوقت [1] .

الوجه الثالث : أنَّ تاريخ الكنيسة يشهد بعدم صحة هذا المبدأ ، ومن ذلك ما يلي :

١- الانقسامات الكبرى التي حدثت بين طوائف النصارى وأدت إلى الانفصال التام بينها . فكيف يكون رئيس الكنيسة معصوماً ، ثم تحدث هذه الانقسامات ؟!.

٢- الاختلافات بين طوائف النصارى ، وهي والمستمرة إلى اليوم ، وكيف يحصل هذا الخلاف والبابا المؤيد بالحق – في نظرهم – بين ظهرانيهم ؟!.

٣- وجود ثلاثة باباوات في وقت واحد ، وقد حدث ذلك عندما كان على عرش البابوية ثلاثة أشخاص هم "بونيفا قيوس التاسع" [2] في رومة ، و"بندكتس الثالث عشر" في أفيون [3]، و"الاسكندر الخامس" الذي انتخب رسمياً ، ولم يتمكن من مهمته بسبب تمسك البابوين الآخرين بمناصبهما [4] ، وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يدَّعي السيادة البابوية ، ولا يمكن أن يكون كل واحد منهم معصوم ، بل لابد من معصوم واحد ، وحينئذ تبطل عصمة الآخرَين ، وذلك ينقض مبدأ العصمة من أصله .

الوجه الرابع : هذه العصمة منقوضة بخلاف الطائفتين الأخريين للكاثوليك الأرثوذكس والبروتستانت ، وهو خلاف لم ينحصر في إطاره النظري ، بل أصبح افتراقا وتبايناً كاملاً ، بل تجاوز الأمر ذلك الحد حتى قامت بين تلك الطوائف العداوات التي جللت بالعار تاريخ النصرانية . وأقول إذا كان رئيس الكنيسة محفوظ من الخطأ فكيف تحدث كل تلك الفظائع في ظل رئاسته ؟!.

---

[1] انظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمبي ، ص:٣١٢ .

[2] اسمه بييتروتوماتشيللي ، اختاره الكرادلة الأربعة عشر المجتمعون في رومة ، وتولى البابوية بين عامي (١٣٨٩-١٤٠٤) . انظر معجم الباوات ، خوان داثيو ، ص:١٥٩ .

[3] اسمه بدور دي لونا ، اختاره الكرادلة الفرنسيون خلفاً لإقليمنضس السابع ، واتخذ قصر أفنيون بفرنسا مقراً له . انظر المصدر نفسه ، ص:١٦٠ .

[4] انظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمبي ، ص:٢١١ .

الوجه الخامس : أنَّ قرار العصمة يلزم منه الطعن فيما يسمى بالكتاب المقدس ؛ فإن ما يعلنه البابا "المعصوم" لا يخلو من أمور : إما أن يكون موافقاً لما في كتاب النصارى ، وفي هذه الحالة فإنَّ العصمة – لو صحت – تكون لذلك الكتاب لا للبابا ، ويكون قوله من باب تحصيل الحاصل . وإمَّا أن يكون قوله مخالفاً لذلك الكتاب . فإذا اعتبرنا أنَّ البابا معصوم لزم بطلان ما في الكتاب المقدس وإذا سقط كتابهم سقط قيمة الأساس الذي قام عليه دينهم ، وهذا هو الواقع فيما يتعلق بالكاثوليك ، وقد تنبه إلى هذا المعنى أحد كبار المهتدين من علمائهم ، وهو عبد الأحد داوود حيث قال : « فماذا تكون إذاً مكانة الإنجيل عند كاثوليكي يعتقد أنَّ كاهن رومية الأعظم هو خليفة المسيح ومفسر الكتب المقدسة والأخبار أو النبوات الألهية الوحيد ويقتنع بأنَّ حل المسائل وفصل المشكلات الحادثة يعود إليه وحده » [1] . وهناك احتمال ثالث وهو أن يكون ما يعلنه البابا أمراً جديداً ليس في الكتاب المقدس ما يدل عليه أو على خلافه ، ويكون عند ذلك من جملة البدع التي ابتدعها ويلزم منه الطعن في الكتاب المقدس عندهم من جهة عدم كماله وشموله لجميع الدين ، فعاد هذا الأمر إلى الأمر الثاني من حيث النتيجة .

الوجه السادس : يلزم من عصمة البابا الطعن فيم بالمجامع المقدسة ؛ فإذا كان البابا معصوم ومؤيد بالحق ، فما هي الحاجة إلى تلك المجامع التي لا تقام إلا عند وجود الخلاف ؟ ، وكيف يحدث الخلاف مع وجود الحق في تعليم البابا المعصوم . إنَّ إقامة هذه المجامع وبذل الجهود الكبيرة ،وإنفاق الأموال الضخمة وحتى السنين الطويلة – كما حدث في بعضها – مع وجود الحق في تعليم البابا لا يعدو أن كون عبثاً وسفهاً في العقل .

الوجه السابع : إذا كان البابا معصوم فلماذا أخفى الباباوات السابقون ، الذين يزيد عددهم عن ٢٨٢ بابا هذه العقيدة التي يتوقف عليها إيمان النصراني ، ولم يظهرها إلا من جاء بعد هذه المدة الطويلة ، إنَّ هذا يعني خيانتهم لأتباعهم في أعظم الأمور ، وهو أمر الدين ، وإذا كانت العصمة لم تشمل إلا من جاء بعد إعلانها ثبت أنَّها من جملة ما ابتدعه النصارى ، وثبت بذلك كذب الباباوات لكل ذي عينين .

---

[1] الإنجيل والصليب ، ص:٤٦ .

المطلب الرابع : نقد أنَّ البابا له سلطة التحليل والتحريم :

الأصل الذي قامت عليه هذه الدعوى ، هو ما تحدثت عنه من قبل من أنَّ الرب قـــد منح سلطانه للكنيسة ، وأنَّ القدرة على الحل والربط التي ورثوها عن الرب تشمل حقهم في التحليل والتحريم ، ويكمن الرد عليها من وجوه :

الوجه الأول : بطلان الأصل الذي قامت عليه ، وقد بينته بالتفصيل فيما سبق .

الوجه الثاني : لا يوجد نص صريح في الأناجيل كلها يدل على أنَّ للبابا حق التشريع ، وأن بيده التحليل والتحريم ، ولا يمكن أن يوجد ذلك لأنه مما اختص الله تعالى به .

الوجه الثالث : أنَّ الباباوات بممارسة هذا الحق خالفوا أحكام التوراة التي بقي بعضها إلى اليوم مخالفة صريحة ، مثل تحريم التماثيل والصور وغيرها مما لا تزال أحكامها باقية ، ومع ذلك فقد تجرأ الباباوات وأعلنوا مخالفتهم لتلك الأحكام ما يدل على ابتداعهم ذلـــك مـــن تلقاء أنفسهم واختراعهم وفق أهوائهم بغير سلطان من الله .

الوجه الخامس : أن تفسيرهم للحل والعقد الذي جعلوه أصلاً لهذه الـــدعوى لـــيس متفقاً عليه فيما بينهم ، فمنهم من يرى أنَّ تفسير الحل والعقد لا يعنى أكثـــر مـــن ضـــم الشخص إلى الكنيسة أو عزله عنها ، وعليه فليس في النص حجة على ما ادعوه .

الوجه السادس : من وجهة النظر الشرعية ، فإنَّ التحليل والتحريم حكم ، يختص به الله تعالى ، فكما أنَّه اختص بالخلق اختص بالحكم ، قال تعالى : چ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ يوسف: ٤٠ .

المطلب الخامس : نقد سلطان مغفرة الذنوب وصكوك الغفران :

وهذه الدعوى منقوضة بالأوجه التالية :

الوجه الأول : أنَّه مبني على سلطان الحل والعقد وقد أبطلته فيما سبق بالتفصيل .

الوجه الثاني : الاعتقاد بأن البابا له القدرة على مغفرة الذنوب وإصـــدار الصـــكوك بالتسريح من النار ، ودخول الجنة يتضمن الشرك الصريح بالله تعالى ، وهو ما حذر منـــه المسيح ﭼ أعظم تحذير . وقد دلت الأناجيل أنَّ الذي يغفر الذنوب هو الله تعالى وحده.

الوجه الثالث : أنَّ عيسى عليه السلام وهو أعظم قسيس – كما يزعمون – لم يفعل ذلك ولم يدَّعيه ، ولا يملكه ، وإنما كان يدعو الخطاة – بحسب تعبيرهم – إلى التوبة إلى الله وحده ، ولم يأتِ إليه أحد من تلاميذه ليغفر له ذنبه .

الوجه الرابع : أنَّ النص الوارد في ذلك على أهميته الكبرى عند النصارى إلا أنَّه لم تورده جميع الأناجيل ، وأيضاً يمكن أن يحمل قوله "من غفرتم خطاياه تغفر له" على معنى مغفرة الخطايا التي بين العباد أنفسهم ، ومغفرة الشخص لأخيه تأتي بمعنى عفوه عن خطأه ، وهو معنى صحيح ، وعلى هذا التفسير لا يكون في النص أدنى حجة على زعم النصارى.

الوجه الخامس : أنَّ قرار مغفرة الذنوب لم يكن صادراً عن كتبهم ، وإنما تقرر ذلك في المجمع الثاني عشر . وهذا يدل على كذبهم في هذه الدعوى .

الوجه السادس : كان في هذا القرار أعظم دعوة لنشر الرذيلة ؛ فقد أصبح الطريق إليها سهلاً ، بل مشروعاً ، وبالمال وحده يغفر كل ذنب ولو لم يتب منه صاحبه ، وفي المقابل لم تكن هذه العقيدة غير وسيلة ناجعة لجلب الأموال الطائلة إلى خزينة الكنيسة ، وهي أبعد ما تكون عن قصد التقرب إلى الله تعالى . وهذا ما جلب النقمة على الكنيسة ورفع المنتقدين لها .

الوجه السابع : من وجهة النظر الإسلامية ؛ فإن من بدهيات الدين أنَّه لا يغفر الذنوب إلا الله تعالى ، وأنَّه لا واسطة بين الخالق والمخلوق في ذلك ، وأنَّ أفعال البابوات هي أولى ما يدخل في قوله تعالى : **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ** ﭼالتوبة: ٣٤ .

الفصل الثالث

تقديس رجال الدين

وفيه مباحث

- المبحث الأول : دعوى وراثتهم لسلطان الرب
- المبحث الثاني : دعوى التوسط بين الخالق والمخلوق
- المبحث الثالث : الأسرار الكنسية

مدخل : التعريف برجال الدين ونشأهم :

رجال الدين عند النصارى: هم الذين انقطعوا للخدمة في الكنيسة ، ويُطلق عليهم"موظفوا الكنيسة" ،و "الإكليروس" أو" الإكليريكيون " ويقابل ذلك مصطلح "العلمانيين" ، ويراد به من ليس له وظيفة محددة في الكنيسة ، ورجال الدين والعلمانيين – نظرياً – في مترلة واحدة ، وليس بينهما فرق إلا ما ذكرت [١] .

وتتألف طبقة رجال الدين من ثلاث مراتب أساسية ، هي : الأساقفة (وهي أعلى المراتب) ، ثمَّ القساوسة ، ثمَّ الشمامسة ، وهذه الرتب عند جميع الطوائف النصرانية .

وكانوا – كما يذكر ديورانت – يتميزون بحلق قمة الرأس ، ولبس مئزر طويل بلون واحد غير الأحمر والأخضر ، تضمه أزرار بطوله كله من الرأس إلى القدمين [٢] .

وأمَّا ظهورهم ؛ فقد ذكرت بعض المصادر أنَّ ذلك يرجع إلى القرن الثاني الميلادي ، وذكرت مصادر أخرى أهم كانوا يتقاضون أجراً في القرن الثالث الميلادي [٣] .

وهذه الإشارات محمولة على بدايات ظهور هذه الطبقة ، أمَّا بروزها وبداية سلطتها الفعلية ، فكان في بداية القرن الرابع الميلادي ، عندما أعلن الإمبراطور الروماني قسطنطين التسامح العام مع الكنيسة ، وتوجه بقبول النصرانية ديانة رسمية للإمبراطورية .

يقول المؤرخ هـ . ج . ولز عن النصرانية في ذلك القرن : « بيد أنَّ مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين ، وإن احتفظت بتعاليم يسوع في الأناجيل كنواة لها كانت في صلبها "ديانة كهنوتية" من طراز مألوف للناس ، من قبل آلاف السنين ، وكان المذبح مركز

---

[١] انظر : التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، تأليف لجنة تابعة للكرسي الرسولي ، بتقديم البابا يوحنا بولس الثاني ، فقرة : ٩٣٤ ، ص:٢٩٢ ، المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا : ص: ٣٣٠-٣٣١ ، معجم الإيمان المسيحي ، اختيار الآب صبحي حموي اليسوعي ، ص:٥٧ .

[٢] قصة الحضارة : (٥١/١٦) .

[٣] انظر المسيحية في عقائدها ، ص: ٣٣٦ ، وتاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة بعنوان : كنيسة على صورة الإمبراطورية ، لبيار نوتان : (١٦٠/١) ، وصاحب المقالة مدير أبحاث في المعهد التطبيقي للدراسات العليا بباريس .

طقوسها المنمقة ، والعمل الجوهري في العبادة فيها هو القربان يقربه قسيس متكرس للقداس . ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من الشمّاسة ، والقساوسة ، والأساقفة [1] .

وهذا النص يبين أنَّ الديانة النصرانية في القرن الرابع أصبحت ديانة كهنوتية ، مما يعني — بالضرورة — وجود الطبقة الكهنوتية وهي طبقة رجال الدين بشكل واضح ، كما يشير النص إلى تشابه النصرانية مع الديانات الوثنية السائدة في كثير من الطقوس والعبادات .

(1) معالم تاريخ الإنسانية : (٧٢٠-٧٢١) . وادعاء المؤلف بأنَّ الأناجيل كانت تحوي تعاليم المسيح – عليه السلام – لا يسلم له ، فإنَّها — وإن بقي فيها شيء من تعاليمه – تحيط بها الشكوك من كل جهة من حيث نسبتها إلى أصحابها ، ثم جهالتهم على فرض صحة النسبة ، ثم انقطاع سندها إليهم ، وكل ذلك يمنع من اطلاق مثل هذا الحكم ، ومن جهة أخرى ، فلوكانت هذه الأناجيل تحوي التعاليم الصحيحة لم يكن باستطاعة الكنيسة تجاوز ذلك الأمر وإحلال النصرانية المبتدعة محل الديانة الصحيحة .

المبحث الأول

صور تقديس رجال الدين

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : دعوى وراثة سلطان الرب
- المطلب الثاني : نقد هذه الدعوى

المطلب الأول : دعوى وراثة سلطان الرب :

وهذا المبدأ هو حق للبابا في المقام الأول ، ولكنَّنا نجد أنَّ رجال الدين النصراني قد نالوا حظاً منه ، بل نجد أنَّه ينسب للقسيس أو الكاهن ما يكاد يجعله الوريث الوحيد "لسلطان الرب" وأمَّا السند الذي يستندون إليه في هذه الدعوى ، فهو نفس الدليل الذي يستدل به الباباوات ، وهو النص الوارد في إنجيل متى ، وهو السلطان الممنوح لبطرس وقد سبقت الإشارة إليه قريباً ، ورجال الدين يرون أنَّهم ورثة لهذا السلطان ، ويقولون إنَّ الرب قد أعطى سلطانه للكنيسة ، وليست الكنيسة إلا الباباوات ورجال الدين .

ومن النصارى من يبالغ في تقديسهم فينسب "سلطان بطرس" إلى الكهنة وحدهم .

يقول "خطيب الكنيسة الأعظم" — عند النصارى — يوحنا الذهبي الفم مقرراً منح الرب هذا السلطان للكهنة : « وإنِّي لأرى الابن يسلِّم هذا السلطان بكامله إلى الكهنة . حتى أنَّه يظن أنَّ الله قد أدخلهم السماوات أولاً ودفعهم فوق الطبيعة البشرية ، وخلصهم من عبودية الأهواء ، ليوشحهم أخيراً بهذا السلطان الأسمى » [(١)] .

وهذا النص يقرر أنَّ"سلطان الرب" قد أصبح حقاً موروثاً للكهنة ، وأنَّهم قد تهيأوا لذلك السلطان بتخلصهم من الأهواء حتى أصبحوا في منزلة كأنَّهَا أعلى من منزلة البشر .

ثمَّ يمضي خطيب الكنيسة في غلوه فيهم فيجعلهم أعلى من الملائكة ، ورؤساء الملائكة ، وأنَّهم نالوا سلطان الرب - سلطان الحل والعقد - الذي يعني فك الخطايا ، ومغفرتها ، بل إنَّ الرب هو الذي يطيع الكاهن ، ويثبت ما يقضي به في السماء . يقول في ذلك ما نصه : « لقد نال الكهنة سلطاناً لم ينله الملائكة ، ولا رؤساء الملائكة . فقد أُعطوا سلطاناً أن يحلوا ويربطوا ، أي يفكوا الخطايا ، ويغفروها . فأي سلطان بشري مثل هذا ؟، وكأنِّي بالرب يطيع خادمه (هكذا يقول !) ، وما يتخذه الكاهن على الأرض يثبته الله في السماء » [(٢)] .

هكذا بلغ الغلو في الكهان حتى أصبح الرب هو الذي يطيع الكاهن ، ويمضي أمره الذي قضى به على الأرض . وحتى لو غضب هذا الرب على أحد من عباده فليس

---

(١) خطيب الكنيسة الأعظم القديس يوحنا الذهبي الفم ، الآب إلياس كويتر المخلصَي ، ص:١٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص:١٨٩ .

للنصراني من سبيل إلا الرجوع إلى الكاهن — لا إلى الرب – ، الذي له القدرة على أن يصالح بين العبد المخطيء وبين ربه .

يقول هذا الخطيب في بيان هذا المعنى : « أمَّا الكهنة فإنَّهم يصالحون الناس لا مع كبار هذا الدهر ، والمتسلطين عليه ، بل مع الله عندما يغضب » [1] .

المطلب الثاني : نقد هذه الدعوى :

تقديس النصارى لرجال الدين كما ذكر أعظم الخطباء عندهم مبني على ادعاءهم وراثة سلطان بطرس ، وقد سبق إبطال ذلك بالتفصيل فيما سبق ، ولكن أنبه إلى أنَّ هذا السلطان الذي يزعمون وراثته عن الرب ليس مختصاً بمغفرة الذنوب فقط ، كما في هذا النص ، ولكنَّه يشمل كل ما يحتاج إليه النصراني ، فلا يخرج عن سلطان الكهنة شيء من حاجاته ، بل من حياته ، وهذا ما سأفصله عند الحديث عن الأسرار "المقدسة" .

[1] المصدر السابق ، ص: ١٨٦ .

المبحث الثاني

دعوى التوسط بين الله وبين الخلق

وفيه مطلبان

- المطلب الأول: تقرير دعوى التوسط بين الله وبين الخلق
- المطلب الثاني: نقد هذه الدعوى

المطلب الأول : تقرير دعوى التوسط بين الله وبين الخلق

من أعظم البدع التي ابتدعها رجال الدين ، وتسلطوا بها على رقاب أتباعهم زعمهم أنَّهم وسطاء بين الله وبين خلقه . وقد فلسفوا هذا المبدأ بطريقة تبدو – عند أتباعهم – مقبولة ، وتقوم فلسفتهم على ما يلي :

إنَّ الرب متصف بالقسوة (تعالى الله عن قولهم) ، ولا يمكن للعبد أن يجرؤ لتوجيه صلاته لذلك العرش الرهيب البعيد ، ولكن عيسى أقرب منه ، ولكنَّه أيضاً إله ، ومن الصعب أن يجرؤ العبد على مواجهته وجهاً لوجه ، لاسيما من أنكر نعمه . فكان من الحكمة أن توجه العبادة إلى أحد "القدِّيسين أو القدِّيسات" الذين تشهد لهم الكنيسة بمقامهم في الجنة ، وأن يتوسل إليه عند المسيح [1] .

وبهذه الطريقة دخلت الفكرة في عقول العامة ، وقام سوق الشرك بالله تعالى ، وسُدت جميع الطرق إلى الله تعالى إلا طريق الكاهن ، فلا سبيل إلى التقرب إلى الله تعالى ، أو طلب قضاء الحاجات ، أو مغفرة الذنوب إلا من طريقه ، وأصبح هؤلاء الكهنة على الحقيقة شركاء مع الله تعالى .

ولتطبيق هذه الفلسفة ؛ فقد أصبح في الكنيسة الكاثوليكية لكل مملكة ، ولكل فرد وسيط عند المسيح (عليه السلام) ، وأصبح الكثير من الأتباع يتم اختيار "قدِّيسيهم" منذ ولادتهم ، وهم يعتقدون فيهم شيئاً من القوة الإلهية ، والمشيئة الربانية [2] .

ولم يكن هذا التوسط من رجال الدين مقصوراً على التوسل في رفع العبادات إلى الرب (المسيح في زعمهم) ، ولكنَّهم أعلنوا توسطهم في أمر لا يقل خطراً عن الأول ، وهو جانب التشريع ، وما يقتضيه من التحليل والتحريم ، وبذلك فُتح باب الشرك والابتداع على مصراعيه ، وشرع رجال الدين يبتدعون ما يشاءون من الشرائع والعبادات ، والطقوس ، والأعياد ، وغيرها ، ما لا يشك عاقل أنَّه لم يدر بخلد المسيح عليه السلام فضلاً عن أن يكون قد دعا إليه . وكان أدهى ما في الأمر أنهم جعلوا كل ذلك ديناً يجب التزامه وطريقاً – لا طريق غيره – لمن أراد الفوز برضوان الله ، وجنته !.

---

[1] انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٢/١٦) .

[2] انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرو ملر ، ص : ٢٩٥ .

وكان من أعظم هذه البدع وأكثرها خطراً وتحقيقاً للعبودية للكاهن بدعة "الأسرار الكنسية" ، التي من خلالها أحكم رجال الدين قبضتهم على أتباعهم منذ الولادة وحتى الممات ، وهذا ما سأتحدث عنه بالتفصيل في الفقرة التالية .

المطلب الثاني : نقد مبدأ توسط رجال الدين :

إنَّ ما قرره النصارى من هذا المبدأ هو عين الشرك بالله تعالى سواء كان ذلك في عبادة الكهان والخضوع لهم ، أو في جانب طاعتهم في التحليل والتحريم ، وهذا الشرك هو ما حذر منه جميع الرسل عليهم السلام ، ومنهم عيسى عليه السلام ؛ فقد جاءت دعوته – كغيره من الأنبياء – إلى إخراج الناس من ظلمات الشرك بالله تعالى إلى نور التوحيد .

وأمَّا الفلسفة التي قام عليها ذلك المبدأ ؛ فهي أشد شناعة من المبدأ نفسه ؛ لأنَّها تقوم على التنقص من مقام الرب سبحانه وتعالى واتهامه بالظلم والقسوة ، وهو من أعظم سوء ظنهم بالله تعالى ، بل إنَّهم – بهذه الفلسفة – جعلوا أنفسهم في مقام أعظم من مقام الرب سبحانه وتعالى ، حيث زعموا أنَّهم أكثر منه عدلاً ورحمة ، وأولى منه بأن توجه لهم العبادة ، وقد أصبح المربوب أعظم من الرب ، والمخلوق أعظم من الخالق – تعالى الله عن قولهم – .

وقد أخبر الله تعالى عن وقوع النصارى في الشرك في متبوعيهم بقوله تعالى : چۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ چالتوبة: ٣١

وقد دعا الله تعالى أهل الكتاب – ومنهم النصارى – إلى ترك هذه المسلك الخطير وهو اتخاذ بعضهم بعضاً أربابا من دون الله ، فقال تعالى : چڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ آل عمران: ٦٤ .

وبين الله سبحانه وتعالى أنَّه لا ينبغي لنبي أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه فضلاً عن عبادة غيره فقال سبحانه : چڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چآل عمران: ٧٩ – ٨٠ .

وهذه الآية تضمنت تبرأة الإنجيل الصحيح من دعاوى النصارى أعظم تبرأة ؛ حيث بينت أنَّه لا يمكن لأحد من الأنبياء أن يدعو إلى عبادة غير الله تعالى ؛ لأنَّ ذلك مقتضى

الكتاب الذي جاء به ، والإنجيل قطعاً داخل في ذلك ، وهذه الآية من أعظم الأدلـــة علـــى افتراء النصارى وكذبهم على عيسى عليه السلام . والله أعلم .

المبحث الثالث

الأسرار الكنسية

وفيه مطلبان

- المطلب الأول : تعرف السر الكنسي وأهميته
- المطلب الثاني : عرض الأسرار الكنسية ونقدها

المطلب الأول : تعريف السر الكنسي وأهميته

يؤمن النصارى بما يسمى بالأسرار الكنسية ، وهي سبعة أسرار ، وهذا محل تفاق بينهم إلا البروتستانت ، فلا يثبتون منها إلا اثنين فقط وهي بالمعمودية ، والعشاء الرباني .

تعريف السر الكنسي :

هو : « نعمة غير منظورة تُنال تحت عوارض منظورة على يد كاهن شرعي » [(١)] .

أهمية الأسرار وارتباطها بحياة النصراني :

الذي يهم في هذا العرض بيان ما تتميز به هذه الأسرار من الارتباط الكامل بحياة النصراني ؛ فهي تشمل كل شؤون حياته ، من المولد إلى الممات ، وتتميز بارتباطها الكامل بالكاهن نفسه ؛ فلا يمكن أن تقبل أو تؤدى إلا في حضوره ، وبمباركته ، وتحت ظل صلاته ودعائه ، وذلك سر آخر في هذه الأسرار ! .

يقول الدكتور "هوستن سميث" : « والمدهش أنَّ هذه الأسرار توازي اللحظات والحاجات العظيمة والهامة في حياة الإنسان . الناس يولدون ، يبلغون سن الرشد ، يتزوجون أو يكرِّسون أنفسهم بنحو كامل لهدف حياتي معين ، ويموتون . وفي هذه الأثناء يجب أن يعاد دمجهم في المجتمع كلَّما انحرفوا عنه ، وعليهم أن يأكلوا . توفر الأسرار المقدسة النظير الروحي لهذه الأحداث الطبيعية ، فكما تأتي عملية الولادة بالإنسان إلى عالم الطبيعة ، يسحب "سر المعمودية" بزرعه أول نعمة إلهية خاصة داخل روح الطفل . عندما يبلغ سن الرشد يتلقى "سر التثبيت" . عادة ينظم الشاب إلى قرينه الإنساني المرأة في "سر الزيجة" ، أو يكرِّس حياته لله ضمن الرهبانية المقدسة في "سر الكهنوت" ، وفي نهاية الحياة هناك "سر مسحة المرضى" . هناك طقسان سريان من الضروري القيام بهما بنحو متكرر على الدوام ، أحدهما "سر الاعتراف" ، عندما يقع في الانحراف ، أمَّا السر المقدس الثاني فهو "سر القداس" الذي يعتبر الطقس الديني المركزي » [(٢)] .

وهذا النص الهام يؤكد ارتباط النصراني الوثيق بهذه الأسرار ، ومن ثمَّ بالكاهن الذي تؤدى بين يديه ، وهذه ولا شك صورة غالية من صور تقديس الكهنة .

ويعتقد النصارى – الكاثوليك والأرثوذكس – أنَّ هذه الأسرار "إلهية" ، أي أنَّ مؤسسها هو المسيح نفسه – عليه السلام – من أجل أن ينقل للبشر بركات الخلاص [(١)] ، ومن جهة أخرى ؛ فإنَّ "فاعلية" الروح القدس هي التي تتمها بطريقة سرية داخلية لتحقيق النعمة " الغير منظورة " . وأمَّا تسميتها بالأسرار فيرجع – عندهم – إلى أمرين : الأول : أنَّ

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة ، الأرشيدياكون حبيب جرجس ، ص: ٦ .

(٢) أديان العالم (المسيحية) ، ص:٤٤٢–٤٤٣ ، بتصرف واختصار .

(١) انظر : أسرار الكنيسة السبعة ، الأرشيدياكون حبيب جرجس ، ص : ٨٢ .

مصدرها إلهي – كما أسلفت – . والثاني : أنَّ لها وجهين ، وجه مادي منظور ، وآخر مقدس غير منظور [٢] .

عرض الأسرار الكنسية ونقدها :

ونأتي الآن إلى شرح موجز لهذه الأسرار ، وليس المهم في هذا المقام ذكر التفاصيل الدقيقة لكل سر ولا الفروق بين الطوائف في ذلك ، وإنَّما بيان دور الكاهن في كل سر ، وسوف أذكر الأسرار السبعة – كما عند الكاثوليك والأرثوذكس :

أولاً : التعميد أو (المعمودية) .

وهو أهم الأسرار عند النصارى ؛ لأنَّه أساس الخلاص ، والحياة النصرانية ، وله أسماء كثيرة منها غسل الميلاد الثاني ، والتجديد بالروح القدس ، والعطية ، والاستنارة ، والنعمة ، والختم وغيرها [٣].

والنصراني لا يعد مؤمنا – عندهم – إلا بعد أن يعمَّد ، والتعميد يؤهل المعمَّد لنوال نعم الله في الأسرار الأخرى ، وهو باب الدخول إلى ملكوت السماوات ، ومن أدلة النصارى على فرضية هذا السر :

١- « من آمن واعتمد يخلص ، ومن لم يؤمن يُدان » [٤] .

٢- « إن لم يولد أحد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل الملكوت » [٥] .

٣- أنَّ المسيح عليه السلام تعمَّد – بزعمهم – على يد يوحنا المعمدان على نهر الأردن .

ومن ثمرات هذا السر عندهم :

١- الدخول في النصرانية ، ويعبر عنها النصارى بالولادة الجديدة .

---

[٢] انظر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، تأليف لجنة تابعة للكرسي الرسولي ، ص:٣٧٤ ، المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا : ص: ٣٦٠ ، العبادة المسيحية ، ص:٧٤-٧٥ ، الكنيسة المسيحية في عهد الرسل ، مثلث الرحمات الأنبا يوأنس ، ص:٣١٠ ، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية ، د . ميخائيل مكسي اسكندر : ٨/١ ، المعمودية (الأصول الأولى للمسيحية) ، الأب متى المسكين ، ص:١٠ .

[٣] انظر التعليم المسيحي ، ص:٣٧٦ ، وموسوعة طقوس الكنيسة : (١٦/٢) .

[٤] مرقس : (١٦/١٦) .

[٥] يوحنا: (٥/٣) .

٢- مغفرة الخطايا ، وتشمل الخطيئة الموروثة عن آدم - عليه السلام - بزعمهم - ، والخطايا المتجددة التي تكون قبل التعميد ، ومغفرة الخطايا هي النعمة الغير منظورة التي تتحقق بإتمام هذا السر .

ويتم إجراء هذا السر كما يلي :

أ – التعميد يكون بالتغطيس في الماء – كما يفعل الأرثوذكس - ، أو بالصب على الرأس ، أو بالرش عليه – كما يفعل الكاثوليك .

ب – الماء الذي يستخدم في التعميد هو ماء مقدس - عندهم - ، بفعل صلوات الكاهن عليه ، وصلاته تسمى "صلاة استدعاء الروح القدس" .

ج – التعميد بجميع طرقه لا يكون إلا ثلاثاً ، من أجل الأقانيم الثلاثة ، ولا يكون إلا من الكاهن .

د – صفة التعميد : أن يقول المعمِّد ، وهو يصب الماء : يا فلان أُعمدك باسم الآب ، والابن ، والروح القدس ، هذا في الكنائس الغربية ، وفي الكنائس الشرقية يوجه المعتمِد جهة الشرق ، ويتلو عليه الكاهن عبارة التعميد ، وعند ذكر كل من الأقانيم الثلاثة يغطس في الماء ويُنشل . وبذلك يتم سر التعميد .

هذا هو التعميد كما يراه النصارى ، ومن أهم الانتقادات الموجهة إليه ما يلي :

١- المسيح عليه السلام لم يعمِّد أحداً من أتباعه ، ويؤكد ذلك ما جاء في قاموس الكتاب المقدس أنَّ « أن المسيح لم يعمد أحداً ، وإنما الذين عمدوا هم تلاميذه وكانت أول معمودية يوم الخمسين » [1] .

ويؤكد ذلك أيضاً بعض النصارى ، ومن ذلك اعتراف الأب متى المسكين « من واقع تاريخ المسيحية نجد أنَّ المعمودية صارت ممارستها الأولى من اليوم الأول الذي حل فيه الروح القدس يوم الخمسين شاهداً لقيامة المسيح » [1] .

وهذان النصان صريحان أنَّ المسيح عليه السلام لم يعمد أحداً من أتباعه ، وأنَّه لم يحدث شيء من ذلك طيلة حياته ، وإذا كان التعميد لا يحتاج أكثر من وجود الماء ، ومع ذلك لم

---

[1] قاموس الكتاب المقدس ، لنخبة من اللاهوتيين ، مادة : معمودية ، ص: ٦٣٧ .

[1] المعمودية (الأصول الأولى للمسيحية) : ٢٨ .

يفعله المسيح عليه السلام دل ذلك على عدم مشروعيته ، وأنه من جملة البدع التي ابتدعها النصارى ، ونسبوها إلى المسيح عليه السلام، وهو منها براء .

٢- إذا كان الإيمان لا يصح عند النصارى إلا بالتعميد ؛ فإنَّه لم يؤمن بعيسى عليه السلام في حياته أحد على الحقيقة ؛ لأنَّ المسيح عليه السلام لم يعمده ، ويدخل في ذلك جميع تلاميذه ، ومنهم بعض أصحاب الأناجيل – على رأي النصارى – وإذا تقرر عدم إيمان أيٌّ أحد من أتباعه سقطت الديانة التي نقلوها إلى أتباعهم جيلاً بعد جيل .

٣- أنَّ قضية التعميد مبنية على قضية باطلة ، وهي ما يسمى بالخطيئة الجديَّة التي تفترض تلوث جميع الناس بخطأ أبيهم آدم عليه السلام وإذا ثبت بطلان هذا الأساس – كما بينت من قبل – بطل ما نتج عنه ، وهوالعماد الذي جُعل – أيضاً – لمغفرة تلك الخطيئة .

ومما يؤكد بدعية هذا السر أنَّ النصارى أنفسهم لم يلتزموا به في أول الأمر ، بل كانوا يكتفون بالختم بعلامة الصليب ، وكانوا يؤجلون العماد إلى الشيخوخة أو إلى الموت لأنَّهم لا يريدون الإلتزام به إلا بعد انطفاء شهواتهم [٢] .

٤- قول النصارى بأنَّ المسيح عليه السلام تعمد من أعظم التنقص له ؛ لأنَّ التعميد عندهم تطهير وتخليص من الخطيئة ، وكيف يُخلِّص المسيح البشرية (بزعمهم) من الخطيئة ، وهو ملوث بها ؟ ، بل كيف يكون رباً وهو ملوث بالخطيئة ومحتاج إلى العماد ؟ .

٥- أنَّ إثبات تعميد المسيح عليه السلام ينقض عقيدة الفداء . فإذا كان صلب المسيح – بزعمهم من أجل الفداء فلماذا يولد العباد بعد ذلك ملوثين بالخطيئة ومحتاجين إلى العماد ؟ ، فإثبات حصول التكفير من الخطيئة بالفداء يبطل التعميد ، ويجعله تحصيلاً للحاصل ، كما أنَّ إثبات العماد يلغي أثر الفداء ، ولابد أن يلتزم النصارى بأحد الأمرين .

ثانياً : سر التثبيت :

وهو السر الذي يناله النصراني بعد التعميد ، وسمي بسر التثبيت لأنَّه – باعتقادهم – يعمل على تقوية المعمودية وإكمالها فيثبت النصراني على دينه ، ويسمى هذا السر – أيضاً

---

[٢] انظر دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كومبي ، ص: ١٠٠ .

– بالميرون ، لأنَّه يُستخدم فيه زيت الميرون – المقدس عندهم – ، ويسمى "سر المسحة" لأنَّه يمسح به على الشخص "المُثبَت" .

وأمَّا فائدته فهي تثبيت النصراني على دينه ، عن طريق إفاضة الروح القدس الخاصة ، وإعلان المسئولية التي أصبحت على عاتق الشخص المثَّبت ، والتي توجب عليه العمل على نشر النصرانية ، والدفاع عنها بالقول والعمل . ولذلك فهذا السر له علاقة كبيرة بالعماد ، من حيث أنه تكملة له .

وهذا السر كالعماد لا يقوم به إلا الكاهن ، ومراسمه على النحو التالي :

أ – مادة هذا السر – كما يرى النصارى – مكونة من الطيب الذي كان على جسد المسيح – عليه السلام بزعمهم – مخلوطاً "بدمائه الإلهية" ، وبزيت الزيتون النقي ، وهذا الخليط قد وُزع على الكنائس ، ولا يحل لمسه إلا للأساقفة والكهنة ، وهم صائمون ، ومستعدون لعمل سر المسحة .

ب – يسبق إجراء طقس التثبيت عملية تسمى "تكريس الزيت المقدس" ، وتكون باستدعاء ما يسمى بالروح القدس ، وهو – بحسب الطقس الأنطاكي – كما يلي : « أيَّها الأب أرسل روحك القدوس علينا ، وعلى هذا الزيت الذي بين أيدينا ، وقدِّسه ليكون لجميع الذين يُمسحون ، ويختمون به ميروناً مقدساً ، ميروناً كهنوتياً ، ميروناً ملكياً ، مسحة بهجة ، وثوب النور ، رحلة الخلاص ، والعطية الروحية ، وتقديساً للنفوس والأجساد ، والسعادة التي لا تبلى ، والختم الذي لا يمحى ، ودرع الإيمان والخوذة الرهيبة لصدكل غزوات العدو » [1].

ج – بعد تكريس الزيت تبدأ مراسم المسح على يد الكاهن ، وفي الطقس الروماني يبسط الأسقف يديه على مجموع المستعدين للتثبيت ، وهو علامة موهبة الروح القدس ، ويتلمس إفاضة الروح القدس بهذا الدعاء : « أيَّها الآب الفائق الصلاح ، أبو ربنا يسوع المسيح ، أُنظر إلى المعمدين الذين نضع أيدينا عليهم ، لقد أعتقتهم من الخطيئة بالمعمودية ، ووهبتهم أن يولدوا ثانية من الماء والروح . أفض الآن عليهم روحك القدُّوس ، حسب وعدك ، أعطهم ملء الروح الذي نزل على ابنك يسوع : روح الحكمة والفهم ، روح

---

[1] التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ، تأليف لجنة تابعة للكرسي الرسولي ، ، ص:٣٩٦ .

المشورة والقوة ، روح المعرفة والمحبة النبوية ، املأهم من روح مخافة الله يسوع ربنــا »[1] .

وفي الطقس اللاتيني ، يمنح سر التثبيت بمسح الجبهة بالزيت "المقدس" ووضع اليد مع هــذه الكلمات : « فلتختم بختم الروح القدس ، موهبة الله » .[2]

وأمَّا في الكنائس الشرقية فيمسح الكاهن المعمَّد بعد خروجه من جــرن المعموديــة مباشرة بالميرون "المقدس" ستة وثلاثين رشماً ، وتكون على مثل الصليب ، وفي كل رشــم يقول : « وختم موهبة الروح القدس » ، وتشمل الجبهة والحــواس الخمــس ، والظهــر ، والمفاصل ، ولكل منهما صلاة معينة .

وطقس التثبيت كالعماد لا يكون إلا مرة واحدة ، ويتضح منه دور الكاهن المحــوري من بداية هذا الطقس إلى نهايته ، وكما أنَّ النصراني لا يدخل في النصرانية إلا عــن طريــق الكاهن بالتعميد ، فكذلك لا يمكن أن يثبت عليها إلا من طريق الكاهن بسر التثبيت .

وهذا السر ينطبق عليه ما ينطبق على العماد ؛ لأنَّه تكملة له كما يذكر النصارى .

ثالثاً : سر " العشاء الرباني " أو (الإفخارستيا) :

يعرِّفه النصارى بأنَّه : السر الذي به ينال المؤمن المعترف جسد المسيح " الأقــدس " ، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر (عصير الكرمة) ، ويطلق عليه "الإفخارستيّا" وهي كلمة يونانية معناها : الشكر ؛ لأنَّ المؤمن – بزعمهم – يشكر فيها الرب على النعمة ، التي تتجلى أعظم صورها في حصول الخلاص من الخطيئة عن طريق "الفادي" ، ويقصدون به المسيح – عليه السلام – ، ولأنَّه – الرب في نظرهم – قد شكر عند إنشاء هذا السر .

وهذا السر من أهم الأسرار على الاطلاق عند النصارى ؛ فهو – إضــافة إلى ســر العماد – محل اتفاق بين جميع الطوائف بما فيهم البروتستانت ، وهو الوحيد الذي يتكرر كل أسبوع ، فهو الطقس المركزي في الكنيسة ، ويحتوي على " كنز الكنيسة " ، وهو المســيح عليه السلام ، وكل الأسرار الأخرى مرتبطة به ، وهو ذروة العبادات التي تُرفع إلى المسيح – عليه السلام – ، والوحيد الذي تتحول في العوارض المنظورة (أي الخبز والخمر) ، وبطريقة عجيبــة إلى جسد المسيح ودمه فعلاً ، مع حفظهما شكليها وأعراضهما ، وكذلك فإنَّ المسيح عليه السلام –

---

[1] المصدر السابق والصفحة نفسها .

[2] المصدر السابق والصفحة نفسها .

بزعمهم – يعطي بعض مواهبه "الخلاصية" بحسب كل سر من الأسرار الأخرى ، أمَّا في هذا السر فإنَّه يقدم ذاته غذاءاً مقدساً .

ودور الكاهن في هذا السر – كغيره من الأسرار – جوهري ؛ فلا يعتبر الطقس شرعياً ما لم يقم به الكاهن ، ويؤدي مراسيمه من الصلوات ، والعظات ، واستدعاء الروح القدس لتتحقق ثمرة هذا السر "الغير منظورة" ، وأعظمها الخلاص من الخطيئة ، وأهم مراحل هذا الطقس ما يلي :

أ – التهيئة : وتكون بالتوبة ، وتلاوة الصلاة التي قبل التناول ، والصوم قبله لعدة ساعات ، والإقلاع عن العلاقات الزوجية قبله ، واجتناب الأحاديث الباطلة قبله وبعده ، والتواضع ، وتقديم الشكر قبل بدء التناول .

ب – مادة هذا السر المسماة بالعوارض المنظورة هي : خبز الحنطة ، وخمر الكرمة ، وهي عين ما تناوله المسيح عليه السلام – بحسب اعتقادهم .

ج – أركان هذا السر ثلاثة هي :

١– إعلان كلمة الله .

٢– شكر الآب على أفضاله ، ولاسيما عطية الابن .

٣– تقديس الخمر والخبز ، والاشتراك في الوليمة .

د – يبدأ طقس هذا السر كما يلي :

١– الاجتماع : حيث يتوافد الراغبون في أداء السر إلى الكنيسة ، ويعتقد النصارى أنَّ المسيح يكون على رأس الحضور ، ويرأس – بطريقة خفية – كل احتفال إفخارستي ، ثمَّ يتكلم الأسقف ، باعتباره ممثل المسيح نفسه ، ويشترك الجميع في الاحتفال بكلمة : آمين .

٢– يبدأ بعد ذلك ما يسمى بـ "ليتورجيا الكلمة" : ، وتتضمن قراءات من نصوص أنبياء العهد القديم ، ثمَّ مذكرات من يسمى بالرسل ، وهي الرسائل والأناجيل ، ثمَّ العظة التي تحض الشعب على قبول كلمة الله على ما هي عليه حقاً ، وأن يضعوها موضع التنفيذ ، ثمَّ تأتي "الطلبات" – التي يطلبها الكاهن – لأجل جميع الناس .

٣– يقدم إلى المذبح – وأحياناً يكون في موكب – الخبز والخمر اللذين سيقربها الكاهن باسم المسيح عليه السلام ، فيتحول إلى جسد المسيح ودمه .

٤- يبدأ الحفل الإفخارستي الخاص بمقدمة يشكر فيها الكاهن الإله الآب على كل صنائعه ، من الخلق ، والفداء والتقديس ، ثمَّ يرفع النصارى إلى الله نشيد حمد متواصل ، ومما جاء فيه : « به ، ومعه ، وفيه (أي المسيح) لك أيها الآب القدير في وحدة الروح القدس ، كل تمجيد وإكرام الآن ، وإلى الأبد » .[1]

٥- تبدأ بعد صلاة الشكر صلاة الاستدعاء ، وفيها يطلب الكاهن من الآب أن يرسل روحه القدوس (أو قوة بركته) على الخبز والخمر ليتحولا بقدرته إلى جسد يسوع المسيح عليه السلام ودمه ، وليصير المشتركون في الإفخارستيا جسداً واحداً وروحاً واحداً ، وفي صلاة الاستدعاء يصلي الكاهن سراً قائلاً : « ليحل روحك القدوس علينا ، وعلى هذه القرابين الموضوعة (أي الخبز والخمر) ، ويطهرها وينقلها .. ، ويرسم القربانة ثلاث مرات ، وهو يقول : وهذه الخبز بجعله جسداً مقدساً له . ثمَّ يرسم الكأس ثلاثاً ويقول : وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً لعهده الجديد ، ويصيح الشعب في الحالتين قائلين : أؤمن [2].

٦- ثمَّ تأتي بعد ذلك صلاة الاستذكار ، حيث تتذكر الكنيسة آلام المسيح عليه السلام - بزعمهم – وقيامته وعودته المجيدة ، وتقرب إلى الآب تقدمة ابنه التي بها يتصالح الشعب مع الله .

٧- وأخيراً : تأتي المناولة للخبز والخمر بعد أن تحولا – باعتقادهم – إلى جسد المسيح عليه السلام ودمه .

وهذا التحول هو الصورة الكاملة لحضور المسيح عليه السلام في هذا الطقس ، ويُطلق النصارى على هذه العقيدة "عقيدة التحول" ، ويسمونه "التحول الجوهري" ، حيث يعتقدون أنَّه بتلاوة صلاة الحمد - التي ذكرتها سابقاً - على الخبز والخمر لتقديسهما يصير يسوع المسيح بقراءة هذه الكلمات (التي تلاها الكاهن) حاضراً حضوراً حقيقياً وواقعياً وجوهرياً تحت الأشكال الإفخارستية . وحضور المسيح عليه السلام هو قلب الإفخارستيا ؛ وبذلك كانت أوليته على جميع الأسرار .

ويمكن أن يوجه إلى هذا السر الانتقادات التالية :

---

[1] المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا ، ص : ٣٩٢ .

[2] موسوعة طقوس الكنيسة ، د. ميخائيل نكسي إسكندر : (٩٦/٢) .

١- النص الوارد عند متى « هذا هو جسدي ... » لم يورده يوحنا ، وهو من تلاميذ المسيح عليه السلام- كما يرى النصارى - ، وهو كذلك ممن حضر الحادثة ، فلم يذكر عن هذه الحادثة شيئاً ، وهي ذات أهمية عندهم فدل ذلك على أنَّ هذا النص مكذوب على المسيح عليه السلام .ومما يدل ذلك – على التسليم برأيهم - كون المسيح لم يفعل ذلك إلا في آخر ليلة وقبل أن يُسلَم . فلو كان هذا السر مشروعاً فلماذا لم يبينه المسيح عليه السلام ويأمر به إلا في آخر ليلة من حياته .

٢- هذا السر مبني على عقيدة باطلة ، وهي صلب المسيح عليه السلام - بزعمهم – وببطلان أساس هذه القضية تبطل هي كذلك .

٣- يتضمن هذا السر الشرك الصريح ؛ إذ أنَّ فيه السجود لهذه الفطيرة ، وطلب المغفرة منها [1] .

٤- ما نسبه النصارى إلى المسيح عليه السلام أنَّه قال : (هذا هو دمي) مردود بأنَّ التوراة التي جاء المسيح عليه السلام بتصديقها – جاءت تحرِّم الدم ، فكيف يأمرهم بشرب ما هو محرم في كتابهم . وهذه المناقضة الظاهرة تدل على عدم صحة نسبة هذا النص إلى المسيح عليه السلام .

٥- هذا السر لم يُقر إلا في المجمع اللاتيراني عام ١٢١٥م ، وهذا يدل على أنَّه مما ابتدعته الكنيسة مؤخراً ، وأيضاً ، فإنه مناف للعقل أشد المنافاة ؛ لأنَّه لا يعقل أن يكون المسيح حاضرا في هذا السر حضوراً فعلياً ، وهو لا يُرى ولا يُسمع ، وكذلك فإنَّ اعتقاد أنَّ كل جزء من الفطير هو المسيح نفسه كاملاً كما يرون أشد منافاة للعقل ، وإذا كانت عدد موائد القربان تعقد بالآلاف سنوياً فكم مسيحاً يحضر في هذه الموائد في وقت واحد !.

رابعاً : سر التوبة (الاعتراف) :

[1] انظر تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص:١٦٦ .

يعرِّف النصارى هذا السر بأنَّه : رجوع الخاطيء إلى الله ، ومصالحته باعترافه بذنوبه ، وآثامه وزلاته وشروره أمام كاهن الله ليحصل منه على "الحِل" ، أي : رحمه الله له بالسلطان الممنوح له من الرب .

ويرون أنَّ قدرة الكهنة على المغفرة والحل من الذنوب قد نالوها بالوراثة ؛ فسلطان "الحل والربط" أعطاه الرب للرسل ، ومن خلالهم للأساقفة والكهنة من بعدهم ، وهم يفسرون سلطان "الحل والربط" بأنَّ الربط هو عزل الشخص عن الكنيسة ، والحل هو : حل الربط ، أي : إعادته إلى الكنيسة ، وذلك بعد التوبة .

وبهذا يتضح لنا كيف تمكن رجال الدين ، وهم الأساقفة والكهنة من تثبيت سلطتهم في مغفرة الذنوب من خلال هذا المدخل الذي يبدو شرعياً – في نظرهم – ، وبهذا التوجيه أقنعوا أتباعهم ، وأصبح هذا السر من صلب عباداتهم .

ويقوم هذا السر عند النصارى على ركنين . الأول : المعترف . والثاني : الكاهن ، ولكل منهما أمور تخصه .

فامَّا المعترف فيجب عليه التوبة ، ووقتها على مدار السنة ، ويحبذون أن يكون في زمن الصوم ، وكل جمعة تذكاراً لموت المسيح عليه السلام – بزعمهم – ويجب عليه الندامة ، والإقرار بالخطايا ، والتكفير عنها ، كما يحدد الكاهن .

وأمَّا الكاهن الذي هو ممثل عن المسيح عليه السلام ، فيجب عليه أن يعلن للمعترف بشارة المغفرة ، ويفسرها له ، ويساعده بالنصائح في حياته بعد التوبة ، ويصلي لأجله ، ويتوب عنه ، ، ويمنحه باسم يسوع المسيح عليه السلام مغفرة خطاياه ، وحفظ سر المعترف ، ويطلق على ذلك " الختم السري " .

وسر الاعتراف – كبقية الأسرار عمل ليترجي ، وأهم عناصر الاحتفال به بركة الكاهن ، وقراءته لإنارة الضمير ، والحث على التوبة ، وفرض القصاص على المذنب ، والحل من الخطايا ، ثم، الحمد والشكر ، وأخيراً صرف التائب مزوداً ببركة الكاهن ، ومحور عمل الكاهن في هذا السر هو الحِل ، ومن أخصر صيغه : « أحلك من خطاياك باسم الآب ، والابن ، والروح القدس » [1].

[1] المسيحية في عقائدها ، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا ، ص : ٤٢٠ .

وكما أن للكاهن القدرة على الحل فإنَّ له فرض الكفارات على المذنب بما يراه مناسباً للذنب ، وعلى هذا الأساس شرع رجال الدين ما يسمى بالتأديبات الكنسية ، التي توصلوا من خلالها إلى الوقوف أمام كل من يعترض عليهم ، أو يخالفهم ، أو حتى لا يستجيب لأوامرهم .

هذا هو سر الاعتراف ، ومن أهم الانتقادات الموجهة إليه ما يلي :

١- هذا السر يتضمن الشرك بالله تعالى ، حيث يعتقد النصراني أنَّ الكاهن له القدرة على مغفرة الذنب ، وذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

٢- أنَّ عيسى عليه السلام لم يأمر به ، ولم يأت أحد إليه ليقر له بذنبه من أجل أن يغفر له ، وتدل على ذلك أناجيلهم ، وأما النص الوارد(من غفرتم خطاياه تغفر له) فقد أجبت عنه فيما سبق .

٣- أنَّ الكاهن هو بشر لايملك ذلك لنفسه فكيف يملكه لغيره .وإذاكان هو ممن يقع في الذنوب فمن يغفر له ذنبه . وحال النصراني مع الكاهن كحال الأعمى الذي يقوده أعمى مثله ، وهيهات أن يهتديا إلى الطريق .

خامساً : سر الزواج :

يعرِّف النصارى ذلك السر بأنَّه :سر "مقدس" يربط بين زوج وزوجة ، وبفعل الروح القدس ، وبصلوات الكاهن يصيران واحداً ، ويحلان لبعضهما .

ويرون أنَّ هذا الميثاق بين الزوجين أسسه المسيح عليه السلامبنفسه ؛ ولذلك يجب أن يتصف بالوحدة ، والديمومة ، والانفتاح على الخصوبة (أي : إنجاب الأولاد) ، وهذه الثلاث هي المقومات الأساسية لسرالزواج .

ولأجل ذلك يحرم عند النصارى التعدد ؛ لأنَّه ينافي الوحدة ، كما يحرم الطلاق ؛ لأنَّ الزواج رباط روحي ، ولأنَّ الرب قد أقره ، فلا يفرِّقون بين ما جمعه الرب !، فلا ينفك الزواج إلا بالموت ، أو بالزنى ، أو ترك الدين . ولذلك لا تعترف الكنيسة بالزواج المدني(الذي يحدث خارج الكنيسة) إذا كان عقد الزواج الأول صحيحاً .

وأمَّا الركن الثالث ، وهو الانفتاح على الخصب ، فذلك نابع من أنَّ المهمة الأساسية من الزواج والأسرة هي التجنيد لخدمة الحياة الكنسية .

ولابد لصحة هذا السر من حضور الكاهن ، وشهوده على الرضا المتبادل بين الزوجين ، وتُعد بركة الكاهن ضرورية لصحة السر ، وتشتمل ليتروجيا هذا السر على صلوات البركة من الكاهن ، وصلاة الاستدعاء للروح القدس التي تكون في حفل الزفاف .

ولا يوجد عند النصارى نص واحد يصرِّح بأنَّ عيسى عليه السلام قد عرف هذا السر ، والطريقة التي يؤدى بها فضلاً عن أن يأمر به أو يدعو إليه .

سادساً : سر الكهنوت :

الكهنوت هو : السر الذي ينال به المدعو لاقتباله (أي : لقبوله) ، بواسطة وضع الأيدي ، وصلاة رئيس الكهنة (الأسقف) سلطان تعليم كلام الله ، وتقديس المؤمنين بالأسرار المقدسة ، والخدم الكنسية ، وقيادتهم إلى الخلاص [1] .

ويعتبر النصارى أنَّ أعظم الكهنة – بل الكاهن الأعظم هو المسيح عليه السلام ، وما الآخرون سوى خدمته ، وهو الذي أقام الرسل أساقفة ، وقسوساً ، وشمامسة ، وأنَّهم نالوا موهبة الروح القدس بوضع الأيدي عليهم ، وأنَّ الرسل بدورهم قد أعطوا الأساقفة مسئولية إقامة القسوس والشمامسة من الجنسين . وبهذا نفهم أنَّ سلطان الكهنوت قد ورثه الكهنة من الكاهن الأعظم – بزعمهم – وهو المسيح عليه السلام .

درجات الكهنوت :

درجات الكهنوت الأساسية عند النصارى ثلاث درجات ، وهي كما يلي :

١- الأسقفية : ، وهي متصلة من الرسل مباشرة وتضطلع بالسلطات الكهنوتية الثلاث بكاملها .

٢- القسوسية : وينالها الكاهن من الأسقف وهي تضطلع بالسلطات الكهنوتية ما عدا إعطاء سر الكهنوت (الذي يختص به الأساقفة) ، وتكريس سر الميرون .

٣- الشمَّاسية أو (الشموسية) : وينالها الشماس من الأسقف ، وتتضمن حق المساعدة في إقامة الأسرار .

واختيار رجال الكهنوت يتمُّ في الأصل عن طريق السر الكهنوتي ، ولكنَّ هناك ميزات قد ترشح صاحبها لنيل تلك الدرجة ، ومن أهمها :

---

[1] العبادة المسيحية ، للأرشمنريت إلياس ، ص :٩٦ .

أ – حالة العزوبة ، مع تفضيل البقاء عليها (على اختلاف بين الطوائف) .

ب – عدم المطالبة بها إلا من رأى أنَّه أهل لذلك فيتقدم بطلبه ، ويبقى للكنيسة حق القرار في ذلك .

ج – المؤهلات الروحية ، من تزكية الكنيسة له ، وأن يكون قصده الخدمة لا الغرض المادي (هكذا يقولون !) .

ويتم سر الكهنوت بأن يضع الأسقف يده على رأس المرتسم ، ويتلو صلاة التكريس الخاصة التي يطلب فيها إلى الله أن يفيض الروح القدس عليه ، ويجود عليه بالمواهب المنوطة بالخدمة التي انتدب لها المرتسم .

ويتمثل دور الروح القدس في هذا السر بجعل المرتسم على شبه المسيح عليه السلام – بزعمهم – ، الذي أقيم المرتسم خادماً له .

بقي أن أذكر أنَّ المهمات الأساسية لرجال الكهنوت ثلاثة أمور ، وهي : التعليم ، وإقامة الشعائر (المهمة اللتروجية) ، والرعاية ، أي رعاية الشعب .

وهذا السر كسابقه لم أجد له دليلاً خاصاً يمكن مناقشته ، فأغنى ذلك عن تفصيل مناقشته .

سابعاً : سر مسحة المرضى :

يعرَّف هذا السر بأنَّه : السر الذي يُعطى بصلوات الكاهن ، وبمسحة الزيت النعمة الإلهية لشفاء الأمراض ، والعجز الجسدي ، والنفسي ، ومغفرة الخطايا ، وتقوية النفس في الإيمان والرجاء .

وهذا المسح وإن كان ظاهره العموم لكل المرضى إلا أنَّ الكنيسة أخذت تقصره – شيئاً فشيئاً –على المشرفين على الموت ، ويراد منه وفاة النصراني على دينه .

ويتضمن الاحتفال به ما يلي :

١– يضع كاهن الكنيسة يده على المريض ، ويصلي عليه صلاة الاستدعاء ، ولا يجوز أن يمنح هذا السر غير الكاهن .

٢– يمنح الكاهن المسحة بالزيت الذي باركه الأسقف فيدهن جبهة المريض ، ويديه ، وعند بعض الطوائف يدهن أعضاء أخرى غير الجبهة واليدين .

٣- بذلك يستحق المريض نيل النعمة الغير منظورة .

وأما فوائده ، فمن أهمها مغفرة الخطايا التي ينالها من سر التوبة ، واسترداد العافية .

هذا ما يتعلق بهذه الأسرار ومن ذلك يتبين الدور المحوري للكاهن في هذه الأسرار ، وأنَّ حياة النصراني قد ارتبطت به ارتباطاً كاملاً .

ويمكن نقد هذه الأسرار إجمالاً كما يلي :

١- أنَّ اختصاص النصراني بهذه الأسرار كله راجع إلى السلطان الممنوح من الرب — بزعم النصارى — وقد أبطلت بالتفصيل ذلك الأصل .

٢- كل هذه الأسرار تتضمن الشرك بالله تعالى إمَّا في ذاتها ، أو من خلال توسط الكاهن فيها، أو بسبب ارتباطها بالعقائد الشركية الأخرى .

٣- أكثر هذه الأسرار لم تعترف به الكنيسة إلا في وقت متأخر ، وهذا دليل على بدعيتها .

٤- أنَّ هذه الأسرار ليست موضع اتفاق بين طوائف النصارى ؛ فالبروتستانت لا يؤمنون إلا باثنين منها ، وهذا يدل على استنادها على الأناجيل كما يدَّعون .

الفصل الخامس

صور عامة في تقديس الأشخاص

وفيه أربعة مباحث

- ❖ المبحث الأول : التبرك بآثار ومخلفات المقدَّسين
- ❖ المبحث الثاني : تقديس التماثيل والصور
- ❖ المبحث الثالث : إقامة الأعياد لمن يسمى بالمقدَّسين
- ❖ المبحث الرابع : الزيارة والحج إلى أماكن المقدَّسين

تمهيد :

لم يقتصر تقديس الأشخاص عند النصارى على ما سبق ذكره في الفصول السابقة ، بل أصبح يشمل كل من له أدنى شأن – باعتقادهم ، وقد اطلق على هؤلاء الأشخاص لقب "المُقدَّسين" ، ولفظ القدِّيس وإن كان يتضمن – من حيث العموم – جميع النصارى إلا أنَّه

يدل على مزيد من الخصوصية ، والتميز لمن يحمل هذا اللقب ٠ ويطلق الكاثوليك على بعض المقدَّسين عندهم لقب "الطوباوي" ، ويعرفونه بأنَّه : « المسيحي الذي عاش حياة صالحة ، وظل الناس يذكروه طويلاً بعد وفاته ، وينالون بشفاعته نعماً من السماء » [(١)] ٠

وهذه النعم التي يشيرون إليها هي من قبيل المعجزات ، ومن ثبتت له معجزتين على الأقل رقَّته الكنيسة إلى درجة "القدِّيس" [(٢)] ٠

وقد تنوعت صور التقديس لهؤلاء الأشخاص ، وأهمها – فيما ظهر لي – أربع صور سأتحدث عنها بالتفصيل فيما يلي ، وقبل الحديث عنها أنبه إلى العلاقة بين هذه الصور ، وهي كما يلي :

١- بين هذه الصور علاقة كبيرة من جهتين : الأولى تعلق بعضها ببعض من حيث العموم والخصوص ؛ فيمكن أن تدخل صورة أو أكثر تحت معنى صورة أخرى ، ومن حيث تعلقها بالأشخاص ؛ فقد تجد صورة أو أكثر تتعلق بشخصٍ واحد ، ومع ذلك فقد أفردت كل صورة على حدة لغرض البحث ، ولتفصيل الحديث عنها ٠

٢- يغلب على هذه الصور العموم من جهة الأشخاص التي تتعلق بهم ؛ فهي تعم كل مقدَّس عند النصارى ، وقد يكون هو عيسى عليه السلام ، أو مريم عليها السلام ، أو من يسمى عندهم بالرسل ، أو الباباوات ، أو غيرهم من سائر من يسمى برجال الدين ٠

٣- هذه الصور تتعلق بتقديس الأشخاص بعد مماتهم في الأغلب ، وهم من يطلق عليهم النصارى لقب "الراقدين "، وتشمل الأحياء في حالات أقل كما هو الحال في البابا ٠

المبحث الأول

التبرك بآثار ومخلفات القدِّيسين

وفيه مطلبان

---

(١) قديسون وشهداء يسوعيون ، سير مختصرة ، سامي حلاق اليسوعي :(٥/١) ٠

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها ٠

- المطلب الأول : تقرير تبرك النصارى بمخلفات القدِّيسين
- المطلب الثاني : نقد تبرك النصارى بمخلفات القدِّيسين

المطلب الأول : تقرير تبرك النصارى بمخلفات القديسين

يعظِّم النصارى كل ما يعتقدون أنَّه من آثار أو مخلفات المقدَّسين عنـــدهم ، وهـــذه المقدسات إمَّا أن تكون متعلقة بذواتهم ، كالشعور والعظام ، ونحوها ، أوباســتعمالاتهم ، كالأدوات التي استخدموها في حياتهم ، كالثوب ، والعصا ، ونحوها ، ويُطلق عليها الذخائر ، أو تتعلق بأماكنهم التي تنقلوا أو ماتوا فيها ، ومن أعظمها القبور ٠

وقد توسع أمر هذه المخلفات وتطور ، حتى أصبحت الكنائس تتبارى في إظهار مـــا لديها من تلك المخلفات والذخائر أو إبراز الأماكن "المقدسة" عندهم .

وقد تحدث المؤرخ ديورانت عن تقديس هذه الآثار ، ومما ذكره ما يلي :

١- أنَّ كنيسة بطرس تباهي بأنَّها تحوي جسدي "القدِّيسَـين" بطـرس وبـولس ، وأصبحت بذلك كعبة للحجاج من النصارى الذين يتوافدون عليها من جميع أنحاء أوربا .

٢- تزعم كنيسة في سانت أومر [1] أنَّ فيها قطعاً من الصليب الحقيقي والحربة الـتي اخترقت جسم المسيح عليه السلام بزعمهم ، ومن مهده وقبره ،والمنّ الذي نزل مـن السـماء ، وعصا هارون ، والمذبح الذي تلى عليه بطرس القداس ، وشعر تومس أبكت [2]، وقلنسوته ، وقميصه المنسوج من الشعر ، والشعر الذي جُزَّ من مقدمة رأسه .

٣- يزعم النصارى أنَّ كنيسة أمين [3] رأس يوحنا المعمدان في كأس فضية .

٤- يحتوي دير(القديس) دمتيس [4] جسم ديونيسـيوس الأريوبـاجي [5]، وتاجـه الشلوكي .

٥- تدعي ثلاث كنائس في فرنسا أنَّ فيها جسد مريم المجدلية .

٦- في دير ويستمنستر [1] بعض دم المسيح ، وقطعة من الرخام عليها طابع قدمه .

٧- يعرض أحد أديرة درهام [2] مفصلاً من مفاصل (القدِّيس) لـورانس ، والفحـم الذي أحرقه ، والصفحة التي قُدِّم عليها رأس يوحنا المعمدان إلى هيرودس ، وقميص العذراء ، وقطعة من الصخر عليها علامات نقط من لبنها .

---

(١) سانت أومر مدينة كانت تابعة لملك فرنسا . انظر قصة الحضارة ن ول ديورانت : (١٩٠/١٥) .

(٢) ولد في لندن عام ١١١٨م ، من أبوين رومانيين من أبناء الطبقة الوسطى ، وترقى في المناصب حتى أصـبح كـبير شمامسة كنتربري ومستشاراً للملك ثم عُين كبيراً لأساقفة كنتر بري ، وأصبح من ذلك الوقت من أكبر المدافعين عـن حقوق الكنيسة وامتيازاتها . انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١٩٠/١٥) .

(٣) تقع في فرنسا ، وبنيت بين عامي ١٢٢٠-١٢٨٨م على الطراز القوطي .انظر : المصدر نفسه : (٣٠٣/١٦) .

(٤) يوجد هذا الدير في ضاحية باريس ، ويُعد دمتيس عند النصارى الولي الشفيع والنصير لأهـل فرنسـا . المصـدر السابق : (٢٣،٢٩٣/١٦) .

(٥) رجل من أثينا ، اعتنق تعاليم بولس ، وله مؤلفات من أهمها : "في السلطة الكهنوتية السماوية" ، و"في اللاهوت الصوفي" ، وتدل محتوياتها على أنها ألفت بين القرنين الرابع والسادس . المصدر السابق : (٢٤٩/١٢) .

(١) يوجد حالياً في لندن ببريطانيا .

٨- كذلك فإنَّ الكنائس القسطنطينية قبل عام ١٢٠٤م كانت غنية بالمخلفات المقدسة ؛ فكان فيها الحربة التي نفذت إلى جسم المسيح ، ولا تزال حمراء من دمه ، والعصا التي ضُرب بها وقطع كثيرة من الصليب الحقيقي مغلفة بالذهب ، وثريد الخبز الذي قدم ليهوذا في العشاء ، وشعرات من لحية المسيح ، وذراع يوحنا المعمدان اليمنى .[٣]

وكانت تعزى إلى هذه المخلفات قوى معجزة ، وتروى مئات الآلاف من القصص عما تحدثه من المعجزات ، وكان الرجال والنساء يبذلون كل ما في وسعهم للحصول على أقل أثر ليتخذوه طلسماً كخيط من ثوب (قديس) أو قليل من تراب عليه مخلفات ، أو نقطة زيت من مصباح مقدس في ضريح .

ولاشك أنَّ هذه الآثار أصبحت تدر على الكنائس والأديرة أعظم الأموال ، ومن الأمثلة على ذلك : أنَّ نقل عظام تومس أبكت إلى ضريح جديد في كنيسة كنتر بري الكبرى عام ١٢٢٠ جمع من الذين شاهدوا هذا العمل ما يقدر بنحو ٣٠٠٠٠٠ دولار أمريكي ، وقد وصل هذا الأمر إلى حد الجنون ، ومن ذلك أنَّه وجد في عدد من الكنائس رؤوساً كاملة ليوحنا المعمدان — كما يدعون - ، وأيضاً فقد أصبحت هذه الأديرة تطوف بما لديها من المخلفات خارج أديرتها ، حتى حرَّم البابا اسكندر [٤] ذلك عام ١١٧٩م ، وحرَّم مجمع اللاتيران عرض المخلفات خارج الأضرحة .

المطلب الثاني : نقد تبرك النصارى بمخلفات القديسين :

من خلال عرض موقف النصارى من مخلفات من يسمى بالقديسين يتبين لنا ما يلي:

١- أنَّه لا يوجد أي دليل على صحة ما ينسب إلى هذه المخلفات ، من حيث نسبة هذه المخلفات إلى أصحابها ، وما ينسب إليها من قيمة يدَّعونها .

---

[٢] يوجد في بريطانيا ،بني على الطراز النور مندي عام ١٠٩٣م . انظر قصة الحضارة ،ول ديورانت :(١٨٢/١٦) .

[٣] انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٤/١٦ وما بعدها) .

[٤] اسمه أورلاندو باندينللي ، كانت بابويته في الفترة (١١٥٩-١١٨١م) ، وعهده من أكثر عهود البابوية مأساوية واضطراباً سبب وجود منافسين له ، وعقد في عهده مجمع لاتيران عام ١١٧٩م . انظر : معجم البابوات ، جوان داثيو ، ص:١١٢ .

٢- يظهر من أقوال النصارى الكذب الصريح فيما يذكرونه عن هــذه المخلفــات ، وذلك مما يعلم بالحس وبالعقل ، فكيف يبقى دم المسيح ، ولبن مريم ، وثريد الخبز الذي قدم في عشاء الرب – بزعمهم – إلى اليوم ؟ ، وكيف يكون رأس يوحنا موجــوداً في ثــلاث كنائس في وقت واحد ؟ .

٣- أنَّ الهدف الحقيقي من هذه الإدعاءات المزعومة عن هذه المخلفات إنَّما هو جمــع الأموال الوفيرة ، والتسابق في ذلك ، وإذا كان هذا هو الهدف فلــيس غريبــاً أن يســلك النصارى كل سبيل يحقق لهم ذلك .

٤- لم يقف الأمر عند أتباع النصارى على مجرد تصديق هذه الدعاوي بل تجاوز ذلك إلى التعلق بها من خلال :

أ- طلب البركة من هذه الآثر باعتبارها آثار "قدِّيسين" .

ب- اعتقاد أنَّها تقوم بخوارق ومعجزات .

ج- طلب الشفاء منها .

د- عبادتها لذاتها .

يتحدث يوحنا الدمشقي عن بركة من يسمى بالقديسين : « لقد وهبنا السيد المسيح رفات القدِّيسين ينابيع خلاصية تنبع البركات بطرق شتى » [1] .

ولتأكيد ذلك أضرب المثال بأحد أشهرالآثار وأكثرها قداسة عندهم ، وهو الصليب .

تعظيم النصارى للصليب :

من أعظم المخلفات التي نالت التقديس عند النصارى ، حيث يعتقــدون أنَّ المســيح عليه السلام قدم نفسه على الصليب فداءاً للبشر من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ، ومــن هنــا كــان تعظيمهم للصليب ، وتقديسهم له ؛ فقد اتخذوه علامة لدينهم وإيمــانهم بالمســيح عليه السلام ، وألزموا أنفسهم بحمله، في كل مكان ، إمَّا بتعليقه في الأعناق ، أو تصليبه على أجســامم ، ويزعمون أنَّ المسيح نفسه أمرهم بذلك ، حيث ينسبون إليه في أناجيلهم أنَّه « دعا الجميــع مع التلاميذ وقال لهم : من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني » [1] .

---

[1] المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي : ٢٦٤ .

[1] مرقص : (٣٤/٨) .

وهم يعظمونه كتعظيم المسيح ، ويضعونه في قبلتهم على منبر عال ، ويجعلون تحته الثياب الفاخرة ، وفي خدمته جماعة من الكهنة قد كشفوا رؤسهم ، ولبسوا الطيلسانات يهللون بأعلى أصواهم ، ويتقادون إلى خدمته ، ويقبلون الأرض بين يديه ، ويلثمونه (٢) .

ولذلك يضعونه فوق كنائسهم ، وله في اعتقاد النصارى معانٍ أخرى ؛ فهو علامة يوم الحشر ، والذي يؤمن به لا يهلك أبداً ، بل تكون له الحياة الأبدية ، وهو كاشف الأسرر اللاهوتية ، وإن كان أحد اليسوعيين لا يرسم الصليب على وجهه ، أو لا يقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن لا تقبل عبادته ، ويعد مرتداً ، والبروتستانت لا يعبدون لذاته ، ولكن يعتقدون أنَّه بوسطته أنكشف التثليث وألوهية المسيح (٣) .

ومن صور تقديسه إقامة الصلوات تعظيماً له ، وهي صلوات في الصباح وفي المساء ؛ فهناك صلاة ارتفاع الصليب المقدس ، وصلاة الأحد الأول بعد ارتفاع الصليب ، وصلاة الأحد الثاني بعد ارتفاع الصليب (٤) .

ومن الأمثلة على هذه الصلوات ما يسمى بصلاة الغفران لمجد الثالوث الأقدس ، حيث يقال في هذه الصلاة : « نسجد لصليب الخلاص اختاره ابن الله فرُفع عليه .. صليبك ربي قطعتان من خشب حولته خشبة خلاص ، فأصبح سمة المخلصين ، والهوية والشعار . به نتبارك ونبارك ، نحتمي ونستعين ، حيثما يُرفع صليب ، فأنت حتماً هناك ، ونحن معك ، وبأي شكل نبدأ ونختم بإشارة الصليب . وكل مرة نحب أو نتوب أو نغفر فباسم الصليب صليبك ربي دربنا إلى الملكوت ، أمامك ربي لا نملك سوى أن نصمت ونسجد . فصليبك قبلة عظائمك وقمة الدهور : يحول الموت حياة ، والشر قداسة ، في شركة أبناء الله وخلقه إلى أبد الآبدين . آمين » (١) .

---

(٢) انظر : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، للمهتدي نصر بن يحي المتطبب ، ص: ٧٤-٧٥ . والنص منقول من كتاب جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية ، لماما دوكارا مبيري ، ص:٤٨١ ، وهي رسالة دكتوراة غير مطبوعة .

(٣) انظر : الإنجيل والصليب ، للمهتدي عبدالأحد داود ،ص: ٢٥ و٢٧,٢٨ .

(٤) انظر : ليتقدس اسمك ، وهو كتاب صلوات الأزمنة الطقسية ، الأبوان يوحنا ، ويوسف العنداري ، ص:٦١٩ .

(١) المصدر السابق ، ص:٦٢٣ .

وهكذا يظهرلنا أن الصليب عند النصارى ما هو إلا أحد الأوثان التي تعبد مـــن دون الله ، ويسجد لها ويطلب منها جلب النفع ودفع الضرر.

المبحث الثاني

وضع التماثيل والصور وتقديسها

سبق أن تحدثت عن تحريم اتخاذ التماثيل والصور في شريعة التوراة الـتي يـؤمن بهـا النصارى ، ومع ذلك فقد وقعوا فيما حرم الله عليهم ، وصنعوا التماثيـل والصـور لمـن يقدِّسونهم وسموها بالأيقونات ، وجعلوها في الكنائس وفي غيرها من الأماكن .

وقد تقرر تقديس الصور في مجمع نيقية الثاني عام ٧٨٧م ، وحضره ٣٧٧ أسـقفاً ، وقرروا تقديس صور المسيح عليه السلام ، وأمه العذراء عليها السلام ، والقدسين [(١)] .

ويرى النصارى الأقباط أنَّ الأيقونة تقوم بدور في الوعظ ؛ فهي العظـات المرسـومة والمرئية ، وهي العظة التي يستطيع أن يقرأها الكل دون تمييز بين إنسان وآخر ، ويفهمهـا الأمي كما يفهمها المعلم ، كما أنَّها أداة تسند الفكر في إنشغاله بالله ، وتلهب القلب بالحب لحياة الفضيلة ! [(٢)].

ولَّما كانت الأيقونة بهذه المترلة ؛ فقد جعلوا لها طقوساً خاصة بها ، ومنها أنَّه لابد أن تقدس بواسطة الأسقف ، وتُمسح بالميرون ، فإذا تم ذلك كانت صالحة للتقبيل والتبخير .

ومما يتعلق بالغلو فيها أنهم يسجدون لها ، ويبررونه بأنَّه سجود تكريم لا عبادة . يقول يوحنا الدمشقي : « نحن لا نعبد الأيقونة المادية بل الله المرموز له في الأيقونات » [(٣)] .

ويعلل أيضاً سر تقديس هذه الأيقونات بأنَّ الروح القدس تعمل في أشكال وأيقونات هؤلاء القدِّيسين : « امتلأ القدِّيسون بالروح القدس أثناء حياتهم وبعد رحيلهم تسكن نعمته في أرواحهم كما في أجسادهم في القبر ، وتعمل في أشكالهم وأيقوناتهم لا سكن الجوهر بل كنعمة وقوة إلهية [(٤)] .

وما حاول يوحنا الدمشقي نفيه اعترف به غيره من النصارى ؛ فقد ذكر ول ديورانت بأنَّ الصور التي وضعت للقدِّيسين قد تلقت من أنواع العبادة التلقائية ما جلل بالعار بعـض الفلاسفة ومحطمي الصور المقدسة ، ثمَّ ذكر شكوى كلوديوس أسقف تورين من أنَّ كـثيراً

[(١)] انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ابرهيم خليل احمد ، ص:٢٥٤ .

[(٢)] انظر : كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك ، الشماس الإكليريكي الدكتور : سامي حلمي ، ص: ٧٢ .

[(٣)] المصدر نفسه ، ص:٧٣ .

[(٤)] المصدر نفسه ، ص:٧٤ .

من الناس يعبدون صور القدِّيسين ، وأنَّهم لم يقلعوا عن عبادة الأصنام ، بل كل ما في الأمر أنهم غيروا أسمائها [1] .

وقد ميزت الكنيسة أيقونات المقدَّسين عندهم بهالة من النور حول الرأس ، في إشارة إلى عملهم كنور للعالم ، أمَّا أيقونة المسيح ، فيرسم داخل الهالة صليب .

ومن الطقوس المتعلقة بالأيقونات ، مرور الكاهن أمامها حاملاً المجمرة في صلوات تسمى صلوات عشية وباكر ، وينحني أمامها ، ويلقي بالسلام على أصحابها القدِّيسين ، الشهداء ، الملائكة ، تباعاً [2] .

ومما سبق عرضه يتبين لنا أنَّ النصارى قد وقعوا في الشرك في هذه الأيقونات ؛ حيث يعتقدون بتأثير الروح القدس فيها ، ويسجدون لها .

---

[1] قصة الحضارة : ٢٤/٠١٦ .

[2] انظر : موسوعة طقوس الكنيسة القبطية ، د. ميخائيل مكسي اسكندر ، ص:٥٤ .

المبحث الثالث

إقامة الأعياد لهم

مما ابتدعه النصارى من الغلو في قدِّيسيهم أقامة الأعياد لهم ، والتي عظموا شأنها زاعمين أنَّ المسيح عليه السلام أول من عظمها وأظهر لها اعتباراً كبيراً عندما قدَّسها بحضوره لها ، كما في ذهابه إلى أعياد اليهود التي كانت في أورشليم ، وأيضاً ؛ فإنَّ من يسمى بالرسل قد احتفلوا بها ، وباركوها وأمروا بتقديسها صريحاً قولاً وعملاً [1] .

والحق أنَّ أول من احتفى على الحقيقة بهذه الأعياد هو بولس ؛ الذي أمر بتعييد عيد الفصح بقوله : « إنَّ فصحنا أيضاً المسيح ، ذُبح لأجلنا ، إذ التعييد ليس بخمرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر والخبث ، بل بفطير الإخلاص والحق » [2] ، ولمَّا كان في أفسس أسرع إلى أورشليم ليحتفل بما يسمى عيد العنصرة ، ولمَّا كان في آسيا وعد أهل كورنثوس بالذهاب إليهم بعد عيد العنصرة [3] .

والغرض من هذه الأعياد عندهم إحياء ذكرى القدِّيسين الذين يعظمونهم ، وتذكيراً للخلف بهم ، وبما جرى لهم من الحوادث ، وشكراً لله على ما نالوه من الآيات .

وهذه الأعياد تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الأعياد السيدية ، نسبة إلى السيد المسيح -كما يقولون — وهي نوعان- أيضاً - : كبرى : وهي بالترتيب : البشارة ، الميلاد ، ، الغطاس ، الشعانين [4]، القيامة ، الصعود ، العنصرة . والصغرى ، وهي : الختان ، ودخول الهيكل ، ودخول مصر ، وحضور عرس قانا ، التجلي ، خميس العهد ، أحد توما .

والقسم الثاني : الأعياد غير السيدية ، ويعنون بها أعياد من يسمى بالرسل وتشمل أعياد مريم عليها السلام ، وأعياد القدِّيسين ، والشهداء.

---

(1) انظر : اللآلي النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، القمص يوحنا سلامة ، ص، ٣٦٩ .

(2) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس : (٥/٧-٨) .

(3) انظر : اللآليء النفيسة ، ص: ٣٦٩ .

(4) مأخوذة من الكلمة الأرامية "هوشعنا" أي خلصنا ، وأحد الشعانين أو أحد السعف هو عيد دخول المسيح إلى أورشليم — كما يرى النصارى- . انظر : معجم المصطلحات الكنسية ، أثناسيوس : (٢/٢٤٣) .

وقد جعلت الكنيسة في كل يوم عيداً لأحد القدِّيسين ، و لم يتوقف الأمر على مجـــرد التذكار ، بل تجاوز إلى اعتقاد أنَّ لهؤلاء المحتفل بهم نوع من التأثير ؛ ومن أجل ذلك جعلوا أعيادهم ترتبط بأمور يعيشها أو يحتاجها الناس ، ويدل على ذلك قول ول ديورانت :« فربما للقدِّيس الذي يحتفل به في موسم البذر أثر على البذر ، وكذلك عيد القدِّيس فالنتين [١] أثر بقرينة تزاوج الطيور ووضع الأزهار على النوافذ » [٢] .

وعلى هذا المنوال ألفت كتب في أعياد القديسين على مدار السنة ، ومن أهمها :

١- كتاب كنز العباد الثمين في أخبار القديسين ، لمكسيموس بطريرك طائفة الـــروم الملكيين الكاثوليك .

٢- كتاب السنكسار ، الذي وضعه المطران ميخائيل عساف رئيس أســـاقفة بتـــرا وفيلدلفيا وسائر شرق الأردن .

وتتضمن هذه الكتب أخبار القدِّيسين ، ويقرأ في كل يوم عن أحدهم .

---

[١] هذا العيد هو الذي يسمى بعيد الحب ، وللأسف أنَّ بعض المسلمين قلدوا النصارى في الاحتفال به ، وربما أنهم هم لا يشعرون .

[٢] قصة الحضارة :(٢٣/١٦) .

المبحث الرابع

الحج وزيارة أماكنهم

لم يرد في الأناجيل ذكر لفريضة الحج بالمعنى المعروف إلى جهة محددة ، و لم يرد ذلك – فيما أعلم – فيما عرفناه من رسالة المسيح الطَّيْلا .

وقد جاء تعريفه عند النصارى بأنَّه: «رحلة يقصد بها (المؤمنون) مكاناً مقدساً بظهور إلهي ، أو بنشاط معلم ديني من أجل تقديم صلاتهم في إطار ملائم لذلك بصفة خاصة »[(1)] .

ومن هذا التعريف يظهر لنا ما يلي :

١- أنَّ الحج يقوم على الذهاب إلى الأماكن المقدسة عموماً ، ولا يقتصر على الذهاب إلى مكان واحد فقط .

٢- سبب القداسة في المكان الذي يُحج إليه هو ما يسمونه بالظهور الإلهي ، ويقصدون بذلك الأماكن التي ظهر فيها المسيح الطَّيْلا باعتباره إله عندهم ، أو ظهور معلم ديني وهذا يشمل الأماكن التي ظهر فيها أحد من يسمى عندهم بالقديسين ، ومن ذلك نخلص بأنَّ أماكن الحج عندهم ليست مكاناً واحداً ، وإنَّما هي كل مكان اتصف بالقداسة عندهم من قبر أو كنيسة أومشهد لأحد قدِّيسيهم ، أوغير ذلك .

٣- لا يتوقف الحج على مجرد الزيارة ، بل يتضمن طقوساً تؤدى بطريقة خاصة .

و لم يُعرف أنَّ النصارى في بداية أمرهم كانوا يذهبون إلى أماكن معينة ، وإنَّما كان مكانهم المقدس هو المذبح "المقدس" الذي يوجد في كل كنيسة ، ويرمز – بحسب اعتقادهم – إلى المكان الذي صلب فيه المسيح .

ثمَّ بدأت زيارة الأماكن التي يرون أنَّها مقدسة ، وكان أشهرها عندهم فلسطين وروما ، باعتبار أنَّ الأول المكان الذي درج فيه المسيح الطَّيْلا ، والثاني المكان الذي يضم قبري أعظم قدِّيسَين عندهم – بطرس وبولس - ، وكانوا يزورون الأماكن الأخرى كجبل صهيون ، وجبل الزيتون ، وغيرها [(2)] .

---

(1) معجم اللاهوت الكتابي ، لمجموعة من اللاهوتيين ، ص:٢٥٧ .

(2) انظر : العبادات في الديانة المسيحية ، عبدالرزاق الموحي ، ص : ٩٤ .

ثمَّ زاد الاهتمام بالمزارات الدينية – عندهم – ، وأضرحة القدِّيسين منذ عهد قسطنطين ٣٠٦م ، فشرعت للزيارة طقوساً ، وأصبحت تُجمع لها التبرعات من جميع أنحاء أوربا .

ومن أهم طقوس الزيارة عندهم ما يلي :

١- أنَّ الزائر الذي يزور فلسطين يغتسل من نهر الأردن ، وبعد ذلك يأخذ غصناً من النخل ليقدمه عند رجوعه الكاهن كي يضعه في المذبح علامة لتكميل زيارته . ومن هنا سمِّي زوار فلسطين " نخليِّين" .

٢- كان الحجاج الذين يؤمون فلسطين يمشون حفاة ، ومنهم من لايلبس إلا قميصاً واحداً ، وكانوا يحملون في الصلاة صليباً وعكازاً وكيساً من النقود يتناولونها من يد القسيس .

وأمَّا المزارات فقد كثرت بشكل كبير ، حتى أصبح عدد الأماكن المعترف بها أكثر من عشرة آلاف مكان بحسب شهادة المؤرخ ول ديورانت [١] .

وكان أعظمها على الاطلاق ، والذي تؤدي كل طرق الحجاج إليه هو رومة ، التي كانت مقصداً لنيل المغفرة من كل الحجاج النصارى في كل أنحاء العالم .

نقد وتحليل :

من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا ما يلي :

١- أنَّ الهدف الحقيقي من هذه الرحلة لم يكن مجرد الزيارة ، أو التعرف على هذه الأماكن ، بل كان للتبرك بها باعتبارها أماكن القدِّيسين ؛ ولذلك كانت أهم أغراض هذه الزيارة تكفير الذنوب ، أو الوفاء بالنذور ، أو طلب الشفاعة ، أو الشفاء من خلال معجزة لأحد القدِّيسين .

٢- ارتباط هذه الرحلة بما تشتمل عليه من طقوس بالقسيس من بدايتها إلى نهايتها ، فالحج يبدأ بالحصول على بركته ، وأحياناً يكون الأساقفة هم رؤساء هذه الحملات التي تبلغ الآلاف في كثير من الأحيان [٢] .

---

[١] قصة الحضارة : (٤١/١٦) .

[٢] المصدر نفسه ، والعبادات في المسيحية ، عبدالرزاق الموحي ،ص:٩٣ .

الباب الثالث

آثار التقديس

- الفصل الأول : آثار التقديس على الكنيسة
- الفصل الثاني : الثورة ضد الكنيسة
- الفصل الثالث : ظهور الفكر اللاديني

تمهيد : أسباب تسلط الكنيسة على أتباعها :

كان القرن الميلادي الرابع ، الذي أعلن فيه الإمبراطور قسطنطين اتباعه لرسالة المسيح عليه السلام البداية الحقيقية لظهور سلطان الكنيسة "الواقعي" ؛ فقد كان بمثابة الأرض الخصبة التي نشأت وترعرعت فيها سلطة الكنيسة – أي سلطة رجال الدين – ، وقد أصدر قسطنطين مرسوماً يقضي بأنَّ الديانة النصرانية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية جمعاء ، ثمَّ خلع على رجال "الأكليروس" هالات من المجد ، وتبوأوا أعلى المناصب في الدولة ، ونالوا أعلى الامتيازات ، وبدأت خزينة الكنيسة تحصد الأموال الوفيرة من الدولة والشعب ، وفي هذا المناخ نشأ لرجال الدين سلطة أحكموا من خلالها قبضتهم على الشعب النصراني بأكمله .

وعند تحليل أسباب هذه السلطة نجد أنها ترتكز على سببين أساسين :

السبب الأول : السلطان الديني :

وهوالسلطان الروحي ، وتمثل في زعم النصارى أنَّ "الرب أعطى سلطانه للكنيسة" ، أي كنيسة روما ، وسلطان الكنيسة إنَّما هو سلطان رجال الدين ، وقد أصبحت لهم بمقتضى هذا السلطان السلطة المطلقة على الأتباع ، وما على الأتباع إلا الإذعان والطاعة لخلفاء الرب ، وإلا فليس لهم في ملكوت الرب من نصيب ! .

يتحدث المؤرخ جفري برون عن ذلك قائلاً : « وبناءً على ذلك جاءت الكنيسة لتثبت الرسالة التي قام من أجلها عيسى، ولتنقذ البشر من هول تلك اللعنة (خطيئة آدم) ، وهي تعتمد على ما يشاع من أنَّ المسيح أسند إلى (الرسول) بطرس حكم مملكته من بعده . وفي نفس الوقت قامت طوائف أخرى باسم الدين المسيحي ابتلعتها الكنيسة الكاثوليكية بسرعة ، وأوقفت نموها مدَّعية أنَّها هي المؤسسة الوحيدة التي لها السلطة على الناس ، فقد منحها المسيح ، ورسوله من بعده (بطرس) هذه السلطة التي تمركزت في أيدي بطاركة روما الذين يعرفون بالباباوات ، ومن الكفر أن يقوم لها منافس في أي من البقاع الأخرى . بهذه الواسطة التفَّت الكنيسة حول أبناء النصرانية ، وهي تذكرهم دائماً بجريمتهم الكبرى ، وبأن لا خلاص لهم من ذلك إلا بطاعتها » [1] .

---

[1] تاريخ أوربا الحديث ، ص: ٥٣ .

وهذا النص يبين أنَّ المرتكز الذي ارتكزت عليه الكنيسة في تسلطها هو السلطان الذي زعمت أنَّها حصلت عليه من الرب ، ولكنَّ النص أيضاً يشير إلى أمرين هامين :

الأول : بيان مدى التسلط الذي وصلت إليه الكنيسة الكاثوليكية حتى أصبح من الكفر أن يوجد لها منافس فضلاً عن معارض ، أو حتى مخالف .

الثاني: تضعيفه للأساس الذي قام عليه هذا السلطان ، وهو ما أشار إليه بقوله "وهي تعتمد على ما يُشاع" ، مما يفيد أنَّ هذا السلطان المزعوم لا مستند له ، بل إنَّه اكتسب شرعيته من كونه أمر قد شاع ، وهذا الشيوع إنَّما تحقق بتدبير رجال الكنيسة لا غير .

السبب الثاني : السلطان الدنيوي :

وهو يتمثل في وصول رجال الدين إلى أعلى المناصب في الدولة ، ونيلهم أعلى الامتيازات ، ومن ثَمَّ الإغداق عليهم بالأموال الكثيرة من قبل الدولة ، ومن قبل الشعب .

يتحدث – أيضاً – جفري برون عن ذلك ، فيقول : « وتجدر الإشارة أنَّ رجال الدين حازوا بالإضافة إلى القوة والزعامة الدينية والروحية القوة المادية والوجاهة الدنيوية ، فمن يقرأ كتب المؤرخين في تلك الفترة ، وذكرهم للمساكن والمزارع والثروة على جميع أنواعها يدرك أن الأعمال الدنيوية للكنيسة أو رجالها لم تكن بسيطة أو قليلة » [1] .

وهذا النص يبين المرتكز الذي ارتكزت عليه الكنيسة ، وهو السلطان الدنيوي .

وقد دفع هذا السلطان بالكنيسة الكاثوليكية في اتجاهين رئيسين ، وهما :

الأول : اتجاه نحو الطغيان .

والثاني : اتجاه نحو الفساد .

وهذان الاتجاهان هما أول آثار التقديس الذي حظي به رجال الدين ، وقد نتج عنهما آثار أخرى ، وهي أشبه ما تكون بردة الفعل لهذا السلطان الطاغي والفساد العريض الذي مارسته الكنيسة على مدى قرون طويلة ، وقد تمثلت هذه الآثار الثورة على الكنيسة ورجالها ، واتخذت هذه الثورة عدة صور كان من أهمها :

الصورة الأولى : ثورة من داخل الكنيسة ، وأعني بها حركة الإصلاح التي كانت تهدف في الأصل إلى معالجة الوضع الذي آلت إليه الكنيسة من الطغيان والفساد .

---

[1] المصدر السابق ، ص : ٥٤ .

والصورة الثانية : ثورة من خارج الكنيسة ، وهي الثورة الفرنسية .

والصورة الثالثة : ثورة فكرية ، وقد تمثلت في ظهور مذاهب ونظريات شتى لا يجمعها إلا العداء لدين الكنيسة ، ولكنَّها خرجت فيما بعد عن هذا الأصل لتصبح ثورة ضد الدين ذاته ، وهي ما نعني به ظهور الفكر المعادي للدين ، والذي اطلق عليه "الفكراللاديني" .

وعن هذه العناصر ستكون فصول ومباحث هذا الباب بعون الله تعالى .

وقبل نلج في فصوله يحسن أن أنبه على عدة أمور :

١- أن التعبير بلفظ الكنيسة في هذا البحث يقصد به — تماماً - رجال الدين ؛ لأنَّهم هم الذين يمثلون الكنيسة في واقع الأمر.

٢- أن الحديث ينصب في الغالب على الكنيسة الغربية الكاثوليكية ؛ لأنَّها هي التي ادعت هذا السلطان ، أمَّا الكنيسة الشرقية ، فإنَّها لم تحظ بما حظيت به نظيرتها الغربية ، فلم تدع هذا السلطان ، ولم تظهر فيها بعض هذه الآثار ، مثل الثورة الفرنسية ، والفكر اللاديني ، وقد أشرت - فيما سبق - إلى الأسباب التي أدت إلى تفوق الكنيسة الغربية .

٣- أنَّ الحديث عن هذه الآثار ، وربطها بتقديس رجال الدين لا يعني عدم وجود مؤثرات أخرى ، ساهمت في ظهورها ، بل وجدت مؤثرات أخرى كان من أهمها — من خلال الدراسة — أمران :

أولهما : أثر الإسلام ، واحتكاك النصارى بالمسلمين على الصعيدين السلمي والحربي.

وثانيهما : دور اليهود في استغلال بعض الأحوال التي وصلت إليها الكنيسة لصالحهم ، من خلال تحويل ذلك ليصب في جانب العداء للدين نفسه ، ولكنَّ هذين الأمرين ليسا مما عنيت به الدراسة ، ولذلك سأتحدث عنهما بالقدر الذي يخدم الفكرة الأساسية التي أريد بيانها دون تفصيل .

٤- كان لتقديس رجال الدين آثار على العالم الإسلامي ، ويتضح ذلك من خلال انتقال كثير من المذاهب والنظريات إليه ، وانتقال بعض صور التقديس إلى بعض الطوائف الإسلامية ، ولكنَّ ذلك خارج عن الدراسة ، التي تُعني بالآثار عند النصارى فحسب .

٥- الهدف الرئيس من الحديث عن هذه الآثار ربطها بتقديس النصارى لرجال الدين ، ولذلك سأركز في عرضها على ما يحقق المقصود ، وبالله التوفيق .

الفصل الأول

آثار التقديس على الكنيسة

وفيه مبحثان

- ❖ المبحث الأول : طغيان الكنيسة
- ❖ المبحث الثاني فساد الكنيسة

المبحث الأول

طغيان الكنيسة

وفيه مطلبـــــان

- المطلب الأول : أسباب الطغيان
- المطلب الثاني : أنواع الطغيان ونقدها

المطلب الأول : أسباب طغيان الكنيسة :

جعلت الكنيسة لنفسها سلطة عليا على جميع رعاياها أفراداً وحكاماً مستندة إلى سلطانها الديني والدنيوي .

وإضافة إلى ما هاتين الركيزتين الأساسيتين ، فقد تهيأ لها عوامل أخرى هيأت الجو للقيام بهذا الطغيان ، ومن أهمها ما يلي :

العامل الأول : احتفاظ الكنيسة بنسخ الأناجيل :

في عهد الاضطهاد الذي عاشته النصرانية في عصورها الأولى تحولت الدعوة فيه إلى السرية ، وتخفى بها أصحابها ، وأخفوا معهم النسخ الموجودة من الأناجيل ، وظلوا يتناقلونها فيما بينهم سراً جيلاً بعد جيل خوفاً أن تقع عليها عيون الرومان أو أيديهم فتتعرض للحرق أو التلف ، ويتعرض أصحابها لأشد أنواع العذاب . وقد أدى ذلك إلى انحصار هذه النسخ في أيدي فئة قلية من رجال الدين ، واقتصار حق شرحها وتفسيرها عليهم .

ولما أظهرت الدولة الرومانية اعتناقها للنصرانية ظل هذا الحق محصوراً فيهم وحظي بتأييد الإمبراطورية ، التي تهدف إلى تحقيق الوحدة بجمع رعاياها على عقيدة واحدة .

وهكذا بقيت مصادر الدين النصراني محفوظة في الكنائس ، مما ضمن للكنيسة الأمان في أن يقولوا باسم الدين ما يريدون ، ويفعلوا ما يشاءون ؛ فما دام أنَّ هذه المصادر غير مكشوفة للناس ، فمن يملك أن يعارض شيئاً مما يقوله رجال الدين ؟ بل من يحل له أن يشك في ورثة سلطان الرب على الأرض ؟ ! [1] .

العامل الثاني : البيئة التي انتشرت فيها النصرانية :

انتشرت النصرانية في الإمبراطورية الرومانية التي تضم الشعب الروماني والمستعمرات التي كانت خاضعة لسلطتها ، وقد تميز الشعب الروماني بإلفه للعبودية والخضوع المستمر للقوى المسيطرة في الكون ، كان الرومان على درجة كبيرة من الضحالة الفكرية [2] .

---

[1] انظر : العلمانية ، نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية ، د. سفر الحوالي ، ص: ١٢٥-١٢٦ .

[2] المصدر نفسه : ص: ١٢٦-١٢٧ .

ويؤكد ذلك أنَّه لا يوجد لهم إنتاجاً فكرياً ، أو ثقافياً ، كما هو الحال عند اليونان ، ولذا ، فالمصادر الدينية والتاريخية لا تذكر لنا أي مقاومة فكرية لأقوال رجـال الكنيسـة وادعاءاهم من قبل الرومان أو من تحت أيديهم من الأمم الأخرى .

وهذا الإلف للخضوع والعبودية من قبل الرومان ساهم في إطالة أمد الطغيان من قبل رجال الدين لقرون طويلة ، وهي الفترة التي اصطلح على تسميتها بالقرون الوسطى .

وقد مارست الكنيسة بسبب سلطانها — المشروع في نظرها — وبسبب ما تهيأ لها من الأسباب ، وعلى مدى قرون طويلة أبشع ألوان الطغيان مما لا نظير له في التاريخ ؛ فلم تترك جانباً من جوانب الحياة إلا وسيطرت عليه بيد من حديد ، وفرضت على عقـول النـاس وأموالهم ، وأرواحهم وصاية لا نظير لها ، وأصبح النصراني يدور في فلك قسيسه لا يفلـت عنه قيد أنملة ، ولو أفلت لحلَّت اللعنة والطرد من "ملكوت الرب!" .

وقد كانت الخطة أو "الخطوة " [1] الأولى التي استطاعت من خلالها الكنيسة أن تحكم قبضتها على كل أتباعها ، هي إيجاد نظام كهنوتي في غاية الشمولية والدقة ، سمـاه بعـض المؤرخين بالحكومة الكنسية ، ويشبه هذا النظام الشجرة المقلوبة أو البناء المنكوس ، فيبدأ من الأعلى حيث الكنيسة الأم ، وهي الكنيسة الرومانية ، ثمَّ يتفرع إلى الأسفل حيث الكنائس الكبرى ، ثمَّ الأقل حتى يصل إلى أصغر كنيسة ،وأمَّا رجال الدين فيبدأ هذا النظـام بـرأس الهرم البابا (الحبر الأعظم) ، ثم مجمع الكرادلة ، ثم القسس ، ثم رعاة الكنائس الصغيرة [2] .

وأما الاتصال داخل هذا النظام — أو هذه المؤسسة الكبرى — فيتم في اتجاهين :

الأول : من الأعلى إلى الأسفل ، ويتضمن نقل الأوامـر والتوجيهـات والقـرارات والأحكام لتنفيذها والعمل بمقتضاها .

والثاني : من الأسفل إلى الأعلى ، ويتضمن رفع كل يدور من شؤون الرعايا إلى الجهة الأعلى — حتى يصل إلى البابا — للمتابعة أو المحاسبة ، وإصدار ما يناسب من القرارات .

---

[1] هي خطة باعتبار التدبير البشري ، وخطوة باعتبار التدبير الشيطاني ، ولذلك استخدمت التعبيرين .

[2] انظر : مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد ، أ . د محمود محمد مزروعة ، ص : ٥٩ .

وأمَّا مركز البابوية عرش الحبر الأعظم ، فهو حكومة متكاملة تتمتع بكامل امتيازات الدولة [1] ، ويُفصِّل المؤرخ جفري برون الحديث عنه قائلاً : « وهكـذا إلى أن نصـل إلى مركز البابوية الذي يتواجد في عاصمته روما التي كانت تضج بجيش الموظفين الذين كـانوا يشتغلون في الفروع المختلفة من إدارة مدينة الله (يقصد الكنيسة) . فمن رجال المحـاكم إلى رجال الخزينة إلى رجال الإدارة ، إلى مجلس الكرادلة الذين كان البابا يعينهم بنفسـه ، والذين كانوا بدورهم يعينون البابا الجديد بعد أن يغادرهم سلفه إلى العالم الآخر .

نجد جيشاً آخر من الرجال والنساء الذين وهبوا أنفسهم لله ولدينه ، وهـؤلاء هـم الرهبان والراهبات الذين أقاموا في مختلف أنحاء الغرب طوائف وشعبا انتشر بعضها بسرعة ، ولاقى رواجاً في الأراضي الأوربية فتراكمت لديه الثورة على عجل بفضل عطايا الأغنيـاء والمحسنين من ذوي الإيمان» [2] .

وهذا النص يبين مدى قوة هذا النظام ودقته ، مما كان سبباً في بقاءه مـدة طويلـة ، ويفسر لنا الفشل الذي مُني به كثير من الأباطرة عندما قاموا بمواجهته .

ونبدأ الآن بتفصيل أنواع هذا الطغيان [1]، وبالله التوفيق .

المطلب الثاني : أنواع الطغيان ونقدها :

النوع الأول : الطغيان الروحي :

كان الطغيان الذي مارسته الكنيسة على قلوب أتباعها من أشد أنواع الطغيان علـى الإطلاق ، لتعلقه بأخص خصائص الإنسان ، وهو روحه التي بين جنبيه ؛ ولأنَّـه حـول النصراني إلى عبد كامل العبودية لا إلى إلهه الذي خلقه ، بل إلى مخلوق مثله ، لا يملك لنفسه حولاً ولا طولاً ، ومع ذلك يدين له بكل ألوان العبودية والولاء .

وقد كانت دعوى "أنَّ الرب أعطى سلطانه للكنيسة" الأساس الذي انطلق من خلاله رجال الدين ليبسطوا سلطانهم على أرواح أتباعهم ، فإذا كان الرب قد غادر الـدنيا بعـد

---

[1] وقد أصبحت الفاتيكان دولة بالفعل ، وهي أصغر دولة في العالم ، والغريب أن رئيسها رجل دين ، وليس حاكماً مدنياً ، وهذا لا يوجد له نظير فيما أعلم .

[2] تاريخ أوربا الحديث ، ص: ٥٤-٥٥ .

[3] استفدت مباحث هذا المطلب من كتاب مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص:٢٥ وما بعدها ، وقد اختصرت بعض كلامه وأضفت إليه إضافات أشرت إلى مصادرها في الحاشية .

قيامته من بين الأموات ، فإنَّ سلطانه بقي كاملاً في أيديهم ، وهم يقومون بوظيفته على الأرض ، وكان من أهم معالم طغيانهم ما يلي :

١- أنَّ رجال الدين هم مصدر الدين ذاته :

الدين بما يشتمل عليه من عقائد وتشريعات وأخلاق وغير ذلك ، إنَّما يأتي من قبل الله تعالى ، فهو – سبحانه – يوحي إلى أنبيائه ، والأنبياء يبلِّغون وحيه إلى الناس ، والناس يتلقون ذلك بالتسليم والقبول ، هكذا يكون الأمر في الدين الصحيح ، ولكنَّ الأمر اختلف تماماً فيما يتعلق بالدين النصراني ، حيث نجد فيه أنَّ هذا الحق "الإلهي" قد انتزع من صاحب الحق - سبحانه وتعالى – وأصبح بيد رجال الدين [1] أن يبتدعوا من العقائد والشرائع ما يشاءون ، و يفعلون ذلك إمَّا على سبيل الإنشاء ، أو على سبيل التغير بالتحليل والتحريم لما بقي من الدين ، و لم يكن في الأمر أدنى مشقة على خلفاء الرب ؛ فغاية ما الأمر أن يُدرج الأمر المراد اتخاذ القرار بشأنه ليكون عقيدة جازمة ، أو حكما لازما ، أو عيداً مقدساً ، للنقاش ، وعادة ما يحدث حوله خلاف ، ولكنَّ كثرة الأصوات كفيلة بحسم الأمر لصالحها ، فيخرج ذلك القرار في الصورة المطلوبة ، وقد يحسم الأمر أحياناً ، ولو خالف رأي الأغلبية – كما في قرار ألوهية المسيح عليه السلام - ، وقد لا يحتاج الأمر إلى قرارٍ أصلاً – كما هو الحال في الكثير من بدع بولس – بل يكفي أن يكون القائل به من رجال الدين !.

ومن الأمثلة الدالة على ما ذكرت ما يلي :

أولاً : بعض البدع التي أنشأها رجال الدين ابتداءً :

١- ألوهية المسيح عليه السلام : ابتدعها بولس ، وأقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥م ، ولم يراع فيها أصوات الكثرة الغالبة على المجمع ، التي كانت تعارضها ، ولا توجد في الأناجيل أدلة حقيقية على صحتها ، بل الأدلة ناطقة ببطلانها.

٢- عقيدة بنوة المسيح عليه السلام : كانت من بدع بولس ، وأيدها مجمع نيقية ، ونصوص الأناجيل متضافرة على نقضها .

٣- عقيدة ألوهية ما يسمى بالروح القدس : تقررت بمقتضى مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م ، وليس في الأناجيل أدلة على صحتها .

---

[1] انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، أ . د : محمود مزروعة ، ص : ٦٠-٦١ .

٤- ادعاء عالمية الرسالة : ابتدعها بولس وطبقها أتباعه ، والأدلة الصريحة في الأناجيل قائمة على خصوصية هذه الرسالة ببني إسرائيل .

٥- عقيدة عصمة البابا : أقرت في المجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٦٩م ، أي بعد أكثر من ثمانية عشر قرناً من عهد المسيح عليه السلام .

ثانياً : تغيير بعض الشرائع والأحكام التي جاءت بها التوراة :

١- شريعة الختان جاءت بفرضها التوراة ، والتزم بها اليهود حتى اليوم ، وكذلك هي شريعة المسلمين ، ولكن بولس نقضها إرضاءً للوثنيين الذين عمهم بدعوته .

٢- أكل لحم الخنزير وأكل الميتة : كان محرما في التوراة ، وأباحه بولس لأتباعه .

٣- الصور والتماثيل : كانت محرمة في التوراة أشد التحريم ، فأباحها رجال الدين ، وزعموا أنَّها علامة على التقوى ، ورمزاً للوفاء لأصحابها.

٤- شريعة الزواج : التي هي من سنن المرسلين ، حرمَّها رجال الدين على الرهبان بدعوى الرغبة في العفة والورع ، والانقطاع الكامل من أجل ملكوت الرب .

٢- فرض سلطان روحي على النصراني مدى الحياة :

لم يكن ما ابتدعه رجال الدين من عقائد وأحكام يشبع نهمهم في الطغيان ، فراحوا يبحثون عن وسائل أخرى تضمن لهم الولاء الكامل من قبل الأتباع ، حتى دلتهم عقولهم على وسيلة جديدة ، ولكنها عظيمة الأثر ، وحيثما تحققت تم للأرباب السلطان الكامل على رقاب أتباعهم ، وهذه الوسيلة هي ما سموه بالأسرار المقدسة ، فهي أسرار ؛ لأنَّه لا يحيط بكنهها إلا رجال الدين ، وهي مقدسة لأنَّ الرب هو الذي فرضها ، وهي أركان النصرانية ؛ فلا يتم إيمان النصراني إلا بها ، ومن كفر بواحد منها فقد كفر بالنصرانية واستحق اللعنة الأبدية ، وهذه الأسرار لا تنال ولا تُحقق ما فيها من النعم الغير منظورة إلا إذا قدِّمت بين يدي الكاهن ، ومن خلال صلاته ومباركته .

تعقيب على ما سبق :

إنَّ هذه الصورة التي عرضتها تمثل درجة بشعة من الطغيان على الأرواح وتحمل صورة غالية من الشرك بالله من خلال علاقة النصراني بقسيسه ، وهي أوضح صورة لاتخاذ الأرباب من دون الله ، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه الكريم بقوله: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﴾ التوبة: ٣١

وقد أصبح رجال الدين أرباباً من دون الله ، وتتجلى حقيقة ذلك من خلال ما يلي :

١- كونهم – وليس الله تعالى – مصدر الدين ، الذين يشرّعون ابتداءً ، أو يغيرون بالتحليل والتحريم ما كان مشروعاً .

٢- قدرتهم على مغفرة الذنوب ، وشفاء الأمراض – كما يزعمون – .

٣- كونهم نواباً للرب ، والنائب يتمتع بحقوق من ينوب عنه .

وبهذا يتبين لنا ما آل إليه هذا الطغيان من تقديس النصارى لرجال دينهم ، وأنّه قد أوقعهم في حمأة الشرك بالله تعالى .

النوع الثاني : الطغيان السياسي :

الطغيان السياسي يقف مع الطغيان الروحي جنباً إلى جنب ، فكلاهما هدف لقوة الكنيسة الطامحة ، التي لا ترغب أن يخرج عن إرادتها شيء ، ويتأخر قليلاً في بعض الأحيان ليسمح للطغيان الروحي بالتقدم فيكون هذا الأخير أرضاً خصبة للأول لكي ينمو عليها .

ولم يغب هذا المعنى عن رجال الدين ، فكان تحقيقهم للهدف الأول جزءاً من تحقيق الهدف الثاني ؛ لأنَّ ذلك يعني بالضرورة أنَّ الرعايا الذين يقعون تحت سلطة الحاكم – أياً كان مستوى حكمه – هم الذين قد دانوا لرجال الدين بكامل الولاء ، ولا شك أنَّ العاطفة الدينية – كما قال ديورانت – « كانت أقوى من العاطفة القومية » [1] ، وعليه فلم يبق أمام الأباطرة – فضلاً عمن دونهم– إلا الإذعان لسلطة رجال الدين – كما فعل رعاياهم – أو مواجهة ذلك السلطان وهم مجرَّدون من الأتباع الذين ينصرونهم ، ومن يستطيع مواجهة تلك القوة الضاربة في الأرض ، التي قد ضمنت ولاء أتباعها رغبة أو رهبة ؟!.

وقد كانت الكنيسة الرومانية تسعى لأن تكون القوة الوحيدة التي تسيطر على العالم النصراني بأكمله روحياً وسياسياً ، وقد تحقق لها ذلك وأصبحت – كما قال المؤرخون – الكنيسة الوحيدة لأوربا طيلة ألف سنة (من القرن السادس إلى القرن السادس عشر تقريباً) ، وحكمت من المحيط الأطلنطي في الغرب إلى روسيا وبيزنطة في الشرق ، ومن البحر الأبيض

---

[1] قصة الحضارة : (١٤/٣٩٩) .

المتوسط في الجنوب إلى الشواطيء الشمالية الألمانية وبولندا في الشمال ، وكانت القوة الوحيدة الموحدة في هذه المنطقة ، وكان أباطرتها يُتوجون على أيدي الباباوات ، ويقدمون الولاء لروما في الشؤون الروحية وفي الأمور الدنيوية أيضاً [1] .

وقد سعت الكنيسة بكل وسيلة توصلها إلى هدفها المنشود ، ومن ذلك استخدام النظام الكهنوتي الشامل لضمان ولاء الشعوب طمعاً في ملكوت الرب في بعض الأحيان أو خوفاً من غضب خلفاء الرب وتعرضهم للحرمان أو اللعنة الأبدية في أكثر الأحيان .

ومن الوسائل الخطيرة التي ابتدعها رجال الدين لتحقيق هدفهم إصدار الباباوات القرارات التي تعلن امتداد سلطة الكنيسة لتشمل كل شيء حتى السلطة الدنيوية، وأنَّ تعيين الأباطرة أصبح من حقوقهم ، ومن الملاحظ – عند استعراض تاريخهم في ذلك – أنهم كانوا يراعون في هذا الجانب أمرين :

الأول : ربط تلك القرارات بالدين ، وهذا الربط كفيل بإعطاء الشرعية اللازمة لقبول هذا القرار ، ومن الذي يستطيع أن يقف في وجه الدين ، أو يقف ضد مشيئة الرب !؟.

والثاني : التدرج في ذلك ، حتى يصبح الأمر قانوناً يجب العمل بموجبه، والصراع بين السلطتين الروحية والزمنية كان مريراً ، وكان سجالاً بين الطرفين – أيضاً – ولكنه غالباً ما ينتهي بانتصار الكنيسة ، ومن القرارات التي أصدرها الباباوات في هذا الشأن ما يلي :

١- أعلن البابا نقولاس - الذي تولى عرش البابوية في الفترة : (٨٥٨- ٨٦٧) أنَّ البابا يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع (المسيحيين) حكاماً كانوا أو محكومين في شؤون الدين والأخلاق إن لم تكن في جميع الشؤون ، وقد بنى البابا هذا القرار على قضيتين كانتا مقبولتين عند النصارى في ذلك الوقت ، وهما :

الأولى : أنَّ ابن الله (المسيح) أنشأ الكنيسة عندما جعل بطرس أول رئيس لها .

والثانية :أنَّ أساقفة روما ورثواسلطان بطرس واحداً بعد واحد في تسلسل متصل[2] .

٢- أنَّ البابا ليو التاسع الذي تولى عرش البابوية في الفترة (١٠٤٨- ١٠٥٤) كان يعتبر الدنيا كلها وطناً واحداً هو واحدها ، وينظر إلى البابوية لا على أنَّها منصب محدود

---

[1] انظر : تاريخ الكنيسة ،د. القس جون لوريمر : (٢٧/٤) .

[2] انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٣٥٥/١٤) .

بمكان ، ووظيفة تدر على صاحبها المال ، بل خالها مؤسسة عالمية ، وذات سلطان مطلق ، وسمو غير محدود ، واستقلال تام ، وتفويض إلهي بالرقابة الروحية [1] .

وهذا البابا هو الذي مهد – عملياً – لتوسيع سلطة الباباوات ، فبعد عهده بقليل (حوالي سنتين فقط) أصبح اختيار البابا في يد هيئة الكرادلة دون تدخل من أحد غير رجال الدين .

٣- البابا جريجوري الذي انتخب عام ١٠٧٣م ، نادى – كما يقول المؤرخون – بصوت ملؤه الشجاعة الآمرة الناهية أنَّ : « العالم بأسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها بابا له العصمة وله القدرة ، ولا يحده قانون ، ولا يزعه وازع ، وهو الذي يخلع المسيئين من الملوك ويثل عروشهم ، ويقطعهم من رحمة الكنيسة ، ويحل رعيتهم من طاعتهم ، واعتقاداً منه بأنَّ الوقت حان لبناء قوة حربية تابعة للكنيسة الكاثوليكية .. وأخيراً أعلن في مجمع ديني عقده في موسم الصيام الكبير سنة ١٠٧٥م ، أنَّه ليس من حق الحاكم العلماني – أي السياسي – كائناً من كان أن يقلد أحداً من رجال الكنيسة شارات المنصب الديني ، وأنَّ الإقدام على ذلك هدم للقانون الإلهي لا يطاق ولا يغتفر » [2].

٤- البابا إنوسنت الثالث الذي بلغت البابوية في عهده قمتها أعلن سلسلة من القرارات ، ومنها :

أ – أنَّ البابا هو المخاطب بقول إرميا : « قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب والممالك تقلع وتهدم وتهلك وتبني وتغرس » [3].

ب – أنَّ البابا يقال له في شخص الرسول (يقصد بطرس) : « وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات .. » [4] .

ج – أنَّ البابا : « أدنى من الله ، لكن أعلى من الإنسان الذي يحاكم الجميع ولا يحاكمه أحد » [5] . ثم ضرب مثالا لتقريب الأمر ، فقال ما ملخصه : « كما أن الله خلق

---

[1] انظر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، هـ . أ . فشر : (١/١٤٤) .

[2] المصدر نفسه : (١/١٤٤-١٤٥) .

[3] إرميا : (١/١٠) .

[4] متى : (١٦/١٩) . ، وقد تكرر النص معنا كثيراً .

[5] انظر : تاريخ الكنيسة ، د. القس جون لوريمر : (٤/٢٨) .

النورين العظيمين الشمس والقمر ، فجعل الشمس لحكم النهار ، وجعل القمر لحكم الليل ، كذلك جعل مقامين عظيمين : الأعظم : الكنيسة لمسئولية الحكم على الأرواح ، والأقل : الدولة لمسئولية الحكم على الأجساد ، وكما أن القمر يستمد نوره من الشمس ، وهو أدنى منها حجماً ونوعاً ، فكذلك تستمد القوة الملكية مقامها من السلطة البابوية »[1] .

وهكذا يتبين لنا من هذه النصوص سعي الباباوات إلى توسيع دائرة سلطتهم ، حتى تشمل السلطة الدنيوية ، وحرصهم على صبغ هذه القرارات بالصبغة الشرعية مع اطمئنانهم أنَّ أحداً لن يعترض عليها ، وهي إلهية المصدر – بزعمهم ! – .

أمَّا استدلال البابا إنوسنت بالنص الوارد في سفر إرميا ، فهو أمر في غاية الغرابة ؛ إذ أنَّ هذا النص – على فرض صحته – خاص بإرميا ، كما هو ظاهر من السياق ، حيث جاء في بدايته قول أرميا عن نفسه : « فكانت كلمة الرب إليَّ قائلاً : قبلما صورتك في البطن عرفتك . . » [2] . فكيف انتقلت هذه الخصوصية لأرميا حتى أصبحت حقاً للبابا ؟! .

وبالرغم من أهمية كل هذه التشريعات التي أعلنها الباباوات إلا أنَّها لم تكن كافية في تحقيق غايتهم ؛ ولذلك فقد سعوا إلى التطبيق العملي لما توجبه هذه التشريعات ، وبدأوا في التدخل في كل شؤون الأباطرة ، وأصبحوا يعينون – بمقتضى ذلك الشرع – من يرونه أهلاً لهذه المسئولية ، وبالطبع فإنَّ من يملك حق التعيين فقدرته على الخلع – إذا اقتضى الأمر – من باب أولى .

ويوجد في التاريخ البابوي أمثلة كثيرة للممارسات العملية لهذه التشريعات ، نختار منها قصتين شهيرتين ، وهي :

القصة الأولى :

ما حدث بين البابا جريجوري السابع والإمبراطور الألماني هنري الرابع من نزاع حول مسألة التعيينات ، التي يطلق عليها "التقليد العلماني" ، حيث حاول الإمبراطور خلع البابا ، ورد عليه البابا بأن أصدر حكماً مثلثاً بخلعه ، وحرمه ، وأحل أتباعه والأمراء من ولائهم له ، فعقد الأمراء مجمعاً وقرروا فيه أنَّه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة لدى وصول البابا

---

[1] انظر : المصدر السابق : (٢٩/٤) .

[2] إرميا : (٤/١) .

إلى ألمانيا فسوف يفقد عرشه إلى الأبد ، ووجد الإمبراطور نفسه مغلوباً على أمـــره ، فلـــم يسعه أن ينتظر حتى يقدم البابا ، وقرر أن يخرج إليه مجتازاً جبال الألب ، في الوقت الـــذي كان فيه الشتاء على أشده ، حتى وصل إلى قصره في مرتفعات كانوسا في ستكانيا وبقـــى حافي القدمين لمدة ثلاثة أيام في فناء القلعة ، وهو يتوسل إلى البابا أن يغفر له ، ويعفو عنـــه حتى رثا لحاله كل من حوله ، وجاءوا إلى البابا يشفعون بدموعهم وصلواتهم ، حتى رُفع عنه الحرمان وأعيد مرة أخرى إلى حظيرة الكنيسة "المقدسة" [(١)] .

القصة الثانية :

ما حدث – أيضاً – في بريطانيا بين البابا تومس أبكت ، والإمبراطور هنري الثاني ، حيث أصدر الأخير دستوراً يلغي فيه كثيراً من امتيازات رجال الدين ، ثمَّ اغتيل أيضاً رئيس الأساقفة ، فروعت النصرانية كلها وثارت ضد الملك وحرمته بالحرمان العام ، فاعتزل الملك في حجرته ثلاثة أيام لا يذوق فيها الطعام ، وأصدر بعدها أمراً بالقبض على القتلة ، وبعث بالرسل إلى البابا يعلنون براءته من الجريمة وألغى الدستور الذي صدر بحق رجال الـــدين ، ورد إلى الكنيسة ما لها من حقوق وأملاك ، وقدم بنفسه إلى كنتر بري نادماً ، ومشى الثلاثة أميال الأخيرة على الحجارة الصوان حافي القدمين ينزف الدم ثمَّ استلقى على الأرض عند قبر الأسقف الميت ، وطلب من الرهبان أن يضربوه حتى يرضى عنه الغاضبون [(٢)] .

ويتبين لنا من العرض السابق طبيعة الأجواء التي كانت سائدة بين الكنيسة والدولة ، وهي أجواء مملوءة بالتوتر والصراع ، وهذا يؤكد مدى ما وصلت إليه الكنيسة من التسلط ، ويمكن التعقيب على ما سبق بما يلي :

١- أنَّ الطغيان في الأصل نزعة إنسانية ،كما قال تعـــالى : ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ العلق: ٦ – ٧ . ولكنَّ الدين الصحيح بما يحمله من نظام تشريعي يتمثـــل في الأمر والنهي ، وجزائي يتمثل في الثواب والعقاب كفيل بأن يردع صاحبه عن كل قبيح ، ويضبط سلوكه ويوجهه الوجهة السوية ، ولكن لأنَّ الكنيسة لم تحفـــل بمعرفـــة الـــدين الصحيح ، الذي يمنعها من الطغيان، أطلقت لنفسها العنان لا يردها عن تحقيق هدفها شيء.

---

(١) انظر : معالم تاريخ الإنسانية ، هـــ . ج . ولز : (٩١٠/٣) ، وتاريخ أوربا في العصور الوسطى ، هـــ . أ . ل . فشر : (١٤٦/١-١٤٧) ، وقصة الحضارة ، لويل ديورانت : (٤٠٠/١٤) .

(٢) انظر : قصة الحضارة : (١٩١/١٥-١٩٢) .

٢- أنَّ التوراة التي يؤمن بها النصارى كانت تحمل بقيَّة من الأحكام والفضائل كافية في أن تمنعهم عن كل طغيان وتدفعهم إلى كل خير ، ولكنَّ الكنيسة لم تحفل حتى بما كان عندها من بقايا شريعة الله — تعالى — ويؤكد هذا الأمر ما يلي :

٣- أنَّ السلطان الدنيوي عندما ينظم إلى السلطان الديني يكون من أعظم أسباب حمل الناس على تنفيذ شرع الله ، وحملهم على الخير ، وردعهم عن الشر ، ولكنَّ الكنيسة بالرغم من أنَّها جمعت بين السلطتين الدينية والدنيوية ، إلا أنَّها جعلت كل ذلك وسيلة لتحقيق مصالحها الشخصية ، ومطامعها الدنيوية ، ولم ترفع بالدين رأساً .

النوع الثالث : الطغيان المالي :

والمال قوام الحياة ، وهو سلطان في حد ذاته ، كما أنَّه طريق إلى السلطان ؛ ومن أجل ذلك سعت الكنيسة لاتخاذ كافة الوسائل التي تمكنها من التسلط على هذا العنصر الهام من عناصر السلطان ، ولم يعجز رجال الدين عن إيجاد الوسائل لتحقيق ذلك الهدف ، فشرعت لسن القوانين "الشرعية" اللازمة للحصول على أموال الناس ، وما خرج عن قوانينهم ، تذرعت إليه بكافة الحيل الأخرى ، وما خرج عن قوانينها وحيلها توصلت إليه عن طريق إثارة العاطفة الدينية لدى أتباعها في المساهمة في أعظم أعمال البر والباب الأعظم لدخول الملكوت ، وما خرج عن كل ذلك توصلت إليه بالإحراج والضغط على أتباعها .

وقد استطاعت الكنيسة أن تحقق هدفها ، و تصبح من أغنى المؤسسات في الإمبراطورية على الإطلاق ، ومن أهم وسائل رجال الدين في الحصول على المال ما يلي :

١- الإقطاع :

في بداية العصر الذي يطلق عليه "العصر الذهبي" الذي شهد تبني الإمبراطورية للديانة النصرانية ، بدأ الإغداق على الكنيسة بالأموال ، وكان من جملة ذلك ، ما يهبه الملوك والأشراف من قطع الأراضي الواسعة ، وكانوا يقدمون ذلك من أجل نيل البركة والفوز برضا رجال الدين [1]. وبفضل هذه العطايا إضافة إلى ما يملكه الأساقفة ورؤساء الأديرة من هذه الإقطاعيات الكبيرة أصبحت الكنيسة من أكبر ملاك الأراضي وأكبر الإقطاعيين في أوربا . يقول ديورانت عن ذلك : « وتراكمت هذه الهدايا حتى أصبحت الكنيسة أكبر

---

(١) انظر : تاريخ اوربا الحديث ، جيفري برون ، ص : ٦٨ .

ملاك الأراضي ، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربا ، فقد كان دير فلدا مثلا يملك ١٥٠٠٠ قصر صغير من قصور الريف ، وكان ديرسانت جول يمتلك ألفين من رقيق الأرض ، وكان الكوين [١] تور سيداً لعشرين ألفا من أرقاء الأرض ٠٠ وهكذا أضحت الكنيسة جــزءاً لا يتجزأ من النظام الإقطاعي ، فألفت نفسها منظمة سياسية واقتصادية ، وحربية ، لا منظمة دينية وكفى ، وكانت أملاكها"الزمنية" أي المادية وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجلــل بالعار كل مسيحي متمسك بدينه وسخرية تلوكها ألسنة الخارجين عن الدين ، ومصــدراً للجدل العنيف بين الأباطرة والباباوات » ٠

٢- الأوقاف :

كانت لدى الكنيسة قطعا شاسعة من الأراضي تمتلكها أو تستولي عليهــا لإيقافهــا والإنفاق منها على الأديرة والكنائس وتجهيز الجيــوش للحــروب الصــليبية أو التأديبيــة للخارجين عن سلطتها وكان تسلط الكنيسة على هذه المساحات الشاسعة من الــدوافع الكبيرة لما يسمى بالإصلاح ، وممن نادى به المصلح الشهير حنا ويكلف [٢] الــذي تأمــل أنواع الفضائح الكنسية وأصدر سلسلة من المقالات والمواعظ وبين أنَّ الكنيسة المعفاة مــن ضرائب الدولة تملك ثلث الأراضي في البلاد ودعا إلى إلغاء هذه الأوقاف للتخفيــف عــن كواهل المدينين ، وتقوية الموارد المالية للدولة [٣]٠

ومما سبق يتبين مدى تسلط الكنيسة على هذه الأراضي وأثره على الدولة ، وعلــى بقية المدنيين ، وهذا الواقع الذي ذكرته ما هو إلا جزء من الواقع الذي تعيشه أوربا كلــها في ظل هذا التسلط الكنسي ٠

٣- الضرائب :

سنَّت الكنيسة من أجل الحصول على المال قانون الضرائب ، وأعلنت أن دفعها ليس إحساناً يمتن به أتباعها بل هو حق واجب لا يسع أحدا رفضه ٠ ومنها ما يسمى بــ "العشور" ، وبمقتضى هذا الحق كانت الكنيسة تحصل على عشر الإنتاج الزراعي ، وعشر ما يحصل عليه

---

(١) لقب إقطاعي ٠

(٢) سيأتي الحديث عنه مفصلاً في مبحث الإصلاح الديني ٠

(٣) انظر تاريخ أوربا – العصور الوسطى ، هـ ٠ أ ٠ ل ٠ فشر : (٢ / ٣٦٦) ٠

المهنيون وأصحاب الحرف الأخرى ، وكان الشعب تحت قهر السلطان يقدم هذه الضـــريبة للكنيسة ، كما كان يدفعها الحكام اتقاء لشرها .

يتحدث المؤرخ الانجليزي ويلز عن هذا النظام قائلا : « بل إنَّها فرضت ضريبة العشر على رعاياها ، وهي لم تدْع إلى هذا الأمر بوصفه عملا من أعمال الإحسان والتقـــوى ؛ بـــل طالبت به كحق ، وأخذ رجال الكنيسة من الناحية الأخرى يدَّعون عند ذلك حق الإعفاء من الضرائب العلماني » [1] .

وهذا النص يبين لنا أنَّ ما فرضته الكنيسة لم يكن في نظرها إلا حقا مـــن حقوقهـــا والغريب أنَّها في مقابل ادعائها لهذا الحق تتنصل هي من الحق الذي عليها وهو الضريبة التي تكون للدولة وتدعي حق الإعفاء منها ، وهذا القانون الذي سنَّته داخل ضمن مشروع جمع الأموال الذي قضت به البابوية لتحقيق نفوذها المالي ، وقد شاع بين الناس على أثر ذلـــك أنَّ رجال الدين ليسوا بالرجال الطيبين ، وأنَّهم يتصيدون الأموال [2].

ومن هذه الضرائب أيضا ما يسمى بـــ "ضريبة السنة الأولى" ، التي أبتدعها البابا حنا الثاني والعشرون [3] التي تقضي بأن يدفع للبابا قيمة الدخل السنوي الأول لكل وظيفة دينية أو إقطاعية جديدة تابعة للبابا [4].

ومما هو قريب من معنى الضريبة ما يمسى بالسخرة ، حيث يقوم العمـــال والأرقـــاء بالخدمة المجانية في مزارع الكنيسة أو في مشاريعها الأخرى ، يوما في كل أسبوع .

٤- ما يدفع على سبيل الكفارة أو يؤخذ على سبيل العقوبة :

---

[1] معالم تاريخ الانسانية : (٣/ ٨٩٦) .

[2] المصدر نفسه : (٣/ ٨٩٥)

[3] اسمه أنج جوزف رونكاللي ، ولد سنة ١٨٨١م ، تولى البابوية في الفترة (١٩٥٨-١٩٦٣) ، وألف كتابين هما : "الكاردينال قيصر بارونيو في المئوية الثالثة لموته" ، و"وقائع زيارة القديس شارلبورّوميوالرسولية برغـــامو" . انظـــر : معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص:٣٥٩-٣٦٠) .

[4] تاريخ اوربا – العصور الوسطى ،هـــ . أ . ل فشر : (٢/٣٤٠- ٣٨٢) ، والبابا المذكور هو فرنسي يرجـــع أصلة الى قرية كاور سان ، كما في المصدر نفسه .

وهذه البدعة من عجائب رجال الدين وهي أنهَّم لَّما قرروا أنّ المذنب لا بد لـــه مـــن التوبة ، وأنها لا تكون إلا بين يدي الكاهن ، شرعوا بعد ذلك أعمالاً "تكفيرية"، وأحيانا ، فأنَّ الأعمال التكفيرية لا تكون كافية فلابد أيضا من عقوبات دنيوية "زمنية" ، وفي كـــلا الحالين ؛ فأنَّ خير هذه المكفرات هو دفع المال كما أنَّ أعظم ما تدفع به العقوبة الدنيوية – أيضاً – هو دفع المال ، بل تعدى الأمر هذا الحد وأصبح بإمكان المذنب – أو غير المذنب – أن يشتري الجنة مقابل مبلغ من المال ، ويفعل بعد ذلك ما يشاء !.

ومن أشهر ما يذكر في هذا الباب صكوك الغفران ، التي كانت من أنجع المشـــاريع التي درت على الكنيسة الأموال الوفيرة ،حتى أنَّ بعض المـــؤرخين لم يـــره إلا مشـــروعا استثماريا يدر على خزينة الكنيسة أو فر الأموال [١] .

و كانت محاكم التفتيش أحد المشاريع الكبرى لتحقيق ذلك ؛ حيث أنَّ قضاة التفتيش المُحررين من أي إشراف قضائي كانوا يتناولون الرشاوى والغرامات السنوية من الأثريـــاء مقابل النجاة من الاتهام ، ويستولون على جميع الأموال والأملاك العائدة للمتهمين بالهرطقة بحسب حكم المحكمة عليهم ، وتتم مصادرتها فورا ودون الانتظار حتى تثبت إدانته [٢] .

٥- ابتداع الطقوس والمناسبات لجمع المال :

لا تترك الكنيسة أي مجال دون استغلاله لجلب المال ، ومن ذلك :

في عام ١٢٩٩ – ١٣٠٠م أعلن البابا بنيقاس الثامن [٣] أنَّه سيقام عيد كبير عام ١٣٠٠ ، وعرض أن يغفر جميع ذنوب من يأتون للتعبد في كنيسة القديس بطرس في ذلـــك العـــام ، ويقال إنَّ عدد من دخل روما في كل يوم من هذه السنة لم يكن أقل من مائتي ألـــف ، وأنَّ مليوني زائر مع كل منهم نذر يناسبه وضعوا ما معهم من الكنوز أمام قـــبر (القـــدِّيس)

[١] انظر : تاريخ الكنيسة ، د. القس جون لوريمر : (٣٨/٤) .

[٢] انظر : الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، هيلين أيلير بي ص : ٩٥ .وسيأتي تفصيل لذلك في موضعه .

[٣] يسمى بونيفاقيوس الثامن كانت بابويته في الفترة (١٢٩٤-١٣٠٣م) ، نشب نزاع بينه وبين ملك فرنسا فيليـــب الجميل بسبب رغبة الأول بسيطرة الكنيسة عالمياً ، وفي عام ١٣٠٠ نظم أول يوبيل للكنيسـة . انظـر : معجـم البابوات ، خوان داثيو ، ص:١٤٠ .

بطرس وقد بلغت ، هذه الكنوز من الكثرة حداً شغل قسِّيسَين ظلا يعملان بالمجاريف ليلاً ونهاراً لجمع النقود [1] .

واختتم الحديث عن هذه المناسبات بقول أحد المؤرخين الأسبان : « أرى أنَّنا نادرا ما نحصل على شيء من خدام المسيح (رجال الدين) إلا بالمال ، فالعماد بالمال ، والزواج بالمال ، والاعتراف بالمال ، ولا سر المسحة الأخيرة بدون المال ، لا يدقون الأجراس بدون المال ، لا مراسم في الكنيسة للدفن بدون المال ، يبدو أنَّهم في كل يوم اخترعوا طرقا جديدة لتنمية دخول الكنيسة [2] .

وهذا النص صورة دقيقة لحقيقة الطغيان المالي الذي تمارسه الكنيسة .

٦- الهبات والعطايا :

والهبة أو العطية عادة ما تقدم عن طيب خاطر ، ولكن ما يقدم إلى الكنيسة غالبا مـــا كان يعطى من أصحاب الجاه والمال تحقيقاً لمصلحة لهم ، أو دفعاً لشر الكنيسة ، وإذا كان المنفق يحقق شيء من المصلحة — وقد لا يحققها - إلا أن ما تستفيده الكنيسة يُعد أضعاف ما تقدمه له — إن قدمت له شيئاً — .

ونختم الحديث عن الطغيان المالي بالتعقيب التالي :

١- إنَّ أخذ رجال الدين لهذه الأموال من أتباعهم من أعظم صور أكل أموال النـــاس بالباطل ، وقد أخبرنا الله عز وجل عن ذلك بقولـــه : **چ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃچ چ** التوبة: ٣٤

وهذه الآية تخبرنا عن حال فئة كثيرة من رجال الدين وليس حال أفراد بأعيانهم ، كما تفيد أنَّ هذا الطغيان مما صد الناس عن سبيل الله ، وهذا ما يفسر به تذمر الكثير من الأتباع ونقمتهم على هؤلاء الرجال ، وتحينهم لكل فرصة للثورة عليهم ، وهذا ما حدث بالفعـــل فيما بعد كما سنذكره إن شاء الله .

---

[1] قصة الحضارة ول ديورانت : (١٦ / ٥)، معالم تاريخ الانسانية ، هـــ . ج . ويلز : (لعام ٣ / ٩١٣) والمؤرخان معتبران فلاشك عندي في صحة الخبر .

[2] تاريخ الكنيسة للقس جون لوريمر : (٤ / ٣٧) ، وقد كنت أرى أنَّ النص مبالغ فيه ولكنني لمـــا زرت بعـــض الكنائس في مدينة بيروت ووجدت فيها أكثر من مكان خاص لوضع المال ومن ثما نيل البركة ، اعتقدت صحة هـــذا القول .

٢- إنَّ هذا الطغيان يأباه كل دين صحيح ، بل إنَّ نصوص الأناجيل تنهى عن اقتناء الثروة والمال ، وتنفر من الحياة الدنيا ، فهي تقول : « مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله » [(١)] ، « لا تصنعوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم ، ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصى » [(٢)] .

ولكنَّ رجال الدين لم يرعوا دين الله حق الرعاية ، و لم يستمسكوا بما تدعوا إليه أناجيلهم ، وقد غلب عليهم رغبتهم في التسلط على أتباعهم لتحقيق مصالحهم والإغراق في ملذاتهم ، ويؤكد ذلك أنهم لم يصرفوا هذه الأموال في وجهها الصحيح ، من الإنفاق على المحتاجين والفقراء وغيرهم ، وهو دليل على فسادهم . والله اعلم .

النوع الرابع : الطغيان ضد العلم :

يقصد بهذا الطغيان : طغيان الكنيسة ضد الخارجين عن آرائها "الكنسية" المتعلقة بالكون والإنسان ، من النظريات العلمية في الفلك ، والتاريخ ، والجغرافيا، وغيرها من العلوم الطبيعية .

وقد كان هذا الطغيان الذي مارسته الكنيسة مستغرباً ؛ لأنَّ العلم بوسائله المختلفة سبب الوصول إلى الحقائق ، وتقدم الأفراد ، ونهوض الأمم ، وهو من أعظم أسباب زيادة الإيمان ؛ لأنَّ حقائقه تصدق الحقائق الكونية والإنسانية ، لأنَّ مصدرهما واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى .

ولكن الأمر كان مختلفاً في الديانة النصرانية ، وإذا بحثنا عن أسباب الصراع بين الكنيسة والعلم نجد جملة من الأخطاء ارتكبتها الكنيسة أدت إليه ، وهي كما يلي :

١- أنَّ الدين الذي كانت تحمله الكنيسة لم يكن هو الدين المنزل من السماء ، بل كان في أغلبه خليطاً بشرياً من الوثنية والخرافة ، من تراث الإغريق ، وأقوال آباء الكنيسة ، مع بقايا من الدين الصحيح ، بين ذلك الخليط .

٢- قامت الكنيسة بإعطاء هذا الدين صفة القداسة لأنَّ مصدره الكتاب المقدس ؛ فهو الحق الذي لا يتطرق إليه الشك.

[(١)] مرقس : (١٠ /٢٢)

[(٢)] متى : (١٠ / ١٠ / ١١)

وكان مما تضمنه كتابهم أموراً تتعلق بالفلك ، والجغرافيا ، والتاريخ ، وغيرها من العلوم ، فألحقت الكنيسة حكمها بحكم ما يرد فيه ، وادعت أنها « وجدت عن طريق الوحي جواباً لكل مسألة من المسائل القديمة المتعلقة بأصل الخلق ، وطبيعتهم ، ومصيرهم ، وقد كتب ليكتينيوس [1]: « نحن الذين أخذنا عن الكتاب المقدس علم الحقيقة ، نعرف بداية العالم ، ونهايته » [2].

٣- وبنت الكنيسة على ما سبق أنَّ كل من يخالف شيئاً مما ورد في الكتاب المقدس فهو مهرطق ، بل كافر يستحق اللعنة ، وأن يحل به ما يكون عبرة لغيره.

وكانت هذه الأمور هي الأسس التي قام عليها الطغيان ، وأما بدايته فكما يلي :

كانت النظريات التي تتعلق بالفلك والتاريخ ، والجغرافيا ، وغيرها من العلوم الطبيعية ، تمثل حقائق قطعية عند رجال الدين ؛ لوجودها في الكتاب المقدس ، ولكن لما ظهرت نظريات علميه جديدة تخالفها أدرك رجال الدين الخطر الذي يحيط بكيانهم ويهدد عرشهم "المقدس" بسببها ؛ لأنَّ إبطال نظرية واحدة مما ورد في كتابهم يعني بالضرورة الطعن في مصداقيته ، ونزع الثقة عن رجال الدين الذين يحملونه ، ولأجل كل هذه المخاطر ؛ فقد قررت الكنيسة أن تخوض حرباً لا هوادة فيها ، وتتوعد بالويل والثبور وعظائم الأمور كل من يحاول المساس بحقائقهم العلمية المقدسة ، وكانت أهم خطوات هذه المعركة ما يلي :

١- أنَّ فهم الكتاب المقدس حق يختص به رجال الدين ، ولا يجوز لأحد أن يفهمه إلا وفق فهمهم .

٢- أنَّ الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنسان ليست إلا ما ورد في (الكتاب المقدس) ، ويجب فهمها بحسب فهم رجال الدين لها .

٣- كل من يخالف ذلك مهرطق كافر يجب أن يذوق العذاب الأليم .

---

[1] الذي ذُكر عنه أنه تلقى علومه اللاتينية في إفريقية ثم انتقل إلى نيقوميدية وانصرف إلى التأليف ، وظل أستاذاً بها حتى اضطهاد سنة ٣٠٣م ، ألف كتباً في "خليقة الله" و "المباديء الإلهية" و "غضب الله" وغيرها ، ولا يُعلم تاريخ وفاته . انظر : آباء الكنيسة ، أسد رستم ، ص:١٩٠-١٩١ .

[2] قصة الحضارة ، ويل ديورانت : (١٢/١٥٨) .

بداية الطغيان :

بدأ هذا الطغيان متأخراً ، وكانت الكنيسة في بداية أمرها تعلِّم الناس أنَّ الأرض مركز الكون ، وأنَّها ثابتة ، وأنَّ الشمس وسائر الكواكب يدرن حولها ، وكانت هذه النظرية مبنية – بزعمهم – على ظواهر النصوص الواردة في التوراة [١] .

و لم تكن هذه النظرية في الحقيقة إلا من بقايا التراث الإغريقي ، وهي نظرية بطليموس ، ولكنها بسبب اعتناق رجال الدين لها ظلت قروناً طويلة تعشعش في عقول الناس على أنَّها حقيقة مسلمة لا يتطرق إليها شك ، واستمر الأمر على ذلك حتى القرن السادس عشر ، حيث سعى آباء الكنيسة إلى تعزيزها ، فهذا (القديس) كليمانت [٢] يقول : إن المذبح الذي يوضع عادة في الهيكل اليهودي إنَّما هو رمز للأرض ووجودها في وسط الكون [٣].

وقد ظل الأمر على ذلك حتى جاء العالم البولندي " نيقولا كوبرنيكوس" ، وكان أستاذاً في روما وأكتشف أنَّ الشمس لا تدور من حول الأرض ، وإنَّما الأرض وبقية السيارات هن اللائي يدرن حول الشمس ، وقد أعلن نظريته المؤيدة لذلك عام ١٥٠٠م ، وكان على يقين أن نشر فكرته – كما تكونت في عقله – أمر لا يخلو من خطر ماحق ، ولذا ظلت هذه الفكرة ثلاثين سنة جاثمة في خلايا عقله ، وعقول أصحابه الذين أفضى إليهم سراً بما يدور في عقله من الحق الثابت .

ولَّما أتم كتابه "الأجرام السماوية" عهد به إلى "أوسباندر" في "نورمبرج " ، غير أنَّ الأخير لم يستطع أن ينشر الفكرة الجديدة ، فكتب مقدمة للكتاب اعتذر فيها عن كوبر نيكوس ، وقال : إنَّه لم ينشر المذهب على أنَّه الحقيقة ، بل على أنَّه مجرد نظرية تخيلية لا غير ، و لم تأت النسخة الأولى من الكتاب لكوبر نيكوس ، إلا وهو على فراش الموت حيث كان أسرع إليه من وصول محكمة التفتيش [٤] .

---

[١] انظر : بين الدين والعلم ، أندرو دكسون وايت ، ص:٣٣ .

[٢] يسمى ايضاً كليمنضس الإسكندري ، ولد سنة ١٦٠م ، ودرس الفلسفة والأسفار النصرانية ، وسافر إبان اضطهاد القيصر ساويروس عام ٢٠٢م إلى أورشليم وأنطاكية ، من أهم كتبه التي بقيت إلى اليوم "دعوة للأمم الوثنية إلى عبادة الإله الحق" و " المرشد" و "المتفرقات" . انظر : تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطي ، ص:٧١-٧٢ .

[٣] انظر : بين الدين والعلم ، أندرو دكسون وايت ، ص:٣٤ .

[٤] انظر : المصدر نفسه : (٤٤-٤٦) .

٢- ثمَّ جاء بعد ذلك العالم "جيوردانوا برونو" ، وأثبت صحة نظرية كوبرنيكـــوس ، فقبضت عليه محكمة التفتيش ، ولمَّا أصر على رأيه أصدرت المحكمة حكمها بقتله ، على ألا تراق قطرة من دمه ، وقُدم إلى النار حياً ، ثم أُحرق حتى يكون عبرة لمن أراد أن يعتبر! [١].

٣- بعد ذلك جاء العالم الإيطالي الشهير "جاليلو" ، وأثبت - عن طريق التلســكوب - صحة نظرية كوبرنيكوس ، فقام ضده علمـــاء "التعلـــيم الســـلمي" [٢] ، وقـــالوا : إنَّ مكتشفاته لم تكن إلا خداعاً ، وأنَّ تعاليمه تجديف وكفر بالله ، ثمَّ قـــام الآب "ملشـــوار أنخوفر" وأعلن : أنَّ القول بحركة الأرض أسف ضروب الهرطقة ، وأكبرها إثما ، وأشدها في الدين قدحاً ، وأقذعها قذفاً ، وأنَّ ثبات الأرض معتقد مقدس ثلاثاً ، وأنَّ البرهنة على فناء النفس الإنسانية ، وعدم خلودها ، وإنكار وجود الله ، وامتناع التجسد أشـــياء يمكـــن أن نتسامح فيها ، قبل أن يتسامح في أنَّ الأرض تتحرك . ولكن جاليلو استمر في الدفاع عن نظريته ، ونشر رسالة بعنوان "المحاورة" فلاقت نجاحاً باهراً في سائر أوربا ، فما كان مـــن البابا "إربان الثامن" [٣] إلا أن وضع جاليلو وكتابه بين يدي محكمة التفتـــيش ، فقامـــت المحكمة بسجنه وتعذيبه ، ثمَّ أجبر على أن يعلن جاثياً على ركبتيه الاعتراف الآتي : « أنـــا جاليلو ، وفي السبعين من عمري . سجين جاثٍ على ركبتي ، وبحضور فخامتك ، وأمامي الكتاب المقدس الذي ألمسه الآن بيدي ، أعلن أنَّي لا أشايع ، بل ألعن واحتقر خطأ القول ، وهرطقة الاعتقاد بأنَّ الأرض تدور » [٤].

الطغيان يشمل كل أنحاء أوربا :

توسعت دائرة طغيان الكنيسة بزيادة أساليب البحث العلمي ، وتطور وسائله ، والتي أصبحت تكتشف يوماً بعد يوم من الحقائق ، ما يُلقي بعين الارتياب إلى كل مـــا قررتـــه الكنيسة من مسائل علميه سابقة ، ولقد بدأ صوت المشاهدة والتجربة عند العلماء يعلو شيئاً فشيئاً فزادت بذلك ضراوة الحرب التي أعلنتها الكنيسة ، أصبحت أوربا مسرحاً لها .

---

[١] انظر : مذاهب فكرية معاصرة ،أ.د محمود محمد مزروعة ، ص: ٧٤ .

[٢] يقصد بهم العلماء الذين خضعوا للكنيسة الكاثولكية و لم ينشروا إلا ما وافق تعليمها — أو تعليماتها – .

[٣] اسمه مايو بربريني تولى البابوية في الفترة (١٦٢٣-١٦٤٤م) ، وتزامنت بابويته مع ترسيخ الملكية المطلقة في فرنسا ، له ميول أدبية حيث كتب قصائد ادبية باللاتينية والإيطالية . انظر : معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص:٢٥٢ .

[٤] بين الدين والعلم ، أندرو دكسون ، وايت ، ص: ٧٩- ٨٠ .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره د.توفيق الطويل ، ومنه ما يلي :

١- في النصف الثاني من القرن السادس عشر قام (John Baptist) بأبحاث علمية قيمة ووضع كتاباً في علم الظواهر الجوية ، يُعد أول بحث في هذا الموضوع ، وفي مجال الكيمياء اهتدى إلى طريقة تحويل الأكاسيد المعدنية ، فوضع بذلك أساس الكثير من الصناعات التي درت على الإنسانية الخير الوفير ، ولكن ضاقت به السياسة الاكليريكيَّة ، وانحلت جمعيته التي أنشأها لخدمة البحث العلمي ، واستدعاه البابا بولس الثالث [1] إلى روما ، وحرَّم عليه مواصلة أبحاثه .

٢- في فرنسا عرفت باريس عام ١٦٢٤م طائفة من الشبان العلماء المشتغلين بمنهج البحث التجريبي ، ولكنَّ برلمانها قرر مسوقاً بمساعي رجال الكهنوت تحريم المباحث الكيميائية الجديدة ، وأنذر من لا يذعن لقراره بعقوبات صارمة.

٣- في إيطاليا نهض رجال الإكليروس لمقاومة البحث العلمي ، ومطاردة رجاله فأكاديمية البحث الطبيعي التي أنشأها تليزيو في نابلي عام ١٥٦٠م ، أثارت فزع الإكليروس ، فسارع إلى القضاء على الجهود العلمية المشتركة ، فلم تظهر الجمعيات العلمية في أوربا بعد ذلك إلا بعد مضي ما يقرب من مائة عام .

ومن خلال العرض السابق يتبين حجم الطغيان الذي مارسته الكنيسة ضد العلماء ، حتى تطور الأمر ، وأصبح الطغيان ضد العلم ذاته ، وإن لم يكن معارضاً لتعاليم الكنيسة .

وقد ذكر كتاب النصارى صوراً عديدة من ذلك الطغيان ، ومنها :

ذكرت الكاتبة هيلين إيليربي عن جناية الكنيسة على العلم ما نصه : « وكان للكنيسة المسيحية تأثير ضاغط مشابه على العلم والتعليم ، فقد أحرقت الكنيسة كميات هائلة من الكتب ، ففي عام ٣٩١م ، أحرق(المسيحيون) واحدة من أعظم مكتبات العالم في الإسكندرية ، التي قيل إنها احتوت على سبعمائة ألف مدرج مخطوط وأغلقت أكاديميات التعليم القديمة ، وصار التعليم بالنسبة إلى أي واحد خارج الكنيسة ، أمراً منتهياً ، والثقافة القليلة التي بقيت خلال عصور الظلام ، بقيت حكراً على رجال اللاهوت ، وأدان

---

[1] هو إسكندر فارنيزي ، تولى البابوية في الفترة (١٥٣٤-١٥٤٩) ، وباشر عملية الإصلاح الكنسي عندما دعا إلى عقد مجمع في ترنتو. انظر : معجم الباباوات ، خوان داثيو ، ص:٢١٣-٢١٤ .

غريغوري الكبير [1] أيضاً التعليم ، وطالب بعدم تقديمه للجميع باستثناء رجال اللاهوت فقط ، لأنَّ تقديمه إلى الجميع حماقة وشرور ، ومنع العلمانيين حتى من قراءة التوراة ، وتولى أمر إحراق مكتبة ابوللو البلاتيني خشية أن تضلل آدابها غير اللاهوتية المؤمنين وتبعدهم عن التفكير بالسماوات » [2] .

وذكر د. توفيق الطويل لوناً آخر من ألوان الطغيان فقال : « بعد ظهور الطباعة في القرن الرابع عشر حيث كان ظهور الطباعة سبباً في انتشار الآراء ، فنشط رجال الإكليروس لمراقبة المطبوعات ، وأصدر البابا اسكندر الخامس أمراً بابوياً عام ١٥٠١م ، ينذر فيه بعقاب من يقدم على طبع شيء لم يصرح بطبعه ، وقرر الملك هنري الثامن عقوبة الإعدام جزاء الطبع من غير إذن رسمي ، وأدخلت ألمانيا الرقابة على المطبوعات منذ عام ١٥٢٩م ، وكان لوثر – إضافة إلى بيركان في فرنسا – أول ضحايا تلك الرقابة ، وكانت الكتب لا تطبع في إنجلترا في عهد إليصابات من غير ترخيص ، ولا يرخص بوجود مطابع إلا في لندن وأكسفورد وكمبردج ، وتتولى الإشراف على المطبوعات محكمة النجمة » [3].

وكان الأمر المروع الذي جلل بالعار التاريخ النصراني ما عُرف باسم محاكم التفتيش ، وسأتحدث عن تاريخها كما يلي :

١- كانت الكنيسة قبل اتحادها بالدولة الرومانية تعاقب على ما يسمى بالهرطقة وغيرها من الجرائم بالحرمان فقط ، ولكن بعد ذلك بقليل تقررت عقوبة الإعدام ، ويقال إن أول من اعتبر الهرطقة جريمة هو الإمبراطور الروماني ثيودسيوس ، وكان المفتشون في ذلك الوقت من العلمانيين المعينين من قبل أمراء الدولة ، ثم جاء بعده جستنيان [4] عام ٥٢٩م وأصدر قانوناً جنائياً ضد الهراطقة ، ولا زالت الإجراءات تزداد شدة مع تعاقب

---

[1] هو غريغوريوس الأول الكبير عاش في الفترة (٥٩٠-٦٠٤) ، وقام بإصلاحات في الكنيسة وكتب شروحاً على الكتب المقدسة عند النصارى . المصدر السابق ، ص: ٤٣-٤٥ .

[2] الجانب المظلم من التاريخ المسيحي ، ص: ٦٠ .

[3] قصة الصراع بين الدين والفلسفة : (١٧٤-١٧٥) ، وتاريخ الرقابة على المطبوعات ، روبرت نيتز ، ص:٢٣ .

[4] إمبراطور بيزنطي ، تولى الحكم في الفترة (٥٢٧-٥٦٥م) ، ولد عام ٤٨٢م بالقرب من سرديما – مدينة صوفيا الحالية – ثم جاء به عمه إلى القسطنطينية ثم خلف عمه على عرش الإمبراطورية . انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٠٧/١٢-٢٠٩) .

القرون ، حتى جاء القرن الثالث عشر ، حيث تم إنشاء محكمة التفتيش رسمياً ،وأصبحت محكمة جنائية مهمتها تعقب الهراطقة ، ومحاكمتهم [١] .

٢- في عام ١٢٢٩م ، صدر في عهد البابا غريغوري التاسع [٢] قانوناً يعد القاعدة الأساسية للإجراءات المعتمدة في محاكم التفتيش ، وقد جاء فيه ما يلي :

- تُعين كل أبرشية لجنة مكونة من رجل دين ومن علمانيين أو ثلاثة يتمتعون بالسيرة الحسنة ، وتكلف بالبحث عن الهراطقة ، وإبلاغ الأسقف أو سيد المنطقة عنهم .

- يجب على الأسياد البحث عن الهراطقة ، واتخاذ العقوبات بحق المهملين ، وبحق كل مواطن يساعد هرطوقاً .

- تم التأكيد على أنَّه يمكن البحث عن الهراطقة في كل مكان ، وأنَّه يتوجب على القضاة المحليين أن ينصاعوا لهذا البحث .

- ولئلا يعاقب البريء عوضاً عن المذنب ، أمر المجمع بألا يحكم على أحد بالهرطقة إلا إذا كان قد حكم عليه أسقف المنطقة ، أو أحد المسئولين الكنسيين ممن يتمتعون بهذه السلطة [٣] .

٣- في عام ١٢٣١م ، أقام البابا غريغوري التاسع محاكم التفتيش ، وجعلها بمثابة محاكم عرفية منفصلة ، ومستقلة عن الأساقفة ورجال الكنيسة . حيث بات القضاة التفتيشيون مسئولين فقط أمام البابا [٤].

وهكذا انتشرت هذه المحاكم في الولايات الإيطالية ، ثم فرنسا وأسبانيا وبقية الممالك التابعة للبابوية .

---

[١] انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص: ٣٤٩ ، معالم تاريخ الإنسانية ، هـ . ج . ولز : (٩٠٨/٣).

[٢] تولى البابوية في الفترة (١٢٢٧-١٢٤١م) ، وجرت بينه وبين الإمبراطور فريدريك حروب انتهت بمعاهدة "سان جرمان" عام ١٢٣٠م ، ولكن المعاهدة لم تستمر فاندلعت الحرب بينهما مرة أخرى ، وفي عهده جرت معركة ليفينيتو التي طرد فيها المغول من أوربا ، ووضع غريغوريوس الأسس لجامعة باريس محددا بدقة علاقاتها مع الحكومة . انظر : معجم البابوات ، جوان داثيو ، ص: ١٢٤-١٢٦ .

[٣] انظر : محاكم التفتيش ، غي تستاس — جان تستاس ، ص: ١٥،١٦ ، والمؤلفان متخصصان في تاريخ أسبانيا ، وانظر كذلك : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص:٣٤٦ .

[٤] انظر الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، هيلين إيليربي ، ص: ٩٤ .

ويمكن بشيء من الاختصار ذكر أهم الأمور المتعلقة بالمحكمة ، مما يتعلق بالقضـــاة أو المتهمين أنفسهم ، وذكر أهم الإجراءات والعقوبات حيال من تسميهم المحكمة بالهراطقة .

أولا: ما يتعلق بالقضاة :

١- يعد رؤساء محاكم التفتيش قضاة ومعذبون في نفس الأمر .

٢- على القاضي أن يتوصل إلى القرار بشأن المتهم مع جمع من الخبراء من اختياره.

٣- تمَّ إهمال الأمر السابق ، و لم يعد هناك ما يضبط سلطة القاضي.

٤- يتم اختيار القاضي بناءاً على مدى غيرته ولهفته لتعذيب الهراطقة ، وقمعهم.

٥- يُسمح للقاضي ، ومساعديه ، ورسله ، وجواسيسه بحمل الأسلحة .

٦- منح البابا القاضي الحق في تحليل مساعديه من جريرة أي عنف يقترفونها .

٧- أصبحت المحاكم غير محاسبة حتى أمام المحاكم العرفية الكنسية .

٨- ا تستولي المحكمة على جميع الأموال العائدة على المتهمين بالهرطقة بمجرد اتهامهم ودون انتظار ثبوت التهمة .

٩- أطفال المتهم إذا لم يتقدموا ، ويصلوا بصورة تلقائية لشجب آبـــائهم يتركـــون مفلسين بلا مال .

١٠- طال اتهام المحاكم حتى الأموات (الهراطقة) في قبورهم .

١١- في بعض الحالات أُخرج المتهمون بالهرطقة من قبورهم ، وبعضهم أُخرج بعـــد أكثر من سبعين سنة من قبره ، ثم أُحرقت عظامهم ، وصودرت جميع أملاك الورثة.

ثانياً : ما يتعلق بالمتهم :

١- القاعدة في الاتهام أنَّ :"المتهم مدان حتى تثبت براءته" ، وليس العكس .

٢- ليس أمام المتهم إمكانية لإثبات براءته .

٣- المتهم محروم من حق الاستشارة.

٤- مجرد وجود صداقة – ولو مشكوك فيها- مع المدان تُعد جريمة أخرى.

٥- أسماء الشهود على الاتهام تبقى سرية .

٦- كان السبيل الوحيد أمام المتهم هو تقديم التماس إلى البابا في روما.

٧- ليس هناك مجال للدفاع عن المتهم ، وقد أعلن الراهب برنارد ديلبس [1] أنَّ: « لو أن القديس بطرس ، والقديس بولس أُتهما بعبادة هرطقية ، وجرى تقـــديمهما وقمعهمـــا ، وفقاً لمحكمة التفتيش وطريقتها ، سوف لن يكون مفتوحا أمامهما سبيل للدفاع » [2] .

ثالثاً : أهم إجراءات المحكمة :

١- زمن المغفرة : كان المفتشون يدعون الذين يشعرون أنهم ارتكبـــوا الهرطقـــة في خطبة رسمية للمثول أمام القضاء ، في مدة تتراوح من نصف شهر إلى شهر ، تسمى زمـــن المغفرة ، وكان المعترف في هذه الفترة يعفى من العقاب ، أو يعاقب عقوبة خفيفة ، بحسب قناعة القاضي ، وبعد انتهاء الفترة يتم استدعاءه عن طريق الكاهن ، وفي حالة الرفض يحكم عليه غيابياً ، ويتعرض لعقوبة "الحرم"المؤقت ، وبعد عام يترل به الحرم النهائي .

٢- التحقيق : يمثُل المتهم بعد سجنه أمام المحكمة ، وتوجه إليه التهم ، ويسمح لـــه بالكلام ، ثمَّ يدعوه القاضي للقسم على الأناجيل ، ويجوز للقاضي استخدام كافـــة الحيـــل الممكنة لنيل الاعتراف من المتهم ، وكان وجود شاهدين كافياً لإصدار الحكم .

٣- الإكراه والتعذيب : إذا أصر المتهم على عدم الاعتراف كان بمقدور القاضـــي اللجوء إلى جميع وسائل الإكراه من التجويع ، والحرمان من النوم ، والســـجن ، وكانـــت العقوبات تبدأ من الجلد ، ثم التعليق على منصة التعذيب ، والتعذيب بالهوي [3] ، ثمَّ بالجمر المتأجج ، وهذه العقوبات – جميعها – من أجل انتزاع الاعتراف ، وليست حكماً نهائياً .

٤- إصدار الحكم والعظة العامة : لا يتم إصدار الحكم إلا بمساعدة رئيس الأبرشية ، التي ينتمي إليها القاضي ، ويحدد من خلال جلسة تدعى"العظة العامة" ويعقد لأجل ذلك احتفال يكون في يوم الأحد ، ويحضره القضاة ، والضباط الملكيون ، ورجال الدين ، وسائر الشعب ، وكانت تنصب في الساحة العامة أو أمام الكنيسة منصة كبيرة من أجل أن يتمكن الشعب من رؤية المتهمين ، وفي الصباح يقوم قاضي التفتيش الأول بقراءة خطبة ، ثم يـــأتي بعد ذلك إعلان الإعفاءات الممنوحة ، حيث يقوم المحكومون باستنكار خطاياهم ، ويصلون

---

[1] لم أقف له على ترجمة .

[2] الجانب المظلم ، هيلين إيلربي ، ص:٩٤ .

[3] طريقة في التعذيب والقتل ، حيث تربطي يدي المتهم وراء ظهره ،ثم يرفع إلى أعلى ، ثم يترك ليسقط على الأرض أو في البحر.

وهم جاثون على ركبهم ، ثم ترفع عنهم عقوبة الحرم "المؤقتة" ، وبعدها تتلـى العقوبـات المتخذة بحق الهراطقة بدءاً بالعقوبات الخفيفة ، وانتهاءاً بالعقوبات الأشد قسوة .

٥- الأحكام : كانت أشد العقوبات تدور بين مصـادرة الأمـلاك ، والسـجن ، وعقوبة الإعدام ، ثمَّ هناك عقوبات أخرى أقل درجة منها ، وهي عقوبة الجلد ، أو الحج ، ولم يظهر إلا متأخراً ، وهدم المنازل ، ونبش جثث الموتى [١] .

تعقيب :

١- إنَّ مجرد عرض هذه الصور كافٍ في بيان مدى الطغيان الذي قامت به الكنيسـة نحو أتباعها مما لم يعرف التاريخ لها مثيلاً . ومع ذلك انتقد النصارى أنفسهم هذا الطغيان ، ومن ذلك :

وصف أندروملر هذا الطغيان بقوله : « أسوأ الأعمال ، وأفجر الطغيـان ، وأفضـع المعالم البشرية ، وأقساها مما لم تسود به صفحة من صفحات التاريخ قاطبة » [٢] .

ويقول الكاتبان غي تستاس وجان تستاس : « يمكننا اتهام محاكم التفتيش بالضـراوة دون أن نلقى معارضة تذكر » [٣] .

أمَّا الكاتبة هيلين إيليربي فقد ألفت كتاباً عن الجانب المظلم في التـاريخ النصـراني ، وعقدت فصولاً عن طغيان الكنيسة ، ثمَّ عقدت فصلاً خاصاً عن جرائم محاكم التفتـيش ، ومما ذكرته في هذا الكتاب : « لم يكن هناك جهد منظم من قبل أي ديانة للتحكم بالناس ، ولا احتواء روحانياتهم أقوى من محاكم التفتيش (المسيحية) » [٤]

٢- لقد كان طغيان الكنيسة على درجة كبيرة من البشاعة ، وأبشع ما فيه أمران :

الأمر الأول : أنَّ كل هذا الطغيان كان يمارس باسم الدين ، والدفاع عنـه ، وقـد مارسه رجال الدين مستغلين ما جعلوه لأنفسهم - من القداسة في نفوس أتباعهم -الـذين كانوا في المقابل على درجة كبيرة من السذاجة والجهل - في استباحة كل صور الطغيـان ، بل إنَّهم استخرجوا من كتابهم المقدس عندهم ما يرون أنَّه حجة لهم في كل ما يقومون بـه

---

[١] انظر للمزيد من التفصيل : محاكم التفتيش ، غي تستاس - جان تستاس : (٣٩-٥٣) .

[٢] مختصر تاريخ الكنيسة ، ص:٣٤٧ .

[٣] محاكم التفتيش ، ص: ٣٩ .

[٤] الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، ص:٩١ .

من الطغيان ، ومن أعجب الأدلة التي استدلوا بها على ما قاموا به من التعذيب ، ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين ، حيث جاء فيها ما يلي : « إن مست الجبلَ بهيمةُ تُـــرجم أو ترمـــى بسهم »[1] . وقد فسروا هذا النص كما يلي :

البهائم : هم الناس ، بسبب جهلهم .

الجبل : هو كلمة الله .

والمعنى : إن تجاسر الناس على كلمة الله فلابد من قتلهم في الحال.

وهكذا لم يعجز النصارى عن تأويل النصوص الواردة في كتبـــهم لتتفـــق مـــع مـــا يستبيحونه من الأعمال ، ويكون عملهم شرعياً ، بل يكونون منفذين لأوامر الله !.

والأمر الثاني : هو أنَّ هذا التعذيب لم يوجه لمن يستحق – وإن كنا لا نرى أن أحداً يستحق العذاب بهذه الصورة البشعة– من أهل الفسق والفجور والبغي على الناس ، فيكون عند ذلك رادعاً لهم ، وسبباً في تطهير المجتمع منهم ، ومن أمثالهم ، ولكنَّه قد وجه لصـــفوة الناس ، وربما أشرافهم ، ممن يتقدم المجتمع على أيديهم ، وهنا نلمس الفرق الكبير بين هذا الموقف ، وبين موقف الإسلام ، الذي هو على النقيض من ذلك ؛ فقد أعطى العلم قدره ، حتى جعل للعالم المجتهد أجراً ، ولو كان مخطئاً ، إذا كان مخلصاً في نيته ، ومتحرياً للصواب ومستخدماً وسائل الاجتهاد الصحيحة.

٣– إنَّ هذا الطغيان يتعارض مع أعظم المباديء التي دعا إليها المسيح عليه السلام نفســـه – فيما نسب إليه – حيث كانت تدعو إلى التسامح مع العدو فضلاً عن الصديق ، فضلاً عن العالم المحسن إلى المجتمع بأسره.

٤– أنَّ هذا الطغيان رغم كل ضراوته لم يحقق إرادة الكنيسة التسلطية – على المدى البعيد – بل كان في الحقيقة الفتيل الذي أشعل نار المقاومة ضدها من كل جانب .

النوع الخامس :الطغيان ضد العقل :

يقصد بهذا الطغيان ، ما قامت به الكنيسة ضد كل رأي يخالف رأيها بصرف النظـــر عن أي اعتبار لهذه المخالفة .

---

[1] الرسالة إلى العبرانيين : (٢٠/١٢) .

وكما ارتكبت الكنيسة طغيانها ضد العلم وأهله فقد وقعت في نفس الخطأ في طغيانها ضد كل رأي يخالف رأيها ، وكانت الأسباب الثلاثة التي نشأ منها الطغيان ضد العلم هي عين الأسباب التي أقامت عليها طغيانها ضد كل رأي يخالف رأيها .

وقد كان في دين الكنيسة من العقائد والطقوس ما يخالف بداهة العقول ، وطبائع الأشياء ، وكان أمام الكنيسة في مثل هذا الحال أن تعود إلى نفسها ، وتراجع أمر دينها ، أو تستجيب لنداء العقل نفسه الذي يعجز عن فهم هذه العقائد والطقوس فضلاً عن قبولها والاطمئنان إليها ، ولكنَّها أعرضت عن هذا الخيار ، ومضت قدماً في طريق الطغيان .

وقد أكد المؤرخ "ويلز" ، إدراك رجال الدين مناقضة الكثير من العقائد والطقوس النصرانية للعقل ، الأمر الذي جلب لأتباعهم الحيرة والقلق ، ومما قاله في هذا الشأن : « ونظراً لأن كثيراً منهم (القساوسة) كانوا على الأرجح يُسرُّون الريبة في سلامة بنيان مبادئهم الضخم المحكم ، وصحته المطلقة ، لم يسمحوا بأي مناقشة فيه . كانوا لا يحتملون أسئلة ، ولا يسامحون في مخالفة ، لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم ، بل لأنهم كانوا غير واثقين منها . وكانوا يريدون ممن حولهم موافقتهم على رأيهم لأسباب تتعلق بالسياسة »[1].

وهذا النص يربط بين ما تمارسه الكنيسة من طغيان ضد العقل ، وبين السبب الحقيقي الذي يدفعهم إلى ذلك ، وهو عدم سلامة بنيانهم ، الذي يعني عدم صحة العقائد التي قام عليها ذلك البنيان . بل ذكر هذا المؤرخ أكثر من ذلك ، حيث قال: « وقد تجلى في الكنيسة عندما وافى القرن الثالث عشر ما يساورها من قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التي تنخر بناء مدعياتها بأكمله ، وقد تجعله أثراً بعد عين . فلم تستشعر أي اطمئنان نفسي . وكانت تتصيد الهراطقة في كل مكان ، كما تبحث العجائز الخائفات – فيما يقال- عن اللصوص تحت الأسرة ، وفي الدواليب قبل الهجوع في فراشهن »[2] .

وهذا النص يبين لنا مدى الخطر الذي كان يحدق بالكنيسة بسبب شكوك الأتباع في معتقداتها ،حتى أصبحت بسبب ذلك في قلق قاتل ، وهذا يدل على خراب البنيان الذي قامت عليه النصرانية من أصلها . و يفسر السر الحقيقي الذي قام بسببه ذلك الطغيان .

---

[1] معالم تاريخ الإنسانية : (٣/٩٠٢-٩٠٣).

[2] المصدر نفسه : (٣/٩٠٣) .

ثمَّ ذكر مثالاً خاصاً على ذلك ، وهو مناقضة عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام للعقل ، فقال : « إنَّ ميراثاً من لاهوت معقد قائم على الاعتقاد الحتمي (Dogma) ، قد أثقل كاهل الكنيسة في مغامراتها الطموحة . كان لديها من اللاهوت ما تجاوز الغاية ، ومن الدين ما دون الكفاية » [1].

وهذا تأكيد على أنَّ ألوهية المسيح عليه السلام أمر في غاية التعقيد ؛ لأنَّ العقل لا يقبلها ، وهو ما منع الكنيسة من تحقيق طموحها ، وحصولها على السلطة الكاملة على أتباعها .

صور من طغيان الكنيسة :

لَمَّا أيقنت الكنيسة بخواء بنيانها القائم على هذه العقائد المناقضة للعقل والمنطق السليم ، ولما كان السؤال حولها قائما وملحاً ، لم تر الكنيسة أمامها إلا أن تستخدم سلطانها ، وتفرض قوتها ، على الأتباع لتصد تلك الأسئلة الحائرة ، وتسكت الأفواه ، التي تطلب بلسان الحال جواباً تطمئن إليه نفوسهم ، وكانت أهم صور ذلك الطغيان ما يلي :

١- أوجبت الكنيسة على أتباعها أن يدَعوا أمر توجيههم إليها وحدها.

٢- منعت حق قراءة الكتاب المقدس عندها ، إلا بترخيص منها .

٣- أوجبت على أتباعها ، أن يقبلوا عقائدها ، بلا نقاش ؛ لأنها أمور موحى بها .

٣- جعلت فهم هذه العقائد مقيداً بفهم الكنيسة ، الذي يمليه رجالها.

كانت الأمور السابقة تتعلق بالجانب النظري التشريعي ، ولكن الكنيسة لم تكتف بذلك ، بل راحت تسن من العقوبات ضد من تسميهم بالهراطقة ما يكون كفيلاً بإعادتهم إلى حظيرة الإيمان أو تلحق بهم اللعنة الأبدية ، مع ما تدخره لهم من ألوان العذاب .

وقد كانت هذه العقوبات متفاوتة ليس لها ضابط إلا إيقاع أشد أنواع العذاب على من يخالف رأيها ، ويصبح في عداد المهرطقين ، ولا زالت هذه العقوبات تزداد وتتطور ، حتى نشأت محاكم التفتيش في القرن الثالث عشر .

يقول البابا إنوسنت الثالث : « إنَّ أي إنسان سوف يحاول بناء رأي شخصي عن الرب يتعارض مع عقيدة الكنيسة يعني حرقه من دون شفقة » [2].

---

[1] المصدر السابق : (٩١٥/٣) .

[2] الجانب المظلم من التاريخ المسيحي ، هيلين إيليربي ، ص: ٩٢ .

وهكذا كانت زراية الكنيسة بعقول أتباعها ، وهي لم تفرق في طغيانها بين ما ينبغـــي منع العقل من التفكير فيه ، مما لا سبيل للعقل في الوصول إليه أصلاً ، مثل أمور الغيب ونحو ذلك ، وبين ما يكون التفكير فيه سبباً للإيمان أو لزيادته ، كالتفكر في مظـــاهر قدرتـــه في الكون ، وأحكام الشريعة ، ونحو ذلك.

وفي الوقت الذي تحظر فيه الكنيسة التفكير في أي شيء ، نجد الدين الصحيح ، يحث على التفكير ، ويجعله سبب الإيمان ، وطريق التقدم ، والسبيل الأمثل للرقي والحضارة .

المبحث الثاني

فساد الكنيسة

وفيه مطلبان

المطلب الأول : شهادات المؤرخين النصارى على فساد رجال الدين

المطلب الثاني : أسباب فساد رجال الدين

المطلب الأول : شهادات المؤرخين النصارى على فساد الكنيسة

الذين يعلمون الناس أمر دينهم ، ينبغي أن يكونوا أحسن الناس ديناً ، وخلقاً، وأبعدهم عن التعلق بمطامع الدنيا فضلاً عن شهواتها ورذائلها ، وبالجملة : ينبغي أن يكونوالقدوة الصالحة فيما يأمرون به ، ويدعون الناس إليه ؛ لأن وجود هذه الصفات أدعى لتصديقهم فيما يقولون ، واتباعهم فيما يأمرون ، وعدم الريبة في كونهم يقصدون بدعوتهم أمراً من أمور الدنيا .

وكان رجال الدين النصارى يدعون إلى كثير من الفضائل والأخلاق ويحثون على التمثل بها ، ومن ذلك دعوتهم إلى الزهد في الدنيا ، ونبذ الغنى ، وكانت أقوالهم تحث على الانقطاع للآخرة ، وتدعو إلى كمال العفة ، والتبتل ، وابتدعوا من أجل ذلك رهبانية ، لم يرعوها حق رعايتها .

ولكنَّ واقع رجال الدين لم يكن موافقاً للحال الذي يدعون إليه ، بل أصبحوا – شيئاً فشيئاً – على النقيض مما يدعون ، وبلغوا من الفساد ما جلل تاريخهم بالعار ، وقد أصبح فسادهم أحاديث تسير بها الركبان ، ومنهلاً تُسود به كتابات أدبائهم ، وتنسج منه أشهر رواياتهم .

وسوف أتحدث في هذا العرض عن واقع هذا الفساد من خلال أقوال مؤرخيهم ، لنخرج بصورة واضحة ، ومحددة عن ذلك .

وقد عقد المؤرخ ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة باباً عن فساد رجال الدين بعنوان : "أخلاق رجال الدين" ، ومما قاله في ذلك :

« ولقد كان في وسع الكنيسة أن تحتفظ بحقوقها القدسية المستمدة من الكتب المقدسة العبرية ، والتقاليد المسيحية لو أنَّ رجالها تمسكوا بأهداف الفضيلة والورع .

وانتشرت في جميع أنحاء إيطاليا المستشفيات ، وملاجيء اليتامى ، والمدارس ، وبيوت الصدقات ، ومكاتب القرض ، وغيرها من المؤسسات الخيرية التي يديرها رجال الدين .

وكان بين هذا التقى والورع كثير من التراخي في الأخلاق بين رجال الدين نستطيع أن نثبته بما نضربه من مئات الأمثال ٠فها هو ذا بترارك [1] نفسه الذي بقي مخلصاً لدين المسيح ، إلى آخر أيام حياته والذي صور ما في دير الكرثوزيين ، الذي كان يعيش فيه أخوه ، من نظام وتقى في صورة طيبة مستحبة ، ها هو ذا يندد أكثر من مرة بأخلاق رجال الدين المقيمين في أفيون ٠ وأنَّ الحياة الخليعة التي يحياها رجال الدين الإيطاليون ، والتي نقرأ عنها في روايات بوكاتشيو [2] المكتوبة في القرن الرابع عشر إلى روايات فلتشيو [3] في القرن الخامس عشر ، إلى روايات بندتيلو [4] في القرن السادس عشر ، إنَّ هذه الحياة الخليعة موضوع يتكرر وصفه في الأدب الإيطالي ، فبوكاتشيو يتحدث عما في رجال الدين من دعارة ، وقذارة ، من انغماس في الملذات طبيعية كانت أو غير طبيعية ٠ ، ووصف ماستشيو [5] الرهبان والإخوان بأنَّهم "خدم الشيطان" ، منغمسون في الفسق واللواط ، والشره ، وبيع الوظائف الدينية ، والخروج على الدين ، ويقر بأنَّه وجد رجال الجيش أرقى خلقاً من رجال الدين ٠

ويبدو أنَّ الراهبات ، ملائكة الرحمة في هذه الأيام كان لهن نصيب من هذا المرح ، أو أنهنَّ كن مرحات رشيقات في البندقية بنوع خاص ، حيث كانت أديرة الرجال والنساء متقاربة قرباً يسمح لمن فيها بالاشتراك من حين إلى حين في فراش واحد ٠ وتحتوي

---

[1] هو شاعر وأديب ايطالي عاش في القرن الرابع عشر ، وأجمع النقاد أنَّه أول الكتاب الإنسانيين ، هاجر هو وزوجته وابنته إلى أفنيون ، وفيها شاهد ما عليه رجال الدين من الفساد وبدأ في اتقاد الكنيسة الكاثوليكية ، ثم انتقل إلى مدينة بولونيا ، ثم عاد بعدها إلى افنيون وألقى بنفسه في غمار الشعر القديم وأدب الغرام ٠ انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١٨/ ٣-١٣) ٠

[2] هو أول من نبغ من الكتاب الإيطاليين في النثر القصصي ، ويُعدُّه النقاد إلى اليوم سيد القصة القصيرة ، ولد في باريس عام ١٣١٣م ، ومن هم ثماره الأدبية قصيدة "فيلوستراتو" و قطعة نثرية بعنوان "فيلوكولو" وأهم انتاجه على الاطلاق كتاب "ديكاميرون" ، وهو الذي أضاف إلى عنوان ملحمة دانتي لفظة "الإلهية" ليصبح اسمها "الكوميديا الإلهية" ، وهو الاسم الذي بقي إلى اليوم ، توفي عام ١٣٧٥م ٠ انظر : الخالدون من أعلام الفكر – الجزء الغربي – ، احمد الشنواني ، ص:١٠٧-١٠٨ ٠

[3] لم أقف له على ترجمة ٠

[4] لم أقف له على ترجمة ٠

[5] لم أقف له على ترجمة ٠

سجلات الأديرة على عشرين مجلداً من المحاكمات بسبب الاتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات .

وجوتشيارديني [1] ، الرجل الرزين المعتدل عادة ، يخرج عن طوره ، ويفقد اتزانه ، حيث يصف رومة فيقول : أمَّا بلاط رومة فإنَّ المرء لا يستطيع أن يصفه بما يستحق من القسوة ، فهو العار الذي لا ينمحي أبد الدهر ، وهي مضرب المثل في كل ما هو خسيس مخجل في العالم .

ذلك أنَّ لدينا من الوثائق ما يثبت بالدليل القاطع فساد أخلاق القسيسين في كل مدينة تقريباً من مدن شبه الجزيرة الإيطالية .. ولقد كان الكثير من الأديرة في حال يرثى لها . وأغفلت في بعضها الأيمان الثلاث الأساسية بالتزام الفقر ، والعفة ، والطاعة اغفالاً يكاد يكون تاماً .. ولم يكن النظام في كثير من أديرة النساء أقل من هذا الفساد » [2] .

ويتحدث مؤرخ الكنيسة د. القس جون لوريمر عن الفساد الذي وصل اليه رجال الدين ، فيقول : « لاحظ جيروم [3] السهولة التي يتمكن بها الأغنياء من دخول الخدمة فمن كان بالأمس طالباً تحت التمرين هو اليوم أسقف. وآخر ينتقل أثناء الليل من مدرج الملهى إلى الكنيسة. وإنسان قضى الليل في السيرك يقف أمام المذبح في الصباح اليوم التالي ،آخر كان من وقت قريب من أنصار المسارح هو الآن مكرِّس العذاري والمهتم برعايتهن.

ومن أقوى الإدانات على الأحوال في الكنيسة، تلك التي قدمها غريغور يوس النازنزي عندما استقال من منصبه كأسقف القسطنطينية : « لم أكن أدري أنَّنا يجب أن ننافس القناصل والحكام، والقادة المشهورين ، وأنَّ بطوننا كان يجب أن تشتهي طعام الفقراء، وننفق ضرورياتهم على التنعم، ونتجشأ فوق المذابح لم أكن أعلم أنَّه يلزم أن نمتطي الخيول

---

[1] هو أديب ومؤرخ أيطالي ، ولد في آخر القرن الخامس عشر ، عُين قائداً عاماً لجميع الجيوش البابوية ، ودرس كتابات الأدباء الإنسانيين ، و ألف كتاب "تاريخ إيطاليا" ، وهو من أعظم كتبه ، وله أيضاً "تاريخ فلورنس" ، وهذان الكتابان جعلته من أعظم المؤرخين عند النصارى . انظر: قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٣٨/٢١-٤٢) .

[2] قصة الحضارة : (٨٣/٢١-٨٦).

[3] أحد أكبر لاهوتيي الكنيسة في القرن الرابع ، عاش في الفترة (٣٤٧-٤٢٠م) ، هاجم رجال الدين ، ورحل من رومة إلى فلسطين من أجل ترجمة التوراة من العبرية إلى اللاتينية ، وهي من أهم أعماله ، وألف عن سيرة من يسمى بالقديسين من النصارى . موسوعة ويكبيديا الحرة . مادة : جيروم .

الجميلة ، ونسافر في عربات فاخرة ، بالمواكب أمامنا، والكل يهتف ويفسح لنا الطريق ...وإنِّني لآسف لهذا الحرمان ، وعلى الأقل لقد انتهت هذه الأمور بالنسبة لي. سامحوني على أخطائي ، واختاروا لكم آخر يرضي الأغلبية» [١]

ثمَّ يتحدث عن جانب آخر من الفساد ، وهو ما يتعلق بالبابوية ، فيقول: « عموماً سلَّم المؤرخون والكنيسة الكاثوليكية نفسها ، بأنَّ البابوية خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر والجزء الأول من القرن السادس عشر وصلت إلى أدنى درك خلقياً ودينياً.

لكنَّها (أي البابوية) طبقاً لوصف كاتب كاثوليكي معاصر كانت بابوية دنيوية تهتم أساساً بالسياسات الايطالية، وكانت مركزاً لبلاط غني ، عالمي فاسد، وعاجز عن تقديم قيادة روحية فعالة إرشادات للكنيسة، وحقاً كان هذا البلاط يغوص منحدراً إلى أدنى درك في القيم الأخلاقية » [٢] .

من خلال ماسبق ذكره من كلام المؤرخين السابق نستطيع أن نكوِّن صورة واضحة عن الفساد الذي وصل إليه رجال الدين، ويمكن تفصيل ذلك من خلال النقاط التالية:

١- أنَّ هذا الفساد قد حدث لرجال الكنيسة مع أنَّ كتب النصارى وأقوال آبائهم ، وخاصةً ما يسمى بالكتاب المقدس تدعو إلى كثير من الفضائل، وتحث على كثير من الأخلاق، وهذا يعني أنَّهم قد خالفوا حتى ماقرروه في كتبهم المقدسة عندهم .

٢- أنَّ انتشار كثير من المؤسسات ، التي كانت تحت إدارة الكنيسة يعد مؤشراً واضحاً على الغنى الذي وصلت إليه الكنيسة ووفرة المال الذي دخل خزينتها.

٣- أنَّ هذا الفساد لم يكن سراً في زوايا الكنائس، ولكنَّه أمر قد انتشر ، وعلمه الخاص والعام ، حتى أصبح مادةً ينال منها الأدباء وأصحاب الروايات الشهيرة التي كان يجمع بينها الحديث عن الفسق والخلاعة، والتي كانت أيضاً انعكاساً لما يعيشه رجال الدين في تلك الفترة.

٤- أنَّ الكنيسة ممثلة في رؤسائها كانت تعلم بهذا الفساد ، ومع ذلك فهي تغض الطرف عنه بل إنَّها تدعمه وتهيئ الأسباب له ، بل وتشارك فيه ، وما وجود هذه الآلاف

[١] تاريخ الكنيسة:(١٣٧/١٣٦/٣).

[٢] المصدر نفسه :(٣٥/٤).

من سجلات الجرائم مع عدم اتخاذ العقوبات الرادعة لأصحابها ،وجود أديرة الرجال بجوار أديرة النساء إلى الحد الذي يسمح باشتراكهن في فراش إلا خير شاهد على ذلك ٠

٥- أنَّ هذا الفساد قد أصبح فساداً شاملاً ، فهو يشمل الرجال والنساء ، و يشمل درجات رجال الدين من أدناهم رتبة إلى أعلاهم ، وهو البابا ، ويشمل جميع الأديرة دون استثناء ، ويشمل فساد الأخلاق ، وفساد القيم حتى أصبح نيل أعلى المناصب لا يقف دونه سوى المال ، وأصبح أكثر الناس فسقاً قادراً على نيله إذا توفر لديه ، وأصبح كثيرٌ من رجال الدين يعيشون حياة البذخ والثراء بما تدره عليهم الكنيسة من الأموال وصاروا بما يملكون من المال والجاه و القصور ينافسون أكبر الملوك و الأثرياء .

المطلب الثاني : أسباب فساد رجال الدين :

تحدثت فيما سبق عن واقع الفساد الذي آل إليه رجال الدين ، وبينت وجه الغرابة في هذا الأمر ، وهو أن من يقوم بأمر الدين ينبغي أن يكون القدوة الصالحة فيما يدعو إليه ، ومن ثمَّ فإن رجال الدين أولى الناس بالبعد عن الفساد ، بل الواجب أن يكونوا أول الناهين عن ذلك الفساد .

وعند تحليل واقع هذا الفساد نجد أن هناك أسباب أدت إليه ، ومنها :

السبب الأول : فساد دين النصارى :

إنَّ أعظم ما يزجر الإنسان من فعل الشر ، ويكبح جماحه عن الفساد هو الدين الذي يؤمن به بما يتضمنه من قيم رفيعة وأخلاق فاضلة ، فالتقوى — التي جاءت الوصية بها في كل دين — والعفة والطهارة ، كلها تمنع الإنسان من الوقوع في المحرمات — فضلاً عن الإغراق في الشهوات والانغماس في الرذائل، ولكن لما فسد دين النصارى فسدت أخلاقهم تبعاً لذلك٠ بل إنه لَمَّا أصبح رجال الدين هم الذين يضعون دينهم سهل عليهم أن يضعوا ما يهون عليهم الفساد إن لم يحثهم إليه ، ويدفعهم إلى ارتكابه ٠

ومن الأمثلة التي تبين الارتباط المباشر بين فساد دينهم ، وفساد أخلاقهم ما يلي :

١- سلطان الرب الممنوح للكنيسة :

كان هذا السلطان الممنوح للكنيسة — في نظر النصارى — يعني ابتداءاً أنَّ هذه الفئة التي اختصها الرب بهذه المنحة فئة مختارة ، ومتميزة ، فهي ليست كبقية الناس ، وبالتالي فإنَّه

يحق لها ما لا يحق لغيرها . ومن جهة أخرى ، فإنَّ هذا السلطان يعني — في حسبهم —أنَّه يحق لهم أن يفعلوا ما يشاءون ، بل يعني أنَّ ما يفعلونه هو الصواب ، لأنَّه هو الدين ، ومن كل تلك المعاني فإنهم قد أصبحوا لا يتورعون عن الوقوع في الفساد ، ولا يتحرجون إذا وقعوا فيه.

وكانوا أيضاً — بمقتضى هذا السلطان — في أمن من العقاب ، فهؤلاء هم خلفاء الرب ، وإذا كانوا كذلك ، فكيف يُعاقبون ؟ ، ومن الذي يملك معاقبتهم ؟ ، هل يعاقبهم الرب وهو الذي أعطاهم سلطانه ؟ أم يعاقبهم الناس ، وهم الذين قد عقدوا لهم عقد الطاعة العمياء والإذعان المطلق ؟.

٢- حق الغفران :

وهذا الأمر في غاية الوضوح فإذا كان رجال الدين يملكون مغفرة ذنوب أتباعهم ، فكيف لا يملكون مغفرة ذنوبهم — إن كانوا يشعرون أنَّ لهم ذنوب - ، وهم عندما يقترفون الآثام والموبقات ، يكونون بمثابة من يصيبه الداء ، ويكون معه الدواء ، فإذا وقع في الذنب أخذ دواءه الحال ليزول بذلك أثر الداء ، وهذا يعني في النهاية أنَّ أبواب الفساد كلها مشرعة له ليعب منها ما يشاء .

٣- بدعة الرهبانية :

من البدع التي ابتدعها النصارى ، وأضافوها إلى دينهم بدعة الرهبانية .

والراهب — عند النصارى — هو من يعيش حياة النسك والتوحيد ، بعيداً عن العالم وضوضاءه ، ويترك أهله وممتلكاته ، ويمتنع عن الزواج في سبيل الملكوت [1] .

والرهبانية — عندهم - تقوم على سبعة أمور يجب على كل راهب التزامها ، وهي :

١- الطاعة ، ويقصد بها الخضوع للقوانين ، وإرادة الرؤساء من رجال الدين .

٢- العفة ، وهي نذر من الراهب من أجل ملكوت السماء ، وتتيح له التفرغ في سبيل ملكوت الله ، حيث توجه كل قوى المحبة إلى الله ، وإلى القريب .

٣- الفقر : ويعنيالانتصار على الميل الطبيعي ، إلى تكديس الأموال والاستئثار ، فيكون الراهب مؤتمن على هذا المال كوسيلة يستخدمها في سبيل الله .

---

[1] انظر : ظاهرة الحياة الرهبانية : الآب جوزف قزي — الآب إيميل عقيقي ، ص: ٤٧ .

٤- الصلاة ، تقوم على المشاركة والاحتفال اليومي بالإفخارستيا ، وتلاوة الفـــرض الإلهي ، والتأمل فيما يسمى بالكتاب المقدس ٠

٥- العمل ، وهو العنصر الفعال للتدرج في السيرة الرهبانية ، وبلوغ أعلى درجـــات الاتحاد بالله .

٦- الرسالة ، فللحياة الرهبانية طابعاً رسولياً ، يجتهد الراهب أن يعيشه في الـــدير ، ليشهده في الخارج .

٧- الحياة المشتركة ، ويقصد بها الحياة مع بقية الرهبان ، وهي تقوم علـــى المحبـــة ، وتساعد على التدرج في السيرة الرهبانية ، وإنكار الأنانية ، والحياة مع الرهبان هي المختـــبر للقيم الرهبانية [1] .

هذه هي الرهبانية ، وهذه هي القيم التي تقوم عليها ، وهي ليست من دين الله الذي أنزله على نبيه عيسى عليه السلام في شي ، بل هي من سائر البدع التي ابتدعها رجـــال الـــدين ، وبصرف النظر عن المقصد من هذه الرهبانية ، وهل كان مقصداً حسناً أو غير ذلك . فـــإنَّ من المسلم به أنَّ الرهبان لم يرعوها حق رعايتها ، كما ذكرت من النصوص التي تبين الحال الذي وصل إليه الرهبان من الفساد ، وكما اخبر الله عنه بقوله تعالى : ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الحديد: ٢٧

وعدم رعايتهم لها- في نظري – يتجلى في أمرين :

الأول: عدم القدرة على الوفاء بما التزموا به من القيم التي نذروا أنفسهم للقيام بها ، وخاصةً القيم الأساسية التي أقسموا الأيمان بالتزامها ، وهي التزام الطاعة ، والعفة ، والفقر ، وقد ذكرت النص الذي أورده المؤرخ ديورانت الذي يؤيد ذلك.

الثاني: أنَّ هذه الرهبانية قد أزتهم إلى الفساد أزاً ، وأوقعتهم في حمأة الرذيلة ، حـــتى أصبحت أديره الرهبان مواخر للفسق والفجور ، وما اقتراب أديره الرجال وأديره النساء ، والسماح للرهبان و الراهبات – أياً كان سببه – إلا دليلاً على ذلك ، وما كان يتوقع لمثل هذه الرهبانية غير هذا المصير ؛ وذلك لأنَّها منازعة للفطرة الإنسانية في أقـــوى غرائزهـــا ، والمقصود هنا أنَّ فساد الدين النصراني أدى إلى الفساد الخلقي العريض .

---

[1] انظر: المصدر السابق :(٥١-٥٢).

السبب الثاني : السلطان الدنيوي

عندما أصبح رجال الدين يتبوأون أعلى المناصب في الدولة وأصبحت لهم الكلمة العليا ، وأمتلأت خزائن كنائسهم بأوفر الأموال عاشوا حياة البذخ والترف ونافسوا أعظم الأمراء والملوك ، وربما جاوزهم في ذلك .

ومن المعلوم أنَّ المال – إذا لم يصرف في موطنه – كان من أعظم أسباب الفساد ، كما أنَّ المنصب من أعظم أسباب حماية ذلك الفساد ، فإذا انضم إلى ذلك فساد الدين كاد أن يكون وقوعهم في الفساد أمراً محققا .

خلاصة :

خلاصة هذا المبحث أنَّ تقديس رجال الدين بسبب ما ادعوه من المترلة ، وسبب طاعة أتباعهم لهم في ذلك كان من أعظم أسباب وقوعهم في الفساد ، ومن ثم انتشاره في جميع طبقات المجتمع النصراني .

الفصل الثاني

الثورة على الكنيسة

وفيه مبحثان

- المبحث الأول: الإصلاح الديني
- المبحث الثاني : الثورة الفرنسية

المبحث الأول

الإصلاح الديني

وفيه ثلاثة مطالب

- المطلب الأول : عوامل قيام الإصلاح الديني
- المطلب الثاني :الإصلاح الديني قبل القرن السادس عشر
- المطلب الثالث : الإصلاح الديني في القرن السادس عشر

المطلب الأول : عوامل قيام الإصلاح الديني :

بلغت الكنسية الكاثوليكية من الطغيان والفساد ما لابد معه من إحداث إصـــلاح في جميع جوانبها ، ولكن ثمة عوامل أخرى ساهمت بشكل كبير في الإسراع في ظهور حركـــة الإصلاح و إعطاءها القوة والصلابة اللازمة لمقاومة الكنيسة الكاثوليكية ، بـــل والانتصـــار عليها في أكثر الأماكن التي ظهرت فيها ، حتى تغيرت بذلك خريطة الكنيسة الكاثوليكية في القارة الأوربية وضاقت دائرة نفوذها في دول عديدة ، وانتصرت عليها البروتستانتية في دول أخرى . والحديث في هذا المجال عن العوامل الخارجية فقط ، أمـــا الأســـباب الداخليـــة ، فسوف أتحدث عنها من خلال الحديث عن أشهر المصلحين ، وأبرز المباديء الـــتي دعـــوا إليها، وفيما يلي إيجاز لأهم هذه العوامل :

١- انتشار العلم وتطور وسائله :

يطلق على القرن السادس عشر عصر النهضة ؛ فقد تميز بميزات ساهمت في تقدم عجلة النهضة في أوربا بدرجة كبيرة ، ومن أهمها ما يلي :

(أ) ظهور الكشوفات الجغرافية : ظهرت في هذا العصر الكشوفات التي قـــام بهـــا العلماء ، ومن أهمها اكتشاف القارة الجديدة القارة الأمريكية ، عام ١٤٩٢، وطريق الرجاء الصالح الموصل إلى الهند عام ١٤٩٨ ، وكان لهذه الكشوفات دور في تقدم حركتي الصناعة والتجارة وتبادل الثقافات داخل القارة الأوربية ، وبين القارة الأوربية ، والقارة الجديدة .

(ب) اكتشاف الورق والطباعة : كان اكتشاف الطباعة على يد المخترع الألماني حنا جوتنبرج عام ١٤٥٤م أثراً بالغاً في تقدم الحركة العلمية والثقافية ، وكان بحق مـــن أعظـــم انجازات العصر على الإطلاق ، وعدها لوثر أكبر وآخر هبة من الله [(١)] وساهمت في ظهـــور حركة الإصلاح بدرجة كبيرة ، وذلك من خلال أمور من أهمها :

طباعة ما يسمى بالكتاب المقدس ، الذي قام المصلحون بنشره في كافة الأماكن الـــتي ظهروا فيها ، بل في أغلب أرجاء أوربا ، وانتشرت نسخ الأناجيل بأشهر اللغات المحليـــة في ذلك الوقت . وإذا كانت نسخ الأناجيل قد بقيت حبيسة في الكنائس طيلة القرون الماضية فقد أصبحت بعد عصر الطباعة في متناول كل إنسان ، الأمر الذي أوقف عامة النصارى –

[(١)] انظر : تاريخ الرقابة على المطبوعات ، روبرت نيتز ، ص : ٢٢ .

فضلاً عن المثقفين منهم – على البون الشاسع بين ما تدَّعيه أو تقوله الكنيسة الكاثوليكية ، وبين ما يشتمل عليه الكتاب المقدس عندهم .

وأيضاً كان في ظهور الترجمة اللاتينية للأناجيل أثر كبير في اكتشاف الأخطاء الكثيرة التي تضمنتها النسخة المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية . وإذا كانت بداية ظهورالطباعة في ألمانيا ، فليس غريباً أن يكون أشهر المصلحين قد ظهر في نفس المكان ، ويكفي لبيان أهمية انتشار الطباعة أنه في أسبوع واحد تم توزيع أكثر من ٤٠٠٠ نسخة من أحدى الرسائل التي ألفها لوثر .

ومن المميزات المهمة في هذا الصدد ظهور الجامعات وانتشارها في جميع أنحاء أوربا ، وإن كان ظهور بعض الجامعات المشهورة قبل ذلك ، وظهور الجامعات ساعد في تقدم الحركة الثقافية في ذلك العصر .

٢- ظهور النزعات القومية والوطنية :

كان الملوك الأوربيون يعيشون في ظل الاستبداد البابوي حياة الذل والخضوع ، ويتطلعون إلى الاستقلال عن سلطة الباباوات من أجل تقوية نفوذهم الداخلي ، وقد وجدوا في حركات الإصلاح خير وسيلة لتحقيق هدفهم المنشود ، ومن أجل ذلك كانوا في طليعة المؤيدين لها . أمَّا الشعوب فإنَّهم كانوا يعيشون في ظل التسلط البابوي تحت نير الظلم والقهر ، وذاقوا مرارة الفقر ، وهم يرون بأمِّ أعينهم الأموال الطائلة تخرج من جيوبهم بالقوة ، وتطوف الأراضي الشاسعة حتى تستقر في الخزينة البابوية ، فوجدوا في حركات الإصلاح إنقاذ لهم من ذلك الجحيم . ومما نَّمى الشعور الوطني كذلك كثرة الحروب التي نشأت بين تلك الدول ، بغرض الحصول على المزيد من النفوذ والسلطان ، وهذه الحروب جعلت أبناء الوطن الواحد يلتفون حول بعضهم لمقاومة العدو الخارجي .

٣- الاحتكاك بالمسلمين :

احتكاك النصارى بالمسلمين السلمي والحربي مكن لهم من رؤية واقع المجتمع المسلم الذي يعيش في ظل عبادة الله وحده بحرية بالغة ، وبعيداً عن أي سلطة تُفرض عليهم أو وساطة بينهم وبين ربهم ، ورأوا تقدم المسلمين في جميع مجالات الحياة ، وشاهدوا قيامهم بأعظم الحضارات ، كما في الأندلس التي قامت بها أكبر الجامعات ، ونهل منها أبناء

النصارى شتى أنواع المعارف . حصل هذا الاحتكاك في الوقت الذي كانت فيه أوربا ترزح في ظلمات الجهل طيلة قرونها الوسطى . وقد ولد هذا الاحتكاك رغبة ملحة في التغيير والاصلاح.

وقد ظهر هذا الأثر في المباديء التي نادى بها المصلحون من رفض الواسطة بين الخالق والمخلوق ، ورفض صكوك الغفران ، واعتبار أنَّ الذي يغفر الذنوب هو الله وحده ، وتحريم الصور والتماثيل ، وغيرها مما سيرد ذكره في موضعه .

٤- الانقسامات والتراعات :

عاشت الكنيسة انقسامات كبرى أضعفت سلطانها وأسقطت هيبتها في عيون أتباعها ، ومن أهم تلك الانقسامات :

١- الانقسام الذي كان بعد مجمع خلقدونية ، وانعقد عام ٤٥١م ، وانقسمت فيه الكنيسة الجامعة إلى الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية .

٢- الانقسام الكبير بين الكاثوليك أنفسهم ، عام ١٠٥٤ إلى الكنيسة الغربية اللاتينية ، والشرقية الأرثوذكسية .

٣- فترة السبي البابوي ، وهي الفترة التي انتقلت فيها البابوية لأول مرة من مقرها الأصلي روما إلى أفنيون في فرنسا ، وكان ذلك في الفترة بين عامي ١٣٠٥ و ١٣٧٧م ، وفي هذه الفترة كانت البابوية تحت سلطة الملك الفرنسي ، وبعد أن عادت إلى روما عام ١٣٧٨ توفي البابا غريغوري الحادي عشر [1] فاختار الكرادلة رئيس أساقفة باري الذي اتخذ اسم أرباتس السادس ، ولكن هذا البابا ضيق على الكرادلة الفرنسيين فغادروا رومة ، وأعلنوا أنَّ اختيار البابا تم تحت ضغط شعبي ، ثم أجروا انتخاباً جديدا واختاروا روبرت الجنيفي الذي اتخذ اسم إكليمنضس السابع واعترف به ملك فرنسا ، وانشقت الكنيسة الجامعة مرة أخرى إلى حزبين كبيرين أتباع بابا رومة ، وأتباع البابا الفرنسي الذي استقر في أفنيون واستمر ذلك الانشقاق أربعين سنة .

---

[1] هوآخر بابا فرنسي ، تولى البابوية في الفترة (١٣٧٠-١٣٧٨) ، وهو رجل مثقف وحكيم ، وكان يحب الفنون والآداب وجمع في مكتبة أفنيون عدداً كبيراً من المخطوطات النادرة ، وهو دوبلوماسي رفيع ، كان وسيطاً بين فرنسا وانجلترا . انظر : معجم الباباوات ، حوان داثيو ، ص:١٥٦ .

ولما توفي الباباوان وأقيم باباوان بديلان عنهما ، تألم الشعب النصراني من هذه الفوضى ، وعقد الكرادلة من الطرفين مجمع "بيز" عام ١٤٠٩م ، فانتخب بابا جديد ، وأصبح يقود العالم النصراني ثلاث باباوات في وقت واحد ، و لم ينته ذلك الانشقاق إلا بخلع الباباوات الثلاثة وتعيين بابا بديلاً عنهم [١] .

وهذه الأحداث الكبيرة ، لاسيما فترة السبي البابوي جرحت كبرياء الكنيسة ، وأرغمت أنفها ، وكسرت أعظم مبادئها ، هو العصمة البابوية ، الذي تحطم تحت وجود ثلاثة باباوات في وقت واحد .

المطلب الثاني : الإصلاح الديني قبل القرن السادس عشر :

يقصد بالإصلاح الديني تلك الحركة التي تهدف إلى إصلاح كل ما يتعلق بالكنيسة الكاثوليكية من الفساد الذي طال جميع مؤسساتها ، وجميع طبقاتها .

ويذكر بعض المؤرخين أنَّ تاريخ الإصلاح مر بمرحلتين هامتين :

المرحلة الأولى : كان فيه المنادون بالإصلاح يطالبون بإزالة مفاسد الكنيسة ، وتنظيم شؤونها على أيدي رجالها ، أي : أن تصلح الكنيسة نفسها بنفسها ، فيكون الإصلاح من داخل الكنيسة . ومن كبار المصلحين في هذه المرحلة يوحنا روكلن وإرزم ، وسيأتي الحديث عنهما ، وينطبق ذلك أيضاً على أغلب المصلحين قبل القرن السادس عشر .

المرحلة الثانية : يطالب فيها المصلحون أن تقبل الكنيسة ما يفرض عليها من الوسائل التي يقترحونها ، مادامت قد فشلت عن إصلاح نفسها . ومن أكبر المصلحين في هذه المرحلة لوثر ، وزونجلي ، وكالفن [٢]، وسوف أفصل الحديث عنهم – فيما يأتي– .

ونظراً لأهمية المرحلة الأولى ، من جهة كونها الأساس الذي اعتمدت عليها الحركة الإصلاحية الكبرى في القرن السادس عشر ؛ فسأتعرض بصورة موجزة لأبرز المصلحين فيها مع الاهتمام – بشكل خاص – بإبراز أهم انتقاداتهم للكنيسة .

[١] انظر : الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمبي ، ص: ٢١٠-٢١١ .

[٢] انظر:التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا،د.عبدالحميد البطريق،د.عبدالعزيز نوار:(٨٩-٩٠)

١- يوحنا ويكلف :

أول المصلحين في بريطانيا، ولد في هسبول من أعمال مقاطعة يوركشير ١٣٢٠م ، وقيل ١٣٢٤م ، ودرس في جامعة أكسفورد حتى صار أستاذاً لما يُسمى باللاهوت ، ومدرساً للقوانين المدنية والدينية ، ورُسم قسيساً ، وتلقى عدداً من المناصب والرتب من كنائس الأبرشيات ، وكان له نشاط إداري كبير • وكتب في الفلسفة واللاهوت ، وكانت كتاباته تفصل بريطانيا عن الكنيسة الرومانية قبل أن يفصلها هنري الثامن بمائة وخمسة وخمسين عاماً ، وقبل أن تفصلها أفكار المصلحين الكبار في القرن السادس عشر [1]

وقد عاصر هذا المصلح فترة الأسر البابوي ، التي بلغت فيها البابوية أعلى مستوى في الضعف والانحطاط •

ومن المواقف المهمة في حياته أنَّه لما حدث النزاع بين البابا أوربان الخامس والملك الإنجليزي إدوارد الثالث في مسألة الجزية السنوية التي تعهد بها الملك السابق للبابوبية اعترافاً بسيادة روما ، وانقطعت لأكثر من ثلاثٍ وثلاثين سنة ، فلمَّا ابتدأ أوربان يطالب بها وبدفع المتأخرات رفض الملك ذلك ، وأعلن تمسكه بحرية بلاده واستقلالها ، ثم عين ويكلف الذي أصبح أحد كهنته للرد على الحجج البابوية ، وقد نجح في ذلك بشكل كبير • وفي عام ١٣٧٤م أوفدته الحكومة لمقابلة البابا غريغوري الحادي عشر في أفنيون ، لإظهار المساويء التي نتجت عن احتفاظ البابوية بحق التعيين في الوظائف في كنيسة إنجلترا وإزالتها ، وقد أتاح له ذلك أن يرى كل ما يدور في البلاط البابوي من الفساد •

وأمَّا أعظم أعماله ؛ فهو ترجمة ما يُسمى بالكتاب المقدس إلى الإنجليزية ، عام ١٣٨٠م ، التي انتشرت في أنحاء إنجلترا ، وحاول الأساقفة استصدار قرار من البرلمان بالقضاء على هذه الترجمة ، ولكنَّ محاولتهم باءت بالفشل •

وفي عام ١٣٨٤م أصيب بالشلل ، ومات بعده بثلاثة أيام ، ونجا من المثول بين يدي البابا ، ولكنَّ مجلس"كنستانس" الذي عقد عام ١٤١٥م قررعقوبته ، فأُخرجت عظامه وألقيت في مجرى ماء قريب من قبره ، ثم أبيد كل ما عثر عليه من كتاباته •

---

[1] انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٢/٦٥-٧٧) ، مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ،ص:٣٨٧-٣٩٤) ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين ، ص٣٩٨ • واكتفي بهذه الإحالة في الحديث عن ويكلف لعدم التكرار •

أهم مباديء ويكلف :

١- ليست الأعمال الصالحة هي التي تنجي الإنسان ٠ بل الرحمة والنعمة الإلهية ، وأنَّ الأعمال الصالحة مجرد علامة على النعمة والرحمة ونحن نصدر في أعمالنا حسب مشيئة الله لنا ، ومصيرنا هو خلقنا ، وكان آدم وحواء هما الذين استمتعا بحرية الإرادة ثم خسرا وأبنائهما تلك الحرية بعد المعصية ٠ وهذا النص يوضح أنَّ ويكلف كان يؤمن بعقيدة الجبر التي تسلب أي إرادة للإنسان ٠

٢- العلاقة بين الله والإنسان مباشرة لا تحتاج إلى وسيط ، وبناء عليه يجب رفض كل ما تدعيه الكنيسة أو يدعيه أي قس من أن تكون هي أو يكون هو واسطة لابد منها ٠ وعلى هذا المعنى يكون كل مسيحي قسيساً ، وليس في حاجة أن يرسم كذلك ٠

وهذا المبدأ ينسف مبدأ التوسط بين الله وخلقه من أصله ، كما ينسف كل ما ادعته الكنيسة من الطقوس التي يقوم بها القسيس ، وخاصة سر الكهنوت ٠

٣- يتضح من الكتاب المقدس أنَّ المسيح لم يرد أن يكون للحواريين ولمن جاء بعدهم شيئاً من الأملاك ٠ وعليه فكل كنيسة أو قس يمتلك شيئاً فهو يعصي الله ويستحق الإثم ، وإذا كان كذلك فلا يستطيع القس العاصي أن يقدم العشاء الرباني ٠ وأعظم ما تحتاج إليه الكنيسة ورجالها التخلص من الأملاك الدنيوية ٠

وبناءاً على مبدأ وجوب مصادرة الأموال والأملاك ، فإنَّه يرى أنَّ ورجال الدين إذا لم يتنازلوا عن هذه الأموال والأملاك ويرضوا بحياة الفقر فلابد من تدخل الدولة لنزع أموالهم وممتلكاتهم وإرغامهم على حياة الفقر ، والملوك هم وحدهم المسئولون أمام الله عن ذلك ، ويتوصل من ذلك إلى أن الدولة يجب أن تعد نفسها على أنَّها ذات السلطان الأعلى في جميع الشؤون الزمنية ، وأن تستحوذ على جميع أملاك الكنيسة ، وهي التي ترسم القساوسة ٠

٤- رفض صكوك الغفران ، والعقيدة التي قامت عليها ، وهي وجود فضائل للقديسين يستعان بها على إنقاذ الأرواح من المطهر ٠ وقال في ذلك كما يذكر ديورانت : « إن الأحبار يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة أو وثائق المغفرة ، وينهبون بذلك الأموال - لعنة الله عليهم — ٠٠ وما أشد حماقة من يبتاعون هذه الصكوك بهذه الأثمان

الغالية . وإذا كان في مقدور البابا أن ينزع الأرواح من المطهر فلم لم ينزعها على الفور عملاً بروح الإحسان المسيحية » .

٥- هاجم أخلاق رجال الدين وسخر من أعمالهم بل طالب بمحاكمتهم أمام المحاكم المدنية غير الدينية . وقال في ذلك : إنَّ كثيراً من رجال الدين يدنسون أعراض الزوجات والعذارى والأرامل والراهبات بكل ضروب الفسق .. وهاجم الكهنة الذين يتلمقون الأغنياء ويذرون الفقراء ، ولا يترددون في أن يغفروا ذنوب الأثرياء ، ولكنَّهم يحرمون الفقراء المدقعين من حضيرة الدين لكونهم لا يؤدون العشور الكنسية .

٦- أمَّا الباباوات فقد صب عليهم جام غضبه ، واستغل في ذلك ما حدث بينهم من الانقسام والاقتتال الذي يجلل بالعار ، ومما قاله في ذلك : « يجب أن يدفع الناس إلى ألا يؤمنوا بالبابا إلا بقدر ما يتبع هو تعاليم المسيح ، والبابا إذا جمع لنفسه الأملاك الدنيوية والسلطة السياسية أصبح غير خليق بمنصبه ، وقد وصل به الأمر إلى القول بأنَّ البابا هو عدو المسيح الذي تنبأت به الرسالة الأولى من رسائل (الرسول) يوحنا ، وأنَّه الوحش الوارد ذكره في سفر الرؤيا ، والذي ينبيء بعودة المسيح .

٧- أنكر الاعتراف السري أمام القس ، وطالب بالاعتراف الاختياري العام ، الذي يفضله النصارى ، ومما قاله في ذلك : لا حاجة إلى الاعتراف السري أمام القساوسة ، فذلك اعتراف أدخله الشيطان أخيراً في الدين ؛ ذلك أنَّ المسيح لم يكن يعمل به ، كما لم يعمل به أحد من الحواريين من بعده ، وبه استحال الناس الآن عبيداً لرجال الدين ، وهو يستخدم الآن أسوأ استخدام للأغراض الاقتصادية والسياسية ، وبهذا الاعتراف يستطيع الراهب والراهبة أن يرتكبا الخطيئة معا .. لكن الحق الذي لاريب فيه أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب .

٨- التشكيك في صحة العشاء الرباني وإنكار الاستحالة ، فهو يقول : من واجبنا أن نرتاب بوجه عام في صحة العشاء الرباني الذي يقربه القس الآثم والخارج على الدين .. لا يستطيع أحد أن يحيل الخبز المقدس إلى جسم المسيح ودمه..، وكان يستشنع من أن بعض من يعرفهم من القساوسة يستطيعون أن يأتوا بهذه المعجزة التي هي من صنع الله وحده ، وهو يعتقد وجود المسيح عليه السلام مع الخبز والنبيذ ، وأنَّهما لم ينعدمان كما تدعي الكنيسة .

٩- الكتاب المقدس – كما يرى – لا يأتيه الباطل من بين يديه ، بخلاف تقاليد الكنيسة وعقائدها المعرضة للخطأ ، وكان يقول : « الكتاب وحده الحق » .

١٠- عقيدة التجسد ، وهو يؤمن بها على الوجه الذي تؤمن به الكنيسة .

هذه أهم المباديء التي دعى إليها ويكلف ، وهي في الحقيقة تكاد أن تكون رد فعل للمخازي الكبيرة التي ارتكبتها الكنيسة البابوية ، بسبب سلطانها المزعوم ، ولذلك فإنَّ هذه الأفكار والمباديء الإصلاحية تركتز على ركيزتين أساسية :

الأولى : نزع سلطة البابا ، ورجال الدين ،لاسيما السلطة الروحية والسياسية والمالية . والثانية : إعادة هذه السلطة إلى كتابهم المقدس ، كمصدر وحيد لكل هذه السلطات .

٢- يوحنا هوس :

يعتبر التشيكيون يوحنا هوس رائد قوميتهم ، والمصلح الديني الكبير الذي أراد تطهير الكنيسة من شوائبها . ولد هوس في قرية صغيرة تدعى هاسنتتز على الحدود البارافية عام ١٣٦٩ ، وعندما مات أستاذه ويكلف كان عمره خمس عشرة سنة ، ثم أرسله أبواه إلى مدينة براغ لكي يدرس اللاهوت ، ويستعد للخدمة في الكنيسة ، وترقى في مدارج الجامعة حتى صار "أب اعتراف" الملكة صوفي ، وتعين واعظاً في كنيسة الجامعة التي تسمى "بيت لحم" . وبعد أن اشترك في نزاع قام في الجامعة حول امتيازات الطلبة جاءت مقاومته للبابا غريغوري الثاني عشر [١] ، فأصدر رئيس أساقفة بوهيما أمراً بتجريم هوس ، ولكنَّه استمر في إلقاء مواعظه اليومية . ثمَّ قام نزاع آخر مع باعة صكوك الغفران الذين تعرضوا لإهانات واعتداءات فتدخلت السلطة ، واتهمت هوس بأنَّه المحرك لهذه القضية ، وصدرت الأوامر بطلب مثوله أمام محكمة الفاتيكان ، فلم يستجب ، فأعلن الفاتيكان بأنّه قد أصبح تحت طائلة الحرمان ، ثمَّ اتهم أيضاَ بالهرطقة ، وأنَّ تعاليمه مشابهة لتعاليم ويكلف ، وكانت التهم المنسوبة إليه تعود إلى قضيتين :

الأولى : قوله إنَّ تعاليم روما مضلة ، حيث أنكر التعليم البابوي الخاص بالخلاص وبالأعمال والطرق الكثيرة التي فرضتها الكنيسة .

---

[١] هو أنجيلو كورير من البندقية تولى البابوية في الفترة (١٤٠٦-١٤١٥م) ، وفي فترة بابويته اجتمع للكنيسة ثلاثة باباوات . انظر معجم الباباوات ، حوان داثيو ، ص: ١٦١ .

والثانية : نظام البابوية الإكليريكي ، ومساوئه الشنيعة ، التي شهَّر بها هوس تشهيراً بليغاً . وبعد سلسلة من المحاكمات أُمر بإعدامه عام ١٤١٥م ، فرُبط في عمود ووضعت الأخشاب حول ذلك العمود ، ثمَّ أشعلت النار حتى مات حرقاً ، ثمَّ جمعوا رماده ، وألقوا به في بحيرة مجاورة [1] .

أهم المباديء التي دعا إليها هوس :

هوس تلميذ ويكلف ، وقد دعا إلى أفكار أستاذه ، وإن لم يوافقه على كل آراءه ، وكان من أهم الآراء التي نادى بها :

١- رأى أنَّ الكنيسة الحقيقية هي جماعة المختارين وليست تلك المنظمة الكنسية .

٢- مجمل أفكاره يدعو إلى إصلاح الكنيسة الخاطئة في نظره.

٣- كان يدعو إلى الرجوع إلى الإنجيل وحده دون غيره كمصدر للديانة النصرانية .

٤- لا واسطة ين الإنسان والرب إلا عن طريق الإيمان .

٥- بقيت أفكاره ذات تأثير بعد موته فقد أعلن التشيكيون الذين ظهرت فيهم دعوته عن رفضهم للخضوع للبابا ، ومن أجله قاوم الشعب والأشراف بالسلاح ملكهم الإمبراطور "سيجسموند" لأنَّهم رأوا فيه جلاد هوس ، وقامت من أجله ثورة الهوسية التي أدت إلى الانشقاق عام ١٥٢٠م .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا اتفاق هوس مع ويكلف في الكثير من الأفكار ولاسيما الأصلين الذين قامت عليهما الدعوة الإصلاحية ، وهما : انتزاع جميع السلطات من يد البابا ، ثم إعادتها إلى ما يسمى بالكتاب المقدس .

والحركة التي قادها هوس أعطت حركة الإصلاح بعداً زمنياً ومكانياً أكبر ، حيث أصبحت أوربا أكثر تهيئة للقبول بحركة إصلاحية كبرى تتسم بالانفصال التام عن الكنيسة البابوية ، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك على يد المصلحين الكبار ، وقد ظهر بعد المصلحين السابقين مصلحون آخرين ، ولكنَّهم كانوا أقل تأثيراً منهم ، ومن أبرزهم :

---

[1] انظر لترجمته وآراءه : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص:٤٠٢-٣٠٧ ، الدليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، جان كمبي ، ص:٢١٥ ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة بعنوان الإنفصالات ، ص: ٢٩٩- ٣٠٠ ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، دكتور عبدالفتاح ابو علية ، ودكتور أحمد اسماعيل ياغي .

٣- حنا روخلن (روكلن) :

ظهر روكلن في ألمانيا وعاش في الفترة بين عامي ١٤٥٥ و ١٥٢٢م ، وقد استعان باللغة العبرية في تفسير العهد القديم ، وأحدثت كتاباته ضجة كبيرة في أنحاء أوربا بعامة وألمانيا خاصة ، ولاسيما في أوساط المثقفين مما جعل كثير من رجال الدين ينخرطون في حركته ، التي تدعو إلى ضرورة إصلاح الكنيسة مما شابها من البدع والخرافات ، واستطاع أن يشكل جبهة جديدة تدعو إلى الإصلاح ومعاداة الكنيسة البابوية ، ولكنَّها هذه المرة في ألمانيا ، التي أصبحت بعد ذلك أكبر مركز للإصلاح في أوربا كلها [١] .

٤- إرازمس :

ولد إرازمس في روتردام سنة ١٤٦٥م ، ودرس في جامعة باريس ، ثم رُسم كاهناً عام ١٤٩٢م ، وزار إنجلترا عدة مرات ، وعين في آخرها أستاذاً للغة اليونانية في جامعة كامبردج ، وقد أعد نسخة تحليلية لما يسمى بلكتاب المقدس باللغة اليونانية ، وظهرت في بازل عام ١٥١٦م ، قبل حركة الإصلاح الكبرى على يد مارتن لوثر بسنة واحدة ، وكانت هذه النسخة مصحوبة بترجمة لاتينية وفيها تصحيح لأخطاء الترجمة اللاتينية الرسمية لدى الكنيسة الكاثوليكية ، فأحدثت هذه النسخة مع ترجمتها هزة عنيفة في أوربا كلها، حيث أصبحت تنظر إلى نسخة البابوية بعين الارتياب ، وقد ساهم إرازمس في تخليص الفكر الأوربي من سيطرة رجال الدين الكاثوليكي ، وتوفي هذا المصلح عام ١٥٣٦م ، وقد ساهم بشكل كبير في دفع عجلة الإصلاح الديني في أوربا [٢] .

وبهذا يتبين لنا أن حركة الإصلاح قد تأسست بالفعل في كل من إنجلترا ، وبوهيما ، وألمانيا ومناطق أوربا التي تنقل فيها إرازمس فشملت بذلك رقعة كبيرة من القارة الأوربية ، ممهدة السبيل إلى الحركات الإصلاحية الانفصالية الكبرى التي ظهرت فيما بعد .

---

[١] انظر :تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د.عبدالفتاح أبو علية ، د.إسماعيل ياغي ، ص:٢٧-٢٨ ، والتاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، د.عبدالحميد البطريق و د. عبدالعزيز نوار ، ص:٨٩ .

[٢] انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص : (٤٢٢-٤٢٤) ، وتاريخ أوربا الحديث والمعاصر ،د. عبدالفتاح أبو علية ، ود. إسماعيل ياغي ، ص: (٨٥-٨٦).

المطلب الثالث : الإصلاح الديني في القرن السادس عشر :

يعتبر القرن السادس عشر قرن الإصلاح الديني ؛ حيث ظهر فيه أكبر المصلحين ، وتم فيه انفصال الكنائس البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية تحتل مساحة غير قليلة من القارة الأوربية ، وأصبحت الديانة الرسمية لبعض الدول الأوربية ، وفيما يلي سأتحدث عن أشهر المصلحين في هذا القرن مع التركيز على بيان انتقاداتهم للكنيسة الكاثوليكية .

١- مارتن لوثر :

ولد المصلح مارتن لوثر في إيسليبن الألمانية ، وفي الثامنة عشرة أرسله أبوه إلى الجامعة في إرفورت التي تهتم بتدريس الفلسفة واللاهوت ، وكان من أساتذتها أوكهام ، الذي كان من آراءه التي يدرسها أنَّ الباباوات والمجالس الدينية يمكن أن تخطيء . وفي عام ١٥٠٥م حصل على درجة الماجستير في الآداب . وفي نفس السنة أنضم إلى دير نساك القديس أوغسطين في إيرفورت ، وبعد أن قضى سنة في ذلك الدير ورُسم كاهناً ، وقرأ في هذه الفترة للمصلح جون هوس والقسيس جوهان فون شتاوبتز وهو من الرهبان الأوغسطينيين ، الذين دعوه أن يستبدل بالتقشف قراءة الكتاب المقدس ، وتعاليم أوغسطين بكل عناية ، فحصل على نسخة مما يسمى بالكتاب المقدس باللغة اللاتينية ، ويقال إنه في هذه الفترة اهتدى إلى أنَّ الخلاص لا يكون إلا بالإيمان بالمسيح لا بالأعمال التي كانت الكنيسة تأمر بها كحضور القداس وتكرار الصلوات ، وزيارة الأماكن المقدسة عندهم ، وقد اهتدى إلى هذه الحقيقة عندما عثر على النص الذي ورد في رسالة بولس إلى أهل رومة : « إن الإنسان يبرر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة »[1] . ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى جامعة فيتنبرج وترقى إلى درجة دكتور في اللاهوت ، وكان يقوم بتدريس ما يسمى بالكتاب المقدس . وفي عام ١٥١٠م قام مع راهب آخر بزيارة لروما في مهمة قيل إنَّ سببها نزاع حدث بين رئيس الرهبان العام وبعض الأديرة فاختير لوثر لعرض ذلك على البابا ، وفي هذه الزيارة التي قام بها شاهد بنفسه ما حل بالكنيسة البابوية من فساد رجال الدين ، وحتى أصحاب البلاط البابوي نفسه وتعلقهم بالدنيا مع الانحلال الخلقي ، الذي أصبح شائعاً في "المدينة المقدسة"

---

[1] الرسالة إلى أهل رومة : (٢٨/٣) .

، وعندما عاد إلى فيتنبرج نُصب نائباً للأسقف في طائفته ، ، وفي الفترة من ١٥١٢-١٥١٧م بدأت آراؤه تتحول ببطء عن مذهب الكنيسة الكاثوليكية الرسمية [1] .

وكانت القضية الكبرى التي أشعلت نار الثورة الإصلاحية هي ما يتعلق بصكوك الغفران ، وذلك عندما أرسل البابا مندوباً لجمع الضرائب من ألمانيا فقام لوثر ثائراً ضد هذه المهزلة فكتب خمساً وتسعين قضية عارض به تلك الصكوك ، ثم علقها على باب الكنيسة ، ودعا من شاء إلى مناقشتها ، و لم يطل الأمر حتى جاء خطاب البابا قاضياً بتفنيد آراء لوثر ، واعتبارها بدعاً مضلة ، وإحراق كتبه وتحريم قراءتها ، أمَّا لوثر نفسه فقد أُعطي ستين يوماً ليتراجع عن أفكاره أو يمثل للمحاكمة أمام البابا الروماني ، ولكنَّه أعلن عصيانه للبابا وأحرق خطابه أمام الملأ ، ولكنَّ حاكم مقاطعة سكسونيا قام بحمايته وأرسله إلى قلعة فارتبورج ، وتمكن في هذه الفترة الآمنة من القيام بأهم أعماله ، وهو ترجمة الإنجيل إلى الألمانية وكتابة الكثير من المقالات والنشرات – التي سأتحدث عنها فيما بعد – .

وبعد هذه الضجة الكبيرة التي حدثت في المجتمع الألماني بسبب هذه الأحداث بدأت الإصلاحات العملية ، ويقال إنَّ الذي تولى ذلك وباشر تحقيق برنامج الإصلاح عملياً هو الكاهن أندره كارلشتات الذي عاش في الفترة بين (١٤٨٠ – ١٥٤١م) ، وقد كان معلم لوثر وزميله في جامعة فيتنبرج ، وكان اهتمام لوثر في هذا الوقت ينصب على دراسة مسائل اللاهوت وانتقاد الكنيسة البابوية .

أهم إصلاحات كارلشتات :

١- أعلن زواج الكهنة إلزامياً ، وتزوج هو علناً .

٢- أخذ يناول تحت الشكلين معتبراً أن المناولة تحت الشكل الواحد خطيئة [2].

٣- ألغى القداس الكاثوليكي ، واستبدله بالإنجيلي الذي يتضمن موعظة بسيطة .

٤- هجم هو ومجموعة من أتباعه على الكنائس وقاموا بتدمير التماثيل التي بها.

٥- أصدر نظام مدينة فيتنبرج الذي أنشأ الاحتفال بالعشاء السري على الشكل الإنجيلي (التناول على الشكلين) .

---

[1] انظر : قصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٤/١٠-١٥) .

[2] المناولة تحت الشكلين يُقصد بها أن يقوم الكاهن بإعطاء أتباعه الخبز مع كأس الخمر ، والمناولة تحت الشكل الواحد يكتفي فيها بإعطاء الخبز فقط ، وهو التقليد الرسمي للكنيسة الكاثوليكية .

٦- حرم التسول والبغاء .

٧- في عام ١٥٢٧م تخلى الأساقفة الكاثوليك عن العمل في الكنائس الإنجيلية ، وفي تلك الأثناء ألف لوثر كتابيه التعليم المسيحي الكبير لاستعمال الرعاة ، والتعليم المسيحي الصغير لاستعمال الأتباع .

وبما سبق استطاع لوثر وبمساعدة كارلشتات أن يؤسس نظاماً كنسياً جديداً ألغيت فيه الممارسات الكاثوليكية ، من قداس ، وصلاة المساء ، وزيارة الأماكن المقدسة .

وفي سنة ١٥٣٠م رفض الأساقفة الكاثوليك أن يزودوا الجماعات الإنجيلية بكهنة ، فأخذ لوثر يرسم الرعاة ، بوضع يده عليهم .

وبهذه الإصلاحات استقلت الكنائس الإنجيلية ، وتوفي رائدها عام ١٥٤٦م [١] .

أهم مؤلفات لوثر :

بعد أن أعلن لوثر أنه لا يؤمن بعصمة البابا والمجامع عن الخطأ صدر في حقه مرسوم من البابا أطلق عليه مرسوم "البراءة " ، وقد جاء فيه : « انهض يا رب ! انتصر لقضيتك على الثعالب الضاربة التي تسعى لتدمير كرمك ، وعلى الخنزير الذي يريد إتلافها » ، ثم شجبت إحدى وأربعين قضية ، مما أدلى بها لوثر ، فكان رد لوثر على ذلك بتأليف ثلاثة كتب شكلت البرنامج الإصلاحي الذي قام به ، وهذه الكتب هي :

١- نداء إلى الأشراف المسيحيين في الأمة الألمانية :

في هذا الكتاب عرض على العلمانيين تولى زمام إصلاح الكنيسة ، بما أنَّ البابا ورجال الدين لم يحققوه . وهذا الكتاب كان بمثابة الوقود الذي أشعل النعرة القومية لدى الألمان التي دفعت الأشراف خاصة إلى تبني الإصلاح .

٢- جلاء الكنيسة إلى بابل :

وهو مؤلف جدلي ، وفكرته أنَّ الإنجيل الذي يمثل الإيمان المسيحي الأصيل هو سجين روما ، التي يشبهها المؤلف ببابل التي أجلي إليها اليهود ، وهو أسير الاختلافات الكثيرة كاختلافات الأسرار السبعة والتي لم يثبت منها لوثر إلا العماد وسر العشاء الرباني .

---

[١] انظر تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة بعنوان لوثر والإصلاح ، دانيال أولفييه : (٣/٢٤-٢٨) ، والمؤلف من معهد الدراسات المسكونية أهالي باريس .

٣– مقالة في الحرية السياسية :

وهو مؤلف روحي يبين كيف أنَّ الإيمان يحرر المسيحي من الشريعة ، ويجعله متأهبـــا لخدمة الآخرين [(١)] .

وقد أحرزت هذه المؤلفات نجاحاً كبيراً وانتشاراً واسعاً حتى قيل أنه قد بيعت ٤٠٠٠ نسخة من كتاب نداء إلى الأشراف في أسبوع واحد .

مباديء لوثر :

تميز لوثر عن المصلحين السابقين بأنَّ دعوته قد تجاوزت الإطار النقدي النظـــري إلى الجانب الواقعي ، ففي دعوته تحقق الاستقلال الحقيقي عن الكنائس الكاثوليكية ، ومن أهم المباديء التي دعا إليها لوثر ما يلي :

١– طريق الخلاص بالإيمان المطلق بالمسيح ، وبـــتكفيره عـــن خطايـــا البشـــر لا بالأعمال الصالحة التي تفرضها الكنيسة .

وقد اعتبرت هذه العقيدة بمثابة "الاكتشاف" العظيم الذي اهتدى إليه عندما فتح عينه على ما يسمى بالكتاب المقدس .

وهذه العقيدة رد على الطقوس والشرائع التي ابتدعها رجال الكنيسة البابوية ، وقـــد أراحت أتباع لوثر من عناء تلك الطقوس ، إلا أنها في المقابل فتحت الباب للتنصل من أي تبعة وترك الدين بالكلية ، فهي نقلت اللوثريين من واقع سيء إلى واقع لا يقل عنه سوءاً .

٢– أنَّ السلطة المطلقة ليست إلا للكتاب المقدس :

وهذا المبدأ يهدف إلى انتزاع سلطات البابا وردها إلى ما يسمى بالكتب المقـــدس ، وقد دافع لوثر عنه باعتباره صحيحاً بحذافيره وحرفياً ، وتطبيق هذا المبدأ عملياً يعنى يعـــني إلغاء العقائد والشرائع والطقوس البابوية ؛ لأنها لم ترد في الكتاب المقدس ، مثـــل عقيـــدة المطهر ، وصكوك الغفران ، والأسرار السبعة عدا المعمودية والعشاء الرباني ، وإرجاع الناس إلى ما يسمى بالكتب المقدس هو الفكرة الرئيسية التي تبناها لوثر ، ومما يدل على تمســـكه بهذا الأصل قوله ، كما نقل عنه ديورانت : « فإنَّ ضميري أسير لكلمة الله » [(٢)] .

[(١)] انظر المصدر السابق ،ص:٣٢ ، وقصة الحضارة ، ول ديورانت : (٢٤/٢٨) .

[(٢)] قصة الحضارة : (٢٤/٤٢) .

٣- رفض مبدأ التوسط بين الخالق والمخلوق :

رفض لوثر وجود واسطة بين الخالق والمخلوق ، وقرر أنَّ كل الذين ينشدون الوصول إلى الله ، ويعملون من أجل الوصول إليه بأي وسيلة غير التوسل بالمسيح فإنَّهم يعيشون في ظلام دامس [١] .

وهذه الفكرة اللوثرية انتقلت إلى دعوة ثورية تسعى إلى تجريد رجال الدين من كل سلطاتهم ، وقد بلغت قمتها عندما أعلن لوثر أنَّ مصطلح الكنيسة لا يعني إلا جماعة المؤمنين وأن كل نصراني يمكن أن يكون قسيساً ، وإذا تقرر ذلك لم يبق لأحد من رجال الدين أي مزية فضلاً عن يكون له شيء من السلطة .

يقول ويل ديورانت : « وأعظم مادة ثورية في لاهوت لوثر هي تجريد القسيس من منصبه ، وإباحته للقساوسة الحصول على راتب لا بصفتهم موزعين لا غنى عنهم للقربان المقدس ، ولا باعتبارهم وسطاء مختصين بين الله وبين الناس ، ولكن بصفتهم خادمين اختارتهم كل أبرشية للوفاء بحاجاتها الروحية ولسوف يبعد هؤلاء القساوسة بزواجهم وتنشئتهم للأسرة هالة القداسة التي جعلت منصب القسوسية قوياً رهيبا... ولكن أي إنسان في وسعه عند الحاجة أن يقوم بوظائفهم بل يحل تائباً من ذنبه » [٢]

وهذا النص في غاية الأهمية لأنه ينتزع من رجال الدين كل سلطاتهم ، ويجعلهم مثل بقية العلمانيين ، وأنَّ أعمالهم لم تكن بمقتضى سلطتهم أو قداستهم ، بل من باب الخدمة لإخوانهم وأنَّ الانسان ليس في حاجة إليهم لأنَّه يستطيع أن يقوم بذلك بنفسه .

٤- مهاجمة البابا ورجال الدين :

حازت مهاجمة البابا ورجال الدين مساحة كبيرة من انتقادات لوثر ، وهذا أكثر ما جلب عليه غضب رجال الكنيسة الكاثوليكية .

وفي هذا المضمار هاجم أولاً ما يسميه بعض المؤرخين بالجدران الثلاثة التي شيدتها الكنيسة الكاثوليكية حولها نفسها وهي : التمييز بين رجال الإكليروس والعلمانيين ، وحق البابا في تفسير الكتاب المقدس على هواه ، وحقه المطلق في دعوة مجلس عام للكنيسة ،

---

[١] المصدر السابق : (٦٦/٢٤) .

[٢] المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وقال لوثر : إن كل هذه الدعاوي الثلاث يجب أن تهدم ، ومما قاله في ذلك كما ينقل عنه ديورانت : « فأولاً : ليس هناك فرق حقيقي بين رجال الإكليروس والعلمانيين إذ أنَّ كل مسيحي ينصب قسيساً بالتعميد ، ومن ثمَّ فإن على الحكام الزمنيين أن يمارسوا سلطانهم دون عائق أو اعتراض بغض النظر عمَّا إذا كانوا يسيئون إلى البابا أو الأسقف أو القس ... وكل ما نص عليه القانون الكنسي مما يناقض ذلك من خالص بنات أفكار الوقاحة الرومانية . وثانياً : بما أنَّ كل مسيحي يعد قساً فإنَّ له الحق في أن يفسر الكتاب المقدس طبقاً لما يراه . وثالثاً : يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر ، والكتاب المقدس لا يقدم أي بينة على حق البابا المطلق في دعوة مجلس .

ويجب دعوة مجلس في أقرب وقت وعليه أن يفحص المفارقة الفضيعة في أن زعيم العالم المسيحي يعيش في ترف دنيوي يفوق ما يحلم به أي ملك ، ولابد أن يضع هذا حداً لاستيلاء رجال الدين الإيطاليين على التبرعات الألمانية ، وأن يقلل إلى واحد في المائة من "زمرة الهوام " الذين يشغلون في روما مناصب دينية تدر عليهم دخلاً دون أن يؤدوا عملاً ويعيشون بصفة أساسية على الأموال التي يسلبونها من ألمانيا [(١)]

٥- رفض العقائد والشرائع البابوية

بعد أن قرر لوثر المبادىء الأساسية لحركته ، وبعد مهاجمة البابا في الجدران الثلاثة التي شيدها كنيسته ، شرع في نقد العقائد التي ابتدعتها عقول رجال الكنيسة البابوية على التفصيل ، ومن أهم ما هاجمه لوثر ما يلي :

١- عقيدة المطهر .

٢- صكوك الغفران .

٣- عبادة مريم والقديسين .

٤- الأسرار المقدسة عدا المعمودية والعشاء الرباني .

٥- الاستحالة .

---

(١) المصدر السابق : (٢٤/٢٨) .

٢- زونجلي :

ولد زونجلي أو (زونكلي) عام ١٤٨٤م ، في قرية فيلد هاوس التي تقع جنوب شـــرق مدينة زويوريخ في مقاطعة سانت جولد الحالية ، ٠ودرس في كل من بازل ، وبرن ، وفينَّا ، وعندما بلغ الثامنة عشرة درس في جامعة بال التي كانت في ذلك العصر مركـــز الفكـــر والثقافة وتعلم فيها على يد توماس فيتناخ الذي اشتهر بمهاجمة الكنيسة وانتقـــاد صـــكوك الغفران وعزوبة رجال الدين ، ثم رُسم كاهناً في أبرشية جلاروس وواصل دراساته في وتعلم اللغة اليونانية [(١)] ٠ وفي عام ١٤١٦م انتقل إلى أبرشية أنيزدلن بمقاطعة شفتيز ، ومن ذلـــك الوقت صبغت مواعظه بالصبغة البروتستانتية حيث نادى عام ١٤١٧م باعتناق دين يعتمـــد على الكتاب المقدس فحسب ٠

أعماله الإصلاحية :

منذ أن أعلن زونجلي دعوته الإصلاحية قام بأعمال كثيرة ٠ وكان من أهمها ما يلي :

١- مهاجمة بيع صكوك الغفران ٠

٢- تحريض الرهبان على أن يرفعوا من المزار الذي أقيم للعذراء النقش الذي فيه وعد للحجاج والزائرين بالغفران الكامل مع العفو من العقاب ٠

٣- في عام ١٥١٨م عُين قسيساً في الكنيسة الكبرى في زيوريخ ، ، ومنـــذ ذلـــك الوقت كان يقوم بمواعظه الحماسية ، واستجاب له الكثير وأيده رؤساؤه من رجال الدين ٠

٤- ألف كتاباً بعنوان "بداية ونهاية" وتنبأ فيه بثورة عالمية ضد الكنيسة الكاثوليكية ٠

٥- التمس هو وعشرة من القساوسة من الأسقف أن يضعوا حداً لفجور رجال الدين ، وأن يسمحوا بزواج رجال الكهنوت ٠

٦- عندما عُقد مجلس زيوريخ الكبير عرض زونجلي آراؤه في هذا المجلـــس ومـــع أنَّ الأسقف العام لأبرشية كونستانس رفضها إلا أنَّه اعتبر هذا الرفض لا قيمة له لأنَّ الكتاب المقدس أصبح في متناول الجميع ، وهم يستطيعوا أن يحكموا على مدى صحة هذه الآراء ،

(١) انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص : ٥٠٧ ، قصة الحضارة ، ويل ديورانت : (١١٢/٢٤-١١٤) ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مقال ل ف ٠ بوليه : (٧٣/٣) ٠ وصاحب المقال أستاذ فخري للمركز الوطني بفرنسا ٠

فوافق المجلس على آرائه وأمر رجال الكهنوت أن تكون جميع مواعظهم بحسب الكتاب المقدس ، ومن هذا الوقت تولت الدولة أمر الكنيسة .

٧- بعد أن ضمنت الدولة رواتب القساوسة قبل معظمهم الأمر الذي أوجبه المجلس وتزوج الكثير منهم ، وتعمدوا باللغة الدارجة ، وأغفلوا القداس ، وتخلوا عن تقديس الصور ، وبدأ عصبة من المتحمسين بإتلاف الصور والتماثيل في كنائس زيوريخ . ومن هذا الوقت رفعت آلات اللهو وخرج الرهبان والراهبات من أديارهم لعقد زواجهم ، وألغيت أعياد القدِّيسين ، واختفت طقوس الحج والقداسات التي كانت تقام للموتى .

٨- أصبحت الكنيسة والدولة منظمة واحدة ، وأصبح الإنجيل المصدر الأول للحكم . وقد قام زونجلي بترجمة واحد وعشرين سفراً من العهد القديم إضافة إلى شرح القضايا السبع والستين ورسالتي الدين الصحيح والدين الخاطيء [1]

أهم آراء زونجلي وأقواله :

تشكل آراء زونجلي المباديء التي قامت عليها حركة الإصلاح في سويسرا ، وهي لا تختلف كثيراً عن آراء المصلحين من قبله ومن أهمها ما يلي :

١- الإنجيل دستور الإيمان الوحيد،والزعم بتوقفه على موافقة الكنيسة زعم خاطيء .

٢- إلغاء سلطة الكنيسة الروحية المتمثلة في البابا على أساس أنَّ المسيح رأس الكنيسة الوحيد ، والكاهن الأعظم الخالد ، والذين يزعمون أنَّهم كهنة عظام يعارضون في الحقيقة شرف المسيح وجلاله .

٣- أنَّ المسيح قام بالتضحية الكافية والدائمة للتكفير عن خطايا كل (المؤمنين) ، وعليه ؛ فإن القداس ليس تضحية وإنما تذكرة للتضحية الوحيدة على الصليب.

٤- النصارى غير مكلفين بأي أعمال لم يأمر بها المسيح .

٥- وسائل التكفير والغفرانات التي تفرض على الناس من اختراع التقاليد البشرية ، ولاقيمة لها في الحصول على الخلاص ، والله وحده هو الذي يغفر الخطايا .

---

[1] انظر مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص: (٥٢١-٥٢٨) ، قصة الحضارة ، ول ديورانت : (١١٦/٢٤- ١٢١) ، تاريخ الكنيسة المفصل ، مقالة للمؤلف ج . ف . يوليه : (٧٣/٣) .

٦- بناء على اعتماده على الكتاب المقدس كمصدر وحيد فقد أنكر زونجلي كثيراً من الفرائض التي فرضها رجال الدين على أتباعهم ، ومن أهمها :

أ – عقيدة المطهر .

ب – تحريم زواج الكهنة .

ج – تقديس الصور والتماثيل .

د – الأسرار السبعة ، عدا التعميد والعشاء الرباني [1] .

هذه أهم ما يتعلق بآراء المصلح زونجلي ونلاحظ فيه التشابه الكبير مع آراء لوثر ، وننتقل إلى مصلح آخر .

٣- كالفن :

ولد في بلدة نويون من مقاطعة بيكاردي الفرنسية عام ١٥٠٩ ، وفي سن الرابعة عشرة أُرسل إلى كلية دي لا مارش في جامعة باريس ، ودرس اللغة اللاتينية حتى برع فيها ، ثمَّ انتقل إلى كلية دي مونتج الخاصة بتعليم الكهنة ، وأصبح قسيساً لكنيسة لاجزين التي تقع في ضاحية المدينة . وفي عام ١٥٢٨م وجهه أبوه إلى دراسة القانون في أدريليانز وفي بورج ، وبعد ذلك عاد إلى باريس وشرع في دراسة اللغة اليونانية والعبرية والسريانية لكي يستطيع أن يفهم العهد الجديد بطريقة أدق .

وفي عام ١٥٣٣م وفي يوم العيد الذي يسمى عيد القديسين اتُهم بأنَّه الذي وضع الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه رئيس جامعة السربون الشهيرة ، والذي اتسم بالطابع الإصلاحي فهرب إلى أنغوليم ، واستقبله القس لويس دي تيليه في بيته حيث مكث في مكتبته الغنية بالكتب مدة من الزمن ، وبسبب خوفه على حياته انتقل إلى مدينة بازل التي كانت ملجأ الفرنسيين في ذلك الوقت ، وفيها صرف جل وقته لتحرير أهم كتبه وهو كتاب "الأسس المسيحية" أو "المباديء المسيحية" الذي صدر عام ١٥٣٦ باللغة اللاتينية ، وسبقه مقال بعنوان "رسالة إلى الملك" ، ويعتبر كتاب المباديء المسيحية أول كتاب في حركة الإصلاح في فرنسا ، وبعد ذلك انتقل إلى جنيف وعُين بها راعياً وأستاذاً ، فقام بوضع خطة للتعليم والسلوك ، وألف في ذلك كتاباً بعنوان التعليم المستخدم في كنيسة

---

[1] انظر المصادر السابقة .

جنيف،ثمَّ ألزم سكان جنيف بقبول تعاليمه ، وبدأ يحرض الشعب إلى أن ينبذوا البابوية ، ويقسموا على انتهاج الخطة المرسومة التي وضعها لهم في التعليم والسلوك ، فنشأت الاضطرابات والانقسامات ، التي تحولت إلى معارضة أضطر كالفن على إثرها إلى الانتقال إلى ستراسبورغ ، وفيها عُين أستاذاً للاهوت وراعياً للفرنسيين اللاجئين ، وأعدَّ طبعة ثانية ، وطبعة فرنسية لكتاب أسس المسيحية ، ووضع شرح للرسالة إلى أهل رومية ، ومقالة وجيزة فيما يسمى بالعشاء المقدس ، وجواباً إلى الكاردينال سادواليه الذي دعا سكان جنيف للعودة للكنيسة الكاثوليكية [1] .

ويُقال إنَّ سكان جنيف ألحوا عليه في العودة إليها مرة أخرى عام ١٥٤١ ، وبقي بها وأصبحت جنيف مركزاً للإصلاح ، حيث تشكل مجلس الأعيان ، وتولى كالفن رئاسته ، وانتشرت عن طريقه مباديء الإصلاح في سائر أرجاء سويسرا ، ومن ثم بقية الممالك الأوربية [2] .

آراء كالفن وأفكاره :

من أهم آراء كالفن ما يلي :

١- الكتاب المقدس هو المرجع الأخير لا في الدين والأخلاق فحسب بل في التاريخ والسياسة وفي كل شيء .

٢- أنَّ ابن الرب الذي ضحى بنفسه في سبيل البشرية هو الذي يستطيع أن يحقق الخلاص للبشر ، ولكنَّ رحمة الله اختارت بعض البشر للضفر بالنجاة ، وهم الذين وهبهم الله إيماناً راسخاً بتكفير المسيح عن ذنوبهم ، وقد فسرها بقوله : إنَّ الرب قرر بمشيئة حرة ، وقبل وقت طويل من منا يكتب له النجاة ومن يعذب في نار جهنم . وخطورة هذه العقيدة تكمن أنَّها تلغي أي أثر للأعمال أو دور فيما يسمى عندهم بعملية التبرير من الخطيئة [3] .

٣- أنكر الأسرار المقدسة عدا التعميد والعشاء الرباني ، وهي في نظره تثبت لوعد الله وسند للإيمان في ساعة الاضطراب ، وأمَّا رأيه في حضور المسيح في ما يسمى بالعشاء

---

[1] انظر : مختصر تاريخ الكنيسة ، أندروملر ، ص:٦٢٣ .

[2] قصة الحضارة : (٢١٢/٢٤) .

[3] تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين : (٨٠/٣) .

المقدس فإنَّه يرى أنَّه حاضر حقاً ، ولكن بواسطة الروح القدس ؛ لأنَّه من المستحيل أن يكون جسد المسيح في آن واحد في السماء وفي عدة أماكن أرضية .

٥- الدولة والكنيسة مقدستان وقد خلقهما الله ليعملان في انسجام كامل كالروح والجسد ، وعلى الكنيسة أن تضع القواعد التي تنظم كل التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق ، وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد .

٦- أنكر جميع ادعاءات البابا بسيادة الكنيسة على الدولة ، وفي نفس الوقت طالب بها لنفسه .

خلاصة :

يتضح مما سبق اشتراك جميع المصلحين في أصول حركتهم الإصلاحية ، وهي :

١- سيادة الكتاب المقدس.

٢- الخلاص لا يكون بالأعمال ، وإنَّما بالإيمان بالمسيح (الفادي) في نظرهم .

٣- إنكار سلطات البابا ، وجميع ما فرضه على الأتباع مما لم يرد في كتابهم المقدس .

٤- إنكار الأسرار المقدسة ، عدا المعمودية والعشاء الرباني .

نقد حركة الإصلاح الديني :

نشأت حركة الإصلاح الديني في الأصل لمقاومة حالة الفساد والطغيان الذي وصلت إليه الكنيسة الكاثوليكية ، وكان الأصل الذي قامت عليه هذه الحركة هو الرجوع إلى ما يسمى بالكتاب المقدس . ويمكن أن أوجه النقد لهذه الحركة من خلال نظرتين :

الأولى : مدى نجاحها في القضاء على طغيان الكنيسة وفسادها .

الثانية : مدى نجاحها في تحقيق الأصل الذي قامت عليه ، وهو الدعوة إلى الرجوع إلى ما يسمى بالكتاب المقدس ، وفيما يلي تفصيل لذلك .

النظرة الأولى : من أهم الملاحظات على الحركة الإصلاحية في هذا المجال ما يلي :

١- أكبر نجاحات هذه الحركة التخلص التام من سلطة الكنيسة الكاثوليكية عندما أعلنت استقلالها التام عنها ، وأصبحت إحدى الطوائف الكبرى من الطوائف النصرانية .

٢- بدأت حركة الإصلاح من داخل الكنيسة الكاثوليكية ، وانتهت بانفصالها عنها ، وهذا يعني أنَّها لم تفلح في إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من داخلها ، ولم تقض على بدعها ، وإنما كانت إصلاحاتها داخل إطارها بعد أن استقلت عن الكنيسة الكاثوليكية .

٣- من النجاحات التي حققتها الحركة داخل إطارها القضاء على المفاسد التي كانت لدى الكنيسة البابوية ، ومن أهمها ما يلي :

أ – عدم الاعتراف بالبابا وسلطته ، ولذلك لا يوجد بابا في نظام هذه الحركة .

ب- إنكار صكوك الغفران ، والقول بأنَّ الله وحده يغفر الذنوب .

ج- إنكار التوسط بين الخالق والمخلوق ، وإسقاط جميع سلطات رجال الدين .

د- القضاء على الصور والتماثيل من الكنائس وخارجها .

هـ - إنكار عقيدة المطهر .

و - إنكار الأسرار السبعة ، عدا العماد والعشاء الرباني .

ومقابل تطرف الكاثوليك في البدع ، تطرف البروتستانت ، ومن ذلك ما يلي :

أ- أنهم سلبوا الأعمال من أي أثر في خلاصهم من الخطيئة بزعمهم .

ب- عندما انتزعوا سلطة الكنيسة البابوية السياسية جعلوها للدولة أو لأنفسهم ، وكلا الأمرين بهذا الإطلاق خطأ .

النظرة الثانية : أعلنت الحركة أنَّ الكتاب المقدس المصدر الأساس لها ، ولكنَّ رجوعهم إليه لم يكن كاملاً ، فقد عادوا إليه في أمور ، وتركوا أعظم منها ، ومن أعظم القضايا التي لم يرجعوا إليها ، وأدلتها أكبر من الأدلة على نقيضها الذي رجعوا إليه :

أ – التوحيد الذي يقتضي إنكار ألوهية المسيح ، وبنوته ، وكونه ثالث ثلاثة ، والدلائل على إثباته في كتابهم أعظم وأبين من الدلائل على ما نسبوه إليه من الألوهية أو البنوة أو التثليث .

ب- نفي ما يسمى بعقيدة الخطيئة الجدية .

ج- إنكار صلب المسيح (عليه السلام) .

د – خصوصية رسالة المسيح عليه السلام .

هذه بعض الأمثلة الدالة على أنَّ الحركة وإن حققت إصلاحاً في بعض الجوانب إلا أنَّها تركت أصولاً عظيمة مما كان عليه المسيح عليه السلام على مع وجود ما يدل عليه في كتابهم المقدس ، وكانت نتيجة تفريطهم في هذا الأمر أنَّ بعض المصلحين الآخرين انتقدوا عليهم – أيضاً – وبنفس أصلهم أنَّهم لم يكونوا حاسمين في رجوعهم ، ولم يطهروا الإنجيل بما فيه الكفاية . ومن أعظم هؤلاء المصلحين رجل يدعى سير فيتوس ، وهو الذي انتقد على كالفن كثير من الأمور التي دعا إليها ، وكان ينكر التثليث ، وألف في ذلك كتاباً مشهوراً سماه "خرافة التثليث" ، ولكن كان مصيره وكتابه الحرق أمام الملأ .

يقول د. عبدالرحمن الشيخ في مقدمة ترجمته العربية لكتاب عصر نابليون: « لقد كان سيرفيتوس يعتقد أنَّ لوثر وكالفن وزونجلي لم يكونوا حاسمين بما فيه الكفاية فيما يتعلق بعقيدة التثليث ، كما أنَّهم لم يطهروا الإنجيل من هذه الفكرة الخاطئة »[1].

وبهذا يتبين لنا أنَّ البروتستانت وإن كانوا خيراً من الكاثوليك في بعض الأمور إلا أنَّ جملة ما اختلفت به عنهم لا يتجاوز أموراً شكلية ، مع اتفاق الطائفتين في جميع الأصول ، والله أعلم .

---

[1] عصر نابليون : (١/١٣) .

المبحث الثاني

الثورة الفرنسية

وفيه أربعة مطالب

- المطلب الأول : واقع المجتمع الفرنسي قبل قيام الثورة
- المطلب الثاني : أسباب قيام الثورة
- المطلب الثالث : مراحل قيام الثورة
- المطلب الرابع : تحليل ونقد

لم تكن الثورة الفرنسية أهم الأحداث في تاريخ فرنسا فحسب ، بل كانت أهم الأحداث في تاريخ القارة الأوربية والعالم المتمدن في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، ونقطة تحول أساسية في تطور النظم السياسية والاجتماعية في أوربا [1] .

و لم يكن الوضع الذي تعيشه فرنسا قبل قيام الثورة يختلف كثيراً عن الوضع العام الذي تعيشه أوربا بأسرها ؛ فالملوك يمارسون الحكم المطلق على شعوبهم ، والطبقات الممتازة تهيمن على خيرات البلاد ، والكنيسة – باسم الدين تتمتع بامتيازات لا حد لها ، مع الإعفاءات من الضرائب تجاه الدولة ، والحريات العامة لا وجود لها إلا في ضمائر الأحرار ومخيلاتهم ، والشعوب لا سيطرة ، ولا سلطان لها على مقدراتها ومصائرها [2] .

ولذلك ؛ فإنَّ هذه الثورة جاءت لتعالج بعض العلل التي كانت موجودة في تلك الفترة ، وتقدم لها الحلول .

ولئن كانت نشأة هذه الثورة تعود إلى عوامل عدة ، ومتنوعة ، إلا أنَّ دور الكنيسة يظل أهمها ؛ فكانت الكنيسة أعظم أهداف الثورة ، وأشدها تضرراً منها ، وهذه الحيثيات تجعل إلقاء الضوء عليها ، ومعرفة علاقتها بالكنيسة ، من حيث الأسباب ، والأحداث ، والنتائج أمراً في غاية الأهمية ، وهذا ما سأحاول إبرازه من خلال هذا المبحث .

ولئن كان العنصر التاريخي هو العنصر البارز في الحديث عنها، إلا أنني سأجعل الاهتمام الأكبر بإبراز دور الكنيسة فيها ؛ لأنَّه المقصود الأساس من البحث .

المطلب الأول : واقع المجتمع الفرنسي قبل الثورة :

قبل أن أتحدث عن هذه الثورة ، لابد من الحديث عن واقع المجتمع الذي ظهرت فيه ؛ لأن ذلك سيتيح استنباط أهم الأسباب التي أدت إلى قيامها، وسوف يكون حديثنا عن هذا الواقع من خلال العناصر التالية :

أولاً : النظام الملكي :

كان نظام الحكم في فرنسا قبل قيام الثورة يقوم على النظام الملكي الذي يعتمد على نظرية الحق الإلهي ويعني أنَّ الملك الفرنسي ممثل الله في الأرض ، ويتمتع بسلطة مطلقة ، حرة

---

[1] انظر : أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، د.عبدالعزيز نوار، د.عبدالمجيد نعنعي ص:١٩ .

[2] انظر المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

من كل قيد أو رقابة ، ويستمد سلطانه من الله ، وليس ملزماً بأن يقدم حساباً عن تصرفاته إلا للخالق . ومن هنا كان يعتبر نفسه المصدر الأساسي لكل القوانين والتشريعات ويرفض أن تشاركه أي هيئة شعبية حقه في التشريع أو التنفيذ . فهو المرجع الأول والأخير في الدولة ، وكلمته يجب أن تكون نافذة . والاستبداد من حقوقه المعترف بها في التقاليد السياسية الفرنسية ، والحريات الشخصية والدينية والسياسية لم يكن معترفاً بها في هذه التقاليد [1] .

ولقد اتخذت المؤسسات الملكية شكلها الأخير في عهد لويس الرابع عشر ، ووزيره ريشليو . وبقيت على ذلك إلى عهد الثورة ، وتم قلب نظامها على يد الثورة إلى النظام الجمهوري – كما سيأتي بيانه إن شاء الله –.

وتصور هذه النظرية يكفي في التنبؤ بما يمكن أن ينجم من تطبيقها في أي مجتمع ؛ لأنَّها تعني – من الناحية العملية – الظلم والاستبداد المطلق من قبل فرد واحد بمقدرات الأمة كلها ،وسحق كل القيم التي يمكن أن تقوم عليها العلاقات بين البشر .

وإذا كان الملك المرجع الأول والأخير في التشريع والقضاء بين الناس ، فإنه لن يشرع إلا ما يحقق مصلحته ، ويناسب هواه ، و يكون في أمن من أي مؤاخذة من الشعب .

وكل نظام قوامه الظلم المطلق للبشر ، ووسيلته البغي والعدوان ، وغايته سحق الكرامة الإنسانية للتفرد بكل شيء لابد أن ينهار ولو طال الأمد ، وهذه سنة الله في خلقه.

والعجيب أنَّ الحكام أنفسهم كان يدركون هذه الحقيقة ، ويتوقعون سقوط عروشهم ، ولكنهم لم يقوموا إزاء ذلك بأكثر من محاولة تأجيل ذلك السقوط حتى لا يصيب عروشهم ، وأما بعد عهدهم فليكن الطوفان !.

تحكي المؤلفة أِلِن هوايت ذات الكتاب الشهير "الصراع العظيم" عن شيء من آثار هذا النظام الملكي ، حيث تقول ما نصه : « وكان البلاط الملكي مستسلماً للترف والخلاعة . و لم يكن الشعب يثق كثيراً بالحكام ، ولا كان الحكام يثقون كل الثقة بالشعب . ولما كان أشراف تلك الأمة فاسدين وقساة ، والطبقة الدنيا فيها فقراء وجهلة ، وكانت الدولة مرتبكة في شؤونها المالية ، والشعب ساخطاً وناقماً ، فلم تكن ثمة حاجة إلى عين نبي لترى ،

---

[1] انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، ألبير سوبول ، ص:١٤ ، التاريخ المعاصر – أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، عبدالعزيز سليمان نوار – عبدالمجيد نعنعي ، ص:٢٠ .

من بعيد ، الثورة القادمة الوشيكة الوقوع . وكان الملك (لويس الخامس عشر) معتـــاداً أن يقول لمستشاريه الذين كانوا ينذرونه بوقوع الكارثة : اجعلوا كل شيء يسير على ســـجيته طالما أنا حي ، وبعد موتي ليكن ما يكون . وعبثاً ألحَّوا عليه في إجراء إصــــلاح واجـــب الوقوع . لقد رأى الشرور متفشية ، ولكن كانت تعوزه الشجاعة والقوة لصدها . وكان كلام الملك الكسول الأناني أصدق تصوير للهلاك الذي كان موشكاً أن يحل بفرنسا عندما قال : ومن بعدي الطوفان » [1] .

وما تنبأ به الملك حدث من خلال الثورة ، التي قادتها في الأصل الفئة المغلوبـــة علـــى أمرها التي لا تملك أي شيء إلا مرارة الظلم وأسى القهر الذي كان فتيلاً أشعل نار الثورة .

ثانياً : نظام الطبقات :

تزايد عدد سكان فرنسا في القرن الثامن عشر – قرن الثورة – ليصبح خمسة وعشرين مليوناً [2] ، وكان هذا المجتمع يعيش على أساس نظام الطبقات ، الذي يعـــود إلى القـــرون الوسطى ، ويقوم على أساس التفريق بين الذين يصلون ، والذين يحاربون ، والذين يعيشون لإعاشة الآخرين ؛فالفريق الأول رجال الأكليروس ، والثاني النبلاء ، والثالث طبقة العامة أو الطبقة الثالثة ، وهي طبقة الفلاحين [3] .وتفصيل الحديث عنها كما يلي :

طبقة رجال الدين :

كانت الكنيسة الكاثوليكية قوة أساسية ذات وجود قوي في كل أرجاء الحكومـــة ، وكانت تعلن أنَّها الهيئة الأولى في المملكة ، وبهذا الاعتبار كانت تتمتع بامتيازات كـــبيرة ، سياسية ، وقضائية ، وضرائبية ، وكانت قوتها الاقتصادية تعتمد على نظام العشور ، والملكية العقارية [4] .

وكانت الكنيسة الكاثوليكية تشكل نسبة كبيرة في المجتمع الفرنسي ، حيث يـــذكر المؤرخ ديورانت عن هذه النسبة ما نصه : « ويقدر رجال الدين الكاثوليك في فرنسا بنحو ١٩٤٠٠٠في عام ١٧٦٢م ، وهذا الرقم من قبل التخمين ، ولكن نفترض انخفـــاض هـــذا

---

[1] الصراع العظيم . إله هذا الدهر وهزيمته الآتية ، ص: ٣١٤ .

[2] انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص:١٥ ، تاريخ أوربا الحديث ، جفري برون ، ص : ٣٦ .

[3] انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص:١٨ .

[4] انظر قصة الحضارة ، ويل ديورانت : (١٠/٣٦) . وتاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص:٢٤ .

العدد بنسبة ٣٠% في القرن الثامن عشر وحسب لاكروا أنَّ فرنسا كان فيها عام ١٧٦٣م ، ١٨ رئيس أساقفة ، و١٠٩ أساقفة ، و٤٠٠٠٠ قسيس ، و٥٠٠٠٠ مساعد قسيس ، و٢٧٠٠٠ رئيس دير ، ١٢٠٠٠ كاهن ، ١٢٠٠٠٠ كاتب(من رجال الدين) ، ١٠٠٠٠٠ راهب وراهبة » [1]

وهذه النسبة الكبيرة تعد مؤشراً على قوة الكنيسة ، وانتشارها في المجتمع الفرنسي.

ونظراً لما تمتعت به من الامتيازات السياسية ، والاجتماعية ، والقضائية ؛ فقد أصبحت – بعد الملك وجيشه – أقوى وأغنى سلطة في فرنسا. وكانت ملكياتها تشمل المساحات الشاسعة من الأراضي ، والكثير من العقارات التي تغطي المدن والقرى على حد سواء .

وأمَّا مدخولات الأساقفة ، فقد تحدث عنها المؤرخون ، ومن ذلك ما ذكره ويل ديورانت عن أحد رجال الدين بقوله: « ومن ذلك أنَّ الأمير الكاردينال إدوارد دي روهان كان في القداس يرتدي ثوباً كهنوتياً له حواشٍ من المخرمات المعقودة ، قدرت قيمته بمائة ألف جنيه ، وكانت أدوات مطبخه من الفضة الخالصة » [2] .

وأنبه هنا إلى أمرين هامين مما يتعلق بالكنيسة وهما :

الأمر الأول : أنَّ هذه المترلة التي وصل إليها رجال الدين لم تكن هي حال جميعهم ، ولا حال الأغلبية منهم ، ولكنَّه حال الأقلية ، ومما يدل على ذلك ، قول ديورانت: « احتفظت الكنيسة بكهنة أبرشياتها فقراء معوزين على حين عاش الأساقفة مترفين منعمين.. وإذا كان الناس يخشون رجال الدين الذين يضعون التيجان على رؤوسهم (الأساقفة مثلا) ، فإنَّهم أحبوا الراعي المحلي الذي شاركهم فقرهم وعوزهم وأحياناً كدحهم وكدهم في فلح الأرض .إنَّهم تذمروا من جمع العشور ، ولكنَّهم كانوا على يقين من أنَّ رؤساء الراعي هم الذين أرغموه على جمعها ، وأنَّ ثلثي هذه العشور قد ذهب إلى الأسقف ، أو إلى أحد ذوي المناصب العالية الغائبين عنها » [3] .

---

[1] قصة الحضارة : (١٠/٣٦) .

[2] المصدر نفسه : (١٠/٣٦) .

[3] قصة الحضارة : (١٤/٣٦) .

ويؤكد البيرسوبول ذلك أيضاً بقوله : « ولم يكن الأكليروس في الواقع يشكل مجموعاً متجانساً اجتماعياً ، ولو أنَّه يؤلف منظمة ويتمتع بوحدة روحية ، ففي صفوفه كما في مجتمع النظام القديم يتعارض النبلاء والشعب ، عليْة الأكليروس ، وعامة الأكليروس . فعليْة الأكليروس من أساقفة ، ورؤساء أديار ، ورؤساء كهنة تزايد أخذهم حصراً من طبقة النبلاء . فهي تنوي الدفاع عن امتيازاتها التي كانت محرومة منها على العموم عامة الأكليروس ، وقد كان جميع الأساقفة ، والبالغ عددهم ١٣٩ أسقفاً من النبلاء عام ١٧٨٩ .. فكذلك الخوارنة ونوابهم يؤلفون أحياناً رعاعاً كنسياً حقيقياً خارجاً من الشعب وعائشاً معه يقاسمه روحه ، وتطلعاته » (١) .

والنص الذي ذكره ديورانت يوضح أنَّ كهنة الأبرشيات يعيشون الفقر والعوز في الوقت الذي يعيش فيه أساقفتهم في الترف والنعيم ، ويبين أنَّ الطبقية داخل صفوف رجال الدين أنفسهم كان أمراً مقصوداً . وأما النص الثاني ، فهو أكثر تفصيلاً ، حيث يوضح أنَّ رجال الدين ينقسمون اجتماعياً إلى فئتين : العليْة ، والعامة ، فالفئة الأولى أصبحوا يختارون على وجه حصري من النبلاء ، وهؤلاء هم أصحاب الامتيازات السياسية ، والقضائية وغيرها ، وأمَّا الفئة الثانية ، وهم الفقراء فإنهم – وإن ضمن رجال الدين – في الحقيقة يرجعون من الناحية الاجتماعية إلى الدرجة الثالثة ، وهي درجة عامة الشعب .

الأمر الثاني : أنَّ هذا الوضع الذي وصلت إليه الكنيسة من قبل الدولة لم تصل إليه دون مقابل ، ولكنَّها قامت في سبيل الوصول إليه بدور كبير تجاه الشعب ، وهذا الدور يتمثل في ممارسة سلطانها الروحي ، الذي يصل إلى درجة الإرهاب – كما يعبر بعض المؤرخين – ، وفي الجملة ، فقد قامت الكنيسة بإضفاء الصبغة الشرعية اللازمة لتبرير كل ما تقوم به الحكومة نحو الشعب ، بل تعدى الأمر أكثر من ذلك ، حينما ادعت الكنيسة أنَّ ما عليه الشعب إنَّما هو أمر "حتمي" وأنَّه مقتضى الخطيئة الأولى ، وعليه فلابد أن يرضى الشعب بما هو عليه ، وإلا فهو كمن يريد مقاومة الرب ، واستطاعت الكنيسة بالفعل أن تخدِّر شعبها زمناً طويلاً بمثل هذه التقريرات ذات الصبغة "الشرعية" ، وأصبح الشعب يقاسي الأمرَّين ؛ فهو يتجرع ألم الواقع المفروض عليه من قبل الحكومة ، الذي لم يكن أشد

(١) تاريخ الثورة الفرنسية ، ص:٢٧ .

وطأة منه إلا ادعاء الكنيسة بأنَّ هذا الواقع ليس إلا مقتضى خطيئة البشر ، وأنَّـه إرادة الله التي ليس للبشر خيار أمامها إلا التسليم والإذعان .

ولقد كان الأمر "الحتمي" على الحقيقة هو أن يأتي اليوم الذي تتحطم فيه كل "حتميات الكنيسة " بعد أن تتحطم رؤوس الظالمين وقلاعهم على يد هذه الثورة ، ومما يؤكد دور الكنيسة الذي تحدثت عنه ما يلي :

١- يعبر ول ديورانت عن دور الكنيسة ، ومدى استفادة الحكومة من هذا الدور قائلاً : « إنَّ الإرهاب الروحي الذي يبثه رجال الدين في النفوس ، وتعززه قوى التقاليد ، والعادات ، والاحتفالات الدينية ، والملابس الكهنوتية والهيبة ، نقول إنَّ هذا الإرهاب قام مقام ألفٍ من القوانين ، ومائة ألف من رجال الشرطة في المحافظة على النظام الاجتماعي ، والإبقاء على طاعة الجماهير ، وامتثالها للحكومة والملك . وهل في مقدور أيَّة حكومة أن تسيطر على ما فطر عليه الناس من نزعة التمرد على القانون أو عدم الخضوع له ؟ »[1] .

وهذا النص صريح في بيان الدور الروحي الكبير الذي بذلته الكنيسة لتخضع الشعب لأجل الملك وحكومته ، وتجني مصلحتها بعد ذلك ، ولكنَّ الأمر الذي لم يوضحه هو أنَّ التمرد على القانون وعدم الخضوع له من الشعب لم يكن بسبب النزعة الفطرية عند الناس ، ولكنَّه كان بسبب الظلم والاستبداد الذي يجرد الشعب من كافة حقوقه الطبيعية ، ويسحق كرامته الإنسانية . فالنزعة الفطرية التي قامت عند الشعب هي النزعة نحو مقاومة الظلم .

٢- يعبر – ايضاً – المؤرخ الأمريكي كرين برنتن عن العلاقة القائمة على المصالح المتبادلة بين الكنيسة والدولة قائلاً : « يقول توماس جفرسون : إنَّ القسيس في كل بلد وكل عصر من أعداء الحرية . وهو دائماً حليف الحاكم المستبد ، يعينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر »[2] .

٣- ويتحدث المؤرخ برنار بلونجرون عن أخطر الوسائل التي تستخدمها الكنيسة في إخضاع الشعب للحكومة – ولها قبل ذلك - ، حيث يقول: « وبأي شيء كان إعلان حقوق الإنسان غير مقبول في نظر المعتقد الكاثوليكي في ذلك الزمن ؟ . كان غير مقبول

---

[1] قصة الحضارة : (١٣/٣٦) .

[2] أفكار ورجال ، ص:٥٠٢ .

لأنَّه كان لا يزال متمسكاً بفكرة مجتمع مذلَّل ، مجتمع متأثر بالخطيئة الأصلية ، حيث يبدو الإنسان واقفاً أمام القدير ، لا كالعبد أمم سيده ، بل كالمسَيطر عليه أمام المسيطِر . لم يكن الإنسان حراً إذ أنَّه تحت سيطرة الخطيئة الأصلية ، وهو "مفتدى" من قبل الله . فكان المسيحيون المتزمتون يجيبون أصحاب الثورة الذين يعلنون هذه الحرية : ماذا تصنعون بالنعمة الإلهية ؟ وبعبارة أخرى كان إعلان حقوق الإنسان يظهر بمظهر تمرد على حقوق الله . هكذا فُسِّرت الثورة الفرنسية في القرن التاسع عشر [1] من قبل السلطة الكنسية الكاثوليكية على عهد لاون الثالث عشر .

بما أنَّ الناس لا يستطيعون أن يكونوا أحراراً فلا يستطيعون أيضاً أن يكونوا متساوين ؛ فمن نتائج الخطيئة أيضاً عدم تساوي الأوضاع . كان الدين المسيحي في ذلك الزمن يستند إلى (القديس) بولس ، الذي يعلِّم أنَّ على الإنسان أن يبقى في الحالة التي هو فيها . فمن غير المعقول أن يصير الفقير غنياً . إنَّه يستطيع أن يحصل على مساعدة ، ولكنَّه ليس من واجبه أن يخرج من وضعه . ولذلك علَّم بوسييه أنَّ على الناس أن يحترموا نظام العناية الإلهية . ولماذا يولد بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ؟ هذا سر الله ، وهو الذي ينصف الجميع في الآخرة ، لكنَّ العدالة التي لا يبحث عنها في هذه الأرض . فالمساواة أيضاً كانوا يشعرون بأنَّها تمرد على العناية الإلهية » [2] .

وهذا النص يبين لنا كيف استطاعت الكنيسة بهذه الحيلة ، القائمة على تبرير كل المظالم والاستبداد ، وقمع كل الحريات والحقوق التي يطالب بها الشعب من خلال شريعتها "الكنسية" ، وكيف أنَّها سخرت عقيدة الخطيئة الأصلية – التي ابتدعتها – في تقرير أنَّ الظلم والاستبداد الواقع على الشعب إنَّما هو النتيجة الطبيعية لهذه الخطيئة .

وبهذا يتبين كيف تمكن رجال دين الكنيسة بالاتفاق "المصلحي" مع الحكومة من سحق حقوق الطبقة العامة التي تمثل الأكثرية الساحقة من المجتمع الفرنسي ، والكنيسة عندما قررت تلك العقيدة الباطلة ابتداءاً ، ثم سخَّرتها لمصالحها انسلخت تماماً من تطبيقها على نفسها، وكأنَّ تلك الخطيئة إنَّما قررت من أجل سحق ذلك الشعب وإلزامه بالرضا بالواقع

[1] هكذا ما ذكره المؤلف ، والصحيح أنها كانت في القرن الثامن عشر ، عام ١٧٨٩ ، كما ذكر المؤرخون .
[2] تاريخ الكنيسة المفصل ، مجموعة من المؤلفين : (٤٦/٤).

الذي هو عليه ؛ لأنه مقتضى الخطيئة الأصلية ، وأمَّا الكنيسة نفسها ، فقد تنزهت من أن يلحقها شيء من أدران تلك الخطيئة ؛ ولذلك لم ترض بواقعها ، بل عاشت في الأرض لتمارس أبشع ألوان الطغيان ، وتنهب الأموال بكل سبيل ، فكانت بحق أول من يعلن التمرد على الله ، ويعترض على أسراره ، ويهين نظام العناية الإلهية .

طبقة الأشراف :

أطلق السادة الإقطاعيون الذين استمدوا ألقابهم من الأرض التي امتلكوها ، وهي تعتبر ربع أرض فرنسا تقريباً على أنفسهم لقب نبلاء السيف ، وكانت مهمتهم الرئيسية هي الدفاع عن سيادتهم ، وعن أقاليمهم ، وعن وطنهم ومليكهم [١] .

ويقدر المؤرخون عددهم بحوالي ٣٥٠٠٠٠ ، أي : ١,٥ % من سكان البلاد [٢] .

وكانوا – كما يذكر ديورانت – طبقات متعددة أعلاها ذرية الملك وأولاد إخوته وأخواته ، ثمَّ أشراف فرنسا ، وهم الأمراء من أبناء الملوك السابقين ، ثم سبعة أساقفة وخمسين دوقاً ، ويأتي بعد ذلك الأدواق الأقل شاناً ، وهكذا .. وكان الحصول على لقب "نبيل" يمنح بطرق ، منها الخدمات التي تقدم للدولة في الحرب ، أو الإدارة ، أو التمويل ، أو منح الملك إيَّاه مقابل ستة آلاف جنيه ، ، أوشغل المناصب الحكومية الكبيرة في الدولة مثل المستشار أو كبير القضاة ، أوشراء ضيعة أحد النبلاء ، وبهذه الطريقة تمكن عدد كبير من المواطنين من الحصول على براءة النبالة .

وكان النبلاء الذين يملكون مساحات شاسعة من الأراضي هم الحكام لأقاليم المملكة الفرنسية التي تبلغ أثنين وثلاثين إقليماً ، فكان لكل إقليم نبيل يحكمه . ولكن الملكية الفرنسية ذات الحكم المركزي استطاعت أن تتغلب على هؤلاء النبلاء وتسحب سلطاتهم لتضمها إلى حكمها المركزي المطلق ، مع المحافظة لهم النبلاء على شكلهم الاجتماعي الرفيع ، وامتيازاتهم في الدولة ، التي من أهمها احتكار الرتب العليا في الجيش والكنيسة والقضاء والدبلوماسية ، والإعفاءات من الضرائب والالتزامات المالية ، التي ينالونها لمجرد كونهم من النبلاء . وأكثر ما تميزوا به امتلاك المساحات الشاسعة من الأراضي في الأرياف التي تُعد

---

[١] انظر قصة الحضارة ، ويل ديورانت (١/٣٦) .

[٢] انظر : تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص:٢٠ .

المصدر الأوفر حظاً في جلب الأموال ، ومع ذلك فقد كان لهم على العاملين في أراضيهم حقوق كثيرة ، منها حق فرض ضرائب معينة عليهم ، وإجبار الفلاح على طحن غلاته في مطحنته ، وأن يعصر زيته وخمرته في معصرته ، وحقوق الصيد في مزارع الفلاحين ، ولقد كان هؤلاء النبلاء يتوارثون هذه الامتيازات وتلك الحقوق جيلاً بعد جيل .

وإضافة إلى ما سبق فقد كانت هناك الأرزاق والهبات والإعانات الخاصة التي يرصدها الملك إبقاء لهم على مظهرهم ، وقد كانت مثل هذه الطبقية المقيتة جديرة بأن توغر صدور الطبقة الكادحة على من يسرق أموالها وكدحها دون حسيب أو رقيب ليعيشوا بها في الترف والنعيم ، بينما لا يبقى لهؤلاء – إن بقي شيء – إلا الفتات .

وإذا كان قانون العمل يقول : الأجر مقابل العمل ، فإنَّ هذا القانون أصبح مقلوباً في عرف الطبقة المتميزة ؛ فأصبح صاحب البطالة المطلقة له كل شيء و الذي يكدح أغلب ساعات يومه ليس له شيء إلا الضرائب التي يدفعها فوق قيامه بالعمل .

و هذا الظلم والاستبداد كان وقوداً يؤجج في قلوب تلك الطبقة كل معاني السخط والرغبة في الانتقام .

الطبقة الثالثة (العامة) :

توصف هذه الطبقة بالثالثة إشارة إلى منزلة هذه الدرجة إذا إنَّها في أدنى المنازل ، وتسمى بالعامة ؛ لأنها تشمل الغالبية الساحقة من المجتمع ، حيث يقدر المؤرخون عددها بأنَّه يتجاوز أربعة وعشرين مليوناً من السكان في نهاية عهد النظام القديم [1].

وغالبيتها من الفلاحين القرويين الذين يشتغلون بفلاحة الأرض ، أو خدام المنازل ، الذين يقبعون في الدرجة السفلى من السلَّم الاجتماعي . ولا تحظى بأي امتيازات ، وهي الطبقة الوحيدة التي تُفرض عليها الضرائب إمَّا بطريق مباشر أو عن طريق أسيادهم الإقطاعيين الذين يخذونها بالقوة في أغلب الأحيان .

ومع ذلك فإنَّه يفرض على هؤلاء الفلاحين أن يعملوا لأسيادهم لعدة أيام في السنة تكون كافية لحرث أراضيهم وبذرها وحصاد محصولها وتخزينه . وإضافة إلى ذلك فإنهم

---

[1] انظر تاريخ الثورة الفرنسية ، البير سوبول ، ص:٢٨ .

يدفعون رسوماً لكل ما يقومون به في ممتلكات أسيادهم من الرعي وصيد الأسماك وغيرهـا من الأعمال [1] .

وقد أصبح الفلاح بسبب تلك الأوضاع التي يعيشها في موقف لا يحسد عليه من الفقر والعوز ، وقد أحسن المؤرخ ديورانت في وصف حاله ، حيث قال : « في عـام ١٤٧٠م حسب المركيز [2] رينيه لويس دي أرجنسون أنَّ عدد الفرنسيين الذين ماتوا بسبب الفقر في العامين الأخيرين أكبر من عدد الذين قتلوا في حروب لويس الرابع عشر كلها .

وقال بسنارد : كانت ملابس الفقراء من الفلاحين — وكانوا كلهم تقريباً فقـراء — تدعو إلى الإشفاق والرثاء ، حيث لم يكن لدى الفرد منهم إلا ثوب واحد للصيف والشتاء معاً . أما الحذاء الوحيد (المرقع الواهي المثبت بالمسامير) الذي اقتناه عند زواجه ، فكـان لزاماً أن يقتنيه بقية أيام حياته . وقد قرر فولتير أن مليوني فلاح فرنسي كانوا يسـتخدمون نعالاً خشبية في الشتاء ، وكانوا يسيرون حفاة الأقدام في الصيف لأن الضـرائب الباهضـة المفروضة على الجلود جعلت الأحذية ضرباً من الترف [3] .

هذا هو الوضع الذي يعيشه الفلاح في ظل الكماشة المثلثة ، المكونة مـن الدولـة ، والكنيسة ، ورجال الإقطاع ، التي راحت تنهشه من كل جهة دون رحمة أوإنسانية ، وليس من سنة الله – تعالى – أن يبقى هذا الوضع ، وما هي إلا الفرصة تحين فيكون الطوفان .

الطبقة الرابعة : البورجوازية :

تفردت من بين أبناء الطبقة العامة فئة قليلة امتازت بوضع مالي ممتاز ، وقد تشـكلت من هذه الفئة — تدريجياً — الطبقة الوسطى في المجتمـع الفرنسـي ، الـتي أُطلـق عليهـا البورجوازية ، وهي تضم أصحاب المال ، والتجار ، أصحاب الصـناعات ، والأطبـاء ، والمهندسين ، ورجال الأعمال ، والقانون ، والأساتذة والمثقفين ، وغيرهم . ولم يكن لهـا وجود قبل القرن الثامن عشر ، وكانت بداية وجودها عندما ابتدأت أقلية من الأقنان تتحرر تدريجياً من نفوذ السادة وتمتلك أرضاً تستغلها لصالحها ، أو تمارس عملاً تجارياً أو صناعياً .

---

[1] انظر قصة الحضارة : ويل ديورانت :(١٩/٣٦) .

[2] يطلق هذا اللقب على أفراد الدرجة الثالثة من طبقة النبلاء .

[3] انظر قصة الحضارة : ول ديورانت :(٢/٣٦) .

ومن العوامل التي ساعدت على ظهورها، ثم سيطرتها على التجارة والصناعة ترفع الطبقة الاستوقراطية عن ممارسة مثل هذه الأعمال ، واكتشاف القارة الأمريكية ، وما تدفق على أثر ذلك من أموال وذهب إلى أوربا ، واتساع آفاق التجارة داخل أوربا وخارجها ، وقد ظهر بين أبناء هذه الطبقة وأحفادهم المثقفون والمتعلمون الذين برعوا في كثير من فنون الطب ، والهندسة وغيرها من العلوم السائدة في ذلك العصر ، ولم يمض وقت كبير حتى أصبحت هذه الطبقة تزاحم أبناء الأشراف على المناصب الكبرى في الدولة ، خاصة المناصب التي تحتاج إلى العلم والاختصاص ، والذي لايتوفر عند الكثيرين من أبناء النبلاء [1] .

وبسبب سيطرة هذه الطبقة على حركتي التجارة والصناعة بصفة خاصة أصبحت فيما بعد القوة الأولى في البلاد بسبب مدخولاتها الهائلة من الأموال ، ومما يوضح ذلك ؛ أنَّ تجارة فرنسا الخارجية قد ارتفعت من ٢١٥ مليوناً من الجنيهات عام ١٧١٥م إلى ٦٠٠ مليون في ١٧٥٠م ، وقدر فولتير عدد السفن التجارية التي استخدمتها فرنسا زاد من ٣٠٠ سفينة في عام ١٧١٥م إلى ٨٠٠ سفينة عام ١٧٣٨م [2] .

وقد ضمت هذه الطبقة بين صفوفها الكثير من المفكرين ، والمثقفين بسبب كونهم من أبنائها ، أو بسبب أنَّها قد فتحت أبوابها لاستقطاب أرباب الفكر والثقافة .

وقد أظهرت موقفاً عدائياً لرجال الدين والنبلاء بسبب انفرادهم بتلك المنزلة الاجتماعية ، واحتكارهم للمناصب العليا في الدولة ، ولكون الإقطاعيين قد وضعوا أمامهم العراقيل الكبيرة من المكوس والضرائب العالية خاصة في مجال النقل والتجارة ، ولتلك الأسباب فقد انحازت هذه الطبقة للثورة ، وقيل أنَّها هي التي أمدتها بالمال .

المطلب الثاني : أسباب قيام الثورة :

السبب السياسي :

ويتمثل ذلك في فساد النظام السياسي في ذاته ؛ لأنَّه يقوم على نظرية الحق الإلهي ، والتي تعني الاستبداد المطلق ، وسلب كافة الحقوق والحريات من الشعب من خلال سن القوانين الجائرة ، من الضرائب التي تفرض على عامة الشعب دون غيرهم .

---

[1] انظر: أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، د.عبدالعزيز سليمان نوار ، د. عبدالمجيد نعنعي .

[2] انظر : قصة الحضارة : (٢٩/٣٦) .

ويذكر المؤرخ جفري برون بعض آثار هذا النظام قائلاً : « ونظام الضـــرائب الـــذي كان يراعي أمراء الإقطاع ، ونبلاء العهد القديم أوجد بين العوام شعوراً بالجور وقلقاً وحب انتقام ، وأصبح البلاط بتبذيره وإسرافه هدفاً دائماً للنقد .. أمام هذا الوضع لم يكن بداً من نفرة الرأي العام وقيامه بحملة عنيفة على الحكومة »[1] .

وهذه الملكية لم تهتم بربط الشعب بها عن طريق الهيئات والمنظمات ، وإنَّما اعتمـــدت على نظرية الحق الإلهي ، والمكانة العالية للأسرة المالكة ، إضافة إلى الطبقة الممتازة من رجال الدين والنبلاء ؛ ولذلك لَّما اهتزت تلك المكانة للأسرة المالكة ، وفقدت الكثير من احترامها لدى الكثير من المثقفين وأهل المدن واهتزت أيضاً مكانة الطبقة الممتازة بظهـــور الصـــناعة والتجارة ، وظهور البورجوازية أصبح سقوط تلك الملكية أمراً محتماً .

السبب الاجتماعي :

حيث أنَّ المجتمع الفرنسي كان يقوم على أساس النظام الطبقي الذي يصـــنف الفـــرد على أساس الطبقة التي ينتمي إليها ، ونتج عن تطبيقه وجود فئة قليلة من الناس ذات بطالـــة مطلقة ، ولكنَّها تتمتع بكل شيء ، بينما الطبقة الساحقة من المجتمع ، التي تكـــدح أغلـــب ساعات يومها ، لا تملك شيئاً ، بل تدفع ما يثقل كاهلها من الضرائب أو تموت دون ذلك بسبب الجوع والعوز .

وبالجملة : فقد أخلَّ هذا النظام الطبقي بأصلين عظيمين لا يستقيم حال المجتمـــع ولا يتحاب أفراده بدونهما . الأول : أنَّ الناس سواسية ليس بينهم تفاضل في ذوات أنفسهم . والثاني : مبدأ الجزاء مقابل العمل . ولَّما طبق المسلمون هذين الأصلين اختفت تلك الصور من الظلم والاستبداد ، وظهر أعظم المجتمعات إنتاجاً وحضارة .

السبب الفكري :

عادة ما تُسبق الثورات الاجتماعية أو السياسية بالأفكار التي تغذيها وتهيئها لها . ولقد ظهرت في مطلع القرن الثامن عشر كثير من الأفكار التقدمية ، التي يجمعها نقد الأوضـــاع التي يعيشها المجتمع ، والرغبة في إصلاحها ، والحديث عن شأن الفرد ، ودفـــع فرنســـا إلى أفكار عالمية من أجل خير البشرية .

---

[1] تاريخ أوربا الحديث ، ص : ٣٥٨ .

وقد ظهر في هذا القرن أكثر المفكرين والفلاسفة ، من أمثال فولتير [1]، ومونتسكيو [2]، وروسو [3] ، وكانت مؤلفاتهم تهيء العقول الفرنسية لإعادة النظر في حياتهم العامة ، وعلاقة الفرنسي بحكومته ، ومكانة فرنسا الدولية ، وقد احتلت قضايا الامتيازات الاجتماعية ، وقوانين الضرائب ، والأزمات الاقتصادية التي تعيشها البلاد سلَّم الأفكار التنويرية التي يطرحها المفكرون ، وكانت هذه الأفكار تلهب حماسة الشعب ، وتغذي عقله بأنَّ الثورة على تلك الأوضاع بات أمراً حتمياً ، وما بقي إلا انتظار الفرصة المناسبة.

السبب الاقتصادي :

لقد أصبحت الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالبلاد أمراً ينذر بالخطر على مستوى الدولة والأفراد . أمَّا الدولة فقد أعلنت بأنَّ خزينتها باتت خالية بسبب الحروب الخارجية وخاصة حرب الاستقلال الأمريكية . وأمَّا الطبقة العامة التي تمثل غالبية الشعب فقد بلغ بها الفقر حداً لا يمكنها معه التحمل بسبب القيود الضرائبية المفروضة عليها ، وقد حاول ثلاثة من كبار اقتصادي الدولة إخراجها من هذه الأزمة ،ولكنَّ جميع محاولاتهم قد باءت بالفشل لا لشيء إلا لأنَّ مقترحاتهم كانت تدعوا إلى الحد من امتيازات طبقة رجال الدين والنبلاء مع فرض الضرائب العادلة وإطلاق الحرية التجارية داخل فرنسا ، وعندها كشف أحد هؤلاء الاقتصاديين — وهو ترجو — أنَّ إنقاذ فرنسا من الإفلاس وإصلاح أمورها إنَّما يجب

---

[1] سيأتي الحديث عنه

[2] مفكر فرنسي من طبقة نبلاء السلاح ونبلاء الرداء عاش في الفترة بين عامي (١٦٨٩-١٧٥٥) ، وأبوه كبير القضاه وأمه صاحبة قصر "لابريد" الذي ولد فيه ، وقد نال مركزا رفيعا وهو رئاسة المحكمة العليا في مقاطعة بوردو ، وفي عام ١٧٢١ نشر كتاب الرسائل الفارسية ، وهو من أكثر الأعمال المعارضة للمؤسسة الحاكمة ، ثم نشر كتاب "روح القوانين" عام ١٧٤٨ ، ويعد من أهم المؤلفات السياسية في القرن الثامن عشر . انظر : عصر التنوير ، ليود سبنسر وأندرزيجي كروز ، ص:٣٦ ، مع حاشية المترجم .

[3] اسمه جان جاك روسو فيلسوف فرنسي شهير ، عاش في الفترة بين (١٧١٢- ١٧٧٨) ، ولد في جنيف وكان ناقداً عميقاً للمجتمع السياسي الذي يهدف إلى تقنين الطبقية ، ألف كتاب "العقد الاجتماعي" بهدف الإصلاح للمجتمع السياسي ، وهو جزء من كتاب أكبر اسمه المؤسسات السياسية ولكنه لم يتمه . انظر : روسو ، ديف روبتسون وأوسكارزاريت ، ص: ١٤، ٨٧ ، ١٦٥ ، مع حاشية المترجم .

أن يتم من خلال قوة أخرى غير الحكومة ، وغير الملكية الضعيفة التي يسيطر عليها كبار رجال الدين والنبلاء ، و لم تكن تلك القوة غير قوة الثورة نفسها [1] .

المطلب الثالث : مراحل قيام الثورة :

الثورة الفرنسية – كغيرها من الثورات – التي حدثت في سائر أوربا ظهرت نتيجة عوامل متعددة ، وقد أشرت إلى أهمها فيما سبق – ، وأيضاً فإنّها لم تحدث دفعة واحدة ، وإنّما سارت في خطوات متتابعة تقود نتائج كل خطوة إلى الخطوة التي تليها وهكذا . ولذلك سأتحدث عنها من خلال ذكر الخطوط العامة لهذه الثورة . وبالله التوفيق.

١– الأزمة المالية :

كان العجز المالي الذي أعلنته الدولة بمثابة بداية انفجار الثورة ، وقد حاول الملك لويس السادس عشر أن ينقذ خزينة الدولة من خلال تعيين أكبر اقتصادي البلاد لتولي الشؤون المالية للبلاد وكان تعيينهم على النحو التالي :

عين الملك الاقتصادي الكبير ترجو أو (تركو) ، فقام من فوره واتخذ خطوات إصلاحية كان من أبرزها المطالبة بتخفيف وطأة الضرائب ، وحذف بعض مصروفات البلاط الملكي ، وانتهى الأمر بإبعاده من منصبه عام ١٧٧٦ .

ثمَّ جاء بعده نكر ، وكانت فترة وزارته تمهيداً للثورة من جهتين . الأولى : الأموال الكبيرة التي صرفت لتمويل حرب الاستقلال الأمريكية ، التي أضرت بخزينة الدولة إضراراً بالغاً ودفعت بطريق مباشر باتجاه الثورة . والثانية : قيامه باطلاع الأمَّة على الأموال العامة ، وطريقة صرفها ، حيث قدم للملك تقريراً عن الحالة الاقتصادية عام ١٧٨١ ، فقرأه الناس وعرفوا ما يدفعون للحكومة من الضرائب ، وما يصرفه الملك على نفسه وحاشيته من الأموال . ولمَّا حاول إدخال بعض الإصلاحات تمَّ عزله عن الوزارة في نفس العام .

ثمَّ حل بعده كالون الذي افتتح إصلاحاته بالدعوة إلى عقد مجلس يضم الأشراف ، والأساقفة ، وكبار موظفي الدولة ، وأُطلق على هذا المجلس "مجلس الأعيان" ، وقد حاول كالون حمل المجلس على الموافقة على عدد من الإصلاحات ، ولكنَّ أصحاب الامتيازات لم يرغبوا في التنازل عن شيء من امتيازاتهم ، وانتهى الأمر بطرد الملك للوزير ، ومطالبته

---

[1] انظر: تاريخ أوربا الحديث ، جفري برون ، ص:٢٥٠ .

بفرض ضرائب جديدة ، ولكنَّ البرلمانات رفضت الدعوة ، وطالبت بعقد مجلس أوسع لمعالجة تلك الأزمة .

٢- الدعوة إلى عقد مجلس الطبقات :

بعد فشل مجلس الأعيان جاءت الدعوة للمطالبة بمعالجة الأمر من خلال مجلس أوسع تشارك فيه جميع الطبقات ، وهو ما سمي بمجلس الطبقات ، وهو تقليد قديم ولكنَّه لم يكن فاعلاً ، فأُعيد مرة أخرى بناءاً على هذه الدعوة ، وكان يضم عدداً متساوياً من ممثلي الطبقات الثلاث : الأشراف ورجال الدين والعامة ، وكانت كل طبقة تجتمع على حدة وتصدر قرارها ويكون لها صوت واحد يمثل رأيها ، ولكنَّ هذه الطريقة لم تكن عادلة و لم تعد مقبولة ؛ لأنَّها تحسم التصويت لصالح الطبقتين المتحالفتين على الدوام طبقة رجال الدين والأشراف ضد الطبقة الثالثة ، وهي طبقة العامة وخاصة عندما يتعلق الأمر بامتيازاتهم ، وبسبب احتجاج الطبقة الثالثة على تلك الطريقة وافق الملك على زيادة عدد هذه الطبقة إلى الضعف لتصبح بذلك متساوية مع الطبقتين الحليفتين ، ولكنَّه رفض أن يكون الاجتماع في قاعة واحدة ، وأن يكون التصويت سوياً ، فرفضت الطبقة العامة ذلك وأصرَّت أن يكون التصويت فردياً وليس على أساس الطبقات ؛ لأنَّه سيرجح كفتها بسبب تعاطف بعض أفراد طبقتي رجال الدين والأشراف معها دون العكس ، وعند ذلك وجَّهت الدعوة إلى الأشراف ورجال الدين ليطلبوا منهم الالتحاق بممثلي الشعب والبحث معهم في مصالح الأمة فاستجاب لهم بعض الأفراد ، ولكن الغالبية عارضت الدعوة وانفصلت عن تلك الطبقة .

و لم يكن مجلس الطبقات يهدف إلى مجرد حل الأزمة المالية ، وإنَّما المطالبة ببرنامج عمل متعدد الجوانب لإصلاح الأمَّة كلها ، وقد ساعد على ذلك التوجه تلك العرائض التي قدمها الشعب للمجلس ، وكانت تتضمن المطالب الرئيسية للفرنسيين ، ومن أهمها :

أ – صيانة الحريات العامة ، ومنع التعدي عليها إلا بموجب القانون .

ب – إلغاء الامتيازات ، ومساواة الجميع أمام القانون .

ج – عدم فرض الضرائب إلا بموافقة الشعب ممثلاً في مندوبيه في المجلس.

د – توزيع الأعباء الضرائبية على الجميع بالتساوي [1] .

---

(1) انظر:أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د.عبدالعزيز سليمان نوار ،د. عبدالمجيد نعنعي ص: ٣٠ .

٣- تشكيل الجمعية الأهلية (الوطنية) ٠

بعد ما وصلت الأمور إلى الحد الذي ذكرت قررت الطبقة العامة ومن أنظم إليها مواصلة اجتماعاتها ورأت أنَّه يمكن إهمال نواب الطبقات الممتازة لكون الطبقة العامة تشكل الأغلبية الساحقة من الشعب ، وأنهَّا تكوِّن ما نسبته ٩٦% منهم ، ثمَّ قررت أن تطلق على نفسها الجمعية الأهلية أو الوطنية ، وهكذا تحول مجلس الطبقات إلى أول جمعية نيابية حديثة ظهرت في القارة الأوربية ٠

وبعد أن أعلنت الجمعية عن نفسها ، راحت تباشر مهامها ، وكان في طليعتها وضع دستور للبلاد يرتقي بفرنسا إلى أعلى مستويات الفكر العالمي ، وبعدما شرعت في وضع الدستور حدثت بعض الأحداث والتطورات ، وكان من أهمها :

أ – حققت الجمعية بعض المكاسب ، منها انضمام بعض ممثلي طبقة رجال الدين والأشراف ، والشعب الباريسي بفعل الخطب الرنَّانة التي كان يلقيها خطباء الثورة ، وأصبحت الجمعية بذلك خطراً يهدد الملكية وحلفاءها ٠ وإزاء ذلك قام الملك باستدعاء فرق من الجيش إلى فرساي على سبيل الاحتراز ، وقام باتخاذ تدابير أمنية مشدَّدة ، وفي المقابل نظمت الثورة مظاهرات صاخبة عمَّت أرجاء العاصمة وتمكن المتظاهرون من السيطرة على بلدية باريس ، وأصبحت مقراً لمقاومة السلطة ، وفي هذه الأثناء انضم جزء من الجيش الفرنسي إلى الثورة وأُطلق عليه الحرس الوطني ، وتمكنت هذه القوة من مهاجمة مقر السلاح والمسمى "الأنفاليد" ، ونهبوا ما فيه ٠

ب – توجهت تلك القوة بعد ذلك إلى "الباستيل" ، وهو رمز طغيان الملكية وظلمها وحطَّموا أسواره ، وذبحوا حاميته ، وأطلقوا سراح من فيه وكان هذا أول عمل عسكري تقوم به الثورة ، وأطلق الفرنسيون على هذا اليوم "يوم الحرية" ، ولا يزالون يحتفلون به إلى اليوم ، حيث كان إشعاراً ببداية التحرر، وقامت ثورة أخرى من الفلاحين حيث هاجموا الأديرة وقصور الأشراف ، واحرقوا بعضها ، وصبوا جام غضبهم على ما يتعلق بالضرائب والامتيازات القديمة ، فهاجموا مكاتب الضرائب ، وأحرقوا السجلات الرسمية ولاحقوا الجباة الماليين ، وأتلفوا كل ما يثبت امتيازاتهم الكنسية وحقوق الإكليروس ٠

ج – أمام هذه الأحدث المتلاحقة عقدت الجمعية جلسة للبحث في الوسائل الكفيلة بوقف تيار الاضطراب الجارف ونتج عن هذه الجلسة سلسلة من القرارات الهامة ، وهي :

١– إلغاء جميع حقوق الأشراف الإقطاعية ، وما يتبعها من حقوق قضائية .

٢– إلغاء أعمال السخرة والضرائب المفروضة عل المطاحن والأفران .

٣– إلغاء امتيازات جميع الأقاليم والمقاطعات .

٤– إلغاء ضريبة العشر التي تدفع للكنيسة .

٥– إعلان المساواة التامة بين جميع المواطنين في الحصول على الوظائف العامة .

٦– إصلاح القضاء بحيث يتساوى الجميع أمامه في الحقوق والواجبات [١] .

وهكذا أصبحت فرنسا تخضع لقانون واحد ، ثمَّ قامت الجمعية بإلغاء التقسيمات الإدارية القديمة ، وبذلك تمت إزالة آخر آثار الإقطاع عن خارطة فرنسا .

د – بعد هذه الأحداث أعلنت الجمعية ما يسمى بمسوَّدة حقوق الإنسان ، وعندما نُشرت أحدثت هزة عنيفة في البلاد ، واعتبرها المؤرخون أهم وثائق التاريخ المعاصر ، حيث اقتبستها دساتير الكثير من الدول بعد ذلك ، وكان من أبرز بنود هذه الوثيقة :

– الناس يولدون ويبقون متساويين في الحقوق ، والقانون يعبر عن الرغبة العامة ، فكل فرد من الرعية له حق الاشتراك في وضعه بالذات أو بواسطة ممثلين ينتخبهم ويجب أن يكون هذا القانون واحداً للجميع .

– لا يجوز اتهام شخص أو إلقاء القبض عليه أو سجنه إلا وفق القانون ، وفي القضايا التي ينص عليها فقط .

– لا يجوز سلب راحة أي فرد بسبب آراءه بما فيها المعتقدات الدينية على شرط ألا يؤدي التظاهر بهذه الآراء إلى اختلال الأمن العام .

– لكل فرد أن يتكلم أو يكتب ويطبع ما يشاء على أن يكون مسئولاً عن سوء استعمال هذه الحرية كما يحددها القانون .

– الضرائب تدفع وفق رغبات الشعب ، وتصرف حسب آراءه كذلك .

---

[١] انظر تاريخ أوربا الحديث ، جفري برون ، ص:٣٦٦ ، أوربا من الحملة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، د.عبدالعزيز نوار ، ود. عبدالمجيد نعنعي، ص:٢٥ .

هـ – بعد صدور هذه الوثيقة قامت ثورة أخرى كانت بسبب نقص الخبز ، حيث تجمعت عدة آلاف من النسوة يصحبهن عدد من الرجال المسلحين ، وسرن إلى قصر الملك في فرساي ، وتمكن بعض الأوباش من دخول القصر ، وتهديد الملكة ، وأعلن الثوار أنَّه يجب على الملك أن ينتقل إلى باريس ، وأودعوه سجيناً في قصر التويرللي .

و – في أكثر الخطوات جرأة أرادت الجمعية إصلاح وضع الكنيسة ، وما فيها من الاستبداد والمظالم ، وأصدرت سلسلة من القرارات أحدثت ضجة هائلة في المجتمع الفرنسي ، وكان من أهمها :

– جميع أملاك الكنيسة تصبح تحت تصرف الأمَّة ، على أن تدفع لها ما يلزم لإقامة المراسم الدينية ، وإعانة القائمين بأمرها ، ومساعدة الفقراء ، وبذلك انتزعت من الأساقفة والقسس والرهبان جميع أموالهم من شتى الموارد ، وأصبحوا يعتمدون على رواتب الحكومة .

– جعلت انتخاب الأساقفة والقسس بيد الشعب ، وأثارت بذلك سخط البابا ، وأبدى بعض رجال الدين نفرتهم ، ولكنَّ الجمعية أجبرتهم على أن يقسموا يمين الطاعة والإخلاص ، فأتى منهم ستون ألفاً ، وامتنع آخرون وفضلوا الهجرة من فرنسا .

إعلان الجمعية التشريعية :

بعد هذه الحوادث ، وبعد إعلان الدستور عام ١٧٩١م حلت الجمعية نفسها ، وأوصت بتكوين جمعية تشريعية ، وبعد ذلك أعلنت الجمهورية الفرنسية في ١٢/٩/١٧٩٢ ، وبعد أربعة أشهر فقط تمَّ أعدم الملك لويس السادس عشر باعتباره خائناً للأمَّة ، وبدأت فرنسا عهداً جديداً من تاريخه .

المطلب الرابع : تحليل ونقد :

من خلال هذا العرض لأهم أحداث الثورة نعقب ببعض الأمور :

الأمر الأول : أنَّ أهداف هذه الثورة وإن كانت متعددة إلا أن أهمَّها هدفان رئيسان ، سعت الثورة لأجلها بكل بقوة . الأول : القضاء على الإقطاع لما نتج عنه من المظالم والاستبداد ضد الطبقة العامة في المجتمع . وقد استطاعت الثورة أن تحقق هذا الهدف ، حيث قضت على الإقطاع قضاء تاماً . والثاني : القضاء على طغيان الكنيسة ، وإزالة الامتيازات الكثيرة التي تميزت بها على بقية الطبقات ، وقد حققت الثورة – أيضا – هذا

الهدف ، ولكنَّها في سعيها إلى تحقيقه ارتكبت طغياناً في المقابل لم يقتصر على إصلاح مفاسد الكنيسة ، وإنَّما تجاوز ذلك ليصبح طغياناً على الدين نفسه ، فأصبح الدين – وليس دين الكنيسة – هدفاً في ذاته ، ومن هنا ظهر العداء للدين نفسه – كما سيأتي – .

الأمر الثاني : كان لهذه الثورة نتائج كبيرة لم تقتصر على حدود فرنسا ، وإنما تعدت لتشمل القارة الأوربية بأسرها فقد كان نجاح هذه التجربة – على الأقل في تحقيق أهدافها – لاسيَّما في جانب الحد من مظالم الإقطاع والكنيسة دافعاً كبيراً لدى الشعوب الأوربية التي اكتوت بنير الظلم والطغيان ، وقد أيقنت أنَّ التغيير بات أمراً ممكناً ، بل أصبح أمراً محتما .

وإضافة إلى ذلك ، فقد كان من أهم وأخطر آثار هذه الثورة – مما يتعلق ببحثنا – أموراً مهمة ، وهي :

الأول : قيام جمهورية لا دينية ، لا تحفل بأمر الدين ، فضلاً عن أن تجعله مصدراً لتشريعها .

الثاني : ظهور المذاهب الفكرية المختلفة ، التي لا يجمعها إلا العداء للدين ، وهذه المذاهب منها ما نشأ على العداء للدين ، ومنها ما أنكر الدين من أصله .ومن هنا نشأ الفكر اللاديني الذي سأتحدث عنه في الفصل التالي .

الثالث : قيام النظريات المعادية للدين كذلك .

الفصل الثالث

ظهور الفكر اللاديني

وفيه مبحثان

- المبحث الأول : دين الكنيسة قبل ظهور الفكر اللاديني
- المبحث الثاني : الفكر اللاديني في العلمانية نموذجاً

مدخل :

عاشت أوربا في ظل دينها الكنسي الذي أعلنت اعتناقه ما يقارب العشرة قرون في ظلام دامس وجهل مطبق ، حتى أطلق المؤرخون على هذه الفترة "القرون الوسطى" أو "القرون المظلمة" ، و شمل ذلك جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والفكرية وحتى الروحية ، وكان الدين الذي اعتنقته فاسداً من أول لحظة قبلته فيها ، وجعلته دين الإمبراطورية الرسمي ، وزاد رجال الكنيسة ذلك الدين فساداً ، حتى لم يعد صالحاً لإقامة الحياة الصالحة الكريمة ، فضلاً نهضة تعلي من شأن أوربا ، وتهيئها لزمام الريادة بين الأمم .

ويبدو أنَّ أوربا قد أدركت هذه الحقيقة تمام الإدراك ، فقامت بوادر نهضتها على أساس نبذ الدين الكنسي ، واعتباره المعوِّق الأول أمام نهضتها . وكانت محقة كل الحق عندما نبذت دين الكنيسة ، ولكنَّها ارتكبت أعظم أخطائها عندما تصورت أنَّ سبب هذه النكبة التي حلت بها طيلة هذه القرون هو الدين نفسه – وليس دين الكنيسة الذي ابتدعه رجال الدين ، وقادها هذا التصور الفاسد إلى ارتكاب خطأين كبيرين ، وهما :

الأول : أنَّها لم تبحث عن الدين الصحيح ، المتمثل فيما جاء به المسيح عليه السلام ، وتنقيه مما أضافه إليه رجال الدين على مدار تلك القرون الطويلة .

والثاني : أنَّهم لم يلتفتوا إلى الدين الصحيح في ذلك الوقت ، وهو دين الإسلام ، الذي كان مطبقاً ، وعلى أكمل الوجوه ، وفي بلاد ليست بعيدة عنهم ، وكانوا يرون ثمراته اليانعة من الحرية الكاملة فيما بين الخالق والمخلوق ، والعدل بين الناس ، وإقامة أعظم الحضارات على الإطلاق ، ولكنَّ أوربا بسبب كبريائها أو حقدها أعرضت عنه، فنبذت دين الكنيسة ، ولكنَّها شرعت تبحث عن كل بديل إلا الدين الصحيح ، وليكن العقل أو الطبيعة ، أو المادة ، أو حتى الإنسان نفسه ، وكان من أعظم نتائج ذلك ، ظهور ما يسمى بالفكر اللاديني ، الذي أخذ يحل – شيئاً فشيئاً – محل الدين حتى انتصر عليه بصورة نهائية عندما أصبح الدين محصوراً بين جدران الكنيسة ، وفي وقت محدد ، وفي سلوك فردي للراغب فيه ، ومن أعظم مجالات هذا الفكر ما يطلق عليه العلمانية ، وهي التسمية الغير دقيقة ، وعنها سيكون الحديث في هذا الفصل بعون الله تعالى ، بعد أن أقدِّم لذلك بمبحث عن الدين الذي كانت عليه الكنيسة قبل ظهورها .

المبحث الأول

دين الكنيسة قبل ظهور الفكر اللاديني :

الدين الكنسي الذي اعتنقته أوربا :

سوف أعرض باختصار تاريخ الدين الكنسي من أول لحظة تلقته فيه أوربا ، وحتى ظهور الفكر اللاديني ، من خلال العناصر الأساسية التالية :

١- أوربا لم تعرف الدين الصحيح المترل على عيسى - عليه السلام - :

لم تعتنق أوربا الدين المترل من عند الله تعالى على نبيه عيسى عليه السلام ، و لم تعرفه يوماً من الأيام ، وهذه الحقيقة سبقت الإشارة إليها في هذا البحث ، حيث بينت أنَّ الدين الذي اعتنقته الإمبراطورية الرومانية هو الدين الذي ابتدعه بولس ، ثم نشره باسم المسيح عليه السلام ، لكي يحظى بالقبول بين أتباعه ، وهذا الدين المبتدع هو الذي أقرته مجامع النصارى — بعد ذلك — وصدق عليه الإمبراطور قسطنطين ليكون الديانة الرسمية للإمبراطورية كلها ، ويعترف بعض المؤرخين من النصارى بهذه الحقيقة ، ومن ذلك :

يقول المؤرخ الإنجليزي ويلز : « وظهر للوقت معلم آخر عظيم يعده كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقي(للمسيحية) ، وهو شاءول الطرسوسي أو بولس بيد أنَّه كان متبحراً في لاهوتيات الإسكندرية الهيلينية وهو متأثر بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهلنستية ، وبأساليب الرواقيين .. ومن الراجح جداً انَّه تأثر بالميثرائية [١]، ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنباً إلى جنب من أنَّ ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تظهر قط بارزة قوية فيما نُقل عن يسوع من أقوال وتعاليم ، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يُقدَّم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة. فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الإنسانية ، أمَّا ما عمله بولس فهو الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح ، وسفك الدماء لاسترضاء الإله » [٢] .

ويقول المؤرخ الأمريكي برنتن : « إنَّ المسيحية الظافرة في مجمع نيقية — وهي العقيدة الرسمية في أعظم إمبراطورية في العالم — مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحين في الجليل ،

---

[١] عبادة انتشرت في فارس ، ويقال أن مثراس إله الشمس وهو الذي يقود الحرب العالمية ضد قوى الشر ، وكان يحتفل به في الأيام الأخيرة من السنة على أنه إله الشمس الذي لا يغلب . انظر : قصة الحضارة :(١٤٨/١١-١٤٩)

[٢] معالم تاريخ الإنسانية : (٧٠٥/٣) .

ولو أنَّ المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعـــاً لا بأنَّ مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل أنَّ مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتاً » [1] .

ومن خلال النصين السابقين نخرج بما يلي :

أ – أنَّ النصرانية التي جاء بها بولس واعتنقتها أوربا ليست هي الديانة الصحيحة المنزلة على عيسى عليه السلام قطعاً .

ب – أنَّ هذه الديانة "البولسية " خليط من الوثنيات القديمة المنتشرة في ذلك الوقت ، ولاسيما الميثرائية التي كانت موجودة في فارس ، والهلنسية التي كانت لـــدى الإغريـــق ، والتثليث المنتشر في الديانات المصرية القديمة .

ج – أنَّ هذه الديانة بما اشتملت عليه من تلك العقائد والفلسفات كانت مخالفـــة – تماماً – لديانة المسيح عليه السلام .

د – أنَّ ما جاء به عيسى عليه السلام هو ميلاد جديد للروح الإنسانية ، بمعنى أنَّـــه جـــاء لتخليص البشر من سائر ألوان العبادة لغير الله – تعالى - ، وإعادهم إلى عبادة الله وحده ، وبتلك العبادة ترتقي الروح إلى أعلى درجات كمالها فيتحقق لها بذلك ما عبر عنه المـــؤرخ السابق بالميلاد الجديد ، وهو عكس ما دعا إليه بولس تماماً .

وخلاصة القول أنَّ أوربا لم تعرف الدين الصحيح منذ اعتناقها للنصرانية .

٢– أوربا اعتنقت النصرانية عقيدة منفصلة عن الشريعة :

من المعلوم تاريخياً أنَّ الدولة الرومانية منذ أن ادعت تنصرها لم تزد علـــى أن رددت بعض العقائد الفاسدة التي ابتدعها بولس ، وأقرها هي بعد أن رأت أنَّها لا تختلف كثيراً عما هي عليه أصلاً من الوثنيات ، فلم تعرف الشريعة طريقها إلى الحياة الرومانية ، بـــل ظـــل القانون الروماني هو الذي يحكم شؤون الدولة . بل إنَّنا لا نجـــد أي إشـــارة إلى حـــرص النصارى على تطبيق الشريعة التي تضمنتها التوراة ، التي يؤمنون بها ، إلا ما يُذكر من تطبيق بعض الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية . ولو كان للنصارى شيء من العذر في فترات الضعف والاضطهاد التي عاشتها في قرونها الأولى ، فإنَّ ذلك العذر لم يعد سائغاً ومقبـــولاً

[1] أفكار ورجال ، ص: ٢٠٧ .

عندما استعلت الكنيسة ، وأصبحت ذات السيادة العليا والمطلقة ، وأصبحت لها الكلمة المسموعة في أرجاء الإمبراطورية كلها ، بل الذي حدث أنَّ الكنيسة استغلت كل ذلك السلطان لا لإقرار شريعة الله – تعالى – وتمكينها في الأرض ، وإنما لتحقيق مطامعها الدنيوية ومصالحها الخاصة لا غير .

ومن المؤسف أنَّنا نجد في تعاليم النصارى أنفسهم – وهم يزعمون انتسابهم للمسيح عليه السلام – ما يدعو إلى إقصاء الشريعة عن الدولة ، أو ما يعبر عنه اليوم بفصل الدين عن الدولة ، وذلك ما نسبوه إلى المسيح عليه السلام ، أنَّه قال عندما سأله اليهود عن دفع الجزية لقيصر : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » [1] . وهذا القول – من وجهة النظر الإسلامية – علمانية ، بل هو الأساس الذي تقوم عليه ، ولا يمكن أن يصدر هذا المعنى "الشركي" ممن جاء ليخرج الناس من ظلمات الشرك .

والمقصود أنَّ الشريعة المنزلة من الله عليه السلام لم تعرف طريقها إلى الحياة الرومانية .

٣– العقيدة التي اعتنقها النصارى لم تكن هي العقيدة الصحيحة :

كما أنَّ الشريعة لم تعرف طريقها إلى الحياة الرومانية ، كذلك فإنَّ العقيدة النصرانية ، التي أقرها مجمع نيقية ، وقبلتها الدولة لم تكن لم تكن هي العقيدة الصحيحة التي تكسب النفس الطمأنينة والاستقرار ، وتحرك الوجدان للمسارعة إلى الخيرات ، والكف عن المحرمات ، وبالتالي يتحرك المجتمع إلى الرقي . بل كانت على العكس من ذلك تزيد العقل حيرة ، وتوحي للوجدان بالبعد عن الدنيا تقرباً إلى الله – تعالى – ، وبيان ذلك :

أنَّ عقيدة تقوم على أن الرب الذي ينبغي أن توجه له العبادة ليس إلهاً واحداً ، بل هو ثلاثة آلهة ، حقيقية ، أو ثلاثة أقانيم ، ومع ذلك فإنَّ هذه الثلاثة كلها إله واحد ، وأن عيسى – عليه السلام – هو في ذات الأمر إله ، وابن إله ، وثالث ثلاثة ، ومع عظم منزلته رضي بأن يقدم نفسه "ذبيحة" على الصليب ، افتداءاً لجميع البشر الملوثين بخطيئة أبيهم آدم عليه السلام ، ولا يزال البشر إلى اليوم يولدون ملوثين بها ، وليس لهم سبيل إلى الخلاص منها إلا عن طريق ما شرعه رجال الدين من طقوس وأسرار لا يعلم بها إلا هم ولا تقبل إلا من خلالهم !.

---

[1] متى : (٢٢/٢٢) ، مرقص : (١٢/١٧) .

إنَّ مثل هذه العقيدة لا يمكن أن تحرر صاحبها من ربقة الشرك ، وعبادة الأوثان وتنقله إلى أمن التوحيد والإيمان ، بل غاية ما فيها أن تنقله من عبادة آلهة كثيرة إلى عبادة آلهة مثلثة ، ويبقى في ظلمات بعضها فوق بعض .

٤- إضافات رجال الدين :

هذه العقيدة التي ابتدعها بولس وقررها المجامع النصرانية وأخذت صفتها الرسمية في القرن الرابع الميلادي بالرغم من أنها تخالف الدين الحق الذي جاء به المسيح عليه السلام إلا أنَّها أيضاً لم تبق على صفتها الرسمية التي أعلنتها المجامع ، وأيدها الدولة بسلطانها ، بل لم تزل في تطور بالإضافة والتبديل من قبل خلفاء الرب وممثليه على الأرض والأمناء على الدين ، بل ولم يزل هذا التغير والتبديل مستمراً إلى اليوم ، في مجال العقائد والشرائع على السواء .

وكان أهم هذه الإضافات ظهور الأسرار "المقدسة" ، التي احتفظ رجال الدين بالعلم بكنهها، ومن ثمَّ فلا يمكن أن تقبل ولا تؤدى إلا من خلالهم ، ولا يمكن أن تحقق بركتها إلا بصلواتهم ودعائهم . ثم ظهرت شعائر أخرى من صلوات ، وصيام ، وأعياد ، وحتى حج وزيارة للأماكن المقدسة – عندهم - ، وكذلك ظهر تعظيم الصور والتماثيل ، وقد شمل مسلسل التغيير حتى العقائد ، فظهرت عقيدة المطهر ، وصكوك الغفران ، وكان آخرها – وقد لا يكون الأخير – عقيدة عصمة البابا التي أقرت بعد ما يقارب الثمانية عشر قرناً من عهد المسيح عليه السلام، وهكذا يستمر التغيير في تلك الديانة .

وكانت النتيجة النهائية لهذا العبث بالدين – حتى في صورته المبتدعة – أن تسلط رجال الدين على أتباعهم أعظم التسلط ، وأصبحوا أرباباً من دون الله .

٥- نظرة الدين النصراني السلبية إلى الحياة :

نظرة النصرانية إلى الحياة في غاية السلبية ، ويتبين ذلك من خلال الأمور التالية :

أ – الإنسان يولد ملوث بخطيئته ، ولذلك ينحصر دوره في الحياة في محاولة الخلاص منها ، ولم يكن ذلك الخلاص ليتحقق بالتوبة والرجوع إلى الله ، وإنما بسلسلة من الطقوس والمكفرات ، يرجع تحديدها إلى رجال الدين وحدهم .

ب – الحياة الدنيا قصيرة ، وعودة المسيح - عليه السلام - الثانية وشيكة الوقوع ، وإذا كان الأمر كذلك فما للعمل قيمة ، وإنَّما الواجب الانتظار للدخول في "مملكة الرب" .

ج – الحياة الدنيا – كذلك – مليئة بالشرور والآثام ، وإنَّ العمل فيها – فضلاً عن التعلق بها – كما أنَّه دنس ورجس من عمل الشيطان ، فإنَّه كذلك يصرف عن الدخول في مملكة الرب الخالدة ! .

د – الدنيا عدوة الآخرة ، ولا لقاء بينهما . هذه الثنائية "الحتمية" التي ابتدعتها الكنيسة ، وبنت عليها أنَّ من أراد الآخرة ، ودخول الملكوت ، فما عليه إلا أن يجعل الدنيا خلف ظهره ، ويولي وجهه إلى الآخرة من خلال رهبانية ينقطع فيها عن الدنيا بأسرها ، ويعيش بقية حياته في دير أو في حتى في البراري والقفار حتى يتحقق له رضوان الله .

هـ – إنَّ عدم رضا الإنسان بما هو عليه من فقر ، أو جوع ، أو حتى ظلم وتسلط ومحاولته لتغيير ذلك الواقع ، من خلال سعيه لطلب الرزق ، أو تحسين معاشه لهو خطيئة لا تغتفر ، وتمرد على الإرادة الإلهية ، يوجب غضب الرب وسخطه . ولا شك – بطبيعة الحال – أنَّ رجال الدين خارجون عن هذا القانون .

هذا هو حال الدين في الصورة التي وضعتها الكنيسة ، وهو كما يظهر لم يكن صالحاً لإقامة حياة كريمة لا على مستوى السلوك الفردي ، ولا على مستوى الحياة الاجتماعية ، ومن باب أولى أن هذا الدين – بهذه الصورة – لن يكون حافزاً لإقامة نهضة شاملة تسعى أوربا لتحقيقها ، بل هو من أكبر المعوقات في طريق تلك النهضة .

المبحث الثاني

ظهور الفكر اللاديني (العلمانية نموذجاً)

وفيه مدخل وثلاثة مطالب

- المطلب الأول : تعريف العلمانية وأصلها
- المطلب الثاني : ظهور العلمانية
- المطلب الثالث : مجالات العلمانية وآثارها

مدخل : المراد بالفكر اللاديني :

المقصود بالفكر اللاديني كل فكر يقوم على استبعاد الدين من حسابه ، وليس شرطاً أن يقوم على محاربة الدين ، وهذا الفكر لم يتبلور في صورته الواضحة إلا مع بداية عصر النهضة ، و لم يأخذ صورته النهائية ، إلا بعد قيام أول دولة لادينية ، وهي دولة فرنسا بعد الثورة الفرنسية – التي سبق الحديث عنها – .

ولكنَّ ظهورأصوله أقدم بكثير من هذه الفترة ، فقد ظهرت تسلط الكنيسة باسم الدين على كافة جوانب الحياة الأوربية السياسية والاقتصادية والعلمية ، وغيرها ، وأيضا ؛ فإنَّه لم يأخذ صورته العلنية في أول الأمر بسبب قوة سيطرة الكنيسة وهيمنتها ، ولكنَّه بدأ في الظهور إثر الضربات التي تلقتها الكنيسة الضربة تلو الأخرى من الداخل والخارج ، مما أضعفها ، ورفع أصوات المعارضين ، وظهر صوت "الفكر الحر" المنتقد للكنيسة علناً .

المطلب الأول : تعريف العلمانية :

تعريفها في المعاجم العربية :

مصطلح العلمانية مستحدث في اللغة العربية ، ولا نجد له ذكراً في معاجمها إلا المتأخرة منها ، وبالنظر إلى تلك المعاجم يمكننا أن نقف على ثلاثة تعريفات لها ، كما يلي :

١- في معجم المعلم البستاني – من نصارى لبنان –: العلماني الذي ليس بإكليركي .

٢- في المعجم العربي الحديث تأليف :د. خليل الجسر : علماني : ما ليس كنسياً ولا دينياً .

٣- في المعجم الوسيط لمجمع اللغة في القاهرة : العلماني نسبة إلى العلم ، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي [1] .

وتشترك جميع التعريفات السابقة في أنَّ معنى العلماني هو خلاف الديني ، ويقدر الباحثون أنَّ هذه الكلمة لم ترد في المعاجم العربية إلا في وقت متأخر ، حيث ابتدأ ذكرها في المعاجم النصرانية أولاً في لبنان حوالي سنة ١٧٨٠م ، ثم جاء ذكرها في المعجم الوسيط ، الذي طبعت أول نسخة منه عام ١٧٩٠م .

---

[1] انظر التعريفات السابقة : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار الدكتور : علي جريشة ، ص:٧٣ .

وأمَّا أصل هذه الكلمة فقد اجتهد بعض الباحثين المسلمين في بيان ذلك ، وحاصل ما وقفت عليه من آرائهم في أصلها رأيان :

الأول : أن العَلمانية (بفتح العين لا بكسرها) منسوبة إلى العَلَم ، وهو العالم (بفتح اللام) ، أو الدنيا التي هي في مقابل الآخرة .

وهذا الرأي ذكره الدكتور عبدالحليم محمود (شيخ الأزهر الأسبق) [(١)] .

والثاني : أنَّ العِلمانية (بكسر العين) مشتقة من العِلم ؛ لأنَّ الأصل اللاتيني لكلمة (Secularius) معناه : عالم متبحر [(٢)] .

والذي يظهر أن كلا الرأيين يتضمنان شيئاً من التكلف ،ولا يسلمان من الاعتراض .

فأمَّا القول بأنَّ أصلها من العالم ، فإنَّه بعيد ؛ لأنَّ النسبة إليه (عالمي) ، وليست علماني ، ومن جهة أخرى ؛ فإنَّه ليس ثمة ميزة تخص هذا الفكر دون غيره ليكون عالمياً . وكذلك فإنَّ النسبة إلى العِلم – أيضاً – غير دقيق ، فإنَّ الصواب أن تكون النسبة على هذا المعنى (عِلمي) وليس علماني ، ولو قلنا أنَّ النسبة هنا غير قياسية ، فيبقى أن نقول أنَّ هذا الفكر لم يكن منتسباً إلى العلم بطريق الاختصاص لا إثباتاً ولا سلباً ؛ لأنَّ طغيان الكنيسة – الذي كان من أسباب نشأة هذا الفكر - وإن كان يشمل الطغيان ضد العلم ، إلا أنَّه لم يكن مختصاً بذلك ، بل كان طغياناً عاماً شمل جميع جوانب الحياة الأوربية .

ويغنينا عن كل ذلك أن نقول : إنَّ هذه الكلمة ليست عربية حتى نتكلف ذلك التكلف في البحث عن أصلها ، وإنما هي ترجمة بعض العرب عن اللغات الأوربية ، والذي ينبغي علينا أن نبحث عن أصلها ، ثمَّ معرفة معناها من خلال تلك اللغات التي جاءت بها ابتداءاً ، ثمَّ الوصول إلى المعنى الدقيق المراد منها ، وهو ما سأبينه فيما يلي .

أصل هذه الكلمة في اللغات الأوربية :

الأصل الذي ترجمت منه لفظة العلمانية جاء في أهم اللغات الأوربية كما يلي :

١- في اللغة الإنجليزية من كلمة : (Secularism) .

٢- في اللغة الفرنسية من كلمة : (Secularite) [(١)]

---

(١) المصدر السابق ، ص:٧٦

(٢) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

(١) Oxford Wordpower - Secular

ثمَّ جاءت الترجمة العربية عن هذين الأصلين إلى العلمانية وهي — بحسب معناها العربي مأخوذة من العلم ، وتتضمن المدح ، ولكنَّ هذه الترجمة — فضلاً عن كونها مضللة — غير دقيقة ، بل غير صحيحة ، فهي ترجمة خاطئة عن الأصلين ، ومم يدل على ذلك دليلان :

الدليل الأول : أنَّ الأصل الذي اعتمدت عليه الترجمة في اللغة الإنجليزية والفرنسية كذلك لا يدل على معنى العلم ، ولا صلة له به ؛ لأنَّ كلمة العلم معناها في اللغة الإنجليزية وأيضاً في الفرنسية (Science) ، والمذهب العلمي يطلق عليه (Scientism) ، والنسبة إلى العلم هي (Scientific) في الإنجليزية ، و (Scientifique) في الفرنسية ، ومعنى العالم (Scietist) [1] .

الدليل الثاني : أنَّ معنى هذه الكلمة كما ورد في المعاجم ، ودوائر المعارف الأوربية لا يدل على معنى العلم ، ولا صلة له به ، وبيان ذلك ، كما يلي :

أولاً : ما ورد في بعض المعاجم الأوربية :

١- جاء في معجم أكسفورد بيان معنى كلمة Secular :

- دنيوي أو مادي ، ليس دينياً ، ولا روحياً ، مثل : التربية اللادينية ، الفن والموسيقة اللادينية ، السلطة اللادينية ، الحكومة المناقضة للكنيسة .

- الرأي الذي يقول إنَّه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية .

٢- يقول قاموس "العالم الجديد" لوبستر عن المادة نفسها :

- الروح الدنيوية ، أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك ، وعلى الخصوص : نظام من المباديء والتطبيقات (Practices) يرفض أي شكل من أشكال العبادة .

- الاعتقاد بأنَّ الدين ، والشؤون الكنسية لا دخل لها في شؤون الدولة ، وخاصة التربية العامة [2] .

٣- وجاء في قاموس المورد المنير مادة : Secular :

---

[1] المصدر السابق : وقاموس المورد ، منير البعلكي ، مادة : Science .

[2] انظر : العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، د. سفر الحوالي ، ص:٢٢ .

- دنيوي ، غير ديني ، مدني ، غـــير إكليريكـــي ، غـــير منتســـب إلى رهبانيـــة ، Secularism : الدنيوية ، عدم المبالاة بالدين أو بالاعتبارات الدينية و Secularity : شيء دنيوي ، الصفة الدنيوية أو المدنية [١] .

ثانياً : ماورد في دوائر المعارف :

جاء معنى Secular في دوائر المعارف أكثر إيضاحاً ، وهو كما يلي :

في دائرة المعارف البريطانية ، جاء تعريف المادة السابقة بأنَّها : « حركـــة اجتماعيـــة تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها . ذلك أنَّه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الـــدنيا والتأمـــل في الله واليوم الآخر . ومن أجل هذه الرغبة طفقت ال (Secularism) تعرض نفسها مـــن خلال تنمية النزعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهـــم الشـــديد بالانجازات الثقافية البشرية ، وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الحياة القريبـــة . وظـــل الاتجاه إلى (Secularism) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كلـــه باعتبارهـــا حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسيحية » [٢] .

وجاء في دائرة المعارف الأمريكية : « العلمانية نظام أخلاقي مستقل مؤســـس علـــى مباديء من الخلق الطبيعي ، مستقل عن المظهر الديني أو " الفوق طبيعي " [٣] .

ومن خلال تعريف هذه الكلمة في مصادرها الأصلية يتأكد لنا :

١- أنَّ الترجمة العربية لكلمة (Secularism) بأنَّها العلمانيـــة ترجمـــة خاطئـــة ومضللة ، وأنَّ أصلها الأوربي لا صلة له بالعلم .ويمكننا أن نلتمس عذراً لمن ترجموها — لمن نعتقد فيهم حسن النية — بأنَّ الحامل لهم على ذلك هو الربط بين هذا المعنى وبين الطغيـــان الذي مارسته الكنيسة ضد العلم ، ولكن هذا الربط وإن تضـــمن معـــنى صـــحيحاً إلا أن الاستدلال به على تلك الترجمة استدلال في غير موضعه .

---

[١] منير العلبكي ، المادة المذكورة .

[٢] نقلاً عن كتاب مذاهب فكرية معاصر، محمد قطب ، ص:٤٤٥ .

[٣] نقلاً عن : العلمانيون والقرآن الكريم ، د. احمد إدريس الطعان ، ص: ١٢٤ .

٢- أنَّ الترجمة الصحيحة لها لا تخرج عن معنى الدنيوية أو اللادينية ، والترجمة الثانية هي الأدق ، بل هي المطابقة لمعنى الكلمة ؛ لأنَّ الفكر العلماني إنَّما قام على أساس نبذ الدين ، لا نبذ الدنيا فحسب .

٣- يمكننا تعريف العلمانية بعد هذا التقرير بأنَّها : إقامة الحياة على غير الدين [1] . وهذا التعريف أشمل وأدق من القول بأنَّها : فصل الدين عن الدولة ، كما هو ظاهر من العرض السابق .

المطلب الثاني : ظهور العلمانية :

من الصعب علينا تحديد ظهور العلمانية بسنة معينة ؛ لأنَّ ظهورها كان نتيجة عوامل كثيرة ، ومتداخلة . ولكنَّ المرجَّح أنَّه كان متزامناً مع عصر النهضة الأوربي ، التي جعلت نبذ الدين أساساً لقيامها ، ولكنَّ الفكر العلماني استقر على صورته النهائية عندما تأسست أول دولة علمانية ، وهو دولة فرنسا عام ١٧٩٢م .

وأمَّا من حيث التفصيل ؛ فإنَّ مصطلح العلمانية (Secularism) قد ظهر لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عاماً أي عام ١٦٤٨م ، عند توقيع صلح "وستفاليا" وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة ، وهو التاريخ الذي يعتمده الكثير من المؤرخين لبداية ظهور العلمانية في الغرب [2] .

ويعتبر هوليوك أول من وضع المصطلح بمعناه المعاصر ، وبأبعاده المختلفة ، وكان أول استخدام لهذه الكلمة عام ١٨٤٦م ، في مجلة ذي ويزونور ، التي تعني : "المجادل العقلاني" ، وكان سبب ذلك هو شعور هوليوك وبعض زملائه بأنَّ النصرانية لم تعد مقبولة لدى أكثر فئات المجتمع ، وأنَّ الحاجة ماسة إلى استبدالها بمبدأ حديث فكان هو العلمانية [3] .

وقد أسس هوليوك عام ١٨٥٥م جمعية لندن العلمانية ، ثمَّ تحولت إلى تيار واسع النطاق ، وقد بدأ انتشارها بن عامي ١٨٥٣- ١٨٥٤م ، ثمَّ انتشرت الجمعيات العلمانية في جميع أنحاء بريطانيا ، ومن أبرزها "جمعية لستر" و "بولتون" ، ثمَّ خلف هوليوك تشارلس

[1] انظر : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، د . سفر الحوالي ، ص: ٢٤ .

[2] انظر : العلمانيون والقرآن الكريم ، د . أحمد إدريس الطعان ، ص:١٢٧ .

[3] المصدر نفسه ، ص: ١٢٨ .

برادلاف على رئاسة جمعية لندن عام ١٨٥٨م ، واشترك في تحرير مجلة "المصلح القومي" التي حلت محل ويزونور ، وأسس الجمعية العلمانية القومية عام ١٨٦٦م [١] .

وبعد ذلك اندثرت مجلة القومي لتحل محلها "المفكر الحر" ذات الترعة الإلحادية ، والتي لم تكف عن الاستهزاء بالأناجيل ، والسخرية من الذات الإلهية ، حتى إنَّها طالبت بمحاكمة أصحاب الأناجيل لأنهم "يجدفون على الله !" [٢] .

عوامل نشأة العلمانية :

نشأ الفكر العلماني في أوربا في عصر النهضة نتيجة عوامل معينة دفعت بظهوره ، ومن ثمَّ أدت هذه العوامل إلى سرعة انتشاره ، حتى شمل كافة أرجاء أوربا قاطبة ، وسوف أتعرض في هذه الفقرة لأهم تلك العوامل على سبيل الاختصار في النقاط التالية :

العامل الأول : طغيان الكنيسة :

تحدثت في المبحث السابق عن حال الدين الذي كانت عليه الكنيسة ، وأنَّه – بما اشتمل عليه من الفساد – كان مهيئاً للقيام بظهور الفكر العلماني – إلا أنَّ أمراً آخر كان قد دفع عجلة اتجاه الفكر إلى العلمانية ، وهو الطغيان الكبير الذي مارسته الكنيسة في جميع مجالات الحياة الأوربية ، وكان أشده ما فرضته على العلماء والمفكرين من القيود القاسية ، التي تبدأ بتحريم التفكير ، والبحث العلمي إلا من خلال الكنيسة ، وأن يجري تحت سمعها وبصرها ، وانتهاءاً بمحاكم التفتيش التي كانت بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الخروج عن تعاليم الكنيسة ، ولَمَّا كان مجال الفكر والبحث العلمي هما أعظم المجالات التي تقوم عليها أي نهضة ، فلم تجد أوربا خياراً أمام رغبتها الجامحة في سلوك طريق النهضة ، إلا بحل تلك القيود التي فُرضت عليها من الكنيسة ، وعاشت بسببها قروناً طويلة في ظلمات الجهل والتخلف فنبذت ذلك الدين الكنسي ، ولكنَّها لم تلتفت – استكباراً وعلواً – إلى الدين الصحيح الذي جاورته في الأندلس ، ونهل أبنائها منه العلوم المختلفة على أيدي المسلمين ، وشهدوا فيها ، وفي غيرها من الممالك الإسلامية قيام أعظم الحضارات في ذلك الوقت . نبذت أوربا دينها الكنسي واستبدل رواد النهضة به ديناً جديداً ، وإن اختلفوا في تحديده ،

---

[١] المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

[٢] المصدر السابق ، ص: ١٢٩ .

بين من جعله هو العقل ، ومن جعله في الطبيعة ، أو في العلم ، ولكنَّ الجميع اتفقوا على إبعاد الدين عن كل ذلك ، فكان الفكر اللاديني هو البديل عند جميع أولئك الرواد ٠

العامل الثاني : فساد رجال الدين :

كان دين الكنيسة فاسدا ، وأضافت إليه الكنيسة طغيانها على الحياة الأوربية ، وكانت الطامة الأخرى ، هي فساد رجال الدين أنفسهم ، فساداً تخلل كل مؤسسات الكنيسة ، وقد سبق تفصيل ذلك من قبل ، ولكن أقول هنا : إنَّ فساد رجال الدين وانحرافهم نزع البقية الباقية من أثر الدين في نفوس أتباعه ، فلم يعد ذلك الدين مما يؤسف على تركه ، وأصبحت مفارقته ليست أمراً هيناً فحسب ، بل شرطا لابد منه في طريق النهضة المنشود لدى أولئك الرواد ٠

العامل الثالث : ظهور الفكر النقدي للكنيسة :

عندما بلغت الكنيسة غاية التسلط والطغيان ، وقمة الفساد والانحطاط ، علت أصوات المنتقدين لها ، وشرعت تلك الأصوات تُدين سلطان الكنيسة الجائر تارة ، وتنتقد الفساد والانحلال الذي حل برجال الدين تارة أخرى ، وتوجه سهام انتقاداتها نحو تناقضات الدين الذي تحمله الكنيسة تارات كثيرة ٠

وكانت تلك الأصوات الناقدة تنقسم إلى قسمين :

الأول : أصوات ناقدة من داخل الكنيسة نفسها :

ويمثل هذا الاتجاه أغلب أصوات المصلحين من أمثال ويكلف ، وهوس ، ولوثر وزونجلي ، وكالفن ، وغيرهم ٠ وهذه الأصوات وإن كانت تنادي بالإصلاح في الأصل ، إلا أنها ساهمت في كراهية الناس للدين ، بما أظهرته من العقائد والطقوس الباطلة التي ابتدعها رجال الكنيسة الكاثوليكية ، غير أنَّ هذه الأصوات لم تسلم هي من ذات الأخطاء التي كانت ترمي بها الكنيسة الكاثوليكية ، فها هي تدعي السلطان ذاته لنفسها ، وتذيق أعدائها ، بل حتى مخالفيها أشد ألوان العذاب ، وما حروب الكاثوليك والبروتستانت التي استمرت سنوات طويلة إلا خير شاهد على ما ذكرنا٠

والثاني : الأصوات الناقدة من خارج الكنيسة :

وهي أصوات الفلاسفة والمفكرين الأحرار ، الذين أخذوا ينددون بكل قبائح الكنيسة وأخذت تلك الأصوات – شيئاً فشيئاً – تجاهر بانتقادها للكنيسة ، وتعرض مشكلاتها ، وتعرض رؤاها في الإصلاح من خلال المطالبة في صراحة تامة بفصل الدين – ذات الدين وليس دين الكنيسة – عن الحياة ، وأنَّ ذلك هو السبيل – والسبيل الوحيد للنهضة التي تروم أوربا لتحقيقها ، ومن الأمثلة على تلك الأصوات :

١- الكتاب الموسوعيون الذين كتبوا دائرة المعارف ، بزعامة "ديدرو" [(١)] ، وكانوا يناصبون الأديان عداوة عمياء [(٢)] .

٢- الفيلسوف اليهودي الملحد "بنيتو دي إسبينوزا" [(٣)]:

عاش في الفترة بين ١٦٣٢ – ١٦٧٧م ، وتميز بنظرته النقدية تجاه الدين ، وقام بإجراء محاولة للعثور على فلسفة يمكن أن تحل محل العقيدة الدينية ، واستطاع أن ينشر كتابه " رسالة في اللاهوت والسياسة " دون الإفصاح عن اسمه ، وأصبحت هذه الرسالة معلماً هاماً من معالم نقد ما يسمى بالكتاب المقدس ، وكان يتبنى إخضاع الكنيسة لسلطة الدولة ، وأنَّه يجب أن يكون للدولة السلطة العليا في الشؤون الكنسية .

ومما جاء في رسالته : « ومن الخطورة على الدين وعلى الدولة على السواء إعطاء من يقومون بشؤون الدين الحق في إصدار القرارات أياً كانت أو التدخل في شؤون الدولة ،

---

(١) اسمه دينس ديدرو مفكر فرنسي عاش في الفترة (١٧١٣-١٧٨٤) ، وظهر في عهده أعظم انتاج فكري وهو موسوعة دائرة المعارف ، وهي عبارة عن جمع للمعارف المتناثرة لكافة العلوم والفنون والحرف ، وظهر المجلد الأول منها عام ذ٧٥١ ، واشتملت على ٢٧٠٠٠ مادة ، و٢٥٠٠ صورة محفورة . انظر : عصر التنوير ، ليود سبنسر وأندرزيجي كروز ، ص: ٧٠ .

(٢) انظر العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، د . سفر الحوالي : ١٦٩ .

(٣) فيلسوف مادي عقلاني وهو برتغالي من أصل يهودي ، ولد في أمستردام عام ١٦٣٢ ، نشر في حياته كتابين الأول مباديء الفلسفة الديكارتية والثاني رسالة في اللاهوت و لم يذكر عليه اسمه ،ونشرت بقية مؤلفاته بعد وفاته ، ومنها الأخلاق ، البحث السياسي ، إصلاح العقل ، الرسائل ، رسالة في النحو العبري ، انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبدالوهاب المسيري : (٣٤٤/١) ، موسوعة الفلسفة ، د. عبدالرحمن بدوي : (١٣٦/١-١٤٤) ، إسبينوزا والإسبينوزية ، بيار فرنسوامورد ، ص: ١٥-١٨ .

وعلى العكس يكون الاستقرار أعظم إذا اقتصروا على الإجابة على الأسئلة المقدمة غليهم ، والتزموا في أثناء ذلك بالتراث القديم الأكثر يقينً والأوسع قبولاً بين الناس » [1] .

وصورة العلمانية في هذا النص ظاهرة في منع رجال الدين من إصدار القرارات ، ومنع التدخل في شؤون الدولة ، وحصر مهمتهم في الإجابة على الأسئلة المقدمة إليهم .

٣- الفيلسوف الفرنسي ديكارت [2]:

نادى بأن للعقل ميدانه ، وللدين ميدانه ، وميدان العلم هو الطبيعة ، وميدان الدين هو العالم الآخر [3] . وبذلك افترض الصراع بين الدين والعلم أو الدين والعقل ، ثمَّ رأى أن الحل يكمن في إزاحة الدين ، واستبداله بالعقل أو العلم ، وفي كلتا الحالتين فقد تمَّ إقصاء الدين عن الحياة .

٤- الفيلسوف الفرنسي فوليتير [4] :

مات قبل الثورة الفرنسية بقليل ، وهو الذي أشعل فتيلها ، واطلق على النصرانية لقب " الكائن الوضيع" ، وله كتاب في الهجوم على الكنيسة بعنوان "مقبرة التعصب" ، وصف فيه عقيدة النصارى بأنَّها متناقضة ، سفاكة للدماء ، ينتصر لها الجلادون ، وتحيط بها عصبة الأشرار ، ولا يذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة أو ثراء [5] .

وهكذا يتبين لنا أنَّ هؤلاء النقاد وغيرهم قد وجدوا من تسلط الكنيسة من جهة ، ومن فساد رجالها ، وتناقض عقائدها وشرائعها مادة مناسبة لإظهار انتقاداتهم ، ومسوغاً – منطقياً – لمطالبتهم بعزل ذلك الدين عن الدولة ، ثمَّ عن الحياة بعد ذلك .

---

[1] انظر : إسبينوزا والإسبينوزية ، بيار – فرنسوا مورو ، ص: ٧٣-٨١ ، والعلمانية ، د.سفر الحوالي ، ص:١٧١ .

[2] يعد رائد الفلسفة في العصر الحديث ، ومبتكر الهندسة التحليلية ، ولد في عام ١٥٩٥ في مدينة لاهيه غربي فرنسا ، من أهم كتبه : " بحث في العالم" ولم ينشر إلا بعد وفاته ، و"تأملات في الفلسفة" . انظر : موسوعة الفلسفة ، د.عبدالرحمن بدوي: (٤٨٨/١-٤٩٨).

[3] انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار علي جريشة ، ص:٦١ .

[4] فيلسوف وشاعر فرنسي شهير عاش في الفترة (١٦٩٤-١٧٧٨) ، ولد في باريس ، وكان معارضاً لتعصب الكنيسة الكاثوليكية ، سجن في الباستيل بعد أن هجا الوصيى على العرش الفرنسي ، وفي سجنه أعاد كتابة مسرحية (أوديب) ، ونظم قصيدة عن الملك هنري الرابع . أنظر : موسوعة الفلسفة ، د. عبدالرحمن بدوي : (٢٠١/٢) .

[5] انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار علي جريشة ، ص:٦١ .

العامل الرابع : الثورات المسلحة :

عاشت الشعوب الأوربية – ولاسيما الطبقات الكادحة – من الذل والقهر والظلم في ظل الكنيسة حداً لا تطيقه ، وكان رد الفعل لذلك أن ظهرت ثورات متعـددة في أنحـاء أوربا ، وهي وإن اختلفت في مقاصدها الخاصة ، إلا أن الدافع المشترك لها هـو محاولـة التخلص من تسلط الكنيسة الجائر ، ولذلك قام "الثوار" لمقاومة ذلك الطغيـان ، وهـم لا يملكون من مصادر القوة شيئاً إلا قوة الحق الذي يؤمنون به ، حتى قدموا من أجـل ذلـك أنفسهم التي اكتوت بنير الظلم والقهر ، وراح ضحية تلك الثورات الآلاف من البشر ، ومن أهم تلك الثورات :

١- ثورة الفرسان في ألمانيا : كانت في بداية القرن السادس عشر ، حيـث هـاجم الفرسان الكنائس والأديرة ، ودمروا التماثيل ، وطردوا الرهبان من الأديرة .

٢- ثورة الفلاحين في ألمانيا : وفيها طالب الفلاحون بتخفيض ضريبة العشور الـتي تؤدى للكنيسة ، ومنحهم الحق في اختيار رجال الدين ، وأدت هذه الثورة إلى قتل عشرات الألوف من الفلاحين لإخماد تلك الثورة .

٣- ثورة الأراضي المنخفضة : وفيها تمَّ في أسبوع واحد تحطيم ٤٠٠ كنيسة ، وكثير من الأديرة ، واخمدت الثورة بعد إعدام ١٨٦٠٠ مواطن ، وفرار ثلاثة أضعاف ذلك العدد خارج البلاد [1]

٤- الثورة الفرنسية : وهي أهمها وأشهرها ، وهي التي رفعت شعار "اشـنقوا آخـر ملك بأمعاء آخر قسيس" ، وكان من أهم نتائجها إقامة الدولة الفرنسية " اللادينية " ، وإنها سلطة رجال الدين ، وحصرها داخل الكنيسة ، وتمت بذلك العلمانية الكاملة [2] .

المطلب الثالث : مجالات العلمانية :

هدف العلمانية إقصاء الدين عن جميع جوانب الحياة ، وهذا الهدف قد تحقق في أرض الواقع عندما قامت أول دولة لادينية ، وهي دولة فرنسا ، وما أن أعلنت تلك الدولة عـن

---

[1] انظر: المصدر السابق : ص:٦٢ .

[2] انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، د . محمود مزروعة ، ص:٤٣٠ .

دستورها العلماني حتى تلقفته سائر الشعوب الأوربية ، التي تتلهف للحظة التي تتخلص فيها من تسلط الكنيسة الذي امتد طيلة القرون الوسطى ، وبذلك تحقق انتشار العلمانية .

ومن الصعب عملياً الحديث عن جميع الجوانب التي تشملها العلمانية ، ولذلك ؛ فسوف أتحدث عن أهم مجالاتها ، التي كان لها تأثير كبير على الحياة الأوربية ، ومنها :

المجال السياسي :

اعتنقت الدولة الرومانية الديانة النصرانية عقيدة بلا شريعة ، حيث ظل القانون الروماني هو الذي يحكم سائر نواحي الحياة في تلك الدولة – إلا ما كان من تطبيق بعض أحكام الشريعة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية – ، وعزل الشريعة عن مجالات الحياة المختلفة يعد من وجهة النظر الإسلامية علمانية كاملة ، وإن لم تكن هي الصورة التي استقرت عليها العلمانية في أوربا بعد ذلك ، ومع وجود هذه العلمانية إلا أنَّه كان للشريعة بقية من الأثر في واقع الحياة حتى مجالها السياسي ، ويتمثل ذلك في السلوك الشخصي للحكام ، الذي يقتضي الالتزام بكثير من الأخلاقيات ؛ لأنَّ ذلك مقتضى تدينهم بالنصرانية . ومن جهة أخرى فإنَّ البابا ورجال الدين – وإن لم يحرصوا على تطبيق الشريعة حتى في المرحلة التي أمسكوا فيها بزمام السلطة الزمنية على الأباطرة والحكام ، وأعلنوا أن البابا له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع (المسيحيين) حكاماً كانوا أو محكومين ، وأنَّ من سلطتهم أن يخلعوا الملوك متى ما رأوا أنَّهم غير صالحين لتولي تلك المهمة . أقول : مع كل تلك السلطة التي نالوها فإنَّهم لم يسخروها ليحكموا أوربا بمقتضى شريعة التوراة والإنجيل ، ولكنَّهم استغلوا ذلك السلطان لإخضاع الأباطرة لأهوائهم ومصالحهم الخاصة ، وكان هؤلاء الحكام بمقتضى تدينهم – ولو في الظاهر – يخضعون لأوامر رجال الدين ، ويعدون أنفسهم جنوداً لهم ، ويلتزمون بالأخلاق الدينية التي تدعو إليها الكنيسة ، لينالوا رضا هؤلاء الباباوات ، أو ليسلموا من الأذى من قبلهم .

هذه هي الصورة التي كانت عليها السياسة في القرون الوسطى ، وهي ما اطلق عليه بالحكم الديني "الثيوقراطي" ، وإن كان في الحقيقة بعيداً كل البعد عن الحكم بما أنزل الله .

غير أنَّ هؤلاء الأباطرة وبسبب تزايد تسلط الكنيسة بدأوا ينفرون من ذلك السلطان القاهر ، الذي تتدخل بموجبه الكنيسة في كافة شؤون الدولة وبدأوا — شيئاً فشيئاً — يتمردون عليه ، بشتى السبل ، وقد ساهم في تحقيق ذلك التمرد أمران :

الأول : المناخ العام في أوربا ؛ حيث كان يعم الوسط الأوربي - حكاماً ومحكومين - موجة عارمة من الغضب والاستياء من سلطان الكنيسة ، مع تلهف لتحقيق أي انتصار يكسر كبرياءها ، ويجرح كرامتها ، ويعيد للشعوب المقهورة حقوقها المسلوبة ، بل كرامتها المفقودة .

والثاني : ظهور النظريات الفكرية اللادينية ؛ وهذه النظريات يجمعها العداء للدين ، وإبعاده عن الحيز السياسي ، حتى لا يصبح له أي أثر فيه ، وكان من أشهر تلك النظريات ثلاث نظريات هي :

١- نظرية الحق الإلهي :

وخلاصة هذه النظرية أنَّ الملوك يرجعون إلى سلالة عريقة خاصة أسمى من العنصر البشري ، ومنهم من يعتقد أنَّهم من عنصر إلهي — كما هو الحال عند الرومان — . وبناء على ذلك فإنَّ للملك السلطة المطلقة على شعبه ، وليس لأحد عليه أدنى اعتراض .

وهذه النظرية وإن كانت قديمة من حيث أصلها إلا أنَّ ثورة الكنيسة على الملوك كانت كفيلة ببعثها من جديد ، وقد ساهمت بشكل كبير في ترسيخ مبدأ "فصل الدين عن الدولة" الذي هو أساس العلمانية ، وعندما نبذ الحكام سلطة الكنيسة نبذوا معه الدين نفسه — دون تفريق بينه وبين دين الكنيسة — فأصبح الحاكم الأوربي يحكم بما يوافق هواه لا بما يوجبه دينه .

٢- نظرية ميكيافللي [1]:

كانت نظرية مكيافللي أشد النظريات خطورة ، وأكثرها جرأة على الدين ، وإعلاناً لاستبعاده عن السياسة ، وهذه النظرية تقوم — كما في كتابه "الأمير" — على ثلاثة أسس :

---

[1] اسمه نيقولا مكيافيلي ، ولد عام ١٤٦٩ في فلورنسا بإيطاليا ، وألقي القبض عليه عام ١٥١٢م على يد عائلة ميدسي الحاكمة ، ثم أُقصي عن الحياة العامة ، وكان من أهم أعماله كتاب "الأمير" الذي فرغ منه عام ١٥١٣ ، وشجب من البابوية ، وتدور فكرته حول أنَّ الأمراء يجب ن يحتفظوا بالسلطة المطلقة على مقاطعاتهم مستخدمين كل وسيلة تحقق لهم ذلك . انظر مقدمة كتابه الأمير ، ص:٥ .

أ – الإنسان شرير بطبعه ، ورغبة الخير عنده مصطنعة لتحقيق غرض نفعي بحت .

ب – الفصل التام بين الدين والسياسة ، وبين الدين والأخلاق .

ج – إقرار مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" ، وهو لب هذه النظرية .[1]

وقد تمكنت هذه النظرية من زحزحة الدين كلية عن المجال السياسي من جهتين :

الأولى : أنَّ السياسة لا علاقة لها بالدين أصلاً . والثانية : أنَّ للسياسي أن يسلك في سبيل الوصول إلى غايته – غايته هو وليست مصلحة الشعب أو حتى الدولة – كل وسيلة تؤدي إلى ذلك دون حرج . ومن هنا لم يعد في استخدام الغش ، والخداع ، والكــذب ، وغيرها من الأمور المحرمة أدنى حرج ما دام أنَّها تحقق للسياسي غايته ، التي هي في الحقيقــة إلى مصلحته الشخصية لا غير .

وبتلك النظرية وصلت السياسة إلى الفصل الكامل للدين عــن مجالهــا ، وتحققــت العلمانية السياسية بصورتها الكاملة .

نتائج العلمانية السياسية على أوربا :

لم تقتصر آثار العلمانية السياسية على أوربا فحسب ، بل كان أثرها على العالم كلــه فقد تم بسببها ارتكاب أبشع الجرائم التي عرفها التاريخ بحق البشرية ، ومــن أشــهرالأمثلة التاريخية على ذلك ما يلي :

١– من أشهر القادة السياسيِّين الذين عرفهم التاريخ المعاصر قائدان :

الأول : بنيتوموسوليني [2] الذي أسس النظام الفاشي في إيطاليا عام ١٩٢٠م ، الذي تقوم نظريته على تفوق الدولة ، وضرورة إجبار الفرد على الخضوع لمشيئتها طوعاً أو كرها ، وأما وسائله ؛ فهي قمع الحريَّات ، وحق الدولة في التدخل في الحياة الأسرية والفكريــة والدينية [3] .

---

[1] الأمير ، نيقولا مكيافيلي ، هذه الأسس منقولة من مواضع متفرقة.انظر:ص٦١، ٦٢ ،٨١ ،٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ .

[2] ولد في ٢٩يوليو عام ١٨٨٣م ، في بلدة دوفيا ، تولى قيادة الحزب الفاشي في إيطاليا ، وقاد بلاده في حربها علــى ليبيا عام ١٩١١م ، والحرب العالمية الثانية ، وأعدم رمياً بالرصاص مع عشيقته كلارا في ٢٨ ابريــل عــام ١٩٤٥م . انظر : موسوليني أسطورة لا تريد أن تموت ، احمد ناصيف ، ص: ٥ ، ١٩–٢١ .

[3] انظر : موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين ، موسى مخوِّل ، ص: ٩٤–٩٥ .

والثاني : أدولف هتلر [1] الذي أسس الحزب الوطني الاشتراكي ، ورفع شعار "ألمانيا فوق الجميع" . والغاية التي كان يسعى القائدان لتحقيقها هي التجمع القومي والــوطني ، وقد استباحا باسم حركة التطهير ، ووحدة الصف ، والقضاء على الثورة قتل الآلاف ، بل مئات الألوف من البشر لتحقيق تلك الغاية "المزعومة !" .

٢- الحرب العالمية الأولى والثانية :

وقد شهدت تلك الحربين أفضع أنواع الظلم والعدوان من استخدام الغازات السامة ، والقنابل المحرقة ، والتدمير الجماعي ، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء دون تفريق ، وتُــوج ذلك العدوان بقنبلتي هيروشيما ونجازاكي ، التي لا تزال آثارهما باقية إلى اليوم .

وكان من نتائج الحرب العالمية الأولى قتل حوالي عشرة ملايين نسمة ، وموت خمسة ملايين نسمة بسبب سوء التغذية والمجاعة والأوبئة التي واكبت الحرب ، وخلفت الحــرب عشرين مليون نسمة من المصابين ، والمعاقين ، والمفقودين ، والأرامل ، واليتامى [2] .

وما يفعله كبار الساسة اليوم من العدوان الظالم على أغلب البلاد الإسلامية ؛ كما في حرب العراق ، ومساندة إسرائيل ضد الشعب المسلم في فلسطين ، والتــدخل في شــؤون الدول ، وفي سياستها الداخلية هو من هذا الباب ، وأمَّا نتائجه فمما لا يخفى على عاقل .

وخلاصة ذلك : أنَّ هذه الجرائم والعدوان الآثم لم يعد في حس هؤلاء الساسة إثماً أو عدواناً ، بل هو أمر مشروع ما دام أنَّه يحقق الغاية ، بل هو نوع من السياسة أو هــو السياســة نفسها . وكان ذلك تطبيقاً للمكيافللية ، التي أُبعد معها الدين عن المسرح السياسي .

العلمانية في الاقتصاد :

كان النظام الاقتصادي السائد في أوربا في القرون الوسطى الإقطاع ، القــائم علــى الظلم المطلق ، والمنظم بكل صوره ، حيث ينقسم المجتمع إلى فئتين : الأولى : هــي فئــة

---

[1] ولد عام ١٨٨٩م بقرية "برونو" النمساوية ، وقاد انقلابا عسكرياً فاشلاً للإطاحة بالجمهورية الألمانية عام ١٩٢٣م ، وحكم عليه بالسجن لمة خمس سنوات ، وفي سجنه ألف كتابه المشهور "كفاحي" الذي يعد دستور النازية ، مــات منتحراً بمسدس أطلقه على نفسه ، وانتحرت معه عشيقته "إيفا براون"بتناول السم ، وكان ذلك عــام ١٩٤٥م بعــد محاصرته من الجيش الروسي . انظر : كتاب كفاحي (قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته) ، فريد الفالوجي .

[2] انظر للمزيد من نتائج هذه الحرب : الحرب العالمية الأولى (قصة الأطماع ومأساة الصراع) ، محمد بركات ، ص:٢٤٧ .

السادة الإقطاعيين الذين يملكون الأرض والأموال الوفيرة ، ولهم الحكم المطلق ، إذ يشرعون ما يشاءون من الأحكام ، ويبتدعون ما يرون من القوانين ، مما يوافق أهوائهم ويحقق مصالحهم الخاصة ، ويملأ خزائن أموالهم ، ولذلك فإنَّ لهم كافة الحقوق وليس عليهم شيء من الواجبات . والفئة الثانية : هم العبيد ، عبيد السيد ، وعبيد الأرض ، وهذه الفئة تخضع للأولى ، وتلتزم بقوانينها ، دون أن يكون لهم شيء من الحقوق إلا أجراً لا يبلغ حد الفتات ، ولا يكفي لإقامة أدنى مستوى من الحياة الكريمة .

وفي هذه الحالة التي تعيشها الطبقة الكادحة ، جاءت الكنيسة ، ولكنَّها ارتكبت في حق تلك الطبقة المظلومة خطأين كبيرين :

الأول : من الناحية النظرية ، وقفت الكنيسة لا لتنكر الظلم والطغيان ، ولكن لتجعله القدر "الإلهي" الذي لا يجوز الاعتراض عليه ، بل يجب الرضا به ، واعتباره السبيل الوحيد إلى الخلاص ، ونيل رضوان الله وجنته .

والثاني: من الناحية العملية ، فقد انحازت الكنيسة إلى جانب رجال الإقطاع وساندهم في ظلمهم ، بل سعت لتكون أحد الإقطاعيين ، وبالفعل أصبحت من كبار الإقطاعيين .

وكان هذا الموقف المخزي من الكنيسة مما زاد مشاعر الحقد و أجج موجات الغضب ضد الإقطاعيين الذين أصبحت الكنيسة في طليعتهم ، ولم يكن لها في موقفها ضد الفلاحين أي عذر ، وكانت النتيجة أن تحولت مشاعر الغضب والكراهية إلى الدين نفسه –الذي هو براء من كل مظالم الكنيسة ، ومن هنا أصبح الجو مناسباً لظهور العلمانية الاقتصادية ، حيث كان لابد إزاء ذلك الوضع من البحث عن بديل ، وقد كان البديل أشد سوءاً ، وهو ما يتمثل في ظهور الرأسمالية ، ثم الشيوعية .

وكان من أهم المباديء التي أخذ بهما كلا الاتجاهين ، ودفعت بهما – على السواء – نحو اللادينية مبدأ ميكيافللي ، الذي لم يعد محصوراً في نطاقه السياسي الذي ظهر فيه ، بل أصبح عاماً في كل وسيلة وفي كل غاية .

يقول دوبرت داونز في كتاب " كتب غيرت وجه العالم : « النظريـــة الأساســـية في كتاب " ثروة الأمم " [1] نظرية ذات نزعة ميكيافللية ، وهي أنَّ العامـــل الأول في نشـــاط الإنسان هو المصلحة الشخصية ، وإن العمل على جمع الثروة ما هو إلا مظهر من مظاهرها . وبذلك قرر أنَّ الأنانية والمصلحة الشخصية تكمن وراء كل نشاط للجنس البشـــري . وصارح الناس باعتقاده أنَّها ليست صفات ممقوتة يجب الابتعاد عنها ، وإنَّما هي على العكس عوامل تحمل الخير إلى المجتمع برمته .. وإذا أريد توفير الرفاهية للأمَّة ، فلابد من ترك كل فرد يستغل أقصى إمكانياته لتحسين مركزه بشكل ثابت منظم دون تقيد بأي قيود [2] .

وبهذه النظرية ذات النزعة المكيافللية استطاع فيلسوف الرأسمالية أن يحـــرر المـــذهب الاقتصادي من كل قيد ، بمافيه القيد الديني ،الذي قامت النظرية في الأصل لإبعاده .

وكانت المحصلة النهائية لتلك النظرية ، الإبعاد الكامل للقيم ، والأخلاق التي تضـــبط سلوك الفرد والمجتمع ، وهو ما يعني بعبارة أدق إبعاد الدين - منبع القيم والأخلاق — عن المجال الاقتصادي ، وهذه هي العلمانية الاقتصادية في صورتها الكاملة .

وأما الآثار الواقعية لتلك النظرية فهي — على سبيل الإجمال — تندرج تحت إباحة كل الوسائل — بما فيها الوسائل المحرمة — من أجل تحقيق الحصول على المال . وعلى التفصـــيل كانت أهم تلك الآثار ما يلي :

١- إباحة الربا المحرم في التوراة بكل صوره ، وهو الأمر الذي طالمـــا تصـــدت لـــه الكنيسة في قرونها السابقة .

٢- أكل أموال العمَّال ، وعدم إيفائهم حقوقهم .

٣- دفع الناس باتجاه شراء ما يدر على التجار الأموال الكثيرة ، لا شراء ما يحتاجون إليه ، وتقوم به حياتهم ، مثل شراء الخمور والمخدرات ، ونحوها ، وهو ما كان يعبر عنه في ذلك الوقت بـــ "بحرية التجارة" .

٤- إباحة الاحتكار بجميع صوره .

---

[1] الكتاب من تأليف : آدم سمث ، الذي يعد ابو الرأسمالية وإمامها الفكري ، عاش بين عامي (١٧٢٣-١٧٩٠) وقد أحدث كتابه ضجة كبيرة في أوربا .

[2] نقلاً عن : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص:٤٧٣- ٤٧٤ .

٥- وكانت المحصلة لذلك هي الفوارق في الدخل بين أصحاب رؤوس الأموال وبين العمال إلى درجة التضخم ، مما يعني بالتأكيد إعادة الطبقية بصورة مختلفة عنها في عهد الإقطاع ، وبشكل أكثر حدة .

وأمَّا الفساد الخلقي الذي ينتج غالباً من الثراء الفاحش كما هو الحال في طبقة الرأسمالية الجديدة ، أو يكون بسبب الفقر والحاجة ، كما هو الحال لدى الطبقة الكادحة فأمر معلوم في كل مجتمع . ناهيك عمَّا يصاحب مثل هذه الأوضاع النابذة للدين ، والمفرطة في الاتجاه المادي من أمراض العصر المعروفة من القلق ، والاضطراب الذي يؤدي - عندهم - إلى الانتحار أو الجنون أو على الأقل الإغراق في شرب الخمور والمخدرات ، وكذلك حدوث الجريمة ، والتفكك ، والانحلال الكامل .

كل هذا حدث في ظل المكيافيللية الرأسمالية ، أمَّا صورة الأمر في ظل الشيوعية ، فإنَّه - عند التحقيق - كان أشد سوءاً مما في الرأسمالية . فإنَّ الشيوعية وإن قامت بترع الملكية الفردية للقضاء على الطبقة المستثمرة ذات رؤوس الأموال الكبيرة - كما تزعم ذلك - ولكنَّها أحلت محلها طبقة جديدة لا تختلف عن الأولى إلا في كونها على شكل "حزب" بدلاً من الصورة السابقة ، صورة " الأفراد " ، ولكنَّ الإضافة الخطيرة هي أنَّ تلك الطبقة مع كونها المالكة التي تملك كل أموال الشعب ومقدراته كانت هي الطبقة الحاكمة والمتسلطة على الشعب بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل . وقد أُبيح لها لتحقيق ذلك التسلط أن تحكم بالحديد والنار ، وأصبحت الطبقة "البيروقراطية" الشيوعية تستخدم جهاز الدولة ستاراً لتحقيق أهدافها الخاصة وبأعتى أساليب الظلم والقهر ، حتى أصبح الطغيان والإرهاب الشيوعي هو الضمان لامتيازات الطبقة الحاكمة الجديدة .

لقد عاش الإنسان في ظل تلك الحكومة المستبدة متروع الكرامة ، وقد نزع منه حقه في التملك قبل ذلك ، وأصبحت حياته مرهونة بلقمة العيش أو قطعة الخبز التي تذيقه إياها الحكومة بعد أن تذيقه قبلها الذل وتسقيه الهوان .

العلمانية في العلم :

اتخذت الكنيسة من العلم موقفاً معادياً مشهوراً من أول لحظة ، وقد اتخذ هذا العداء صورة الصراع الدائم ، الذي بدأ و لم ينته بعد إلى اليوم ، وقد فصلت الحديث عن ذلك .

ولكن لتسلسل الموضوع أقول : إنَّ الكنيسة قد حصرت العلم كله في دائرة ضيقة جداً ، بحيث لا يخرج عن أمرين :

الأول : ما صدر عن الكنيسة ابتداءاً . والثاني : ما وافق آراء الكنيسة ، و لم يخالفها – ولو أدنى مخالفة – ، فآل العلم الصحيح والمقبول إلى الكنيسة ابتداءاً وانتهاءاً ، وما عدا ذلك فهو الهرطقة والكفر التي يستحق صاحبها – إذا لم يتب – أشد أنواع العذاب .

وبموجب هذه " النظرية الكنسية " بدأ صراع الكنيسة مع العلماء ، ذلك الصراع المرير الذي لا يزال وصمة عار وخزي في جبينها إلى اليوم ، وكان هذا الصراع هو البذرة الأساسية لظهور الفكر اللاديني . ولئن كان خطأ الكنيسة فادحاً في ابتداء ذلك الصراع ، فإنَّ خطأ العلماء كان – باعتبار نتائجه – أشد فداحة من خطأ الكنيسة نفسها ؛ فقد انتهى ذلك الفكر – فيما يخص العلم – إلى إبعاد الدين من الحسابات العلمية تماماً ، بل قاد ذلك إلى الإلحاد الصريح ، وقد رأى العلماء أن دين الكنيسة هو العقبة الوحيدة أمام مشروع النهضة الذي ترنوا إليها ، وكان الخيار الوحيد – من وجهة نظرهم –إبعاد الدين نهائياً عن المجال العلمي ، وكانت تلك اللحظة بداية الاتجاه نحو العلمانية في مجال العلم .

وقدكثرت أصوات العلماء والمنتقدين للكنيسة ، وكثرت إزاء ذلك اكتشافاتهم ، وإنجازاتهم العلمية التي تكشف زيف الكنيسة ، وخطأ تعاليمها يوماً بعد يوم .

وكانت تلك الاكتشافات والمنجزات التي أحرزها العلماء تدفع بالنصر تجاههم ، فقد أثبت العلماء للناس كافة بطلان تعاليم الكنيسة في كثير من الأمور وكان من أهمها :

١– القول بأنَّ الأرض مسطحة ، وأنَّها مركز الكون .

٢– القول بأنَّ "الكتاب المقدس" موحى به من الله .

٣– عقيدة التثليث .

٤– عقيدة استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح – عليه السلام – ودمه .

وكان إعلان تلك النتائج مذهلاً للشعب وللكنيسة على السواء ، ولكنَّه كان يرفع أسهم العلماء ، ويدفع بالنصر المجلل نحوهم ، وقد ساهمت موجة الغضب العارمة في أوربا من جراء طغيان الكنيسة في جميع المجالات في إحراز هذا النصر .

وهنا أصبح الجو مهيئاً للعلماء ، فأعلنوا نظريتهم " اللادينية " ، وقالوا :

العلم وحده هو الحق ، وهو مصدر النور ، ومنبع الرفاهية ، أمَّا الدين فجمود ورجعية ، بل خرافات وأساطير .

وقالوا : إذا عُرضت مسألة ، فليخرس الدين وينطق العلم .

وقالوا : الدين شيء والعلم شيء ، ولا علاقة بينهما إلا التضاد ، وإذا كان لابد أن يخضع أحدهما للآخر فليخضع الدين ، ولتنطق كل حقائقه داخل المعامل والمختبرات ، وإلا فلتسقط إلى الأبد .

وقالوا : إذا جاز لرجل أن يعتقد شيئاً من الدين – لدافع شخصي – فإنَّ عليه حين يدخل المعمل أن يترك بالباب معتقداته الدينية ، ويستعيدها عند خروجه [1] .

وبهذا تحقق لهؤلاء العلماء فصل الدين عن الدولة ، وقامت العلمانية في العلم .

أسباب علمانية العلم :

كانت هناك أسباب ساهمت في ظهور العلمانية في العلم ، ومن أهمها ثلاثة أسباب :

١- موقف الكنيسة من العلم ، وهو أهمها ، وقد سبق تفصيله .

٢- موقف ما يسمى بالكتاب المقدس من العلم .

وقد كان هذا الموقف قائماً على افتراض وجود صراع بين الخالق والمخلوق على أساس العلم ، فالإله يسعى إلى تجهيل المخلوق إلى الأبد ، حتى لا ينافس الرب على مقام الألوهية ، والإنسان – في المقابل – يحاول أن "يستغفل" الإله – تعالى الله عن ذلك – ويتحين الفرص ليحصل على المعرفة التي تمكنه من التحرر والانعتاق من سلطة الرب .

وخير ما يؤكد ذلك "الصراع المزعوم" ما نسب إلى آدم كما ورد في التوراة ، ونص ماورد في التوراة : « وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ، ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأمَّا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنَّك يوم تأكل منها موتاً تموت .. وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ . فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأمَّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا . فقالت الحية للمرأة : لن تموتا ،

---

[1] انظر : العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة المعاصرة ، د . سفر الحوالي

بل الله عالم أنَّه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان عارفان الخير والشر . فرأت المرأة أنَّ الشجرة جيدة للأكل ، وأنَّها بهجة للعيون ، وأنَّ الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل . فانفتحت أعينها وعلما أنَّهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسها مآزر .. وقال الرب الإله : هوذا آدم قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها » [1] .

وهذه القصة – بحسب رواية التوراة – تبين نوعاً من الصراع بين الله – تعالى عن ذلك – وبين آدم من أجل المعرفة ، ففي حين أنَّ الرب يحاول حجب آدم من الوصول إلى المعرفة من خلال نهيه لآدم وحواء عن الأكل من الشجرة ، نجد أنَّ حواء استطاعت بمساعدة الحية أن تصل إلى هذه المعرفة ، ولسنا هنا بصدد مناقشة تلك القصة ، وبيان ما فيها من التناقضات الظاهرة ، وإنَّما الغرض إثبات الصراع "المفتعل" بين الخالق والمخلوق من أجل الحصول على المعرفة كما يصور ذلك كتاب النصارى " المقدس عندهم " .

٣- التراث الإغريقي :

تقوم صورة العلاقة بين الإله والإنسان في التراث الإغريقي القديم - الذي أعادت الكنيسة بعثه من جديد في عصر النهضة – على أساس الصراع بين الإله والإنسان بسبب المعرفة ، ويمثل هذا الصراع أسطورة برومثيوس الإغريقية المشهورة ، حيث تزعم تلك الأسطورة أنَّ : « زيوس إله الآلهة خلق الإنسان من قبضة من طين الأرض ثمَّ سواه على النار المقدسة (التي ترمز إلى المعرفة) ، ثمَّ وضعه في الأرض محاطاً بالظلام (الذي يرمز إلى الجهل) فأشفق عليه كائن أسطوري يسمى برومثيوس ، فسرق له النار المقدسة لكي ينير له ما حوله ، فغضب زيوس على الإنسان ، وعلى برومثيوس كليهما . فأمَّا برومثيوس فقد وكل به نسراً يأكل كبده بالنهار ، ثمَّ تنبت له كبد جديدة بالليل يأكلها النسر بالنهار في عذاب أبدي . وأمَّا الإنسان فقد أرسل له زيوس " باندورا " (التي ترمز إلى حواء) ، لكي تؤنس وحشته (في ظاهر الأمر) وأرسل معها هدية عبارة عن علبة مقفلة ، فلمَّا فتحها إذا هي

[1] التكوين : (٢/١٥-١٧ ، ٣/١-٧ ، ٢٢-٢٣) .

مملوءة بالشرور التي قفزت من العلبة وتناثرت على الأرض لتكون عـــدواً دائمـــاً وحزنـــاً للإنسان ! » [(١)] .

مظاهر العلمانية في العلم :

وبعد أنَّ بينت الأسس التي قام عليها الفكر اللاديني في مجال العلم ، انتقل إلى بيان أهم مظاهر تلك العلمانية ، وألخصها في النقاط التالية :

١- مجرد ذكر اسم الله في البحث العلمي يعتبر كافياً ، لإفساد الروح العلمية لـــه ، وإسقاط قيمته ، وطرح كل النتائج التي توصل إليها البحث مهما كانت صحيحةً ، وهـــذا هو غاية التعصب ، وصدق الله القائـــل : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼالزمر: ٤٥

٢- الاعتقاد بوجود الله – تعالى – وأنَّه الخالق ، يخرج صاحبه من دائرة العلماء الذين يعتد بهم ، ولو كانت آراء ذلك العالم صحيحة بمقياس العلم .

٣- إنكار "الغائية" – أي إثبات غايات للأشياء – في البحوث العلميـــة ، واعتبـــار القول بها منافٍ للروح العلمية . والغرض من هذا المبدأ الرد على الذين يثبتون أنَّ مـــا في الكون من دقة وحكمة وإتقان لابد وأن يدل على أنَّ له غاية ، وينتهون في ذلك إلى إثبات وجود الله – تعالى – . فهذا المبدأ يفضي إلى إنكار وجود الله – تعالى – .

٤- الاعتقاد بالثنائية الحتمية بين "الدين والعلم" ، وأنَّ من أراد العلم فلابد أن يتـــرك الدين ، والعكس صحيح ، وهذه الثنائية الغرض منها الإبعاد الكامل للدين عن مجالات العلم . وهذه الثنائية باطلة من أصلها ؛ لأنَّه لا تعارض بين العلم والدين بل كليهما – في الدين الصحيح – يحققان هدفاً واحداً للإنسان هو كمال العبودية لله تعالى ، والعلم أعظم الطرق إلى الإيمان ، وأكثرها تحقيقاً لخشية الله تعالى ، ولذلك فالعلم في ميزان الإسلام عبادة ، بل إنَّه من أعظم العبادات التي يحث عليها الدين ، وقد يهون الأمر إذا علمنا أنَّ ســـبب هـــذا الانفصام " المفتعل " هو رد الفعل تجاه طغيان الكنيسة ليس إلا .

---

(١) نقلاً عن : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص: ٤٥٩-٤٦٠ .

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . أحمده وأشكره على توفيقه لي على إتمام هذا البحث ، وقد توصلت من خلاله إلى نتائج عده ، منها :

١- أنَّ الديانة النصرانية التي عليها الناس إلى اليوم ، هي من وضـــع رجـــال الـــدين النصارى ، وليست دين الله تعالى المترل على عيسى عليه السلام .

٢- أنَّ من أكبر أسباب انتشار النصرانية في قرونها الأولى حماية الدولة الرومانية لها بعد أن أعلنت اعتناقها لها .

٣- أنَّ هذه الديانة لا تزال في تطور إلى اليوم ، على أيدي الباباوات ورجال الدين .

٤- أنَّ المجامع النصرانية التي أُقرت فيها أهم العقائد النصرانية لم تكن في الحقيقة إلا ألعوبة من ألاعيب من يسمى برجال الدين لإضفاء الشرعية على تلك العقائد .

٥- الأصل الذي قام عليه سوق التقديس عند النصارى هو اعتقادهم بأنَّ "الرب أعطى سلطانه لبطرس" ، وأنَّ رجالهم قد ورثوا هذا الحق .

٦- من أعظم جنايات الكنيسة قبولها بالدخول تحت سلطة الدولة الرومانية ، وأنَّ ذلك - وإن حقق لهم في الظاهر بعض المكاسب — لم يكن سوى اقراراً بالوثنية .

٧- من أعظم ما تميز به النصارى هو تعصبهم ضد مخالفيهم من الطوائف الأخرى التي تشترك معهم في أصل دينهم ، وقد أدى ذلك إلى حروب طاحنة استمرت قرون من الزمان . وهذا الحكم يشمل جميع الطوائف الكبرى المعاصرة.

٨- من وسائل النصارى في تضليل أتباعهم تأويل النصوص على ما يوافق أهوائهم .

٩- ومن وسائلهم في التغطية على باطلهم فرض مبدأ التسليم بالعقيدة دون نقاش .

١٠- ومن وسائلهم ما يسمى بـــ "الأسرار المقدسة" التي لا يعلمها إلا رجال دينهم .

١١- من أعظم أسباب قيام الحركات المناهضـــة للكنيســـة الكاثوليكيـــة الداخليـــة والخارجية الاحتكاك بالإسلام سلمياً وحربياً ، وذلك مما لا يحرص النصارى على إظهاره إلا القلة من المنصفين منهم .

١٢- كان لتقديس الأشخاص عند النصارى آثار هامة داخل الكنيسة وخارجها ، ومن أهمها : طغيان الكنيسة ، وفساد رجالها ، وظهور الثورة الفرنسية ، وظهور حركة الإصلاح الديني ، وظهور الفكر المعادي للدين .

١٣- البروتستانت وإن خرجت في الأصل على الكاثوليك إلا أنّها لم تختلف عنها في العقائد الأساسية التي اشتمل عليها ما يسمى بقانون الإيمان ، وهي في الجملة أحسن حالاً من الكاثوليك ، وأكثر الطوائف تأثراً بدين الإسلام .

١٤- كان من بين الحركات الإصلاحية حركات ذات اتجاه توحيدي ، يتمثل في إنكار التثليث ، ولكنّه هذا قوبل بحرب شديدة حتى من البروتستانت ذات الاتجاه الإصلاحي ، كما أنّ هناك حرص شديد على إخفاء أي رمز أو أثر لذلك التوجه .

١٥- من أعظم من وقفت عليه ممن يمثل هذا الاتجاه التوحيدي رجل ظهر في القرن السادس عشر يسمى "سيرفيتوس" ، كانت نهايته الإحراق بالنار حياً .

١٦- ظهر لي من خلال البحث والسؤال في الوقت الحاضر وجود نصارى أسلموا في الماضي والحاضر ، ولكنّهم يخفون ذلك بسبب اضطهاد الكنيسة .

١٧- ظهر لي أنّ في بعض الدراسات المعاصرة في النصرانية قصور منهجي يتمثل في عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية للنصارى المتوفرة .

أهم التوصيات :

١- توفير المصادر الأصلية والمراجع المهمة للمواضيع التي تتعلق بالأديان عموماً على مستوى مكتبات الجامعات السعودية ، تسهيلاً للباحثين على أداء رسالتهم العلمية ، وإعانة لهم على اختيار المواضيع ذات الأهمية ، وقد تبين لي أن أغلب المصادر التي تتعلق بالبحث من الكتب فضلاً عن المجلات والدوريات لا تتوفر بهذه بمكتبات الجامعات المتخصصة فضلاً عن المكتبات التجارية .

٢- توجيه الباحثين للقيام بالدراسات المتخصصة التي تعنى بإبراز دور الإسلام في ظهور حركات الإصلاح لدى النصارى بياناً للحقائق التاريخية ، واعترافاً بفضل الإسلام على غيره من الأديان .

٣- إقامة مراكز دعوية متخصصة تعمل في اتجاهين ، كشف الباطـــل الـــذي عليـــه النصارى ، وإظهاراً للحق الذي يوجد شيء منه في كتبهم ، ويصدقه ما جاء به الإســـلام ، وفي الأمرين هداية لمن شاء الله منهم ، وقد وجدت في بعض الدول العربية مثل هذه المراكز ، ورأيت بعض نتائجها العظيمة المتمثلة في معرفة النصارى بالحق ودخولهم في دين الله تعالى .

٤- توجيه الباحثين إلى الدراسات العلمية المتخصصة لكتاب النصارى المسمى بالكتاب المقدس ، وكشف ما فيه من الاختلاف والتناقض ؛ لأنَّ الرد عليهم مـــن خلالـــه أبلـــغ في الاحتجاج عليهم .

٥- إيجاد مراكز متخصصة لترجمة الكتب التي تتعلق بالأديان تتبناها الجامعـــات ، أو تشرف عليها من الناحية العلمية ، أو تتعاون مع الجهات المختصة لأنَّ وجود الترجمة الدقيقة والأمينة تقوم مقام المتب الأصلية ، مما يمكن من الاستفادة منها بشكل مناسب .

هذه أهم التوصيات . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

فهرس المراجع

١. الآباء السواح ٠القمُّص سمعان السرياني ، ط : ٢ ،عام ١٩٩٠م ، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا ٠

٢. آباء الكنيسة ٠ أسد رستم ، ط : ٢ ، عام ١٩٩١م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٠

٣. اتبعوا القداسة ٠ جبري بريدجز ، تر : نعيم عشم ، لط:١٩٩٠ ، جنة خلاص النفوس للنشر : شبرا ٠

٤. اتبعوا القداسة ٠ مارك تابرنو ، تر : كمال تقاوي ، مكتبة الأخوة : شبرا ٠بدون

٥. الإتجاهات الفكرية المعاصرة ٠ المستشار علي جريشة ، ط:٤ ، عـــام ٢٠٠٤م ، دار الوفـــاء للطباعة والنشر والتوزيع : المنصورة ٠

٦. أثر الكنيسة على الفكر الأوربي ٠ د٠احمد عجيبة ، ط:١ ، عام ٢٠٠٤ ، دار الآفاق العربية — القاهرة ٠

٧. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة ٠ شهاب الدين أبو العباس احمد بن ادريس المشهور بالقرافي ، تحقيق : مجدي محمد الشهاوي ، ط:١ ، عـــام ٢٠٠٥ ، عـــالم الكتب : بيروت ٠

٨. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات في المسيحية ، اللواء احمد عبدالوهاب ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ ، مكتبة وهبة — القاهرة ٠

٩. الأديان السماوية ٠ ناصر حسين بانافع ، ط:١ ، عام ٢٠٠٤ ، توزيع مؤسسة الجريســـي : الرياض ٠

١٠. أديان العالم ٠ د ٠ هوستن سميث ، تر : سعد رستم ، ط: ١ ، عام ٢٠٠٤ ، دار الجسور الثقافية : حلب ٠

١١. أديان العرب قبل الإسلام وجهها الحضاري والاجتماعي ٠ الأب : جرجس داوود ، ط : ٣ ، عام ٢٠٠٥ ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت ٠

١٢. أديان الهند الكبرى ٠ احمد شلبي ، ط:٥ ، عام ١٩٩١م ، مكتبة النهضة المصرية ٠

١٣. الآراء والمعتقدات ٠ غوستاف لوبون ، تر : عادل زعيتر ، ط : ٢٠٠٨ ، دار ببليون : باريس ٠

١٤. أربي أين قال المسيح أنا هو الله فاعبدوني ٠ يوسف رياض ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٦ ، دار الأخوة للنشر : شبرا —٠

١٥. الآريوسية والرد عليها . الأنبا غريغوريوس ، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس .بدون .
١٦. الأسبوع العظيم في آلام المسيح وموته . رومانو كوارديني ، تر : الأب : جرجس المارديني : ط : ٤ ، عام ٢٠٠٧ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٧. إسبينوزا والإسبينوزية . بيار – فرنسوا مورو ، تر : جورج كتورة ، ط : ١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ٢٠٠٨ : رياض الصلح – بيروت .
١٨. الأستاذ الجليل بين مرسلي وادي النيل . تاريخ المرحوم د. القس يوحنا هوج أحد . تأليف : كريمته السيدة رينا هوج ، تر : الشيخ متري صليب الدويري ، ط : ١ ، عام ١٩١٧م ، نشر بمشاركة اتحاد مدارس الأحد مع إدارة المطبعة الإنجليزية الأمريكية .
١٩. استحالة تحريف الكتاب المقدس . القمّص مرقص عزيز خليل ، ط : ٦ ، عام ٢٠٠٣م ، الناشر : كنيسة القدّيسة مريم العذراء والشهيدة دميانة : المعلقة – مصر القديمة .
٢٠. إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية . اللواء احمد عبدالوهاب ، ط:٢ ، عام ١٩٩٧م ، مكتبة وهبة – القاهرة .
٢١. أسرار أبدية وراء القبر . القيّم أنطوني ، تر : أبيفانيوس زائد ، ط : ٢ ، عام ١٩٩٧م ، منشورات مكتبة السائح : طرابلس .
٢٢. أسرار الآلهة والديانات . أ . س ميغوليفسكي ، تر : د. حسان ميخائيل إسحاق ، ط : ٢ ، عام ٢٠٠٦م ، دار علاء الدين .
٢٣. أسرار الحرب العالمية الثانية . فريد الفالوجيي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٧ ، دار الكتاب العربي : دمشق – القاهرة .
٢٤. أسرار الفاتيكان . قضية ليدل . ليوبولد ، تر : تحسين حجازي ، ط : ١ ، عام ١٩٨٩م ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .
٢٥. أسرار الكنيسة السبعة . الأرشيدياكون حبيب جرجس ، ط : ٦ ، مكتبة المحبة .بدون
٢٦. الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام . مشير باسيل عون ، ط:٢٠٠٣ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٧. أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح . مجموعة من الأساتذة اللاهوتيين البريطانيين ، إشراف البروفسور جون هِك ، تر : نبيل صبحي ، ط : ١ ، عام ١٩٨٧م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت .

٢٨. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، د٠علي وافي ، ط:١٩٩١م ، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة ٠

٢٩. الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية ، د٠صابر طعيمة ، ط:١ ، عام ١٩٨٥م ، عالم الكتب : بيروت ٠

٣٠. أسقف روما ، ج ٠ م ٠ ر ٠ تيار ، تر : الأب جورج خوام البولسي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٣ ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٠

٣١. الإسلام كبديل ، د ٠ مراد هوفمان (مهتدي إلى الإسلام) ، ط : ٤ ، عام ٢٠٠٢ ، مكتبة العبيكان – الرياض ٠

٣٢. الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف ، اللواء المهندس احمد عبدالوهاب ، ط : ٢ ، عام ١٩٩٨م ، الناشر : مكتبة وهبة – القاهرة ٠

٣٣. الإسلام والنصرانية ، دراسة مقارنة ، د٠محمد الخولي ، ط:١ ، عام ٢٠٠٠م ، دار الفلاح للنشر والتوزيع : صويلح – الأردن ٠

٣٤. أصول النصرانية في الميزان ، د ٠ محمد المسيري ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٢ ، مكتبة الصفا ٠

٣٥. اطلالة الألف الثالث – رسالة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني إلى الأساقفة والإكليروس وسائر المؤمنين لتهيئة يوبيل السنة الألفين ، عام ٢٠٠٠م ، منشورات الأسقفية لوسائل الإعلام : جبل الديب – لبنان ٠

٣٦. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام، القرطبي ، تقديم وتحقيق وتعليق: د٠احمد حجازي السقا ، بدون ، دار التراث العربي ٠

٣٧. الأعمال والرسائل المنحولة ، تر : إسكندر شديد ، تقديم ومراجعة : أ ٠ جوزيف قزي – أ ٠ إلياس خليفة ، دير سيدة النصر ، نسبية – غوسطا ١٩٩٩ ٠

٣٨. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، ابن القيم ، تصحيح وتحقيق وتعليق : محمد عفيفي ، ط:٢ ، عام ١٩٨٩م ، المكتب الإسلامي : بيروت – لبنان ، مكتبة الخاني : الرياض ٠

٣٩. أفكار ورجال ، كرين برنتن ، تر : محمود محمود ، بدون ، مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة ٠

٤٠. الأقباط ، النشأة والصراع من القرن الأول إلى القرن العشرين ، ملاك لوقا ، ط : ٣ عام ٢٠٠١م، الناشر : مكتبة إنجليوس – شيرا ٠

٤١. الأقباط والرقم الصعب ، د٠عمرو عبدالسميع ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٤م ، الدار المصرية اللبنانية ٠

٤٢. أقدم النصوص المسيحية ، إقليمندس الروماني ، راعي هرماس ، تر : جورج نصور ، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط ، الكسليك ١٩٧٥ .
٤٣. أقدم النصوص المسيحية ، الديداكة – التقليد الرسولي – ، نافور ادي وماري خولاجي سيرابيون عهد الرب ، تر : الأب : جورج نصور ويوحنا ثابت ، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط ، الكسليك ١٩٧٥ .
٤٤. أقدم النصوص المسيحية ، القديس يوستينوس – الدفاع عن المسيحيين – الحوار مع تريفون ، تر : الأب : جورج نصور ، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط ، مركز النشر والتوزيع ٢٠٠٧ ، جامعة الروح القدس – الكسليك – جونية – لبنان .
٤٥. أقدم النصوص المسيحية ، القوانين الرسولية ، تر : جورج نصور ، مركز النشر والتوزيع ، الكسليك ٢٠٠٦ ، جونية – لبنان .
٤٦. أقدم النصوص المسيحية ، كيرلس الأورشليمي – العظات – ، تر : جورج نصور ، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط ، الكسليك ١٩٨٢ .
٤٧. أقدم النصوص المسيحية ، مار أفرام السرياني – منظومة الفردوس – ، تر : الأب : روفائيل مطر اللبناني ، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط ، الكسليك ١٩٨٠ .
٤٨. أقدم النصوص المسيحية ، ويلي دوردورن – السبت والأحد في تقليد الكنيسة – ، نصوص من القرن الأول حتى القرن السابع ، تر : مارسيل هدايا – من راهبات القلبين الأقدسين ، رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط ، الكسليك ١٩٨٢ .
٤٩. أقدم كتاب في العالم ريك فيدا ، دراسة وترجمة لحلقة السوما وتعليقات ، د . لويس صليبا ، ط : ٢ ، عام ٢٠٠٧م ، دار ومكتبة ببليون : بيروت .
٥٠. الإلحاد في الغرب ، د . رمسيس عوض ، ط : ١ ، عام ١٩٩٧م ، مينا للنشر : القاهرة ، مؤسسة الانشار العربي : بيروت .
٥١. الإلحاد وأسبابه ، الصفحة السوداء للكنيسة ، أ.د. زينب بنت عبدالعزيز ، ط:١ ، عام ٢٠٠٤م ، دار الكتاب العربي : دمشق ، القاهرة .
٥٢. إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية ، فرانتس النهاريم ، تر : إيرينا داوود ، مراجعة وتقديم : فراس السواح ، ط : ١ ، الناشر : دار المنارة : دمشق .
٥٣. إلهنا يتألم ، الأب : فرنسوا فاريون اليسوعي ، تر : الأب : كميل حشيمة اليسوعي ، ط : ٢ ، عام ٢٠٠٣م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٥٤. ألوهية السيد المسيح والرد على الآريوسية ، الشماس الإكليريكي مكرم عزيز فهمي ، تقديم نيافة الأنبا متاؤس – أسقف ورئيس دير السريان – ، ط : ١ ،عام ٢٠٠٢م .

٥٥. الإمبراطورية الرومانية ٠ باتريك لورو ، تر : د ٠ جورج كتـورة ، ط : ١ ، عـام ٢٠٠٣م ، دار الكتاب الجديد المتحدة:بيروت ،دار أويا للطباعة والنشر والتوزيـع والتنميـة الثقافية : طرابلس ٠
٥٦. الأمير ٠ نيقولا مكيافيلي ، دراسة وتعريب : كرم الدكروري ، ط:١ ، عام ٢٠٠٧م ، منشورات نون : شبرا – القاهرة ٠
٥٧. إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم ٠ د٠حسن عز الدين الجمل ، ط:١ ، عام ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي : بيروت ٠
٥٨. الأناجيل المنحولة ، تر : إسكندر شديد ، تقديم ومراجعة : أ ٠ جوزيف قزي – أ ٠ إلياس خليفة ، دير سيدة النصر ، نسبية – غوسطا ١٩٩٩ ٠
٥٩. الإنتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ٠ سليمان بن عبـدالقوي الطـوفي الصرصري الحنبلي، دراسة وتحقيق: د٠سالم محمد القرني ، ط:١ ، مكتبة العبيكان : الرياض ٠
٦٠. الإنجيل ٠ للقديس يوحنا مع تفسيره ، ترجمة لجنة برئاسة نيافة الأنبا غريغوريـوس ، الناشر : دار المعارف – القاهرة ٠
٦١. إنجيل برنابا ٠ تر : د ٠ خليل سعادة ، عرَّف به احمد حجازي السقا ، تقديم : محمد رشيد رضا ، بدون تاريخ ، بدون ، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع : القاهرة ٠
٦٢. إنجيل برنابا بين المؤيدين والمعارضين د٠ فريز صموئيل ، ط:٢، عام ٢٠٠٤ ، مطبعة أوتو برنت ٠
٦٣. إنجيل برنابا مزيف ٠ عوض سمعان ، مراجعة : د ٠ القس منيس عبدا النور ، ط : ١ عام ٢٠٠١م ، دار النشر الأسقفية ٠
٦٤. الإنجيل للقديس لوقا ٠ تر : لجنة اعتمدها البابا كيرلس السادس وترأسها نيافة الأنبا غريغوري ، بدون ٠
٦٥. إنجيل يهوذا الإسخريوطي والبحث عن خائن المسيح ٠ حسن حمدي ، ط:١ ، عـام ٢٠٠٧م ، دار الكتاب العربي : دمشق ، القاهرة ٠
٦٦. انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ٠ احمد زكي ، ط:١ ، ١٩٩٥م ، توزيـع : دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، مكتبة الشقيري : الرياض ٠
٦٧. أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك ٠ د٠قاسم عبده قاسم ، ط : ٢٠٠٣ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ٠
٦٨. أوربا التنوير ٠ بيار – إيف بوروبير ، تر : د ٠ محمد علي مقلد ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٨م ، دار الكتاب الجديد – المتحدة ٠

٦٩. أوربا المسيحية (المرحلة الصليبية) ، يان دوبراتشينسكي ، تر : د ، كبرولحدو ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥م ، دار الحصاد للطباعة والنشر : دمشق .
٧٠. أوربا المسيحية (تمزق الكنيسة) ، يان دوبراتشينسكي ، تر : د ، كبرولحدو ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥م ، دار الحصاد : دمشق .
٧١. أوربا المسيحية (زمن المسيحيين الفاترين) ، يان دوبراتشينسكي ، تر : د ، كبرولحدو ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ ، دار الحصاد للطباعة والنشر : دمشق .
٧٢. الإيمان الكاثوليكي ، نصوص صادرة عن السلطة الكنسية ، تقديم : جرفييه دوميج اليسوعي ، تر : الأب : صبحي حموي اليسوعي ، ط : ١ ، عام ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٧٣. إيمان الكنيسة الأولى ، صادرة عن إرسالية كنيسة الله بمصر ، مطبعة رعمسيس بالفجالة بمصر ، بدون .
٧٤. البابا يوحنا بولس الثاني في لبنان ، مقتطفات إعلامية جمعها ونسقها الأب يوحنا العنداري م ، ل ، جونية ١٩٩٧ .
٧٥. باباوات يهود من غيتو روما ، واكيم برنز ، تر : أ ، د ، سهيل زكار ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥م ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق .
٧٦. بالسيف والصليب ، ميخائيل زابوروف ، تر : د،هاشم حمادي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٦م ، الناشر : دار الرأي ، توزيع : دار الحصاد – دمشق ، دار السوسن – دمشق .
٧٧. بالماء والروح ، دراسة لتروجية عن المعمودية ، الأب : الكسندر شيميمن ، تر : أسكندر أبو شعر ، ط : ١ ، عام ١٩٨٨م ، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت.
٧٨. البحث الصريح في أيمَّا هو الدين الصحيح ، زيادة بن يحي الراسي ، دراسة وتحقيق : د،سعود بن عبدالعزيز الخلف ، ط:١ ، ٢٠٠٣م ، الجامعة الإسلامية – عمادة البحث العلمي
٧٩. البحث عن يسوع ، قراءة جديدة في الأناجيل ، كمال الصليبي ، ط : ١ ، عام ١٩٩٩م ، دار الشروق للنشر والتوزيع : عمان .
٨٠. برهان جديد يتطلب قراراً ، إجابات لأسئلة تتحدى المسيحيين في القرن الحادي والعشرين ، جوش ماكدويل ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥ ، دار الثقافة – القاهرة .
٨١. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، أبو الفضل السكسكي ، تحقيق وتعليق : احمد فريد ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٤م ، منشورات محمد علي بيضون .
٨٢. بستان القديسين ، القديسان بلاديوس وجيروم ، ترجمة وتعليق : دياكون د ، ميخائيل مكسي إسكندر ، طبع بشركة هارموني للطباعة ، بدون .

٨٣. بولس الرسول . جوزيف هولزنز ، تر : البطريرك إلياس الرابع ، ط : ٢ ، عام ١٩٨٦م ، منشورات : معهد القدّيس يوحنا الدمشقي اللاهوتي : البلمند – لبنان .

٨٤. بولس رسول يسوع وقلبه ولسانه . أديب مصلح ، منشورات اليوبيل المئوي الأول لتأسيس الجمعية البولسية ، عم ٢٠٠٠م ، منشورات المكتبة البولسية .

٨٥. البيان في مقارنة الأديان . د . اسعد السحمراني ، ط : ١ ، عام ٢٠٠١م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .

٨٦. بين الإسلام والمسيحية . أبو عبيدة الخزرجي ، حققه وقدم له : د.محمد شامة ، ط:٤ ، عام ٢٠٠٧ ، مكتبة وهبة .

٨٧. بين الدين والعلم . أندروكسون وايت ، تر : إسماعيل مظهر ، طبعة عام ١٩٣٠ ، دار العصور للطبع ولنشر : شارع الخليج المصري بالظاهر بمصر .

٨٨. تأثر المسيحية بالأديان الوضعية . د.احمد عجيبة،ط:١، عام ٢٠٠٦م ، دار الآفاق العربية – القاهرة.

٨٩. تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر . العلامة ميرل دوبينياه ، ط : ٣ ، عام ٢٠٠١م ، ترجم عن الإنجليزية ، ملخص بقلم الشيخ ابراهيم الحوراني ، منشورات مكتبة المشعل في بيروت ، إشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط .

٩٠. تاريخ الأمة القبطية . لجنة التاريخ القبطي ، وزارة المعارف العمومية ط : ١٩٣٢م .

٩١. تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر . الأرشمندريتي جراسيموس مسرة اللاذقي ، بدون .

٩٢. التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا . أ . د . عبدالحميد البطريق – د . عبدالعزيز نوار ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت ، ط:٢٠٠٦ .

٩٣. تاريخ الثورة الفرنسية . ألبيرسوبول ، تر : جورج كوسي ، ط : ٤ ، منشورات بحر المتوسط : بيروت – باريس ، منشورات عويدات : بيروت – باريس ، ط:١٩٩١م .

٩٤. تاريخ الرقابة على المطبوعات . روبرت نيتز ، تر : د . فؤاد شاهين ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٨م ، دار الكتاب الجديد المتحدة : رياض الصلح – بيروت – لبنان .

٩٥. التاريخ الروماني من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطوري . د.ممدوح درويش مصطفى ، مكتبة الرشد : الرياض ، ط:٢٠٠٤م .

٩٦. تاريخ العصر الوسيط في أوربا . د . نور الدين حاطوم ، دار الفكر : دمشق ، ط:٢٠٠٤م .

٩٧. تاريخ الفكر المسيحي ٠ د ٠ القس حنا جرجس الخضري ، دار الثقافة : القاهرة ، ط:١٩٩١م ٠
٩٨. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ٠ المطران كيرلس سليم بسترس وزملائه ، ط : ١ ، عام ٢٠٠١ ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٠
٩٩. تاريخ الفلسفة العربية ٠ د ٠ جميل صليبا ، ط : ٣ ، عام ١٩٩٥م الشركة العالمية للكتاب : ش ٠ م ٠ ل ٠ : بيروت ٠
١٠٠. تاريخ القرن السابع عشر في أوربا ٠ د ٠نور الدين حاطوم،ط: ١، عام ٢٠٠٢م ، دار الفكر: دمشق٠
١٠١. تاريخ الكنيسة ٠ جون لوريمر ، ط : ١ ، عام ١٩٩٠م ، دار الثقافة : القاهرة ٠
١٠٢. تاريخ الكنيسة ٠ يوسابيوس القيصري ، تر : القمّص مرقص داوود ، ط : ٣ ، عام ١٩٩٨م ، مكتبة المحبة : القاهرة ٠
١٠٣. تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وأمريكا الجنوبية ٠ إصدار بطريركية موسكو ١٩٥٩ ، دار ومكتبة ببليون — جبيل ببلوس – لبنان ، مكتبة السائح : طرابلس — لبنان ٠
١٠٤. تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر ٠ أديب نجيب سلامة ، دار الثقافة : القاهرة ، بدون
١٠٥. تاريخ الكنيسة الشرقية ٠ المطران ميشيل يستيم — الأرشمندريت إغناطيوس ديك ، ط : ٤ ، عام ١٩٩٩م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٠
١٠٦. تاريخ الكنيسة المفصل ٠ مجموعة من المؤلفين ، ترجمه عن الفرنسية ، الأب صبحي حموي اليسوعي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٢ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت ٠
١٠٧. تاريخ المسيحية الشرقية ٠ عزيز سوريال عطية ، تر : إسحاق عبيد ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥م ، ترجمة ونشر : المجلس الأعلى للثقافة — القاهرة ٠
١٠٨. تاريخ المسيحية وآثارها في أسوان والنوبة ٠ نبيه كامل داوود — عاطف نجيب ، مراجعة : د ٠ جودت جبرة ٠ ط : ١ ، عام ٢٠٠٣ ، مؤسسة القديس مرقص لدراسات التاريخ القبطي ٠
١٠٩. تاريخ المسيحية وآثارها في الخمس مدن الغربية ٠ ارشيدياكون د ٠ ميخائيل مكسي إسكندر ، مراجعة : د ٠ جودت جبرة ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥م ، مطبعة دار العالم العربي للطباعة ، مؤسسة القديس مرقص لدراسات التاريخ القبطي ٠
١١٠. التاريخ المعاصر (أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية) ٠ د ٠ عبدالعزيز سليمان نوار — د ٠ عبدالمجيد نعنعي ، دار النهضة العربية : بيروت ٠

١١١. تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني ٠ د ٠ أسد رستم ، ط : ٢ ،١٩٩١م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٠
١١٢. تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ٠ د ٠ السيد الباز العريني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر : بيروت ، ط:٢٠٠٣م ٠
١١٣. تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ٠ هـ ٠ أ ٠ ل ٠ فشر ، تر : محمد مصطفى زيادة – السيد الباز العريني ، ط : ٣ ، دار المعارف – مصر ، بدون ٠
١١٤. تاريخ أوربا (العصر الحديث) ٠ هـ ٠ أ ٠ ل ٠ فشر ، تر : احمد نجيب هاشم – وديع الضبع ، ط : ٩ ، بدون ، دار المعارف : القاهرة ٠
١١٥. تاريخ أوربا الحديث ٠ جفري برون ، تر : علي المرزوقي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٦م ، الأهلية للنشر والتوزيع : عمان
١١٦. تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ٠ د ٠ عبدالفتاح أبو علية – د ٠ إسماعيل احمد ياغي ، ط : عام ٢٠٠٤ ، دار المريخ : الرياض ٠
١١٧. تاريخ أوربا المسيحية (الألفية الأولى) ٠ يان دوبرا تشينسكي ، تر : كبرولحدو ، ط : ٢ ، دار الحصاد للطباعة والنشر : دمشق – سوريا ٠، ٢٠٠٢ ٠
١١٨. تاريخ أوربا المعاصر ٠ د ٠ اسماعيل احمد ياغي ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٣م ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع : الرياض ٠
١١٩. تاريخ أوربا في العصور الوسطى ٠ د ٠ سعيد عاشور ، دار النهضة العربية :بيروت ، ط:٢٠٠١م ٠
١٢٠. تاريخ عصر النهضة الأوربية ٠ د ٠ نور الدين حاطوم ، دار الفكر : دمشق ، ط:١٩٩٩م ٠
١٢١. تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ٠ د ٠ نصر الله أبو طالب ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة ٠
١٢٢. تثبيت دلائل النبوة ٠ القاضي عبدالجبار الهمذاني ، حققه وقدم له : د٠عبدالكريم عثمان ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت ، بدون ٠
١٢٣. التثليث بين الوثنية والمسيحية ٠ د٠محمود علي حماية، ط:٣ ، عام ٢٠٠٥ ، مكتبة النافذة٠
١٢٤. تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه ٠ أ ٠ بسمة جستنية ، ط : ١ ٢٠٠٠م ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية – بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة ٠

١٢٥. التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة . د.سارة العبادي ، ط:١ ، عـــام ٢٠٠٤ ، دار طيبة الخضراء : مكة المكرمة .

١٢٦. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . أبو محمد عبدالله الترجمان الميورقي (مهتدي إلى الإسلام) . دراسة وتحقيق وتعليق : عمر توفيق الداعوق ، ط:١ ، عـــام ١٩٨٨م ، دار البشائر : بيروت .

١٢٧. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة . ابو الريحان محمد بـــن احمـــد البيروني ، تقديم : د . محمود علي مكي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط:٢٠٠٣م .

١٢٨. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل . تقي الدين الجعفري ، دراسة وتقديم خالد محمد عبده ، ط:١ ، عام ٢٠٠٦م ، مكتبة النافذة .

١٢٩. الترتيب الإلهي لاجتماعات المؤمنين معاً للعبادة والخدمة ، بـــروس انســـتي ، ط:١ ، الناشر : بيت عنيا – مركز المطبوعات المسيحية ، ط ١٩٩٦م .

١٣٠. ترتيب قسمة الكهنوت من الأبصالتس إلى القمص وتكريس جميـــع أواني المـــذبح . أثناسيوس ، ط ك ٢ ، عام ١٩٩٩م ، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف .

١٣١. ترجمات الكتاب المقدس في الشرق . بحوث بيبليَّة مهداة إلى لوسيان عقاد . ط : ١ ، عام ١٢٠٠٦م ، الناشر : الأب أيوب شهوان ، توزيع : المكتبة البولسية : جونية – لبنان.

١٣٢. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية . نشر النص اللاتيني : دار الفاتيكان ، تر : المتروبوليت وآخرين ، منشورات الرسل :جونية – لبنان ، توزيع : المكتبة البولسية : بيروت ، ط:١٩٩٩م .

١٣٣. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس . لجنة التحرير والنشر : د . بروس بارتون وزملاؤه ، لجنة المراجعة اللاهوتية : د . كينيت كانتزر وزملاؤه ، لجنة الترجمة والتحرير : وليم وهبة وزملاؤه ، تعريب وجمع تصويري ومونتاج وأعمال فنية : شركة ماستر ميديا : المعادي – القاهرة ، ط:١٩٩٩م .

١٣٤. تفسير العهد الجديد (متى – مرقص) . وليم باركلي ، تر : د . القس فايز فارس – د . القس فهيم عزيز ، ط : ١ ، دار الثقافة – القاهرة ، ط:٢٠٠٢م

١٣٥. تفسير القداس الإلهي . الأب المتوحد غريغوريوس ، تر : الشماس سلوان موسى ، ط : ١ ، عام ١٩٩٩م ، منشورات دير سيدة البلمند البطريركي .

١٣٦. تفسير القرآن العظيم . ابن كثير ، تحقيق : سامي محمـــد ســـلامة ، ط:١ ، عـــام ١٤٢٢هـــ ، دار طيبة للنشر والتوزيع : الرياض .

١٣٧. تفسير المنار . الإمام محمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١٩٩٠م .

١٣٨. تفسير إنجيل متَّى . متَّى هنري ، تر: القمص مرقص داوود ، مكتبة المحبة – الفجالة ، بدون.

١٣٩. تفسير رسالتي بولس الرسول الأولى والثانية إلى تيموثاوس . متَّى هنري ، تر : القس مرقس داود ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية : القاهرة ، بدون .

١٤٠. تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . القمُّص مرقص داوود ، ط:٥ ، مكتبة المحبة ، بدون .

١٤١. تفسير كلمات الكتاب المقدس – معجم الألفاظ العسرة – . سعيد مرقص ابراهيم ، مراجعة : القس منيس عبدالنور ، ط : ٧ ، عام ٢٠٥م ، مطبعة مكتب النصر للطباعة .

١٤٢. التقديس وما هو ؟ . تشارلس ما كنتوش ، تر : ناشد ساويرس ، ط : ٢ ، عام ١٩٩٢م ، الناشر : بيت عينيا : مركز المطبوعات المسيحية – القاهرة .

١٤٣. التكريس . د . زكريا إستاورو ، ط : ٣ ، عام ٢٠٠٥م ، مكتبة الأخوة : شبرا .

١٤٤. تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان . علي بن محمد بن عبدالله الفخري ، تحقيق وتقديم : د.رشيد البندر ، ط:١ ، عام ١٩٩٤م ، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع : لندن

١٤٥. تمهيد لدراسة الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا . د.السيد محمد عقيل المهدلي ،ط:١ ، عام ١٤١٤ هـ ، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع : القاهرة .

١٤٦. تنقيح الأبحاث للملل الثلاث . سعد بن منصور بن كمونة اليهودي ، الناشر : أحمد سيد احمد ، توزيع : دار الأنصار ، بدون .

١٤٧. التوبة . القديس يوحنا ذهبي الفم ، تر : نشأت مرجان ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٧م ، دار النشر الأسقفية شبرا .

١٤٨. التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدِّيسين بولس ويوحنا . سعد رستم ، ط:٢ ، عام ٢٠٠٧ ، صفحات للدراسات والنشر : دمشق .

١٤٩. التوحيد والتثليث في حوار المسيحية والإسلام . محمد الحمد ، ط:١ ، عام ٢٠٠٣ ، دار الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق .

١٥٠. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكاي (مهتدي إلى الاسلام) ، تر : حسن خالد ، ط : ٣ ، عام ١٩٩٠م ، المكتب الإسلامي : بيروت – لبنان ، دمشق .

١٥١. ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي . يوسف رياض ، ط:٢٠٠٥م .

١٥٢. الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر . وجهة نظر المؤرخ العثماني احمد جودت باشا المسمى بتاريخ جودة هل كانت حملة أم غزو ثقافي . وجدا سندسي ، تر : مدحت عايد فهمي ، ط : ١ ، مكتبة مدبولي : القاهرة ، ط:٢٠٠١م .

١٥٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، تقديم : خليل المـــيس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت ، ط:١٤١٥هـــ ،

١٥٤. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق: د،عبدالله بن عبدالمحسن التركـــي،ط:١، عام ١٤٢٧هـــ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع:بيروت ،

١٥٥. الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، هيلين إيليربي ، تر : أ ، د ، ســـهيل زكّـــار ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٥ ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع — دمشق ،

١٥٦. الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ، منشورات دار ومكتبة الحياة : بيروت ، بدون ،

١٥٧. جمان من فضة ، قاموس أعلام الكتاب المقدس ، مكرم مشرقي ، ط : ٢٠٠٣ ، مكتبة الأخوة : شبرا ،

١٥٨. جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين ، د،محمد ابراهيم ابا الخيل ، ط : ١ ، عام ٢٠٠٠م ، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع ، القصيم ،

١٥٩. جهود من أسلم من النصارى في كشف فضائح الديانة النصرانية ، مامادوكارامبيري ، رسالة دكتوراة غير مطبوعة ،

١٦٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، تحقيق وتعليق : د،علي بن حسن بن ناصر وزميليه ، ط:١ ، عام ١٤١٤هـــ ، دار العاصمة : الرياض ،

١٦١. الحرب العالمية الأولى ، عرض مصور أعده وحققه على أوثق المصادر عمر الديراوي ، ط:٢٠ ، دار العلم للملايين : بيروت — لبنان ،

١٦٢. الحرب العالمية الأولى ،محمد بركات،ط: ١ ،دار الكتاب العربي: دمشق–القاهرة ، ط:٢٠٠٦م ،

١٦٣. الحرب العالمية الثانية ، عرض مصور أعده وحققه على أوثق المصادر رمضان لاوند ، ط:٢٢ ، عام ٢٠٠٧ ، دار العلم للملايين : بيروت ،

١٦٤. الحرب المقدسة ، كارين آرمسترونق ، تر : سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي : بيروت ، بدون ،

١٦٥. حرب في الكنائس ، د ، أسد رستم ، ط: ٣ ، منشورت المكتبة البولسية: بيروت ، ١٩٩١م ،

١٦٦. حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي ، ر ، ك ، سبرول ، تر : نكلس نسيم سلامة ، حقوق النشر للنسخة العربية مكتبة المنار : سانت فاتيما : مصر الجديدة ، ط:١٩٦١م ،

١٦٧. حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت . د . روبرت كيل تسلر ، تـــر : علاء أبو بكر ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، مكتبة وهبة – القاهرة .
١٦٨. حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة . علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيـــع والتصدير – القاهرة ، بدون .
١٦٩. حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين . إسماعيل الأنصاري ، ط:١ ، ٢٠٠٤م ، مكتبة دار الأرقم .
١٧٠. حواشي ابن المحرومة على كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، لابن كمونة ، حققه وقدم له المطران حبيب باشا ، مركز التراث العربي المسيحي ، توزيع : المكتبة البولسية : جونية – لبنان ط:١٩٨٤م .
١٧١. حياة القداسة . تشارلس فني ، تر : د . نبيه فريز ، ط : ٣ ، ١٩٩٢م ، لجنة خلاص النفوس للنشر : شبرا .
١٧٢. حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من منظور إسلامي . دراسة مقارنة ، ط:١ ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ط١٤٢٥هـــ .
١٧٣. حياة بولس . د . ف . ب . ماير ، تر : القمّص مرقص داوود ، مكتبة المحبة – القاهرة ، ط:٢٠٠٥م .
١٧٤. حياة قسطنطين العظيم . يوسابيوس القيصري ، تر : مرقص داوود ، ملتزم الطبع والنشر : مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية – القاهرة ، ط:١٩٧٥م .
١٧٥. حياة وفكر كنيسة الآباء . القس أثناسيوس فهمي جورج ، الناشر : دار الكتاب المسيحي – شبرا – القاهرة ، مطبعة مطابع كونكورد ، "٢٠٠٦ .
١٧٦. الخالدون . ألف شخصية عالمية ، مجدي سيد عبدالعزيز ، ط:١ ، ٢٠٠٨م ،دار العالم العربي – القاهرة .
١٧٧. الخالدون من أعلام الفكر . احمد الشنواني ، ط:١ ، ٢٠٨م ، دار الكتاب العـــربي : دمشق– القاهرة .
١٧٨. خدمة الخطبة والإكليل بين الماضي والحاضر . دراسة ليتروجية وفق مخطوطات الشكل الليتورجي البيزنطي . الأسقف د . يوحنا يازجي ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، منشورات معهد القدّيس يوحنا الدمشقي اللاهوتي - جامعة البلمند – طرابلس – لبنان .
١٧٩. الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام . دراسة مقارنة . د.أميمة بنت احمد شاهين الجلاهمة ، دار زهراء الشرق – القاهرة ، بدون .
١٨٠. الخطيئة والموت . إينوكيندي ، تر : المطران ابيغانيوس زائد ، بدون .

١٨١. خطيب الكنيسة الأعظم القديس يوحنا الذهبي الفم . الأب : إلياس كويتر المخلصي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٢م ، منشورات المكتبة البولسية : جونية – لبنان .
١٨٢. الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه . د.احمد عجيبة ، ط:١ ، ٢٠٠٦م ، دار الآفاق العربية – القاهرة .
١٨٣. خلاصة اللاهوت العقائدي . مكاريوس ، ط : ٢٠٠٠ ، مكتبة السائح : طرابلس .
١٨٤. خلاصة اللاهوت المريمي . الأب أوغسطين دوبرة لاتور ، تر : الأب يوسف قوشاقجي ، ط : ٣ ، ٢٠٠٢ ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٨٥. خلافاتنا مع البروتستانت . نيافة الأنبا تكلا – أسقف دشنا وتوابعها – . ط : ١ ، ٢٠٠٠م ، يطلب من مطرانية دشنا للأقباط الأرثوذكس وسائر المكتبات المسيحية .
١٨٦. دراسات في الأديان . اليهودية والنصرانية . د.سعود الخلف ، ط:٤ ، ٢٠٠٤م ، مكتبة أضواء السلف : الرياض .
١٨٧. دراسات في الأديان الوثنية القديمة . د . احمد علي عجيبة ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، دار الآفاق العربية – القاهرة .
١٨٨. دراسات في الملل والنحل . أصول المسيحية الهلينية . د.محمد عبدالله الشرقاوي ، ط:١ ، ١٩٩٣م ، دار الفكر العربي .
١٨٩. دراسات في النصرانية . أ . د . محمود مزروعة ، دار الطباعة المحمدية – القاهرة ، بدون .
١٩٠. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند . د.محمد الأعظمي ، ط:٢ ، مكتبة الرشد : الرياض .
١٩١. دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية . د . محمد علي البار ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة .
١٩٢. دراسة في الأسكاتولوجيا . الموت والقيامة السماء والمطهر وجهنم . الأب : أوغسطين دوبرة لاتور ، تر : صبحي حموي اليسوعي ، ط : ٢ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
١٩٣. دعوة التقريب بين الأديان . دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية . د.احمد عبدالرحمن القاضي ، ط:١ ، ١٤٢٢هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع : الدمام .
١٩٤. دعيتم للقداسة . روث باكسون ، تر : د . نبيه فريز ، ط : ٢ ، ١٩٨٢م ، لجنة خلاص النفوس للنشر : شبرا .

١٩٥. دليل إلى قراءة آباء الكنيسة . أدلبيرت . ج . همان ، تر : الأب : صبحي حموي اليسوعي ، ط : ١ ، ٢٠٠٢م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .

١٩٦. دليل إلى قراءة الكتاب المقدس . الأب : اسطفان شربنتييه ، تـــر : الأب : صـــبحي حموي اليسوعي ، ط : ٤ ، ١٩٩٩مم ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبـــة الشـــرقية : بيروت .

١٩٧. دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة . الأب : جان كمبي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٢ ، دار المشرق : رياض الصلح – بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .

١٩٨. دليل في ترتيب الخدم والصلوات . الأسقف د . يوحنا يازجي ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، منشورات معهد القدّيس يوحنا الدمشقي اللاهوتي - جامعة البلمند – طرابلس – لبنان .

١٩٩. دليل في خدمة الكهنة وحياتهم . وثيقة صادرة عن مجمع الإكليروس حاضرة الفاتيكان ١٩٩٤ ، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام – جبل الديب – لبنان ، ط:١٩٨٤م .

٢٠٠. الدم المقدس الكأس المقدسة . ميشيل بيجنت وآخرين ، ترجمة وتعليق : محمد الواكد ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق .

٢٠١. الدواء المنسي . سر التوبة والاعتراف . الأرشمندريت سيرافيم أليكسييف ، تر : سيرافيم كركور ، ط : ٢٠٠٤ .

٢٠٢. دواعي الإيمان في عصرنا . الأب : جيوفاني مارتيني ، تر : جـــورج مصـــري ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت ، ط:١٩٩٧م .

٢٠٣. الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى . د. محمد العريبي ، ط : ١ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر اللبناني : بيروت .

٢٠٤. الديانات الوضعية المنقرضة . د.محمد العريبي ، ط:١، دار الفكر اللبناني : بيروت .

٢٠٥. الدين المصري . خزعل الماجدي ، ط:١ ، ١٩٩٩م ، دار الشروق للنشر والتوزيع : عمان .

٢٠٦. الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين . أبكار الســقاف ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، مؤسسة الانتشار العربي : بيروت .

٢٠٧. ديناميكية الرأسمالية . فرنان بروديل ، تر : د . شفيق محسن ، ط : ١ ، ٢٠٠٨ ،دار الكتاب الجديد : رياض الصلح – بيروت .

٢٠٨. الرؤى المنحولة . تر : إسكندر شديد ، تقديم ومراجعة : أ . جوزيف قزي – أ . إلياس خليفة ، دير سيدة النصر ، نسبية – غوسطا ١٩٩٩ .

٢٠٩. الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله . مجموعة من المؤلفين ، منشورات النور ١٩٩٧ .

٢١٠. رؤية في أصول المسيحية . احمد شيخ البساتنة ، ط:١ ، ٢٠٠٦ ، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق .
٢١١. الراعي والكنيسة . من هو الراعي في الكنيسة الإنجيلية . د . القس فايز فارس ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ ، دار الثقافة – القاهرة .
٢١٢. رجاء جديد للبنان . وجهه بعد السينودس قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إلى البطاركة والأساقفة والإكليروس والرهبان والراهبات وجميع المؤمنين في لبنان . منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام : جبل الديب – المتن – لبنان ، ط:٢٠٠٠م .
٢١٣. الرد الجميل لإلهية عيسى عليه السلام بصريح الإنجيل . الغزالي ، تقديم وتحقيق وتعليق : د.محمد الشرقاوي ، ط:٣ ، ١٤٠٣هـ ، دار الجيل : بيروت .
٢١٤. رد القرآن والكتاب المقدس على أكاذيب القمّص زكريا بطرس . إيهاب حسن عبده ، ط:١ ، ٢٠٠٥م ، توزيع : مكتبة النافذة .
٢١٥. الرد على أصناف النصارى . علي بن ربّن الطبري (مهتدي إلى الإسلام) ، تحقيق وتقديم : خالد محمد عبده ، ط : ١ ، ٢٠٠٤ ، الناشر : مكتبة النافذة .
٢١٦. الرد على النصارى . جزء ضمن رسائل الإمام القاسم بن ابراهيم بن إسماعيل الرسي (ت ٢٤٦ هـ) ، تحقيق ودراسة إمام حنفي عبدالله ، ط:١ ، ٢٠٠٠م ، دار الآفاق العربية – القاهرة .
٢١٧. رسالة عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبدالمسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام ورسالة الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية (في أيام أمير المؤمنين الخليفة العباسي المأمون سنة ٢٤٧ هـ) . التكوين للنشر والتوزيع : دمشق ، بدون.
٢١٨. الرموز المسيحية . الخوري ناصر الجميل ، تقديم : سيادة المطران أنطوان – حميد موراني ، ط : ١ ، بيروت – ٢٠٠٧ .
٢١٩. الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها . د . احمد علي عجيبة ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، دار الآفاق العربية – القاهرة .
٢٢٠. الروح القدس أقنوم إلهي . هت . ل . هايكوب ، تر : ثروت فؤاد ، ط : ١٩٨٨ ، الناشر : بيت عنيا – مركز المطبوعات المسيحية : رمسيس – القاهرة .
٢٢١. الروح القدس في التراث الأرثوذكسي . بول إفدوكيموف ، تر : المطران إلياس نجمة ، تقديم : جورج خضر ، ط : ١ ، ١٩٨٩م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ، المنشورات الأرثوذكسية : طرابلس .

٢٢٢. روسو . ديف روبنسون وأوسكار زاريت ، تر : إمام عبدالفتاح إمام ، ط:١ ،٢٠٠٥م ، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة .
٢٢٣. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب . د . أسد رستم ، ط : ٢ ، ١٩٩٨٨م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٢٢٤. روما . نظرة أخرى الأرثوذكسية والباباوية . أوليغييه كليمان ، تر : كاترين سرور ، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع ، ط:٢٠٠٤ .
٢٢٥. رينيه ديكارت عالم وفيلسوف العصور الحديثة . حمد الراشد ، ط:١ ، ٢٠٠٨ ، دار المفردات للنشر والتوزيع : الرياض .
٢٢٦. الزنديق الأعظم . قصة وسيرة . جوزيف جاي ديس ، تر / احمد نجيب الهاشم ، بدون .
٢٢٧. سبع مناظر للصليب . القمّص سيداروس عبدالمسيح ، ط : ٢٠٠٣ ، الناشر بأمريكا : كنيسة السيدة العذراء : كولومبس – أوهايو ، الناشر بمصر : كنيسة مار جرجس – شبرا .
٢٢٨. ستيفن هوكنج . ج . ب . ماك إيفوي ، تر : ممدوح عبدالمنعم محمد ، مراجعة : إمام عبدالفتاح إمام ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة .
٢٢٩. سر الإفخارستيا . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي ، ط : ١ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٠. سر التجسد . براءة الإنذكتي في ترتيبات اليوبيل الكبير لعام ٢٠٠٠ ، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام : جبل الديب – لبنان .
٢٣١. سر التوبة والمصالحة . الأب صبحي حموي اليسوعي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٢م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٢. سر الزواج . الخوراسقف ليون عبدالصمد ، ط : ٣ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٣. سر الكنيسة (الرسالة الرعوية الرابعة التي يوجهها بطاركة الشرق الكاثوليك إلى مؤمنيهم في شتى أماكن تواجدهم ، مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك – بكركي ، ط:١ ٢٠٠١م.
٢٣٤. سر الله . الثالوث – الأحد . الأب : فاضل سيداروس ، ط : ٣ ، ٢٠٠٠م ، دار المشرق: بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٥. سر المعمودية . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي ، ط : ١ ، ٢٠٠٠م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .

٢٣٦. سر الميرون أو التثبيت . الأب : فاضل سيداروس ، ط : ١ ، ١٩٩١م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٧. سر مريم بين الإنجيل والقرآن . حسني يوسف الأطير ، ط : ٢ ، ٢٠٠٣م ، مكتبة النافذة : الجيزة – القاهرة .
٢٣٨. سر مسحة المرضى . الأب فاضل سيداروس ، ط : ٣ ، ٢٠٠١م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٢٣٩. سطور مستقيمة بأحرف متعرجة . عن المسيحيين الشرقيين والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين . طارق متري ، منشورات جامعة البلمند ، دار النهار ٢٠٠٧ .
٢٤٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط:٤ ، ١٩٩١م ، المكتب الإسلامي : بيروت .
٢٤١. سلسلة تاريخ البطاركة . الشماس كامل صالح نخلة الإسكندري ، تنقيح ومراجعة : الأنبا متاؤس ، ط: ٢ ، ٢٠٠١م ، حقوق الطبع لدير السيدة العذراء السريان .
٢٤٢. السلم إلى الله . يوحنا السلمي ، تر : رهبنة دير مار جرجس الحرف ، منشورات النور ، بدون .
٢٤٣. السنكسار – المشتمل على سير القديسين الذين تكرمهم كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك على مدار السنة – . وضعه : المطران ميخائيل عساف ، ط : ٥ ، ٢٠٠٣م ، منشورات : المكتبة البولسية : جونية – لبنان .
٢٤٤. سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان . نوفل بن نعمة الله بن جرجس نوفل الطرابلسي ، ط : ٢ ، ١٩٨٧م ، منشورت دار لحد خاطر : بيروت .
٢٤٥. شرح صحيح مسلم . الإمام النووي ، راجعه : الشيخ خليل هراس ، ط: ١ ، ١٩٩٥م ، دار القلم : بيروت .
٢٤٦. شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية . لمجموعة من المؤلفين ، تقديم الكاردينال البطريرك مار إغناطيوس موسى الأول ، تنسيق : الأب : أنطوان راجح ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٢٠٠٥م .
٢٤٧. شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية وأهم مبادئنا في الأحوال الشخصية . البابا شنودة الثالث ، ط : ١٠ ، ١٩٩٩م ، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) – العباسية – القاهرة .
٢٤٨. الشعائر بين الدين والسياسة في الإسلام والمسيحية . روبير بندكتي ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، دار مصر المحروسة : القاهرة .

٢٤٩. صار إنساناً . بعض تعاليم القديس بولس . ميشال العويط ، مطابع الكريم الحديثة ١٩٩٨ عيد مارون .
٢٥٠. صحف المسيح (كشف السر الأعظم في التاريخ) . ميشيل بيجنت وزملاؤه ، تر : محمد الواكد ، ط : ١ ، ٢٠٠٨م ، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية : دمشق .
٢٥١. صحيح الجامع الصغير وزيادته . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه ، زهير الشاووش ، ط : ٣ ، ١٩٩٥م ، المكتب الإسلامي : بيروت .
٢٥٢. صحيح سنن ابن ماجة . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط : ١ ، ٢٠٠١م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
٢٥٣. صحيح سنن أبي داود . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طباعته والتعليق عليه : زهير الشاوش ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط:٢٠٠٦م .
٢٥٤. صحيح سنن النسائي . الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طباعته والتعليق عليه : زهير الشاوش ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ٢٠٠٥م .
٢٥٥. الصراع العظيم (إله هذا الدهر وهزيمته الآتية) . ألن هوايت ، تر : إسحاق فرج الله ، تنقيح : أنطوان عبيد ، ط : ٣ ، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر : بيروت .
٢٥٦. الصلاة بالكلمة المقدسة لحياة روحية أعمق . بيني موسترت ، تر : رانيا نبيه ، تحرير : فريد فؤاد عبدالملك ، ط : ١ ، الناشر بالعربية : مكتبة المنار سانت فاتيما – مصر الجديدة ، بدون .
٢٥٧. صلب المسيح ومسؤولية اليهود . قراءة جديدة في الأناجيل ، نصري سلهب ، ط : ١ ٢٠٠٢م ، الناشر : بيسان للنشر والتوزيع والإعلان : بيروت .
٢٥٨. صلة الإسلام بإصلاح المسيحية . بحث أُلقيت خلاصته في مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس المنعقد بمدينة بروكسل في ١٦-٢٠ سيبتمبر ١٩٣٥م . أمين الخولي ، سنا الفاروق للنشر – السعودية .
٢٥٩. الصليب في الإسلام . حبيب زيات ، تقديم : د . وسام كبكب ، ط : ٢ ،٢٠٠٥م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٢٦٠. الصليب وكلمات المصلوب . يوسف رياض ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، مكتبة الأخوة : شبرا .
٢٦١. صناعة دين . بولس وأثره في تحريف النصرانية . طارق محمد الشافعي ، ط:١ ، ٢٠٠٠م ، منشورات نون – القاهرة.

٢٦٢. الصهيونية تحرف الإنجيل . سهيل التغلبي ، ط:١ ، توزيع مكتبة السائح : طرابلس ، ط:١٩٩٩م .

٢٦٣. الصوم الكبير . الأب : ألكسندر شمين ، تر : ابراهيم سروج ، مكتبة السائح : طرابلس ، بدون .

٢٦٤. الطبقات الاجتماعية . يانيك لوميل ، تر : د . جورجيت الحداد ، ط : ١ ، ٢٠٠٨م ، دار الكتاب الجديد المتحدة : رياض الصلح – بيروت .

٢٦٥. الطريق إلى القداسة . صموئيل برنجل ، تر : بشاى مسعد ، ط : ٢ ، ١٩٩٩م ، لجنة خلاص النفوس للنشر : شبرا .

٢٦٦. طفولة عيسى عليه السلام بين الرواية الإسلامية ورواية الحواريين . د . الشفيع الماحي احمد ، ط : ١ ، ١٤٢٤هـ ، دار الوراق للنشر والتوزيع : بيروت – دمشق ، دار النيريين للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض .

٢٦٧. الطوائف المسيحية في التاريخ والعقيدة واللاهوت المقارن . القمّص بولس عطية بسيليوس ، ط : ٣ ، ٢٠٠٤ ، مطبعة الخانكة الحديثة .

٢٦٨. الطوائف المسيحية في مصر والعالم . ماهر يونان عبدالله ، تقديم ومراجعة : جرجس صبحي ، ط : ٣ ، ٢٠٠٢م ، الناشر : ماهر يونان عبدالله .

٢٦٩. ظاهرة الحياة الرهبانية . نشأتها ، طرقها ، تنظيمها . الأب : جوزف قزي – الأب : إيميل عقيقي ، ط : ٢ ، ١٩٩٩م ، دير سيدة النصر : نسبية – غوسطا .

٢٧٠. العبادات في الأديان السماوية . (اليهودية ،المسيحية ، الإسلام) . عبدالرزاق رحيم صلال الموحي ، ط : ١ ، ٢٠٠١م ، الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق .

٢٧١. العبادة الفردية والعبادة الجماعية . الأب : جورج فلورنسكي ، منشورات النور ١٩٨٢ .

٢٧٢. العبادة المسيحية . الأرشمندريت إلياس ، دير الحرف ، ط : ١٩٩٨م– .

٢٧٣. عبقرية المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث . عباس العقاد ، منشورات المكتبة العصرية : بيروت – صيدا ، ط:١٩٩٥م .

٢٧٤. العذراء مريم . حياتها ورموزها وألقابها فضائلها تكريمها . المتنيح الأنبا غريغوريوس ، الناشر : جمعية الأنبا غريغوريوس – أسقف البحث العلمي ، ":٢٠٠٥م .

٢٧٥. عصر التنوير . ليود سبنسر – أندرزيجي كروز ، تر : إمام عبدالفتاح ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، المجلس الأعلى للثقافة : الجزيت – القاهرة .

٢٧٦. عصر المجامع ٠ دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة الهامة ٠ كيرلس الأنطوني ، تنسيق وتعليق: دياكون د ٠ ميخائيل مكسي إسكندر،الناشر مكتبة المحبة ، ط:١ ٢٠٠١م ٠

٢٧٧. عصر أوغسطس قيصر وخلفاؤه٠ د٠أسد رستم، ط : ٢ ، ١٩٩١م ، المكتبة البولسية : بيروت٠

٢٧٨. عصر نابليون ٠ ول وإيريل ديورانت ، تر : عبالرحمن الشيخ ، المجمع الثقافي : أبو ضبي – الإمارات ، دار الجيل : بيروت ، ط :٢٠٠٢ ٠

٢٧٩. العقائد الإسلامية ٠ سيد سابق ، الفتح للإعلام العربي- القاهرة ، بدون ٠

٢٨٠. عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ٠ حسني يوسف الأطير ، ط:٣ ، ٢٠٠٤، مكتبة النافذة ٠

٢٨١. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ٠ محمد طاهر التنير ، نشره ونقحه وقدم له : محمد ابراهيم الشيباني ن ط:١ ، ١٩٨٧م ، مكتبة ابن تيمية – الكويت ٠

٢٨٢. العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ٠ حسن الباش ، ط:١ ، ٢٠٠١م ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق ، بيروت ٠

٢٨٣. العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي ٠ أ ٠ د فاروق حمادة ، ط : ١ ، ٢٠٠٥ ، دار العلم – دمشق ، الدار الشامية – بيروت ٠

٢٨٤. علم اللاهوت المقارن ٠ الأنبا غريغوريوس ، توزيع : مكتبة السائح : طرابلس ، الكلية الإكليريكية اللاهوتية للقبط الأرثوذكس ، بدون ٠

٢٨٥. علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ٠ العلامة المتنيح القمُّص ميخائيل مينا ٠

٢٨٦. علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ٠ العلامة ميخائيل مينا ، بدون ٠

٢٨٧. العلم يدعو للإيمان كرسي موريسون ،تر:محمود صالح الفلكي ، دار العلم : بيروت ، ط:٢٠٠٥م ٠

٢٨٨. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة د٠عبدالوهاب المسيري،ط:٢، ٢٠٠٥م ، دار الشروق – القاهرة

٢٨٩. العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ٠ سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، ط:٢ ، ١٩٩٩م ، توزيع : مكتب الطيب لخدمة التراث الإسلامي والرسائل العلمية – القاهرة ٠

٢٩٠. العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص) ٠ د٠احمد ادريس الطعان ، ط:١ ، ٢٠٠٧م ، دار ابن حزم للنشر والتوزيع : الرياض ٠

٢٩١. العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية ، ط : ٤ ، ٢٠٠٧م ، دار الكتاب المقدس : مصر٠

٢٩٢. عيسى ومريم في القرآن والتفاسير ، تحرير : رياض أبو وندي وزملاؤه ، إشراف يوسف قزما خوري ، المعهد الملكي للدراسات الدينية ، دار الشروق للنشر والتوزيع : عمان ، المركز العربي للمطبوعات : بيروت ، ط:١٩٩٦م ٠

٢٩٣. الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين) ٠ سير جمس فريزر ، تر : د ٠ احمد ابو زيد ، ط: ٢ ، ١٩٩٨م ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٠

٢٩٤. غفران الذنوب – فلسفة الغفران في المسيحية – ٠ عوض سمعان ، مكتبة الأخوة : شبرا ، بدون ٠

٢٩٥. غلو الأمم في معظميها وأثره على الطوائف الإسلامية ٠ ثامر بن ناصر الغشيان ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ٠

٢٩٦. فابيولا ٠ قصة المسيحية في القرن الرابع في روما ٠ الكاردينال الكاثوليكي نقولا ويزمان ، عرض وتلخيص : د ٠ عزت زكي ، صدر عن الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية ٠ الفجالة مصر ، بدون ٠

٢٩٧. الفاتيكان والإسلام أ٠د زينب عبدالعزيز،ط:١، ٢٠٠٥م ، دار الكتاب العربي: دمشق، القاهرة ٠

٢٩٨. الفاتيكان والإسلام أهي حماقة أم عداء له تاريخ ؟ ٠ د ٠ محمد عمارة ، ط : ١ ، ٢٠٠٧م ، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة ٠

٢٩٩. فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى عليه السلام ٠ أجاب عنها فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، اعتنى بها علي بن عبدالله العماري ، ط:١ ١٩٩٠م٠

٣٠٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٠ ابن حجر العسقلاني ، ط : ١٤١٤ ، حقق أصولها : الشيخ عبدالعزيز بن باز ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت ٠

٣٠١. فتح السر المختوم – تفسير لسفر الرؤيا – ٠ القس ابراهيم سعيد ، صدر عن مطبعة النيل المسيحية ، بدون٠

٣٠٢. فجر الإسلام ٠ احمد أمين ، ط: ١٦ ،١٩٣٣م ، طبع ونشر :مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ٠

٣٠٣. فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة . دراسة ونقد ، د.محمد كبير احمد شودري ، ط:١ ، ١٤٢٢هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع : الدمام

٣٠٤. الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام . نهاد خياطة ، ط:١ ، ٢٠٠٤م ، الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق .

٣٠٥. الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية . القس ابراهيم عبدالسيد ، ط : ١٣ ، مطبعة المحبة ، بدون .

٣٠٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل . ابن حزم الأندلسي الظاهري ، وضع حواشيه احمد شمس الدين ، ط:١ ، ١٤١٦هـ ، دار الكتب العلمية : بيروت .

٣٠٧. فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات . مصطفى فوزي غزال ، ط:٣ ، ١٩٩٤م ، دار القبلة للثقافة الإسلامية : جدة – السعودية .

٣٠٨. الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع . عبدالمجيد الشرفي ، ط:٢ ، ٢٠٠٥م ، دار المدار الإسلامي : بيروت ، توزيع : دار أوديا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية والثقافة : طرابلس – ليبيا .

٣٠٩. الفكر الكنسي الأرثوذكسي . الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس ، تر : الأب : أنطوان ملكي ، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع : بيروت ، ٢٠٠٢م .

٣١٠. فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والعربية . مصطفى حسن النشار ، ط : ٢ ، ٢٠٠٥م ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .

٣١١. فلسفة اللوغس (الكلمة) . الجزء الأول من رسالة الدكتوراة المقدمة باللغة اليونانية إلى جامعة أثينا . د . رشدي حنا عبدالسيد ، رابطة خريجي الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس : الفجالة – القاهرة ، بدون.

٣١٢. فلسفة ديكارت ومنهجه . دراسة تحليلية ونقدية . د.مهدي فضل الله ، ط:٤ ، ٢٠٠٦م ، دار الطليعة : بيروت .

٣١٣. فهرس الكتاب المقدس . د . جورج يوسف ، ط : ١٢ ، ٢٠٠٢م ، دار ومكتبة العائلة بالتعاون مع جمعية الكتاب المقدس في لبنان وبالاتفاق مع رابطة الإنجيلين في الشرق الأوسط .

٣١٤. في الكهنوت . رهبنة دير مار جرجس الحرف . منشورات النور ، بدون .

٣١٥. في مقارنة الأديان . بحوث ودراسات ، د . محمد عبدالله الشرقاوي ، ط : ٢ ، ١٩٩٠م ، دار الجيل – بيروت .

٣١٦. قاموس أكسفورد الحديث (إنجليزي – إنجليزي – عربي) ، مركز السعوي للكتاب ، ط:٢٠٠٧م ،

٣١٧. قاموس الأديان الكبرى الثلاثة (اليهودية المسيحية الإسلام) ، إنجليزي – عربي ، نور الدين خليل ، مراجعة : محمود آدم ، الناشر : مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع – سبورتنج – الإسكندرية ، ط: ٢٠٠٦م ،

٣١٨. قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اللاهوتيين ، هيئة التحرير : بطرس عبدالملك وزملاؤه ، ط : ١٣ ، ٢٠٠٧م ، مكتبة العائلة بالتعاون مع جمعية الكتاب المقدس في لبنان وبالاتفاق مع رابطة الإنجيلين بالشرق الأوسط ، مطبعة الحرية : بيروت ،

٣١٩. قانون الإيمان ، البابا شنودة الثالث ،ط : ٥ ، ٢٠٠٣م ، الناشر: الكلية الإكليريكية – القاهرة ،

٣٢٠. القداس الإلهي ، يوحنا الذهبي الفم ، بدون ،

٣٢١. القداسة الشخصية في وقت التجربة (أفكار وتأملات) ، د ، بروس ويلكنسون ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، الناشر : معهد تدريب القادة بالشرق الأوسط ،

٣٢٢. القداسة الوهمية والحقيقية ، هنري أيرنسايد ، ط : ٢ ، ١٩٩٨م ، تـر : رشـدي فيلبس ، مكتبة الأخوة : شبرا ،

٣٢٣. القداسة بين المتزوجين ، القمّص صليب حكيم ، الناشر : كنيسة الشهيد مار جرجس بالحضرة – الإسكندرية ، بدون ،

٣٢٤. القداسة في الرسالة إلى رومية ، د ، أ ، م ، هلز ، تر : ألفي رزق الله عبدالنور ، مطبعة النصر بشبرا ، بدون،

٣٢٥. القداسة في العهد الجديد ، توماس كوك ، تر : القس توفيق مشرقي ، مكتبة النيل المسيحية ، بدون ،

٣٢٦. القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي ، القمّص تادرس يعقوب ملطي ، كنيسة الشهيد مار جرجس بأسبورتنج ، بدون ،

٣٢٧. قدّيسون وشهداء يسوعيون ، سير مختصرة ، الأب سامي حلاق اليسوعي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٤م ، دار المشرق : الأشرفية – بيروت ، توزيع المكتبة الشرقية : بيروت ،

٣٢٨. قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسـلام ، د ، توفيـق الطويـل ، ط : ١ ، ١٩٩١م ، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة ،

٣٢٩. قصة الحضارة ، ول وإيريل ديورانت ، تر : محمد بدران – زكي نجيب محمود ، دار الجيل : بيروت ، بالتعاون مع المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ط:١٩٩٨م ،

٣٣٠. قصة الصراع بين الدين والفلسفة . د.توفيق الطويل ، ط:٣ ، ١٩٧٩م ، دار النهضة العربية .
٣٣١. قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي – حياة وآراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم) . ول ديورانت ، تر: د .فتح الله محمد المشعشع ، ط: ١ ، ٢٠٠٤م ، مكتبة المعارف : بيروت .
٣٣٢. قصة الكنيسة القبطية – وهو تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي أسسها مار مرقس البشير – . د . إيريس حبيب المصري ، ط : ٧ ، مكتبة المحبة : القاهرة ، بدون .
٣٣٣. قضية صلب المسيح بين مؤيد ومعارض . عوض سمعان ، مراجعة : د . القس منيس عبدالنور – أ . د داود رياض ، ط : ١ ، بدون ، دار النشر الأسقفية .
٣٣٤. قيامة المسيح والأدلة على صدقها . عوض سمعان ، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة – مصر ، بدون .
٣٣٥. كتاب أصول الدين . البطريرك إيليا الثاني ، حققه عن المخطوطات وقدم له : الأب جان ماريا جانتسا ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، مركز التراث العربي المسيحي ، توزيع : المكتبة البولسية : جونية – لبنان .
٣٣٦. الكتاب الأسود للرأسمالية . مجموعة من المؤلفين ، تر : د . أنطوان حمصي ، ط : ١ ، ٢٠٦م ، دار الطليعة الجديدة : دمشق .
٣٣٧. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . البطريرك أفتشيوس المكنى بسعيد ابن البطريق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٥ .
٣٣٨. كتاب الصلوات . يحتوي على أهم الخدم الطقسية في الكنيسة الأرثوذكسية ، ط : ٢ ، ٢٠٠٣م ، منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس – بيروت .
٣٣٩. كتاب الليترجيات الإلهية المقدسة . اللجنة الليترجية البطريركية ٢٠٠٧ .
٣٤٠. كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية . الأب لويس شيخو ، ط : ٢ ، ٢٠٠٦م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع المكتبة الشرقية : بيروت .
٣٤١. الكتاب المقدس .إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط: ٣، ٢٠٠٤م ، القاهرة – مصر ، نسخة أخرى بحواشي،طبعة دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٣٤٢. الكتاب المقدس والاستعمار . القس : مايكل بريور ، تر : وفاء بجاوي ، مراجعة وتقديم : احمد الشيخ ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، مكتبة الشروق الدولية : القاهرة .

٣٤٣. الكتاب المقدس والسيف . بار بارا توخمان ، تر : د . منى عثمان – محمد طه ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، مكتبة الشروق الدولية : القاهرة .

٣٤٤. كتاب قناة السلام بين المسيحية والإسلام .القمّص بطرس إسحاق ،ط:١ ، بدون.

٣٤٥. كفاحي . أدولف هتلر ، قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته ، عرض وتحليل : فريد الفالوجي ، دار الكتاب العربي : دمشق – القاهرة ، ط:٨ ٢٠٠٨م .

٣٤٦. كنائس المشرق . د . عزت زكي ، ط : ١ ، ١٩٩١م ، دار الثقافة – القاهرة .

٣٤٧. الكنيسة الأرثوذكسية . الأب : بول آقدوكيموف ، تر : لجنة التعريب في المنشورات الأرثوذكسية ، توزيع : مكتبة السائح : طرابلس – لبنان ، ١٩٨٣م .

٣٤٨. الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر . تيموثي وير ، تر : هاشم الحسيني ، منشورات النور ١٩٨٢ .

٣٤٩. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . الراهب القمّص سمعان ، بدون .

٣٥٠. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . العصر الجديد تعاليمه ومعتقداته ورد الكنيسة الكاثوليكية . الأب : جورج رحمة – أنطوان عبيد ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس – لبنان .

٣٥١. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . الماسونية بقلم دعاتها ورافضيها . الأب : جورج رحمة – أنطوان عبيد ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس – لبنان .

٣٥٢. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . المانوية والآريوسية ، الأب : جورج رحمة – أنطوان عبيد ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس – لبنان .

٣٥٣. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . النورانيون . الأب : جورج رحمة – أنطوان عبيد ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس – لبنان .

٣٥٤. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . شهود يهوة . الأب : جورج رحمة – بول حصري ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس – لبنان.

٣٥٥. الكنيسة الكاثوليكية والبدع . مقدمة عامة – المسيحيون المتهودون – الغنوصية – الدوسيتية . الأب : جورج رحمة ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، الناشر : مركز الدراسات والأبحاث المشرقية : أنطلياس – لبنان .

٣٥٦. الكنيسة المسيحية في عصر الرسل . مثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس ، ط : ٤ ،١٩٩٩م ، مطبعة الأنبا رويس الأوفست – القاهرة .

٣٥٧. كنيسة المشرق العربي . الأب جان كوربون ، تر : المطران إغناطيوس هزيم (راعي أبرشية اللاذقية) التابعة لكنيسة أنطاكية للروم الأرثوذكس ورئيس مجلس كنائس الشرق الأوسط ، مراجعة : أولفا حجار ، ط : ٢ ، منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ط:١٩٩٦م .

٣٥٨. الكنيسة أو مملكة المسيح . الأب : خليل أدَّه اليسوعي ،المطبعة الكاثوليكية :بيروت .

٣٥٩. الكنيسة جسد المسيح . القس حمدي سعد ، ط : ١ ، ١٩٣٥م ، دار الثقافة – القاهرة .

٣٦٠. كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك . الشمس الإكليريكي الدكتور سامح حلمي ، ط : ٢ ، مطبعة الراعي برنت هاوس ، ط:٢٠٠٥م .

٣٦١. الكهنوت . عوض سمعان ، ط : ٢ ، دار الثقافة المسيحية – القاهرة ، بدون.

٣٦٢. الكهنوت المسيحي وسر الدرجة . الأب صلاح أبو جودة اليسوعي ، ط : ١ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .

٣٦٣. اللآلِيء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة . القمّص يوحنا سلامة ، مكتبة مار جرجس : شبرا ، بدون.

٣٦٤. اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر . الأب : سليم بسترس البولسي ، ط : ٤ ، ٢٠٠٢م ، منشورات المكتبة البولسية : جونية – لبنان .

٣٦٥. اللاهوت المقارن . البابا شنودة ، ط : ١ ، ١٩٩١م ، الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

٣٦٦. لماذا القيامة ؟ . البابا شنودة الثالث ،ط :٢،١٩٩٩م ، مطبعة الأنبارويس (الأوفست) ، الناشر : الكلية الإكليريكية : العباسية – القاهرة .

٣٦٧. لماذا نرفض المطهر ؟ . البابا شنودة الثالث ، ط : ١ ، ١٩٨٨م ، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) – الكاتدرائية – العباسية .

٣٦٨. الله في الفلسفة الحديثة . جيمس كولنز ، تر : فؤاد كامل ، ط : ٢ ، ١٩٩٩١م ، الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة بالاشتراك مع الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية – القاهرة .

٣٦٩. الله واحد أم ثالوث . المستشار الدكتور محمد مجدي مرجان (مهتدي إلى الإسلام) ، ط:٢ ، ٢٠٠٥م ، مكتبة النافذة .

٣٧٠. الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من ابراهيم الخليل حتى العصر الحاضر . كارين آرمسترونق ، تر : محمد الجورا ، ط : ١ ، ١٩٩٩م ، دار الحصاد للنشر والتوزيع : دمشق .

٣٧١. ليتقدس اسمك – صلوات الأزمنة الطقسية – الأبوان يوحنا ويوسف العنداري م ٠ ل ٠ منشورات الرسل ، ط:٢٠٠٥ ٠

٣٧٢. مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية ٠ نيافة الحبر الأنبا بيشوي ٠ إعداد الإكليريكي الدكتور : سامح حلمي ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م٠

٣٧٣. المائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي ٠ القديس يوحنا الدمشقي ، تر : الأرشمندريت أدريانوس شكور ، ط : ٢ ، ١٩٩٩١م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٠

٣٧٤. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٠ أبو الحسن النـــدوي ، ط : ٨ ، ١٩٨٤م ، دار الكتاب العربي : بيروت ٠

٣٧٥. المبادلة الإلهية العظمى ٠ ديريك برنس ، تر : صلاح عباسي ، الناشر : P.T.W ، ط: ٢٠٠٣ ٠

٣٧٦. مباديء أولية في الفلسفة ٠ جورج بوليتزر ، ط : ٥ ، ٢٠٠١ ، ترجمة وتقديم : فهيمة شرف الدين ، ضبط مصطلحاته الفلسفية : د ٠ موسى وهبة ، دار الفارابي : بيروت ٠

٣٧٧. مجادلة الأنبا جرجي الراهب السمعاني مع ثلاثة شيوخ من فقهاء المسلمين بحضرة الأمير مشمر الأيوبي ٠ عُني بمقابلتها وتحريرها أحد الرهبان المرسلين الكاثوليك في أفريقيا ، بدون٠

٣٧٨. مجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي ٠ محمد زين الهـــادي ، ط:١ ، ١٤٠٩هـــ ، دار العاصمة : الرياض ٠

٣٧٩. مجامع كنيسة المشرق ٠ أ ٠ يوسف قبي ، مركز النشر والتوزيع : جامعة الروح القدس : الكسليك – لبنان ط:١٩٩٩م ، ٠

٣٨٠. مجتمع يسوع ٠ يسوع تقاليده وعاداته ٠ الأب : سامي حلاق ، ط : ١ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ٠

٣٨١. مجلة المنار ٠ إشراف : محمد رشيد رضا ، النسخة الإلكترونية ٠

٣٨٢. المجمع المسكوني الأول (نيقيا الأول ٣٢٥) - الأب ميشال أبرص – الأب أنطوان عرب ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، توزيع : المكتبة البولسية : بيروت – لبنان ٠

٣٨٣. المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية الأول ٣٨١) ٠ الأب ميشال أبرص – الأب أنطوان عرب ، ط : ١ ، ٢٠٠٣م ، مؤسسة دكاش للطباعة ، توزيع : المكتبة البولسية : بيروت ٠

٣٨٤. مجموعة قوانين الكنائس الشرقية ٠ نقله عن اللاتينية مجموعة من المؤلفين ، ط:٢، ٢٠٠٢م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت ٠

٣٨٥. المجوسية الزرادشتية . ر.س زيهنير ، تر : د. سهيل زكار ، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق ، ط:٢٠٠٢م .
٣٨٦. المجيء الثاني والدينونة . القس أبانوب حنا ابراهيم – راعي كنيسة مار مرقس كوم مطاي ،تقديم : نيافة الأنبا جورجيوس أسقف مطاي وتوابعها ، مراجعة : أنطونيوس كمال ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، الناشر : مكتبة مار جرجس : شبرا .
٣٨٧. محاضرات في مقارنة الأديان . ابراهيم خليل احمد (مهتدي إلى الإسلام) ، ط:٢ ، ١٩٩٢م ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة .
٣٨٨. محاظرات في النصرانية الإمام محمد أبو زهرة ، ط:٣ ، ١٩٨٣م ، دار الفكر العربي – القاهرة .
٣٨٩. محاكم التفتيش . غي تستاس–جان تستاس ، تر : ميساء السيوفي ، مراجعة : د . جمال شحيد ، ط: ١، ٢٠٠٧م ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع : دمشق .
٣٩٠. محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن . ابراهيم خليل احمد (مهتدي إلى الإسلام) ، دار المنار للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط: ١٩٨٩م .
٣٩١. محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتاب اليهود . البروفسور عبدالأحد داوود (مهتدي إلى الإسلام) ، تر : محمد فاروق الزين ، ط : ١ ، ١٩٩٧م ، مكتبة العبيكان : الرياض .
٣٩٢. محنة الإيمان . اجتهادات ومسائلات في الفكر الديني المسيحي . الأب : مشير باسيل عون ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، دار المشرق : بيروت – لبنان ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت – لبنان .
٣٩٣. المختار في الرد على النصارى مع دراسة تحليلية تقويمية . الجاحظ ، تحقيق ودراسة محمد عبدالله الشرقاوي ، ط:١ ، ١٩٩١م ، دار الجيل : بيروت .
٣٩٤. مختصر تاريخ الأساقفة الذين رقوا مرتبة رئاسة الكهنوت الجليلة في مدينة بيروت . عبدالله بن طراد البيروتي ، تحقيق وتقديم : نائلة قائد بية ن ط : ١ ، ٢٠٠٢م ، دار النهار للنشر : بيروت ، بالتعاون مع منشورات جامعة البلمند – قسم التوثيق والدراسات الأنطاكية.
٣٩٥. مختصر تاريخ الكنيسة . أندروملر ، تر : ناشد ساويرس ، ط : ٤ ، ٢٠٠٣م ، مكتبة الأخوة : شبرا .
٣٩٦. مدخل إلى أسرار الكنيسة . الأب كميل حشيمة اليسوعي ، ط : ٣ ، ٢٠٠٣م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .

٣٩٧. مدخل إلى التنوير الأوربي . هاشم صالح ، ط:١ ، ٢٠٠٧م ، دار الطليعة للطباعة والنشر : بيروت .
٣٩٨. مدخل إلى الرتب اللتروجية ورموزها في الكنيسة الشرقية . المطران لطفي لحام – النائب البطريركي للروم الملكيين الكاثوليك في القدس الشريف ، بدون .
٣٩٩. مدخل إلى العقيدة المسيحية . كوستي بندلي ومجموعة من المؤلفين . ط : ٤ ، منشورات النور ، بدون .
٤٠٠. المدخل إلى العهد الجديد . د . موريس تاوضروس ، ط : ٥ ، ٢٠٠٨ ، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر : مصر الجديدة .
٤٠١. المدخل إلى العهد القديم . د . القس صموئيل يوسف ، ط : ٢ ، ٢٠٠٨م ، دار الثقافة : البانوراما – القاهرة .
٤٠٢. المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي . د . جورج حبيب بباوي ، ط : ١ ، ١٩٨٢م ، الناشر : أسرة القديس كيرلس عمود الدين الإكليريكية .
٤٠٣. مدخل إلى المجامع المسكونية . الأب ميشال أبرص . الأب أطوان عرب ، ط : ١ ، ١٩٩٦م ، توزيع المكتبة البولسية : بيروت .
٤٠٤. مذاهب فكرية معاصرة . عرض ونقد . أ.د. محمود محمد مزروعة ، ط:١ ، ٢٠٠٦م ، مكتبة كنوز المعرفة : جدة .
٤٠٥. مذاهب فكرية معاصرة . محمد قطب ، ط:٥ ، ١٤١١هـ ، دار الشروق – القاهرة
٤٠٦. المذهب الروحاني عبدالله إباحي ط : ١، ٢٠٠٣م ، فراديس للنشر والتوزيع : مملكة البحرين .
٤٠٧. المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين – شرح بشارة يوحنا – . القس ابراهيم سعيد ، ط : ١ ، ١٩٣٧م ، مطبعة النيل المسيحية – مصر .
٤٠٨. المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين – شرح رسالة أفسس – . القس ابراهيم سعيد ، ط : ١ ، مطبعة النيل المسيحية ، بدون .
٤٠٩. مريم أم الرب ورمز الكنيسة . ماكس توريان ، تر : الأب خليل رستم ، ط : ٤ ، ٢٠٠٦م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤١٠. مسألة الله في التاريخ من الكتاب المقدس إلى الظاهرة الدينية المعاصرة . الأب فيكتور شلحت ، ط : ١ ، ١٩٩٨م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤١١. المسند . الإمام احمد بن حنبل ، شرحه ووضع فهارسه : احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ط:١٩٧٢م .

٤١٢. المسيح إنسان أم إله ، المستشار الدكتور محمد مجدي مرجان (مهتدي إلى الإسلام) ، ط:٢ ، ٢٠٠٣م ، مكتبة النافذة .
٤١٣. المسيح بين الأسطورة والحقيقة . أ . كريفيلون ، تر : رامز نعيمة ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، الشعاع للنشر والتوزيع : شارع الجزائر – المعادي .
٤١٤. المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين وحقيقة الثالوث . د.عبدالمنعم جبري ط:١ ، ٢٠٠٧م ، صفحات للدراسات والنشر : دمشق .
٤١٥. المسيح في الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح . احمد ديدات ، تر: علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة ، ط:١٩٨٨م .
٤١٦. المسيح في مصادر العقائد المسيحية . خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب . مهندس احمد عبدالوهاب ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط:٢٠٠١م .
٤١٧. المسيح والتثليث . د . محمد وصفي ، تقديم : محمد عبدالله السمان ، مراجعة : علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة ، بدون .
٤١٨. المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل . ساجد مير ، ط: ١ ، ٢٠٠٢م ، دار السلام للنشر والتوزيع : الرياض .
٤١٩. المسيحية . احمد شلبي ، ط:١١ ، ٢٠٠٢م ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .
٤٢٠. مسيحية بلا مسيح . د.كامل سعفان ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة ، بدون .
٤٢١. المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها . د.عبدالمنعم فؤاد ، ط:١ ، ٢٠٠٢م ، مكتبة العبيكان : الرياض .
٤٢٢. المسيحية في عقائدها . نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا . تر : المطران كيرلس سليم بسترس ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت – لبنان .
٤٢٣. المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جنيبير (أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان – جامعة باريس) ، المكتبة العصرية : صيدا – بيروت – لبنان ، بدون .
٤٢٤. المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم اليونان سوريا مصر .دانييل إ.باسوك ، تر: سعد رستم ، ط:١، ٢٠٠٢م ، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية :دمشق .
٤٢٥. المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية . إ . س . سيفينسيسكايا ، تر : حسان ميخائيل إسحاق ، ط : ٢ ، ٢٠٠٧ ، دار علاء الدين : دمشق .

٤٢٦. مشكلة التأليه في فكر الهند الديني . د.عبدالراضي محمد عبدالمحسن ، ط : ١ ، ٢٠٠٢م ، دار الفيصل الثقافية : الرياض .
٤٢٧. مصادر النصرانية دراسة ونقداً . د . عبـــدالرزاق بـــن عبدالمجيـــد ألارو ، ط: ١ ، ٢٠٠٧ ، دار التوحيد للنشر : الرياض .
٤٢٨. مصر الفرعونية .احمد فخري ، ط : ١ ، ملتزم الطبع والنشر : مكتبة انجلو المصرية ، بدون .
٤٢٩. مصرع الدارونية .محمد علي يوسف،ط:١،دار الشروق للنشر والتوزيع : جدة ، ط: ١٩٨٣م .
٤٣٠. مع أسئلة السائلين عن كسر الخبز . د . حليم حسب الله ، مكتبة الأخوة : شبرا ، ٢٠٠٥م .
٤٣١. معالم تاريخ الإنسانية . هــ . ج . ويلز ، تر : عبدالعزيز توفيق جاويد ، ط : ٤ ، بدون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٤٣٢. معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير . ابراهيم بن سليمان الجبهان ، ط : ٦ ، ٢٠٠٥م ، دار المجتمع للنشر والتوزيع : جدة .
٤٣٣. المعتقدات الدينية لدى الغرب . د.عبدالراضي محمد عبدالمحسن ، ط:٢ ، ٢٠٠٧م ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية : الرياض .
٤٣٤. معجم الإيمان المسيحي . اختيار : الأب : صبحي حموي اليسوعي ، أعاد النظر فيه الأب : جان كوربون ، ط : ٢ ، ١٩٨٩م ، دار المشرق : بيروت بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط .
٤٣٥. معجم البابوات . خوان داثيو ، تر : أنطوان سعيد خاطر ، ط: ١ ، ٢٠٠٦م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤٣٦. المعجم الفلسفي . مجمع اللغة العربية ، تصدير : د . ابراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر ، ط:٢٠٠٢م .
٤٣٧. معجم اللاهوت الكتابي . لجنة من المؤلفين ، تر : د . ارنست وزملاءه ، ط : ٤ ، ١٩٩٩م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .
٤٣٨. معجم المصطلحات الكنسية . أثناسيوس (راهب من الكنيسة القبطية) . ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، مطبعة دار نوبار – شبرا .
٤٣٩. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، نشره : أ . ي . ونسنك ، مكتبة بريل في مدينة ليدل ، ط:١٩٣٩م .

٤٤٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ، ط : ٤ ، ١٤١٤هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دار المعرفة : بيروت .

٤٤١. المعمودية . الأصول الأولى للمسيحية . الأب : متّى المسكين ، ط : ٢ ، ٢٠٠١م ، مطبعة دير القديس أنبا مقار – القاهرة .

٤٤٢. معمودية الأطفال في الكتاب المقدس والتاريخ . الأب بيتر مدروس ، ط : ٢ ، ٢٠٠٠م ، دار المشرق : بيروت ، توزيع : المكتبة الشرقية : بيروت .

٤٤٣. معنى أنَّ يسوع المسيح هو ابن الله . د . هاني رزق الله ، دار النشر الأسقفية ، ط:٢٠٠٠م .

٤٤٤. مقارنة الأديان . دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام والأديان الوضعية الهندوسية والجينية والبوذية . د.طارق خليل السعدي ، ط:١ ، ٢٠٠٥م ، دار العلوم العربية : بيروت .

٤٤٥. مقارنة بين الأناجيل الأربعة . د . محمد علي الخولي ، ط : ٢٠٠١ ، بدون ، دار الفلاح للنشر والتوزيع – الأردن .

٤٤٦. مقالة قصيرة في العشاء المقدس . جون كالفن ، تر : جورج صبرا ، ط : ١ ، ٢٠٠٦م ، دار الثقافة – القاهرة .

٤٤٧. ملحدون محدثون ومعاصرون . د . رمسيس عوض ، ط : ١ ، ٢٠٠١م ، سينا للنشر ، مؤسسة الانتشار العربي : لندن – بيروت – القاهرة .

٤٤٨. الملل والنحل . الشهرستاني ، صححه وعلق عليه أ.احمد فهمي محمد ، ط:٢ ، ١٤١٣هـ ، دار الكتب العلمية : بيروت .

٤٤٩. من دحرج الحجر . المحامي فرانك مورسون ، تر : حبيب سعيد ، نداء الرجاء – شرق ألمانيا ، بدون .

٤٥٠. مناظرة العصر بين العلامة احمد ديدات والقس الدكتور أنيس شروش بقاعة السبرت بلندن . تر : علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، ط:١٩٨٣م .

٤٥١. مناظرتان في استكهولم بين داعية العصر احمد ديدات وكبير قساوسة السويد ستانلي شوبيرج ، تر: علي الجوهري ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، ط:١٩٨٥م.

٤٥٢. المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل . أبو الفضل السعودي المالكي ، قدم له وحققه رمضان الصفنادي البدري ، راجعه مصطفى الذهبي ، دار الحديث – القاهرة ، ط:١٩٩٧م.

٤٥٣. موجز تاريخ الأديان . فيليسيان شالي ، تر : حافظ الجمالي ، ط : ٢ ، ١٩٩٤م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر : دمشق – سوريا .
٤٥٤. موجز تاريخ الكنيسة . الأب الدكتور توماس هبكو، تر:المطران سابا إسبر ٢٠٠٥ .
٤٥٥. موسوعة الأديان الميسرة ، ط:١ ، ٢٠٠١م ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع :بيروت .
٤٥٦. موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين . موسى مخـول ، ط:٢ ، ٢٠٠٨م ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام : بيروت .
٤٥٧. موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم . محمود شاكر ، ط:١ ، ٢٠٠٨م ، دار أسامة للنشر والتوزيع : عمان .
٤٥٨. موسوعة الحقائق الكتابية . برسوم ميخائيل ، مكتبة الأخوة : شبرا – مصر. ، ط:٢٠٠٤م .
٤٥٩. موسوعة الفلسفة . د.عبدالرحمن بـدوي ، ط:١، ١٩٨٤م ، المؤسسـة العلميـة للدراسات والنشر : بيروت .
٤٦٠. موسوعة الكتاب المقدس . دار منهل الحياة ، منصورية المتن – لبنان – دار الكتاب المقدس ، نيوروضة – لبنان ، ط:١٩٩٣م .
٤٦١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصـرة . إشـراف وتخطـيط ومراجعة :د.مانع بن حماد الجهني ،ط:٣ ، ١٤١٨هـ ، الندوة العالميـة للطباعـة والنشـر والتوزيع : الرياض .
٤٦٢. موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية . زكي شنودة ، ط : ١ ، ١٩٦٨م ، مكتبة النهضة المصرية .
٤٦٣. موسوعة طقوس الكنيسة القبطية . دياكون د . ميخائيل مكسي إسكندر ، إشراف : الأنبا متاؤس ، مكتبة المحبة ، بدون .
٤٦٤. موسوليني . أسطورة لا تريد أن تموت . احمد ناصيف ، ط : ١ ، ٢٠٠٨م ، دار الكتاب العربي : دمشق القاهرة .
٤٦٥. موقف الإسلام والكنيسة من العلم . عبدالله المشوخي ، ط:١ ، ١٩٨٢م ، مكتبـة المنار : الزرقاء – الأردن .
٤٦٦. موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله . د. سـارة العبادي ، ط:١، ٢٠٠٥م ،مكتبة الرشد : الرياض .

٤٦٧. الميزان في مقارنة الأديان . المستشار محمد عزت الطهطاوي ، ط:٢ ، ٢٠٠٢م ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة .
٤٦٨. الناصرة . مترل عيسى وأمه البتول وعاصمة العروبة في الجليل وميراث بني إسماعيل . محمد محمد حسن شُرَّاب ، ط : ١ ، ٢٠٠٧م ، الأهلية للنشر والتوزيع : عمان .
٤٦٩. نبذة في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية وخفايا دور أخوية القبر المقدس . جرجس عبدالله العيسى ، ط : ٢٠٠٥ ، دار ومكتبة ببليون : جبيل – لبنان .
٤٧٠. نحن والفاتيكان . د . أسد رستم ، ط : ٣ ، ١٩٩٢م ، منشورات المكتبة البولسية : بيروت .
٤٧١. نحو وحدة التراث السرياني الأنطاكي . المطران غريغوريوس ابراهيم وزملاؤه ، دير سيدة النصر : ننسبية – غوسطا ١٩٩٧ .
٤٧٢. النصارى في القرآن والتفاسير ، تحرير : عواد علي وزملاؤه ، إشراف يوسف قزما خوري ، المعهد الملكي للدراسات الدينية ، ط : ١ ، ١٩٩٨م ، دار الشروق للنشر والتوزيع :عمان .
٤٧٣. نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة . د . احمد علي عجيبة ، ط : ١ ، ٢٠٠٤م ، دار الآفاق العربية – القاهرة .
٤٧٤. النصرانية في الميزان . دراسة نقدية موثقة للعقائد والأفكار التي اشتملت عليها النصرانية ، المستشار محمد عزت الطهطاوي ، دار القلم : دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة ، ط:٢٠٠٤م .
٤٧٥. النصرانية في ميزان العقل والإسلام . محمد سليم الفاضلي ، مراجعة وتحقيق وتبويب : نبيل حامد خضر ، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع : إربد – الأردن ، ط:٢٠٠٣م .
٤٧٦. النصرانية من التوحيد إلى التثليث . د.محمد احمد الحاج ، ط:٢ ، ٢٠٠٢م ،دار القلم : دمشق – سوريا ، الدار الشامية : بيروت – لبنان ، توزيع : دار البشير : جدة .
٤٧٧. النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها . د.عرفان عبدالحميد فتاح ، ط:١ ، ١٩٩٥م ، دار عمار للنشر والتوزيع : عمان – الأردن .
٤٧٨. نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط . (أوغسطين أنسليم توما الأكويني) د.حسن حنفي ، ط : ١ ، ٢٠٠٨م ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت .
٤٧٩. نقض دعوى عالمية النصرانية . د. فرج الله عبدالباري ، ط:١ ، ٢٠٠٤م ، دار الآفاق العربية : مدينة نصر – القاهرة .

٤٨٠. النهاية في غريب الحديث والأثر ٠ ابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، محمود الطناحي ، المكتبة العلمية : بيروت ، بدون ٠
٤٨١. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٠ ابن القيم ، دراسة وتحقيق : د٠محمد احمد الحاج ، ط:١ ، ١٤١٦هـ ، دار القلم :دمشق ، الدار الشامية : بيروت ، توزيع : دار البشير : جدة ٠
٤٨٢. الهرطقة في المسيحية ٠ ج ٠ ويتلر ، تر : جمال سالم ، ط : ١ ، ١٤١٦م ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت — لبنان ٠
٤٨٣. هكذا تكلم زرادشت ٠ فريدريش نيتشه ، تر : علي مصباح ، ط : ١ ، ٢٠٠٧م ، منشورات الجمل — ألمانيا ٠
٤٨٤. هل افتدانا المسيح على الصليب ؟ ٠ د٠ منقذ السقار ، ط:١، ٢٠٠٦م ، مكتبة النافذة٠
٤٨٥. هم ونحن ٠ دراسة مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات ٠ الأب : جبرائيل كليجا — أ ٠ كبريال زرازير ، دار ببليون — باريس ، ٢٠٠٦م ٠
٤٨٦. هوية الكتاب المقدس ٠ جون دارين ، دار منهل الحياة : منصورية المتن — لبنان ١٩٩٦م ٠
٤٨٧. الوثائق المجمعية للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، تر : يوسف بشارة وآخرين ، ط:١٩٩١م ٠
٤٨٨. الوثنية والمسيحية مرحلة الصراع الحاسمة وإيقاف الأولمبيادات في العصر القديم عام ٣٩٣ ٠ ألكسندر كرافتشوك ، تر : د ٠ كبرولحدو ، ط : ١ ، دار الحصاد للنشر والتوزيع : دمشق ، ط:١٩٩٦م ٠
٤٨٩. الوجه الآخر لأدولف هتلر ٠ فريد الفالوجي — حسن حمدي ، ط : ١ ، ٢٠٠٧م ، دار الكتاب العربي : دمشق — القاهرة ٠
٤٩٠. الوحي عند أهل الكتاب دراسة نقدية على ضوء الإسلام ٠ عبدالله بن عثمان الكوكي ، رسالة دكتوراة غير مطبوعة ٠
٤٩١. وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام (٦٢٢- ١٥١٧) ٠ لويس شيخو ، حققه وزاد عليه وقدم له الأب كميل حشيمة اليسوعي ، مركز التراث العربي المسيحي ، توزيع : المكتبة البولسية : جونية — لبنان ، ط:١٩٨٧م ٠
٤٩٢. يا إخوتنا البروتستانت هلموا نتحاور في الماضي ٠ ط : ٢ ، صدر عن كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء ، بدون٠

٤٩٣. يأأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ٠ دراسة مقارنة للمسيحية ٠ د٠رؤف شـــلبي ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية : المنصورة – مصر ، بدون ٠
٤٩٤. يسوع التاريخ ٠ لطفي حداد ، ط : ١ ، ٢٠٠٥م مؤسسة جذور الثقافة : الولايات المتحدة الأمريكية ، توزيع : الدار العربية للعلوم : بيروت ، ٠
٤٩٥. يسوع المسيح ٠ فالتر كاسبر ، تر : المطران يوحنا منصور ، ط : ١ ، منشورات : المكتبة البولسية : جونية – لبنان ٢٠٠٥م ٠
٤٩٦. يسوع المسيح بالإنجيل والأيقونة ، ط : ٢ ، ٢٠٠٠م ، دار النهار للنشر : بيروت ٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
الباب الأول	
الفصل الأول : التعريف بالنصرانية	١٤
المبحث الأول : تاريخ النصرانية	١٥
تمهيد	١٦
تعريف النصرانية وسبب التسمية	١٧
نشأة النصرانية	١٨
موقف شاءول من دعوة المسيح عليه السلام	٢١
ملخص حادثة إعلان شاءول اتباعه للمسيح عليه السلام	٢١
أثر الدولة الرومانية في انتشار النصرانية	٢٥
المبحث الثاني : مصادر النصرانية	٢٩
التعريف بالعهد الجديد	٣٠
الأناجيل وسفر أعمال الرسل	٣١
رسائل العهد الجديد	٣٦
رؤيا يوحنا	٣٧
نقد مصادر النصارى في الجملة	٣٨
المبحث الثالث : فرق النصارى	٤٠
الفرق التي ظهرت من رفع المسيح عليه السلام إلى مجمع نيقية	٤٢
الفرق التي ظهرت بعد مجمع نيقية	٤٧
الفرق النصرانية المعاصرة	٤٩
المبحث الرابع : العقائد النصرانية	٥٤
قانون الإيمان ونقده	٥٥
عقائد النصارى إجمالاً	٦١

عقيدة الخطيئة الجدِّية	٦١
عقيدة الصلب والفداء	٦٥
عقيدة ألوهية الروح القدس	٦٧
الفصل الثاني : المراد بالتقديس	٧٢
المبحث الأول : المراد بالتقديس في اللغة والشرع	٧٣
معنى التقديس في اللغة	٧٤
معنى التقديس في الشرع	٧٥
المبحث الثاني : التقديس والقداسة عند النصارى	٨٠
معنى التقديس والقداسة	٨١
كيفية حصول النصراني على القداسة	٨٣
أهمية التقديس والقداسة عند النصارى	٨٥
المراد بتقديس الأشخاص في البحث	٨٧
الفصل الثالث : جذور تقديس الأشخاص	٨٨
تمهيد	٨٩
المبحث الأول : تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية	٩١
أولاً : المجوسية	٩٢
ثانياً : الزرادشتية	٩٢
تقديس الأشخاص في الديانة الفارسية	٩٣
المبحث الثاني : تقديس الأشخاص في الديانة الهندية	٩٨
تقديس الأشخاص عند الهندوس	٩٩
تقديس بوذا في الديانة البوذية	١٠٢
المبحث الثالث : التقديس في الديانة المصرية القديمة	١٠٥
تقديس الأشخاص في الديانة المصرية القديمة	١٠٦
المبحث الرابع : التقديس عند الرومان واليونان	١١٠
التقديس عند اليونان	١١١

التقديس عند الرومان	١١٣
الفصل الرابع : أسباب تقديس الأشخاص	١١٦
المبحث الأول : الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للنصرانية	١١٧
تأثر عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام عند النصارى بالديانات السابقة	١١٨
القول ببنوة بعض البشر لله	١١٨
التجسد في الديانات الوثنية	١١٩
عقيدة التثليث	١٢٣
المبحث الثاني : دور بولس في تأسيس تقديس الأشخاص	١٢٦
رحلات بولس	١٢٧
تأليف الرسائل	١٣٠
العقائد والأفكار التي نادى بها بولس	١٣٣
المبحث الثالث : دور المجامع النصرانية في تقديس الأشخاص	١٤٠
تعريف المجامع النصرانية	١٤١
أهمية هذه المجامع لدى النصارى	١٤٢
أهم الانتقادات الموجهة للمجامع النصرانية اجمالاً	١٤٦
المبحث الرابع : دور الدولة الرومانية في تثبيت عقائد النصارى	١٤٨
الباب الثاني : المقدسون من الأشخاص	
الفصل الأول : تقديس عيسى عليه السلام	١٥٢
المبحث الأول : عقيدة ألوهية المسيح عليه السلام	١٥٣
النصوص التي يستدل بها النصارى على ألوهيته	١٥٤
استدلالهم بالآيات التي أجراها الله تعالى على يديه	١٥٦
مناقشة دعوى ألوهية المسيح عليه السلام	١٥٨
بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل التاريخي	١٥٨
بطلان هذه العقيدة من النصوص الواردة في العهد الجديد	١٥٩
بطلان هذه العقيدة من خلال الرد على أدلتهم	١٦٤

الرد على استدلالهم بما يسمى المعجزات على ألوهية المسيح عليه السلام	١٦٩
بطلان هذه العقيدة من خلال الدليل العقلي	١٧٠
بطلان هذه العقيدة من خلال القرآن الكريم	١٧٢
المبحث الثاني : دعوى بنوة المسيح لله تعالى	١٧٦
تقرير بنوة المسيح عليه السلام من خلال قولهم بالولادة الأزلية	١٧٧
تقرير دعوى بنوة المسيح عليه السلام من النصوص الواردة في كتبهم	١٧٩
تقرير هذه الدعوى من خلال الاستدلال بميلاد المسيح عليه السلام	١٨٢
مناقشة دعوى بنوة المسيح عليه السلام	١٨٣
الرد على استدلالهم بالقول بأزلية الابن وولادته من الله تعالى	١٨٣
الرد على استدلالهم ببعض الألفاظ على بنوة المسيح عليه السلام	١٨٦
الرد على استدلالهم بميلاد المسيح عليه السلام من غير أب	١٩١
مناقشة عقيدتهم من خلال القرآن الكريم	١٩٣
المبحث الثالث : عقيدة التثليث	١٩٦
تقرير هذه العقيدة عند النصارى	١٩٧
أهمية هذه العقيدة عند النصارى	١٩٧
الرد على عقيدة التثليث	٢٠٠
المبحث الرابع : تقديس مريم عليها السلام	٢٠٤
أولاً : التقديس الاعتقادي	٢٠٥
ثانياً : التقديس العملي	٢١٢
الفصل الثاني : تقديس من يطلق عليهم النصارى الرسل	٢١٧
المبحث الأول : جماعة الرسل النصارى	٢١٨
نظرة حول المصادر التي تحدثت عن هذه الجماعة	٢١٩
المراد بجماعة الرسل في المصادر النصرانية	٢٢٠
المبحث الثاني : صور التقديس لهذه الجماعة	٢٢٣
دعواهم أنَّ الرب خصهم بكثير من العطايا	٢٢٤

دعوى شهودهم قيامة المسيح عليه السلام	٢٢٥
دعوى نزول الروح القدس وتأييده لهم	٢٢٧
تأييدهم بالمعجزات	٢٢٨
سلطان مغفرة الذنوب	٢٢٩
مكانتهم تضاهي مكانة الأنبياء السابقين أو أعظم	٢٣٠
مترلتهم فيما يسمى بيوم الدينونة	٢٣٠
المبحث الثالث : نقد ما سبق عرضه	٢٣٧
مناقشة دعوى رسولية الاثني عشر	٢٣٨
مناقشة تفضيل بطرس على بقية الجماعة	٢٤٣
مناقشة دعوى أنَّ عددهم اثنا عشر رسولاً	٢٤٤
أتباع المسيح عليه السلام في القرآن الكريم	٢٤٦
الفصل الثالث : تقديس البابا	٢٤٩
المبحث الأول : البابوية : تعريفها ونشأها	٢٥٠
المبحث الثاني : صور تقديس البابا	٢٥٤
دعوى أنَّ الرب منح سلطانه لبطرس وأنابه على مملكته	٢٥٥
دعوى أنَّ البابا الروماني نائب الرب الوارث لسلطانه ورئيس الكنيسة	٢٥٧
دعوى عصمة البابا	٢٥٩
دعوى أنَّ البابا له سلطان التشريع	٢٦٤
دعوى مغفرة الذنوب	٢٦٦
فلسفة صكوك الغفران	٢٦٧
حق التحلَّة	٢٧١
المبحث الثالث : نقد تقديس البابا	٢٧٢
نقد دعوى أنَّ بطرس نائب الرب ووارث سلطانه ورئيس الكنيسة	٢٧٣
نقد دعوى أنَّ البابا نائب الرب والوارث لسلطته ورئيس الكنيسة	٢٧٧
نقد عصمة البابا	٢٧٨

نقد أنَّ له سلطان التحليل والتحريم ٢٨١

الفصل الرابع : تقديس رجال الدين ٢٨٣

التعريف برجال الدين ونشأتهم ٢٨٤

المبحث الأول : صور تقديس رجال الدين ٢٨٦

دعوى وراثة سلطان الرب ٢٨٧

تقد هذه الدعوى ٢٨٨

المبحث الثاني : دعوى التوسط بين الله وبين الخلق ٢٨٩

نقد مبدأ توسط رجال الدين ٢٩١

المبحث الثالث : الأسرار الكنسية ٢٩٣

أهمية هذه الأسرار وارتباطها بحياة النصراني ٢٩٤

الفصل الخامس : صور عامة في تقديس الأشخاص ٣٠٨

المبحث الأول : التبرك بآثار ومخلفات من يسمى بالمقدسين ٣١٠

المبحث الثاني : وضع التماثيل والصور وتقديسها ٣١٦

المحث الثالث : أقامة الأعياد لهم ٣١٨

المبحث الرابع : الحج وزيارة أماكنهم ٣٢٠

الباب الثالث : آثار التقديس

تمهيد للباب ٣٢٣

الفصل الأول : آثار التقديس على الكنيسة ٣٢٦

المبحث الأول : طغيان الكنيسة : ٣٢٧

أسباب طغيان الكنيسة ٣٢٨

الطغيان الروحي ٣٣٠

الطغيان السياسي ٣٣٣

الطغيان المالي ٣٣٨

الطغيان ضد العلم ٣٤٣

الطغيان ضد العقل ٣٥٣

المبحث الثاني : فساد الكنيسة	٣٥٧
شهادات المؤرخين على فساد الكنيسة	٣٥٨
أسباب فساد رجال الدين	٣٦٢
الفصل الثاني : الثورة على الكنيسة	٣٦٦
المبحث الأول : الإصلاح الديني	٣٦٧
عوامل قيام الإصلاح	٣٦٨
يوحنا ويكلف	٣٧٢
يوحنا هوس	٣٧٥
حنا روخلن (روكلن)	٣٧٧
الإصلاح الديني في القرن السادس عشر	٣٧٨
١- مارتن لوثر	٣٧٨
٢- زونجلي	٣٨٤
٣- كالفن	٣٨٦
نقد حركة الإصلاح الديني	٣٨٨
المبحث الثاني : الثورة الفرنسية	٣٩١
واقع المجتمع الفرنسي قبل الثورة	٣٩٢
النظام الملكي	٣٩٢
نظام الطبقات	٣٩٤
أسباب قيام الثورة	٤٠٢
مراحل الثورة	٤٠٥
تحليل ونقد	٤٠٩
الفصل الثالث : ظهور الفكر اللاديني	٤١١
المبحث الأول : دين الكنيسة قبل ظهور الفكر اللاديني	٤١٣
المبحث الثاني : ظهور الفكر اللاديني (العلمانية نموذجاً)	٤١٨
تعريف العلمانية	٤١٩

ظهور العلمانية	٤٢٣
عوامل نشأة العلمانية	٤٢٤
مجالات العلمانية	٤٢٨
المجال السياسي	٤٢٩
نتائج العلمانية السياسية	٤٣١
العلمانية في الاقتصاد	٤٣٢
العلمانية في العلم	٤٣٥
اسباب علمانية العلم	٤٣٧
مظاهر العلمانية في العلم	٤٣٩
الخاتمة	٤٤٠
فهرس المراجع	٤٤٣